بسم الله الرحمن الرحيم

معالم سيرة الزهراء عليها السلام

الجزء الثاني

طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

تنويه: إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ١٤٦٠

BP80.F36 M8 2021

مبارك، رحيم حسين--مؤلف.
معالم سيرة الزهراء عليها السلام / تأليف رحيم حسين مبارك -- الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ / ١٤٤٢ للهجرة.
٢ مجلد. -- (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٩١٢)، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٢٦٨)، (شعبة الدراسات والبحوث ؛ ١٩٨).
يتضمن مراجع ببليوغرافية
ردمك: ٩٧٨-٩٩٢٢-٦٥٥-٠-٢-٤
١. فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، ٨ قبل الهجرة - ١١ للهجرة. --سيرة ٢. أهل بيت الرسول عليهم السلام (الشيعة الإمامية)—تراجم. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث – جهة مصدرة ب. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

معالم سيرة الزهراء عليها السلام

الجزء الثاني

تأليف

رحيم حسين مبارك

وحدة الدراسات التخصصية

في الإمام الحسين عليه السلام

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: معالم سيرة الزهراء الجزء الثاني.

المؤلف: رحيم حسين مبارك.

الناشر: العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: دار الوارث.

عدد النسخ: ٥٠٠.

سنة الطبع: ٢٠٢١ م - ١٤٤٢ هـ.

الطبعة: الأولى.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.

الفصل الثامن

الزهراء عليها السلام المحدَّثة والمحدِّثة

المحدَّثة والمحدِّثة

قال الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي: جاء في الحديث الشريف «**إنّ أوصياء محمّد عليه وعليهم السلام محدَّثون**» أي تحدّثهم الملائكة وفيهم جبرئيل عليه السلام من غير معاينة... ومنه في وصف فاطمة عليها السلام «**أيّتها المحدَّثة العليمة**»[١].

أقول: أمّا كون الزهراء عليها السلام محدَّثة، فقد كانت الملائكة تهبط عليها بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فتسلّيها وتُخبرها بما سيكون، فأخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بذلك فدوّنه حتى أثبت من ذلك كتاباً يُدعى مصحف فاطمة عليها السلام[٢]، لكنه ليس فيه - كما يقول أهل البيت عليهم السلام - آية قرآنيّة واحدة، وليس فيه شيء من الحلال والحرام، بل فيه أخبار من سيملك وأخبار ما سيكون في ذرية الزهراء فاطمة عليها السلام.

ولقد بيّن القرآن الكريم حقيقة أنَّ الملائكة تتنزّل على الأنبياء عليهم السلام وعلى كل من يصل في القُرب من الله تعالى إلى هذه الدرجة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾؛ بل ورد في آيات صريحة أنَّ الملائكة تمثّلت لمريم الصدّيقة عليها السلام، في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؛ وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام نزول الملائكة وتمثّلها لفاطمة الصدّيقة ريحانة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله؛ فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إنّما سُمّيت فاطمة محدَّثة لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران**»[٣].

---

(١) مجمع البحرين ٢: ٢٤٥، باب (حدث).

(٢) انظر: بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٢٢: ٥٤٥ / ح٦٢.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٧٨.

كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**فاطمة عليها السّلام سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنّها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة،** ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ﴾»(١). وقد وردت روايات كثيرة - أوردنا بعضها في الفصل السادس من هذا الكتاب - أنَّ الزهراء عليها السلام كانت تدخل المحراب فتجد فيه رزقاً من عند الله تعالى تهبط به الملائكة، شأنها في ذلك شأن مريم ابنة عمران عليها السلام.

وأما كونها عليها السلام محدَّثة، فإنَّ من البيّن أنَّ القرآن الكريم والسنّة النبوية هما المصدران التشريعيّان اللذان تُستلهم منهما الأُسس الفكرية والمباني التشريعية للدين الإسلامي. ولقد تكفّل ربّ العزّة سبحانه وتعالى بحفظ كتابه العزيز من الاندثار والتحريف، أما السنّة النبويّة فقد كان لأهل البيت عليهم السلام - ومن بينهم سيدة النساء فاطمة عليها السلام - الدور المهم في حفظها وتدوينها ورعايتها؛ بينما سعى آخرون - في المقابل - في منع تدوين السنة النبوية، بل جاهدوا في محو وإحراق ما جرى تدوينه منها بالفعل، بحجّة خشيتهم من اختلاط تلك الأحاديث بالقرآن الكريم!!! كما أنّهم منعوا كبار الصحابة من الخروج من المدينة المنورة والسفر في بلاد الله لئلا يحدّثوا بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله.

نظرة واحدة في تاريخ تدوين السنّة الشريفة كافية لإيضاح هذه الحقيقة؛ فحين يسعى طرفٌ ما لمنع كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله بحجج واهية، ثم يسعى ذلك الطرف - بعد أن استتبّ له ما أراد - في تدوين السنّة كما يحلو له، فإنَّ النتيجة معروفة

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٣٥.

النتائج سلفاً: وهي تدوين السنة - أو ما يُدعى بالسنّة - لصالحه. هل ينكر أحد أنَّ الخليفة الثاني منع من كتابة الصحيفة التي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله كتابتها لأُمَّته منعاً لضلالها من بعده، وقال مقولته الشهيرة (حسبُنا كتاب الله)!! ثم إِنَّ أبا بكر منع الصحابة من كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لهم (في حديث):... فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً؛ فمن سألكم فقولوا «**بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه**»!!، ثم جاء الخليفة الثاني فأتم ما بناه من قبل وصاحبُه، فكتب للأمصار: من كان عنده شيء منه (أي من السنّة) فليمحُه!! ثم أصدر أمره للصحابة أن يأتوه بما في أيديهم من الكتب، فأحرقها بالنار، ثم قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب[١]!!

ثم جاء بنو أمية فزوّروا السنّة كما يحلو لهم، وأرجعوا الناس إلى الزهري وقالوا عنه أنَّه أعلم الناس بالسنّة، فكتب لهم سنة النبي وخلطها بسنّة الشيخين، فصارتا سنّة واحدة. أورد ابن سعد عن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر أخبرني صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن. قال: وكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم. قال: ثم قال [الزهري]: نكتب ما جاء عن الصحابة فإنَّه سنّة. قال، قلت: إنَّه ليس بسنّة فلا نكتبه. قال: فكتب [الزهري] ولم أكتب، فأنجح وضيّعت[٢].

ولا ينقضي عجب المرء حين يصرّح مثل البخاري بأنَّه استخرج كتابه (المدعو بالصحيح) من ستمائة ألف حديث، وأنَّه كان يحفظ مائة ألف حديث من [الأحاديث] الصحاح، ومائتي ألف حديث من غيرها[٣]!!. وفي تصريح البخاري دلالة على أنَّ

(١) انظر للتفصيل كتاب منع تدوين الحديث للسيد علي الشهرستاني: ص١٧، ٣٥.

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ٣٨٧.

(٣) دراسات في الحديث والمحدثين للسيد هاشم معروف الحسني: ص١١٧.

الأحاديث غير الصحيحة في رأي البخاري كانت تفوق في كثرتها الأحاديث الصحيحة. ونلاحظ - في الجانب الآخر من المعادلة - الحرص الكبير والجهود العظيمة التي بذلها أهل البيت عليهم السلام - وفي طليعتهم الزهراء البتول عليها السلام - في حفظ وصيانة وتدوين السنّة النبويّة الشريفة، ونلحظ اهتمامها الكبير في حفظ أحاديث أبيها المرسل صلى الله عليه وآله، بحيث نراها تفتّش هلعة على جريدة فيها إحدى روايات أبيها، خافت أن تكون قد فقدتها. ولقد نقلت الزهراء المحدّثة عليها السلام روايات كثيرة مهمة، كحديث اللوح، وحديث الكساء، وحديث إِنَّ الأئمة بعد رسول الله بعدد نقباء بني إسرائيل، وكانت أحد رواة حديث غدير خم؛ كما أنّها عليها السلام نقلت أحاديث كثيرة في فضل أمير المؤمنين علي عليه السلام وولايته وإمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

الزهراء عليها السلام المحدَّثة

قال الكجوري في الخصائص الفاطمية في لقب (المحدَّثة): (وهو من أعظم وأفضل الألقاب الطيّبة لأُمِّ الأئمّة النجباء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها. وهذه الدرجة السامية والرتبة النامية التي تلي مقام النبوة والإمامة خاصّة بالزهراء عليها السلام. وهي تعني أنّ صاحب هذا اللقب والمقام يكون مُلهَماً ومؤيّداً بالإفاضات الغيبيّة والعنايات الربّانيّة، حيث تحدّثه الملائكة فيسمع أصواتها. والظاهر من أخبار الكافي أنّ من مراتب النبوّة قبل البعثة سماع صوت الملك ومعاينة الروح الأمين.

والمحدَّثة: اسم مفعول أي التي حُدّثت، ولا بدّ للمحدّثة من محدِّث، وكان جبرئيل وغيره من الملائكة يحدّثون النبيّ والوصيّ وفاطمة الزكيّة، وكان لفاطمة الزهراء عليها

السلام لقاءات لا تحصى مع الملائكة. وفي حديث مصحف جبرئيل: كانت فاطمة تلتقي جبرئيل خمسة وسبعين يوماً أوقات الصلاة المفروضة، وتشاهده عياناً بالحاسة الباصرة الظاهريّة والرؤية البشريّة، وتسمع منه الأحاديث والأخبار في ما كان وما هو كائن، وكانت تلتقيه من قبل في زمان أبيها كما جاء في مرثيتها:

وكـان جبرئيل بـالآيـات يؤنسنا فقد فُـقِـدتَ فكـلُّ الخـير محتجبُ

وقد ورد في أوصافها عليها السلام (المحدَّثة العليمة).[١]

(المحدَّثة) من أسماء الزهراء عليها السلام

قال أبو عبد الله عليه السلام: «**لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدَّثة، والزهراء**»[٢].

روى سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنّي وأوصيائي من ولدي كلّنا محدَّثون**».

قال سليم: قلت لمحمّد بن أبي بكر: وهل تحدّث الملائكة إلاّ الأنبياء؟

قال: أما تقرأ القرآن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ ولا محدَّث؟

قال: قلت له: أمير المؤمنين عليه السلام، محدَّث هو؟ قال: «**نعم وكانت فاطمة محدَّثة ولم تكن نبيّة**»[٣].

(١) الخصائص الفاطمية للكجوري ١: ٢٥٧.

(٢) روضة الواعظين – الفتال النيسابوري: ص ١٤٨.

(٣) الخصائص الفاطمية للكجوري ١: ٢٦٠ نقلًا عن سليم.

روى الشيخ الصدوق عن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد ابن علي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إنَّما سميت فاطمة عليها السلام محدَّثة، لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين؛ فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وأَنَّ الله عز وجل جعلكِ سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأوّلين والآخرين**».[1]

مصحف فاطمة عليها السلام

استغل أعداء أهل البيت تسمية (مصحف فاطمة) في النيل من الشيعة واتهامهم بأنّ لهم (مصحفاً) خاصاً غير المصحف المعروف واتّهموا الشيعة بتحريف القرآن. وتبقى الحقيقة الساطعة هي أنّ مصحف فاطمة عليها السلام ليس فيه شيء من القرآن، وليس فيه شيء من الحلال والحرام، بل فيه عِلم ما يكون، ممّا كانت الملائكة تحدّث به بضعة الرسول صلى الله عليه وآله فتسلّيها بعد ارتحال أبيها، فتسرّي عنها بعض الحزن الشديد الذي لحقها بفراق سيّد الكائنات.

وممّا يثير العجب أنّ من يتّهمون الشيعة بتحريف القرآن ينقلون في موسوعاتهم الحديثية روايات متكاثرة عن (سقوط) و(ضياع) آيات قرآنيّة كثيرة، منها ما أكله الداجن حين انشغلوا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله[2]، ومنها ما سقط من بعض السور

---

(١) علل الشرايع ١: ١٨٢ / ح١؛ دلائل الإمامة: ص٨١، حديث معنى المحدّثة.

(٢) انظر: مسند أحمد ٦: ٢٦٩.

الطويلة[١]، ومنها سور زعموا أنّ بعض الصحابة كان يُثبتها في مصحفه!![٢]

أخرج العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن الكليني بإسناده عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ الله لما قبض نبيّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجلّ، فأرسل إليها ملكاً يسلّي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لها: إذا أحسستِ بذلك وسمعتِ الصوت قولي لي، فأعلمته ذلك وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً. قال، ثم قال: أما إنَّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون**»[٣].

وأخرج المجلسي عن الكليني بإسناده عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام**»[٤].

مصحف فاطمة عليها السلام فيه اسم كل ملِك يملك

روى ابن بابويه القمي بإسناده عن فضيل سكرة، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: «**يا فضيل، أتدري في أي شيءٍ كنت انظر قبلُ**»؟ قلت: لا. قال: «**كنت**

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور ٦: ٥٦٠.

(٢) انظر: روح المعاني ١: ٢٥؛ المستدرك للحاكم ٤: ٣٥٩ و ٣٦٠.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٢٢: ٥٤٥ / ح٦٢.

(٤) بحار الأنوار ٢٢: ٥٤٥ - ٥٤٦ / ح٦٣.

انظر في كتاب فاطمة عليها السلام، فليس ملِك يملك إلا وهو مكتوب باسمه واسم أبيه، فما وجدت لولد الحسن عليه السلام فيه شيئاً»[١].

الزهراء عليها السلام تعلم ما كان وما يكون

الزهراء عليها السلام هي الحوراء الإنسية التي خلق الله تعالى نورها مع أنوار أهل البيت عليهم السلام، ثم أودع تعالى ذلك النور في شجرة من أشجار الجنّة فأوحى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله في المعراج أن يتناول من ثمار تلك الشجرة، فتناول منها، فأودع الله تعالى نور الزهراء في صُلب نبيّه صلى الله عليه وآله. فلا عجب أن كانت أُمُّ أبيها تعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، لأنّ الزهراء من أهل البيت عليهم السلام الذين لا يُقاس بهم أحدٌ من الناس.

روي عن حارثة بن قدامة، قال: حدثني سلمان، قال: حدثني عمار، وقال: أخبرك عجباً؟ قلت: حدّثني يا عمار. قال: نعم، شهدت علي بن أبي طالب عليه السّلام وقد ولج على فاطمة عليها السّلام، فلمّا أبصرت به نادت: ادنُ لأُحدّثك بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة.

قال عمار: فرأيت أمير المؤمنين عليه السّلام يرجع القهقرى، فرجعت برجوعه إذ دخل على النبي صلّى الله عليه وآله، فقال له: «**ادنُ يا أبا الحسن**»، فدنا. فلما اطمأنّ به المجلس قال له: «**تحدّثني أم أُحدّثك**»؟ قال: «**الحديث منك أحسن يا رسول الله**». فقال: «**كأنّي بك وقد دخلت على فاطمة عليها السّلام وقالت لك كيت وكيت فرجعت**»! فقال علي عليه السّلام: «**نور فاطمة عليها السّلام من نورنا**»؟ فقال صلّى الله عليه وآله: «**أو لا تعلم**»؟ فسجد علي عليه السّلام شكراً لله تعالى.

---

(١) الإمامة والتبصرة – ابن بابويه القمي: ص ٥٠.

قال عمار: فخرج أمير المؤمنين عليه السّلام وخرجت بخروجه، فولج علي عليه السّلام على فاطمة عليها السّلام وولجت معه، فقالت: «**كأنَّك رجعت إلى أبي صلّى الله عليه وآله، فأخبرته بما قلته لك**»! قال: «**كان كذلك يا فاطمة**». فقالت: «**اعلم يا أبا الحسن أنَّ الله تعالى خلق نوري وكان يسبّح الله جل جلاله، ثم أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت. فلما دخل أبي الجنة، أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك! ففعل. فأودعني الله سبحانه صلب أبي صلّى الله عليه وآله، ثم أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون. يا أبا الحسن، المؤمن ينظر بنور الله تعالى**»[١].

أقول: لا يخفى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله، وأنَّه عليه السلام أراد من خلال سؤاله إيضاح حقيقة أنَّ نور فاطمة عليها السلام هو من نور رسول الله ونور أمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام. وقد أضاف هذا الحديث الشريف معلومة مهمة عند الصحابة الأجلاء الأوفياء من أمثال عمّار بن ياسر وسلمان، حيث نقلوه لأجيال الشيعة من بعدهم. ونلاحظ ملازمة عمّار (وهو راوي الحديث) لأمير المؤمنين عليه السلام في دخوله على زوجته الزهراء عليها السلام في المرة الأُولى والثانية. كما نلاحظ أنَّ خطاب الزهراء عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام (اعلمْ يا أبا الحسن...) هو خطاب للصحابة أولاً وللشيعة ثانياً، من باب (إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة)، وهو أُسلوب شائع في الخطاب القرآنيّ، حيث يخاطب الله تعالى نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله ويريد مخاطبة الأمَّة[٢]!

---

(١) عيون المعجزات: ص ٤٧؛ بحار الأنوار ٤٣: ٨ / ح ١١، عن عيون المعجزات.

(٢) انظر: تفسير التبيان للشيخ الطوسي ١٠: ٢٨؛ تفسير مجمع البيان للطبرسي ٧: ٤٦٥؛ تفسير الكشّاف للزمخشري ٣: ٢٩٣.

الزهراء عليها السلام المحدِّثة

كان للزهراء عليها السلام دور مهم في المحافظة على سنّة رسول الله من الضياع؛ وعلى الرغم من أنّنا نلاحظ أنَّ الروايات التي وصلتنا عنها قليلة نسبياً - وهي خسارة لا تعوّض أن نُحرم من أحاديث ينقلها أقربُ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله - لكننا نلاحظ أنّ أُمَّ أبيها سلام الله عليها قد نقلت روايات (نوعية) أسهمت في ترسيخ مفاهيم عقائدية مهمة، وعلى الأخص في تلك المرحلة الحسّاسة من مراحل حياة الأُمَّة الإسلاميّة، حيث أسهمت أحاديثها المباركة في التأكيد على أحقيّة أمير المؤمنين عليه السلام في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله استناداً إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وآله الصريحة في استخلافه، كحديث الغدير المشهور، حيث إنّها عليها السلام من جملة رواة حديث الغدير، وإليها يرجع حديث الفواطم المشهور الذي قالت فيه «**أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه، وقوله صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؟**»؛ وحديث «**يا علي أنت الإمام والخليفة من بعدي**»، وحديث «**مَن كنتُ وليّه فعليٌّ وليّه، ومن كنتُ إمامه فعليٌّ إمامه**»؛ أو استناداً إلى الأحاديث التي تتضمّن أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الأحقّ والأجدر بوصاية النبي صلى الله عليه وآله باعتبار المؤهلات التي يمتلكها أو الصفات التي يتّصف بها، كحديث «**زوجكِ أعلمُ الناس عِلماً، وأولهم إسلاماً، وأفضلهم حلماً**» لأنَّ من البديهة أنَّ أعلم الناس وأسبقهم إلى الإسلام والإيمان هو الأجدر بقيادتهم، وحديث «**عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع عليٍّ لا يفترقان**»، الذي يصرّح بالمعيّة بين القرآن المطهّر وأمير المؤمنين المطهّر، وهذا الحديث معضود بالحديث المشهور «**إنّي تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»! وحديث

«أخبرني جبرئيل عن كاتبَي علي أنَّهما لم يكتبا على علي ذنباً مُذ صحباه»، لأنّ المطهّر الذي لم يسجد لصنم ولم يرتكب معصية طوال حياته أجدر بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله من الذي عاش ردحاً من عمره مشركاً يعبد الأصنام. كما أسهمت أحاديث الزهراء عليها السلام في ترسيخ مفهوم (الإمامة) باعتبارها اختياراً واصطفاءً ربّانياً لا دخل للأُمَّة فيه، كحديث (اللوح) الذي ترد فيه أسماء أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وحديث الكساء، وحديث أنَّ الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل، وصولاً إلى الأحاديث التي تؤكّد على استمرار (خطّ الإمامة) في وُلد الحسين عليه السلام، وأنَّ الإمام المنتظر عليه السلام هو آخر الأئمة الأطهار عليهم السلام، مثل حديث أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو أبو الأئمة الأطهار عليهم السلام، وأنَّه أبو أئمة أبرار تسعة، تاسعهم مهديّهم. يضاف إلى ذلك أنَّ أحاديث الزهراء عليها السلام قد أسهمت في بناء (الجماعة الصالحة) التي يصرّح رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّها ستكون مع قائدها: أمير المؤمنين عليه السلام في الجنّة، كحديث **«أما إنَّك - يا بن أبي طالب - وشيعتك في الجنة»**، وحديث **«هذا جبريل يخبرني أنَّ السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته، وأنَّ الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد موته»** وحديث **«بخٍ بخٍ مَن مِثل شيعة علي»** و**«شيعة علي هم الفائزون»**.

الزهراء عليها السلام وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله

نلاحظ كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعامل مع الزهراء المحدّثة عليها السلام، فهي تأتيه فتشكو إليه بعضَ أمرها، ولم تُفصح رواية الإمام الصادق عليه السلام عن طبيعة شكوى الزهراء عليها السلام، لكنها سلّطت الضوء على الدعاء الذي ضمته

تلك الكريسة التي أعطاها النبي صلى الله عليه وآله لريحانته وبضعته وأمرها أن تتعلّم ما فيها! وهكذا نقلتْ لنا الزهراء المحدّثة – على الرغم من عمرها القصير المبتور – أحاديث مهمة عن أبيها مدينة العِلم.

روى الكليني عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعضَ أمرها، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله كريسة وقال: تعلّمي ما فيها، فإذا فيها**»: «**مَن كان يؤمنْ بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرمْ ضيفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُلْ خيراً أو ليسكتْ**».[١]

الزهراء عليها السلام من جملة رواة قصة غدير خم

حديث غدير خم من الأحاديث المتواترة التي رواها عدد كبير من الصحابة[٢]، وقد احتجّ أمير المؤمنين بهذا الحديث في عدّة موارد لإثبات حقّانيّته وأحقيّته في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال ابن شهر آشوب: وذكر عن الصاحب الكافي أنَّه قال: روى لنا قصة غدير خم القاضي أبو بكر الجعابي، عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السّلام وطلحة والزبير والحسن عليه السلام والحسين عليه السّلام وعبد الله ابن جعفر وعباس بن عبد المطلب

(١) الكافي ٢: ٦٦٧ / ح٦.

(٢) ألّف العلامة الأميني موسوعة الغدير في أحد عشر مجلّداً، استقصى فيها أسماء (١١٠ نفر) هم رواة الغدير من أعاظم الصحابة، وذكر المصادر التي جاء فيها حديث الغدير مسنداً إلى الصحابيّ، ثم ذكر الرواة من التابعين. وقد اعترف بتواتر حديث الغدير أعلام العامة، كالترمذي في صحيحه، والحافظ ابن عبد البر القرطبي في الاستيعاب، والحافظ جلال الدين السيوطي. وقد أفرد شمس الدين الجزري الشافعي رسالة في إثبات تواتر حديث الغدير أسمها (أسنى المطالب). انظر للتفصيل: كتاب الغدير ١: ٢٩٤ – ٣١٣.

وعبد الله بن عباس وأبوذر وسلمان وعبد الله بن عباس (ثم ذكر خمسة وخمسين آخرين من الصحابة من رواة حديث الغدير؛ ثم قال: ومن النساء فاطمة الزهراء عليها السّلام وعائشة وأمُّ سلمة وأمُّ هانيء وفاطمة بنت حمزة[١].

حديث الفواطم عن قول النبيِّ صلى الله عليه وآله يوم غدير خم

قال ابن الجزري: وألطف طريق وقع لهذا الحديث وأغربه: ما حدثنا به شيخنا خاتمة الحفاظ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب المقدسي مشافهة، أخبرتنا الشيخة أمُّ محمد زينب ابنة أحمد بن عبد الرحيم المقدسية... حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا، حدثتني فاطمة وزينب وأمُّ كلثوم بنات موسى بن جعفر، قلن: حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد الصادق، حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي، حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين، حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي، عن أمِّ كلثوم بنت فاطمة بنت النبي عليهم السلام، عن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: **«أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه، وقوله صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؟ هكذا أخرجه الحافظ الكبير أبو موسى المديني في كتابه المسلسل بالأسماء وقال: هذا الحديث مسلسل من وجه، وهو أنَّ كل واحدة من الفواطم تروي عن عمة لها، فهو رواية خمس بنات أخ كل واحدة منهن عن عمتها»**[٢].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٦.

(٢) خلاصة عبقات الأنوار – السيد حامد النقوي ٧: ١٨٨؛ شرح إحقاق الحق – السيد المرعشي ٢١: ٢٧ – ٢٨.

الزهراء عليها السلام وحديث اللوح

حديث اللوح من الأحاديث المشهورة(١)، وهو لوحٌ يقول جابر الأنصاري بأنَّه رآه عند الزهراء عليها السلام، ويصفه بأنَّه (صحيفة بيضاء من درّة) وأنَّه (لوح يكاد ضوؤه يغشي الأبصار) وأنَّه (لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها) أي من ولد الزهراء عليها السلام، وجاء في بعض الروايات التي لم ننقلها أنَّه (لوح أخضر ظننتُ أنَّه زمرّد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس)، وقد نصّ في هذا اللوح على أسماء الأئمة عليهم السلام، وقد نقلت الزهراء المحدّثة مجموعة من الأحاديث التي ورد في أحدها أنَّ الأئمة اثنا عشر إماماً عدد نقباء بني إسرائيل، وورد في بعضها إخبار من النبي صلى الله عليه وآله عند ولادة الإمام الحسين عليه السلام بأنَّ الأئمة عليهم السلام هم تسعة من وُلد الحسين عليه السلام، وأنّ تاسعهم هو قائمهم المهديّ المنتظر.

روى الشيخ الصدوق عن أبي نضرة، قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن عليٍّ الباقر عليه السّلام عند الوفاة دعى بابنه الصادق عليه السّلام ليعهد إليه عهداً. فقال له أخوه زيد بن علي: لو امتثلتَ فيّ تمثال الحسن والحسين عليهما السّلام لرجوتُ أن لا تكون أتيتَ منكراً. فقال له: «**يا أبا الحسن، إنَّ الأمانات ليست بالتمثال ولا العهود بالرسوم، وإنَّما هي أُمور سابقة عن حُجج الله عز وجل**». ثم دُعي بجابر بن عبد الله، فقال له: «**يا جابر، حدّثنا بما عاينتَ من الصحيفة**».

فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر؛ دخلتُ على مولاتي فاطمة بنت رسول الله عليها

---

(١) روي حديث اللوح في كثير من المصادر الحديثية المعتبرة، ومنها: الإرشاد للمفيد ٢: ١٣٨؛ الاختصاص للمفيد: ص٢١٠؛ الكافي ١: ٤٤٢ / ٣، إكمال الدين: ١: ٣١١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٠ / ١، غيبة النعماني: ٦٢؛ أمالي الطوسي ١: ٢٩٧، غيبة الطوسي: ١٤٣ / ١٠٨؛ إثبات الوصية: ١٤٣، ٢٢٧، ٢٣٠،، ألقاب الرسول وعترته صلى الله عليه وآله: ١٧٠، فرائد السمطين ٢: ١٣٦ / ٤٣٢ والعلامة المجلسي في البحار ٣٦: ١٩٢ – ٢٠٣.

السّلام لأُهنّأها بمولودها الحسين عليه السّلام، فإذا بيديها صحيفة بيضاء من درّة، فقلت لها: يا سيدة النساء! ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: «**فيها أسماء الأئمة من وُلدي عليهم السّلام**». قلت لها: ناوليني لانظر فيها. قالت: «**يا جابر، لولا النهي لكنت أفعل، لكنه قد نهي أن يمسّها إلّا نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر باطنها من ظاهرها**».

قال جابر: فإذا فيها «**أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى، أُمُّه آمنة؛ أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى، أُمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف؛ أبو محمد الحسن بن علي البر، أبو عبد الله الحسين بن التقي، أمُّهما فاطمة بنت محمد، أبو محمد علي بن الحسين العدل، أُمُّه شهر بانو بنت يزدجرد؛ أبو جعفر محمد بن علي الباقر، أُمُّه أمُّ عبد الله بنت الحسن بن علي ابن أبي طالب؛ أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، و أُمُّه أمُّ فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر؛ أبو إبراهيم موسى بن جعفر، أُمُّه جارية اسمها حميدة المصفّاة؛ أبو الحسن علي بن موسى الرضا، أُمُّه جارية اسمها نجمة؛ أبو جعفر محمد بن علي الزكي، أمّه جارية اسمها خيزران؛ أبو الحسن علي بن محمد بن الأمين، أُمُّه جارية اسمها سوسن؛ أبو محمد الحسن بن علي الرفيق، أمُّه جارية اسمها سمانة و تكنّى أمُّ الحسن؛ أبو القاسم محمد بن الحسن هو حجة الله القائم، أمُّه جارية اسمها نرجس**»؛ صلوات الله عليهم أجمعين[1].

وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السّلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت على مولاتي فاطمة عليها السّلام وقدّامها لوح يكاد ضوؤه يغشي الأبصار؛ فيه اثنا عشر اسماً، ثلاثة في ظاهره، وثلاثة في

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١: ٣٢ / ح ١.

باطنه، وثلاثة أسماء في آخره، وثلاثة أسماء في طرفه.

فعددتها فإذا هي اثنا عشر اسماً، فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: «**هذه أسماء الأوصياء؛ أوّلهم ابن عمي وأحد عشر من ولدي، آخرهم القائم، صلوات الله عليهم أجمعين**». قال جابر: فرأيت فيها (محمداً محمداً محمداً) في ثلاثة مواضع، و(علياً علياً علياً علياً) في أربعة مواضع(١).

الزهراء تنقل حديث إِنَّ الحسين إمام ابن إمام أبو أئمة تسعة، آخرُهم قائمهم

من الأحاديث المهمّة التي تعضد كون الإمام المهدي من وُلد الإمام الحسين عليهما السلام - وليس من ولد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كما روّج البعض - حديثٌ نقلته الزهراء عليها السلام عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله عند ولادة الحسين عليه السلام.

روى الخزاز عن زيد بن علي [عن أبيه علي] بن الحسين، عن عمته زينب بنت علي عليه السلام، عن فاطمة عليها السلام قالت: «**كان دخل إلي رسول الله صلى الله عليه وآله عند ولادتي الحسين عليه السلام، فناولته إياه في خرقة صفراء، فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء ولفّه فيها، ثم قال: خُذيه يا فاطمة، فإنَّه إمام ابن إمام أبو الأئمة التسعة، من صلبه أئمة أبرار، والتاسع قائمُهم**»(٢).

أقول: لقد تحدثنا في الفصل السابع عن كراهة لفّ المولود في خرقة صفراء، وأوردنا هناك حديثاً عن أسماء بنت عميس أنَّها هي التي قبلت فاطمة عليها السلام بالحسن ثم

---

(١) كمال الدين ١: ٣١١/ ح ٢.

(٢) كفاية الأثر - الخزاز القمي: ص ١٩٣ - ١٩٤.

بالحسين عليهما السلام. كما نقلنا هناك حديثاً عن جابر، جاء فيه أنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان قد أمرهم أن يلفّوه في خرقة بيضاء فلفّوه في صفراء. ومن الطبيعيّ أنَّ العناية بالوليد في الساعات الأُولى لولادته تكون من مسؤوليّة القابلة.

وروى الخزاز عن يونس بن ظبيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد ابن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين قال: «**قالت لي أمّي فاطمة: لما ولدتُك دخل إلي رسول الله صلى الله عليه وآله فناولتك إيّاه في خرقة صفراء، فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء لفّك فيها وأذّن في أُذنك الأيمن، وأقام في أُذنك الأيسر، ثم قال: يا فاطمة خُذيه فإنَّه أبو الأئمة، تسعة من ولده أئمّة أبرار، والتاسع مهديّهم**»[١].

أقول: سيأتي قريباً حديث في أنَّ الأئمة رجال الأعراف، يعضد الحديثين السابقين، لم نورده هنا رعاية للاختصار.

حديث (الأئمة بعد رسول الله عدد نقباء بني إسرائيل)

جاء في الرواية أنَّ عدد أئمة أهل البيت عليهم السلام عدة الشهور، وهي اثنا عشر شهراً في كتاب الله تعالى، وأنَّ عدتهم عدة العيون التي انفجرت لموسى بن عمران عليه السلام حين ضرب بعصاه البحر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وأنَّ عدتهم عدة نقباء بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّه مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾.[٢] وقد أسهمت الزهراء المحدّثة عليها السلام في نقل حديث مهم عن عدد الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يصفهم بأنّهم (عدد نقباء بني إسرائيل)؛ وهذا الحديث المهم بهذا المضمون قد نقلته الموسوعات الحديثية الشيعية والسنية عن عبد الله بن مسعود

(١) كفاية الأثر: ص ١٩٦ – ١٩٧.

(٢) تفسير البرهان للسيد البحراني ٢: ٣٨٩/ ح١.

بطرق متكاثرة[١]؛ علماً أنَّ الحديث بهذا المضمون قد ورد في مصادر الخاصة بأسانيد كثيرة، فقد روي عن عن أبي ذر وأبي هريرة وسلمان وعمران ابن الحصين واثلة بن الأسقع وأبي أيوب الأنصاري وحذيفة بن أسيد وحذيفة ابن اليمان وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعن الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام.[٢]

أما رواية الزهراء عليها السلام لهذا الحديث، فقد رواها الخزاز عن يعقوب ابن محمد بن علي بن عبد المهيمن بن عباس بن سعد الساعدي، عن أبيه قال: سألت فاطمة صلوات الله عليها عن الأئمة فقالت: «**سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الأئمة بعدي عدد نقباء بني إسرائيل**»[٣].

حديث إِنَّ النبي صلى الله عليه وآله وليّ بني فاطمة وعصبتهم

روت فاطمة المحدّثة عليها السلام حديثاً آخر يعزّز منزلة أهل البيت عليهم السلام، ويؤكّد قُربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنَّهم أولى به من كلّ من عداهم، لأنَّه صلى الله عليه وآله وليّهم وهو عُصبتهم. روى الطبراني عن فاطمة بنت حسين عن فاطمة الكبرى قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل بني أُمٍّ ينتمون إلى عُصبة**» وفي حديث آخر: «**لكلّ بني أُنثى عُصبة ينتمون إليه**»، «**إلاّ ولد فاطمة، فأنا وليّهم وأنا عُصبتهم**»[٤].

---

(١) انظر: الغيبة للنعماني: ص١١٧ - ١١٩ الأحاديث ١ - ٥؛ كفاية الأثر للخزاز القمي: ص٢٦ ٢٧؛ كمال الدين، باب ٧٤، ص ٢٧٠ ٢٧٢ / ح١٦ - ١٨؛ والمستدرك للحاكم النيسابوري ٤: ٥٠١؛ المعجم الكبير للطبراني ١٠: ١٥٨ /ح ١٠٣١٠؛ مسند أحمد ١: ٣٩٨؛.

(٢) انظر على سبيل المثال: كفاية الأثر للخزاز القمي: ص ١٦، ١٨، ٣٥، ٤٧، ١٠٩، ١١٣، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦، ١٥٤، ١٦٦.

(٣) كفاية الأثر: ص ١٩٧.

(٤) المعجم الكبير - الطبراني ٣: ٤٤.

قال الجوهري في تاج العروس[١]: عُصبة الرجل: بنوه وقرابته لأبيه، وإنَّما سُمّوا عُصبة لأنَّهم عصبوا به أي أحاطوا به، فالأب طرف، والابن طرف، والعم جانب، والأخ جانب، وفي لِسَان العَرَبِ: في التَّنْزِيل (ونَحْنُ عُصْبَة)؛ قال الأَخْفَشُ: العُصْبَة والعِصَابَةُ: جَمَاعَةٌ ليسَ لها وَاحِد.

وقال الشيخ الطوسي في التبيان[٢]: العصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض، وقولهم (ونحن عُصبة) أي جماعة يُعين بعضها البعض، وكانوا عشرة. والعصبة يقع على الجماعة من عشرة إلى خمسة عشر، ولا واحد له من لفظه، كالرهط والقوم والنفر.

وروى الطبري الشيعي عن شيبة بن نعامة، عن فاطمة الصغرى، عن أبيها عن فاطمة الكبرى عليها السلام، قالت: «**قال النبي صلى الله عليه وآله: لكل نبي عصبة ينتمون إليه، وإنَّ فاطمة عصبتي، إليّ تنتمي**»[٣].

سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله عند دخول المسجد والخروج منه

الدعاء عند الدخول في المسجد والخروج منه من الأُمور المستحبّة، وقد ورد أنَّ من المستحبّ عند الدخول إلى المسجد الطهارة والتسمية وتقديم الرجل اليمنى، والصلاة على النبي وآله، والدعاء، كما ورد استحباب تقديم الرجل اليسرى عند الخروج من المسجد والصلاة على النبي وآله والدعاء.

روى الدولابي عن عبد الله بن الحسن عن أُمِّه فاطمة بنت الحسين عن فاطمة، قالت:

---

(١) تاج العروس ٢: ٢٣٨.

(٢) التبيان ٦: ١٠١.

(٣) دلائل الامامة – محمد بن جرير الطبري (الشيعي) ص ٧٦.

«**كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل المسجد قال: بسم الله والحمد الله وصلى الله على رسول الله وسلم. اللهم اغفر لي ذنوبي وسهّل لي أبواب رحمتك**» وإذا خرج قال مثل ذلك إلّا أنَّه يقول: «**اللهم اغفر لي ذنوبي وسهّل لي أبواب فضلك**»[١].

الله تعالى يوحي إلى الملائكة أن يرفعوا القلم عن المريض

المرض ابتلاء من الله تعالى للعبد، وما دام العبد في صحّته مقيماً على طاعة مولاه، فإنَّ الله تعالى إذا ابتلاه بالمرض أمر ملائكته أن يرفعوا القلم عنه، إذ ليس عليه حينذاك من حرج: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[٢]، بل يأمرهم أن يكتبوا لذلك العبد المبتلى أجر ما كان يعمل من الطاعات والعبادات أيام صحّته. روى الدولابي عن عبد الله بن حسن عن أمِّه فاطمة بنت حسين عن فاطمة الكبرى قالت: «**قال النبي صلى الله عليه وآله: إذا مرض العبد أوحى الله إلى ملائكته: أن ارفعوا عن عبدي القلم ما دام في وثاقي، فإنّي أنا حبسته حتى أقبضه أو أُخلّي سبيله. قال: فذكرت لبعض ولده فقال: كان أبي يقول: أوحى الله إلى ملائكته: اكتبوا لعبدي أجر ما كان يعمل في صحته**»[٣].

تعويذ رسول الله صلى الله عليه وآله للحسنين عليهما السلام

تحدثنا عن تعويذ المولود والصبي؛ ونذكر هنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلّم الحسنين عليهما السلام كلمات للاستعاذة بالله تعالى من شر الشياطين والهوام والحسّاد.

(١) الذرية الطاهرة النبوية - الدولابي ص ١٤٧ - ١٤٨

(٢) سورة النور: الآية ٦١؛ وسورة الفتح: الآية ١٧.

(٣) الذرية الطاهرة النبوية: ص ١٤٨.

روى الدولابي عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قال: «**حدثتني أمي فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى بنت محمد: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعوّذ الحسن والحسين ويعلّمهما هؤلاء الكلمات كما يعلّمهما السورة من القرآن، يقول: أعوذ بكلمات الله التامّة من شرّ كلّ شيطان وهامة وكلّ عين لامة**»[1].

حديث توريث رسول الله صلى الله عليه وآله الحسنين عليهما السلام

علاقة رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسنين – ولدي الزهراء عليها السلام – علاقة تفوق علاقة الجدّ بالأحفاد، وقد رأينا القرآن الكريم يصرّح في آية المباهلة بأنَّ الحسنين هما ولدا رسول الله، وشاهدنا رسول الله يصرّح بأنَّ نسب كلّ نبي من صُلب ذلك النبي، وأنَّ نسبه صلى الله عليه وآله من صلُب عليٍّ عليه السلام، ورأينا الحسنين يُناديان رسول الله بـ(يا أبة) طوال حياته الشريفة. ومن هنا نشاهد أنَّ الزهراء تأتي إلى أبيها فتطلب منه أن يورّث الحسنين، كما نشاهد اهتمام النبي الذي لا حدود له بولدي ابنته الحسنين عليهما السلام.

عن زينب بنت أبي رافع عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّها أتت بالحسن والحسين أباها رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه التي مات فيها فقالت: «**تورّثهما يا رسول الله صلى الله عليك وسلم**»؛ فقال: «**أمّا الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فله جرأتي وجودي**». خرجه ابن الضحاك[2].

روى الطبراني عن زينب بنت أبي رافع عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّها أتت بالحسن والحسين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه الذي توفي فيه

---

(١) الذرية الطاهرة النبوية: ص ١٤٩.

(٢) ذخائر العقبى – أحمد بن عبد الله الطبري ص ١٢٩.

فقالت: **«يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما شيئاً»**؛ فقال: **«أما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأما حسين فله جرأتي وجودي»**(١).

النبي يخبر الزهراء أنّها سيدة نساء أهل الجنة، وأنّها أوّل من يلحق به فيها

الإخبار عن الفراق مؤلم ومُحزن لذوي القلوب الرقيقة، فما بالك بمثل الزهراء فاطمة عليها السلام التي كانت بحقّ (أمُّ أَبيها)! وقد أسرّ النبي إلى ابنته - ليُجنّبها صدمة فراقه المفاجئ - أنَّه سيفارقها عمّا قريب، فبكت وحزنت ولم تستطع حبس دموعها، وسرعان ما أسرّ إليها أنّها أوّل من يلحق به من أهل بيته، فعادت الابتسامة إلى شفتيها.

روى ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق عن عروة عن عائشة أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) دعا فاطمة في مرضه الذي توفي فيه فقال لها قولاً فبكت منه، ثم قال لها فضحكت. قالت عائشة: فسألتُها فقالت: **«أوّل القول قال لي إنَّه ميّت من وجعه، فبكيت، ثم قال: إنَّك أوّل من يلحق بي في الجنة، فضحكت»**(٢).

أقول: روى الدولابي عن هاشم بن هاشم عن عبد الله بن وهب، أنَّ أُمَّ سلمة أخبرته: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا فاطمة فحدّثها فبكت، ثم حدّثها فضحكت. قالت أُمُّ سلمة: فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها عن بكائها وعن ضحكها؟ فقالت: **«أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بموته فبكيت، ثم أخبرني أنّي سيدة نساء أهل الجنة فضحكت»**(٣).

---

(١) المعجم الكبير - الطبراني ٢٢: ٤٢٣.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٠: ٣٠٥.

(٣) الذرية الطاهرة النبوية - ص ١٤٤ - ١٤٥.

ونلاحظ أنَّ إخبار النبي لابنته أنَّها سيدة نساء أهل الجنة لم يكن جديداً، فلطالما أخبرها بذلك من قبل، وقد نقلنا في كتابنا عدة روايات في هذا المضمون. ولذلك نحتمل وجود سقط في رواية أُمِّ سلمة يتضمن إخبار النبي لابنته الحبيبة أنَّها أول من يلحق به من أهل بيته.

من صنع إلى رجل من ولد رسول الله صنيعة فهو المكافئ له بنفسه

تنقل الزهراء عليها السلام عن أبيها المرسل صلى الله عليه وآله رواية في الحث على صنع المعروف إلى ذريته، يعِد في نهايته أنَّه صلى الله عليه وآله سيكافىء مَن يصنع معروفاً إلى أحد من ذريته، ولا ريب أَنَّ مكافأة رسول الله صلى الله عليه وآله ستكون يوم الجزاء حين يكون المرء في أشد الحاجة إلى ما يثقل ميزانه من الحسنات.

أخرج المجلسي عن الطوسي في الأمالي عن حسين بن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام، عن فاطمة، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما رجل صنع إلى رجل من ولدي صنيعة فلم يكافئه عليها، فأنا المكافئ له عليها**»[1].

رسول الله صلى الله عليه وآله يخبر فاطمة عليها السلام بمنزلتها في الجنّة

روى محمد بن جرير بإسناده عن الحسين وعلي ابني موسى، عن أبيه عن جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه علي بن الحسين، عن الحسين بن علي عليهم السلام، قال: «**حدثتني فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليهم) قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أُبشّرك؟! إذا أراد الله أن يُتحف زوجة وليّه في الجنة بعث إليك، تبعثين إليها من حليّك**»[2].

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٩٣: ٢٢٥.

(٢) دلائل الامامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي) ص ٦٧؛ بحار الأنوار ٤٣: ٨٠.

حديث الكساء برواية الزهراء فاطمة عليها السلام

حديث الكساء حديث مشهور مرويّ عن الزهراء عليها السلام وعن عدد من الصحابة، فهو مروي عن عائشة وعن أُمِّ سلمة وعن واثلة بن الأسقع وعن عامر بن سعد وعن عبد الله بن جعفر[1]. ويتضمّن نزول آية التطهير في حقّ أمير المؤمنين والزهراء وابنيهما عليهم السلام. ومن الطبيعي أن نزول آية التطهير على أصحاب الكساء يعدّ منقبة عظيمة لهم، لأنَّ الله تعالى قد اصطفاهم من جميع خلقه فأبعد عنهم الرجس وطهّرهم من كلّ دنس، وجعلهم عدلاً لكتابه المنزل.

روى محمد بن جرير عن ربعي بن حراش، عن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فبسط ثوباً فقال: «**اجلسي عليه**». ثم دخل الحسن عليه السلام فقال: «**اجلس معها**». ثم دخل الحسين عليه السلام فقال: «**اجلس معهما**». ثم دخل علي عليه السلام فقال: «**اجلس معهم**». ثم أخذ بمجامع الثوب فضمّه علينا، ثم قال: «**اللهمّ هم مني وأنا منهم، اللهمّ ارضَ عنهم كما إنِّي عنهم راضٍ**»[2].

الزهراء عليها السلام تخبر بدفن سبعة من ولدها بشاطئ الفرات

لم تُنصف الأُمَّةُ بضعةَ رسولها وريحانته من الدنيا، فماتت واجدة ساخطة، ثمّ لم تكتفِ الأُمَّةُ بتلك الجناية العظيمة، فتعقّبت ذريّة الزهراء عليها السلام بالقتل والسم والتنكيل والسبي. وفي الحديث التالي إخبار من رسول الله بدفن سبعة طيبة من ذريّة الزهراء، دُفنوا وهم أحياء بأمر من المنصور الدوانيقي في منطقة الهاشميّة على شاطىء الفرات، إمعاناً

(١) انظر: فضائل الصحابة لأحمد ٢: ٥٨٧ - ٥٨٨ / ح٥٩٤ - ٥٩٦؛ مسند أحمد ٦: ٢٩٢ / ح٢٥٩٦٩؛ أسباب النزول للنيسابوري: ص١٣٤.

(٢) دلائل الامامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي) ص ٦٨.

من حكام بني العبّاس في نصب العداوة لآل الرسول.

روى الشيخ الصدوق عن عبد ربّه - يعني ابن علقمة - عن يحيى بن عبد الله عن الذي أفلت من الثمانية، قال: لما أُدخلنا الحبس قال علي بن الحسن: «**اللهمّ إنْ كان هذا من سخطٍ منك علينا، فاشدد حتى ترضى**». فقال عبد الله ابن الحسن: ما هذا يرحمك الله؟ ثم حدثنا عبد الله عن فاطمة الصغرى عن أبيها عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: «**قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يُدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات لم يسبقهم الأولون، ولا يدركهم الآخرون**»؛ فقلت: نحن ثمانية. قال: «**هكذا سمعتُ**». قال. فلمّا فتحوا الباب وجدوهم موتى، وأصابوني وبي رمق وسقوني ماء، وأخرجوني فعشت[1].

الزهراء عليها السلام تعلّم سلمان دعاء النور

دعاء النور دعاء عجيب الأثر، تعلّمته الزهراء عليها السلام من أبيها المرسل صلى الله عليه وآله، وكانت تداوم على قراءته غدوة وعشيّة، فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله أتحفها الله تعالى بتحفة من الجنّة وهي تمر غرسه الله تعالى للزهراء في دار السلام بذلك الدعاء، ومن خصائص دعاء النور وبركاته أنّ من يتعلّمه يشفى من الحمّى، وقد شهد سلمان المحمدي أنَّه علّمه لألف نفر من أهل المدينة ومكة، فبرؤوا كلّهم من الحمى ببركته (وفي رواية: من الشكوى ووسوسة الشيطان).

أخرج السيد ابن طاووس عن عبد الله بن سلمان المحمدي، عن أبيه، قال: خرجت من منزلي يوماً بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله بعشرة أيام. فلقيني علي بن أبي طالب

(١) مقاتل الطالبيين - أبو الفرج الأصفهاني ص ١٣١.

عليه السّلام ابن عم الرسول محمد صلّى الله عليه وآله، فقال لي: «**يا سلمان! جفوتَنا بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله**»! فقلت: حبيبي أبا الحسن، مثلكم لا يُجفى، غير أَنَّ حزني على رسول الله صلّى الله عليه وآله طال فهو الذي منعني عن زيارتكم. فقال: «**يا سلمان، ائت منزل فاطمة بنت رسول الله عليها السّلام، فإنَّها إليك مشتاقة تريد أن تتحفك بتحفة قد أُتحفت بها من الجنة**». قلت لعلي عليه السّلام: قد أُتحفت فاطمة عليها السّلام بشيء من الجنة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: «**نعم، بالأمس**».

قال سلمان المحمدي رضوان الله تعالى عليه: فهرولت إلى منزل فاطمة بنت محمد عليها السّلام، فإذا هي جالسة وعليها قطعة عباءة، إذا خمّرت رأسها انجلى ساقها، وإذا غطّت ساقها انكشف رأسها. فلما نظرت إليّ اعتجرت[1]، ثم قالت: «**يا سلمان! جفوتني بعد وفاة أبي**»!... الحديث (وجاء فيه أَنَّ الله تعالى أتحف الزهراء عليها السلام برطب من الجنّة بكلام تعلّمته من رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تقوله غدوة وعشيّة)؛ وجاء في آخر الحديث:

قال سلمان: قلت: علّميني الكلام يا سيدتي. فقالت: «إن سرّك أن لا يمسّك أذى الحمّى ما عشت في دار الدنيا فواظب عليه». ثم قال سلمان: علّمتني هذا الحرز فقالت:

«**بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبّر الأُمور، بسم الله الذي خلق النور من النور. الحمد الله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور، في رقّ منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، بقدرٍ مقدور، على نبي محبور. الحمد الله الذي هو بالعزّ مذكور، وبالخير مشهور، وعلى السرّاء والضرّاء مشكور**».

قال سلمان: فتعلّمته، وقد لقّنت أكثر من ألف نفس من أهل المدينة ومكة ممّن بهم علل

(١) أي لفّت العباءة على رأسها وردّت طرفها على وجهها.

الحمى، وكلهم برئوا بإذن الله تعالى. وفي رواية أُخرى: في شكوى ووسوسة الشيطان(١).

خيار الرجال ألينهم مناكب وأكرمهم لنسائهم

المرأةُ كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله ريحانة وليست قهرمانة، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله رجال أُمَّته بمداراة نسائهم وأهليهم، واشتُهر عنه صلى الله عليه وآله قوله «**خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي**»(٢). وعلى النقيض من ذلك فقد روي أنَّ سوء الخُلق ليفسد الإيمان كما يفسد الخلُّ العسل(٣). وتنقل الزهراء عليها السلام رواية في إكرام الأهل:

روى الطبري الشيعي عن عبد الله بن الحسن، عن أُمِّه فاطمة بنت الحسين، عن أبيها، عن أُمِّه فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**خياركم ألينكم مناكب، وأكرمهم لنسائهم**»(٤).

الزهراء تتحدث في فضل أمير المؤمنين عليهما السلام

كان للزهراء عليها السلام السهم الأوفر في التبليغ لولاية أمير المؤمنين عليه السلام ونشر فضائله ومناقبه، وكان ذلك نابعاً من إيمانها العميق بحقّانيّة أمير المؤمنين عليه السلام في قيادة الأُمَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقينها أنّ الأُمَّة إذا نكصت عن الطريق السويّ الذي أرشدها إليه رسولُ الله صلى الله عليه وآله، فإنَّها ستذوق وبال

---

(١) مهج الدعوات ص ٥؛ بحار الأنوار ٤٣: ٦٦ /ح ٥٩؛ الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ص٢٩٧ /ح ٣/٢٥٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه، للصدوق ٣: ٥٥٥ /ح٤٩٠٨.

(٣) الوافي للفيض الكاشاني ٥: ٨٨٧ /ح٣٢٢٥.

(٤) دلائل الامامة – محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ٧٥ – ٧٦.

ذلك النكوص، وتتجرّع غُصص ذلك الانحراف والتنكّر للعهد الذي قطعوه يوم خُم. وفي خطبتها عليها السلام في مجلس أبي بكر أوضح الدلالات على هذا الإيمان واليقين.

حديث (يا علي! أنت الإمام والخليفة بعدي)

هاك حديثاً تنقله الزهراء عليها السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، يذكر فيه النبي صلى الله عليه وآله الأئمة من بعده بأسمائهم، الواحد تلو الآخر، ثم يصفهم صلى الله عليه وآله بأنَّهم أئمة الحق وألسنة الصدق، ويقول عنهم بأنَّ من نصرهم منصور، وأنّ من خذلهم مخذول.

روى الخزاز القمي عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سألت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأئمة فقالت: «**كان رسول الله يقول لعلي عليه السلام: يا علي أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنك علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمة الحق وألسنة الصدق، منصور من نصرهم، مخذول من خذلهم**»[1].

(١) كفاية الأثر – الخزاز القمي: ص ١٩٥ – ١٩٦.

إنَّك - يا بن أبي طالب - وشيعتك في الجنة

تروي الزهراء عليها السلام عدة روايات في مدح شيعة أمير المؤمنين عليه السلام على لسان أبيها الصادق المصدّق، تصرّح بأنَّ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام سيكونون في الجنّة. وهذا الحديث وأمثاله من القرائن على أنَّ كيان الشيعة قد تأسس على يد رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس بعد وفاته. وسيأتي قريباً حديث الفاطميات عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الخصوص.

روى الطبري عن زينب ابنة علي، عن فاطمة بنت رسول الله عليهم السلام، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «**أما إنَّك – يا ابن أبي طالب – وشيعتك في الجنة**»[1].

وأخرج القندوزي عن فاطمة عليها السلام قالت: «**إنَّ أبي صلى الله عليه وآله نظر إلى عليٍّ وقال: هذا وشيعته في الجنة**»[2].

وأخرج السيد المرعشي في ملحقات إحقاق الحق عن الخطيب الخوارزمي في المناقب[3] بإسناده عن زينب بنت علي، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أما إنَّك يا بن أبي طالب وشيعتك في الجنة، وسيجيء أقوام ينتحلون حبك ثم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يقال لهم الخارجة، فإن لقيتهم فاقتلهم فإنَّهم مشركون**»[4].

---

(١) دلائل الامامة – محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ٦٨.

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى – القندوزي ٢: ٣١٤/ الرقم ٩٠٣.

(٣) المناقب: ص ٢٤٩، ط تبريز.

(٤) شرح إحقاق الحق – السيد المرعشي ٧: ٢٦٤.

من كنت وليّه فعليّ وليه

أنزل الله تعالى في قرآنه الكريم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وقرنها بولايته عزَّ وجل وولاية رسوله صلى الله عليه وآله. وقد تواتر نزول قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١] في قصة تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه - وهو راكع في صلاته - على سائل دخل مسجد النبي فسأل الناس فلم يُعطه أحد شيئاً، فأشار إليه أمير المؤمنين وهو راكع، فجاء وانتزع خاتمه من خنصره[٢].

روى الشيخ الصدوق عن الحسن بن عبد الله التميمي قال: حدثني أبي قال: حدثني سيدي علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن أبيه الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال لعلي عليه السلام: «**مَن كنتُ وليّه فعليٌّ وليّه، ومن كنتُ إمامه فعليٌّ إمامه**»[٣].

أقول: مرّ قريباً حديث «**يا علي أنت الإمام والخليفة بعدي**»، فآثرنا عدم تكراره رعايةً للاختصار.

علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان

حاول البعض أن يفصل بين أهل البيت عليهم السلام - الثقل الأصغر - وبين القرآن الكريم الذي هو الثقل الأكبر، ووصل البعض إلى المواجهة مع رسول الله صلى

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب (خير البرية والألطاف الإلهية): ص٣٣٧ - ٣٣٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ١: ٦٩.

الله عليه وآله حين أراد في لحظات حياته الشريفة أن يكتب لأمَّته كتاباً يوصيهم بالثقلَين، فقال هذا البعض مجاهراً غير موارب: إنّ الرجل ليهجر، حسبُنا كتاب الله!

وفي هذا الحديث الذي ترويه الزهراء عليها السلام دلالة واضحة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى أمَّته بالثقلَين، وأنَّه قد أخبر بتلازم هذين الثقلين وعدم انفكاكهما عن بعضهما. غاية الأمر أنَّ هذا البعض منع رسول الله من تدوين وصيّته الشفويّة، واتّهم النبي - الذي شهد له ربّه بأنَّ كلامه وحيٌ يُوحى - بأنَّه أضحى يهجر فيقول ما لا يدري؛ حاشاه عن الهجر، صلى الله عليه وآله!

أخرج ابن عقدة، من طريق عروة بن خارجة عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت: «**سمعت أبي صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه يقول- وقد امتلأت الحجرة من أصحابه-: أيّها الناس يوشَك أن أُقبض قبضاً سريعاً وقد قدّمتُ إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإنّي مخلّف فيكم كتاب ربي (عز وجل) وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا على الحوض فأسألكم ما تخلفوني فيهما**»[(١)].

زوجك أعلم الناس علماً وأولهم إسلاماً وأفضلهم حلماً

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٢)]، آيةٌ قرآنيّة صريحة في التفريق بين العالم وبين الجاهل، وتتساءل آية ثانية ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[(٣)]؛ وتنصّ

(١) ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي ١: ١٢٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٩.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٥.

آيةٌ كريمة أخرى على ضرورة رجوع الجاهل للعالم، في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾(١). ومن الواضح أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام - وهو أعلم الناس بنصّ رسول الله - وأوّلهم إسلاماً وأفضلهم حلماً هو المرشّح الطبيعيّ لوصاية رسول الله صلى الله عليه وآله.

روى الدولابي عن مسروق عن عائشة قالت: حدثتني فاطمة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**زوجك أعلم الناس عِلماً، وأولهم إسلاماً، وأفضلهم حلماً**»(٢).

السعيد من أحب علياً عليه السلام في حياته وبعد موته

تنقل الزهراء عليها السلام حديثاً جميلاً في سعادة محبّ أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد موته، وفي شقاء مبغضه وناصب العداوة له في حياته وبعد موته. ونلاحظ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يكرّر نفيه بأن يكون له يد في ما ينقل عن فضل علي عليه السلام، فهو تارة يقول بأنَّه رسول الله إليهم، ومن واجب الرسول أن يكون أميناً في أداء رسالته، ثم يصرّح بأنَّه لا يحابي قرابته، ويقول ثالثة بأنَّ جبرئيل الأمين قد أخبره بأنَّ محب علي عليه السلام هو السعيد حقّ السعادة، وأنَّ مبغضه هو الشقيّ حقّ الشقاء.

روى الطبراني عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي بن حسين، عن فاطمة الصغرى، عن حسين بن علي، عن أُمِّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: «**خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله عشية عرفة فقال: إنَّ الله باهى بكم وغفر لكم عامة ولعلي خاصة؛ وإنِّي رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي، هذا جبريل يخبرني أنَّ السعيد حق**

(١) سورة مريم: الآية ٤٣.

(٢) الذرية الطاهرة النبوية - محمد بن أحمد الدولابي: ص ١٤٤.

السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته، وأنَّ الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد موته»(١).

كاتبا أمير المؤمنين لم يكتبا عليه ذنباً منذ ولادته

تروي الزهراء عليها السلام حديثاً يترجم نزول آية التطهير في شأن أهل البيت - وأوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام - في أنَّ الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، بل يتضمّن أعلى من هذا المعنى، حيث يشير إلى اصطفاء الله تعالى لأهل البيت عليهم السلام - وأوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام - منذ أن خلقهم فجعلهم أنواراً بعرشه مُحدقين، ومثل هؤلاء القوم المصطفين لا يُتعقّل صدور ذنب منهم أبداً. روى الكراجكي عن الحسن بن حمزة النوفلي عن عمه عن أبيه عن جده عن الحسن بن علي عن فاطمة ابنة رسول الله عنه صلى الله عليه وآله قال: «**أخبرني جبرئيل عن كاتبَي علي أنَّهما لم يكتبا على علي ذنباً مُذ صحباه**»(٢).

أقول: المقصود بــ(كاتبي علي) في الحديث كاتبا السيئات النهاريّ والليليّ. وقد ذكرنا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أجلّ وأسمى من أن يصدر منه ذنب، بل من أن يصدر منه خلاف الأَولى، وقد صرّح عليه السلام بأنَّه لم يرَ شيئاً إلَّا ورأى اللهَ قبلَه ومعه وبعدَه!

رجال الأعراف هم الأئمة بعد رسول الله: علي وولده

ذكرنا سابقاً بعض الأحاديث التي روتها الزهراء عليها السلام في أنَّ الأئمة تسعة من صلب الحسين عليه السلام، تاسعهم قائمهم المهدي المنتظر عليه السلام. وننقل في هذا

(١) المعجم الكبير - الطبراني ٢٢: ٤١٥؛ المناقب - الموفق الخوارزمي: ص ٧٨ - ٧٩؛ دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) كنز الفوائد - أبو الفتح الكراجكي: ص ١٦٢.

الشأن حديثاً آخر عن رجال الأعراف. ومن الجدير بالذكر أنَّ بعض علماء العامة شطوا في تفسير المراد برجال الأعراف، ورووا أنَّهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناتهم عن النار، وأنَّهم لذلك وقفوا على سور الأعراف حتى يقضى الله فيهم؛ لكنّ البعض الآخر كان أكثر إنصافاً، فذكر أنَّ أصحاب الأعراف قوم من أشرف الخلق وعدولهم كالأنبياء والصديقين والشهداء.[١]

أخرج المجلسي عن أبي الطفيل، عن أبي ذر، قال: سمعت فاطمة عليها السلام تقول: **«سألت أبي عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى** ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ﴾[٢] **قال: هم الأئمة بعدي:علي وسبطاي وتسعة من صلب الحسين، هم رجال الأعراف، لا يدخل الجنة إلاّ من يعرفهم ويعرفونه، ولا يدخل النار إلَّا من أنكرهم ويُنكرونه، لا يُعرف الله إلَّا بسبيل معرفتهم»**[٣].

محمد وعلي عليهما السلام أبوا هذه الأمَّة

جاء في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، في قول الله عز وجل ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٤]، قالت فاطمة عليها السلام: **«أبوا هذه الأمَّة محمد وعلي، يقيمان أودهم، وينقذانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما، ويبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما»**[٥].

(١) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم للسيد محمد الطنطاوي ٥: ٢٧٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٦.

(٣) بحار الأنوار ٣٦: ٣٥١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٣؛ سورة النساء: الآية ٣٦؛ سورة الأنعام: الآية ١٥١؛ سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٥) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٢٣: ٢٥٩.

وجاء في علل الشرايع للشيخ الصدوق في روايته عن الحسن بن علي بن فضال أنَّه سأل الإمام الرضا عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله «**أنا وعلي أبوا هذه الأمَّة**» فقال عليه السلام: «**إنَّ شفقة النبي صلى الله عليه وآله على أمَّته كشفقة الآباء على الأولاد، وأفضل أمَّته علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده شفقة علي عليه السلام عليهم كشفقته صلى الله عليه وآله لأنَّه وصيه وخليفته والإمام بعده، فلذلك قال صلى الله عليه وآله: أنا وعلي أبوا هذه الأمَّة**»[1].

حديث الفاطميات عليهن السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله

يتضمن حديث الفاطميات أروع البشائر لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام، مما شاهده رسول الله صلى الله عليه وآله في الجنّة لما أُسري به إلى السماء.

المسلسلات: حدثنا محمد بن علي بن الحسين قال: حدثني أحمد بن زياد ابن جعفر قال: حدثني أبو القاسم جعفر بن محمد العلوي العريضي قال: قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن خليل: قال: أخبرني علي بن محمد بن جعفر الأهوازي قال: حدثني بكر بن أحنف قال: حدثتنا فاطمة بنت علي ابن موسى الرضا: قالت: حدثتني فاطمة وزينب وأمُّ كلثوم بنات موسى بن جعفر، قلن: حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد، قالت: حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي، قالت: حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين، قالت: حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي: عن أمِّ كلثوم بنت علي عليهما السلام عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«**لما أُسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درّة بيضاء مجوفة، وعليها باب**

(١) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ٤: ١٦٥، نقلًا عن العلل.

مكلل بالدر والياقوت، وعلى الباب ستر، فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب (لا إله إلَّا الله، محمد رسول الله، علي ولي القوم)، وإذا مكتوب على الستر (بخٍ بخٍ! مَن مِثل شيعة علي!) فدخلته فإذا أنا بقصر من عقيق أحمر مجوّف، وعليه باب من فضة مكلّل بالزبرجد الأخضر، وإذا على الباب ستر، فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب (محمد رسول الله، علي وصي المصطفى)، وإذا على الستر مكتوب (بشّر شيعةَ علي بطِيب المولد)، فدخلته فإذا أنا بقصر من زمرد أخضر مجوّف لم أرَ أحسن منه، وعليه باب من ياقوتة حمراء مكللة باللؤلؤ وعلى الباب ستر، فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الستر (شيعة علي هم الفائزون)، فقلت: حبيبي جبرئيل لمن هذا؟ فقال: يا محمد لابن عمك ووصيك علي بن أبي طالب عليه السلام، يُحشر الناس كلهم يوم القيامة حفاة عراة إلا شيعة علي، ويُدعا الناس بأسماء أمّهاتهم ما خلا شيعة علي عليه السلام، فإنّهم يدعون بأسماء آبائهم؛ فقلت: حبيبي جبرئيل وكيف ذاك؟ قال: لأنّهم أحبوا علياً فطاب مولدهم»[1].

أقول: ذكرنا في بداية الفصل أنَّ الزهراء عليها السلام من جملة رواة حديث الغدير، وتطرقنا إلى حديث إخبار رسول الله بضعته الطاهرة بمنزلة أمير المؤمنين، كما ذكرنا في باقي الفصول أحاديث متكاثرة روتها الزهراء المحدّثة في فضل أمير المؤمنين، عليهما وآلهما سلام الله ما بقي الليلُ والنهار.

أمير المؤمنين عليه السلام يسأل الأرض فتحدّثه بأخبارها

تروي الزهراء المحدثة عليها السلام منقبة عجيبة لأمير المؤمنين عليه السلام، حيث تكشف عن تصرّفه عليه السلام في الكائنات، وأنّه هو الرجل الذي يصفه القرآن الكريم بأنَّه يخاطب الأرض ويسألها فتحدّثه بأخبارها.

(١) الشيعة في أحاديث الفريقين: ص١٢٠؛ للسيد مرتضى الأبطحي.

روى محمد بن جرير بإسناده عن هارون بن خارجة رفعه، عن فاطمة عليها السلام، قالت:

«أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر، ففزع الناس إلى أبي بكر وعمر، فوجدوهما قد خرجا فزعين إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فتبعهما الناس حتى انتهوا إلى باب علي عليه السلام، فخرج إليهم علي عليه السلام غير مكترث لما هم فيه، فمضى واتبعه الناس حتى انتهى إلى تلعة، فقعد عليها وقعدوا حوله وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترتجّ جائية وذاهبة. فقال لهم علي عليه السلام: كأنّكم قد هالكم ما ترون؟ قالوا: وكيف لا يهولنا ولم نرَ مثلها قط؟ قالت عليها السلام: فحرّك شفتيه ثم ضرب الأرض بيده، ثم قال: مالك؟ اسكني! فسكنت، فعجبوا من ذلك أكثر من تعجّبهم أولاً حيث خرج إليهم؛ [فــ]قال لهم: إنّكم قد عجبتم من صنيعي؟ قالوا: نعم. قال: أنا الرجل الذي قال الله عز وجل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾(١) فأنا الإنسان الذي أقول لها: ما لها؛ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾(٢) إيّاي تحدث»(٣).

وأخرج ابن شهر آشوب في المناقب أنَّه أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر ففزع إلى علي عليه السلام أصحابُه، فقعد علي على تلعة وقال: **«كأنّكم قد هالكم! وحرّك شفتيه وضرب الأرض بيده ثم قال: ما لكِ اسكني، فسكنت، ثم قال: أنا الرجل الذي قال الله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ الآيات؛ فأنا الإنسان الذي أقول لها: ما لك ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ إيّاي تحدّث»**.

---

(١) سورة الزلزلة: الآيات ١ – ٣.

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٤.

(٣) دلائل الإمامة – محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ٦٦ – ٦٧.

وفي خبر آخر أنَّه قال: «**لو كانت الزلزلة التي ذكرها الله في كتابه لأجابتني، ولكنها ليست بتلك**»(١).

فاطمة عليها السلام تروي قصّة كدح أمير المؤمنين عليه السلام لعياله

نقلت الزهراء عليها السلام صوراً عجيبة عن حياتها في بيت أمير المؤمنين عليه السلام، وتطرّقت في هذا الحديث إلى صورة من صور كدح أمير المؤمنين عليه السلام على عياله، فهو يؤجر نفسَه الشريفة لرجل يهوديّ فيستقي له الماء من بئر في بيته ويأخذ إزاء كلّ دلو من الماء تمرة واحدة، حتى اجتمع له شيء من التمر حمله إلى زوجته الصابرة لتقتات به. إنَّ عمل الرجل وكدّه على عياله جهاد في سبيل الله، ونلاحظ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يستصغر جزاء العمل وأجره (وهو تمرة واحدة لكلّ دلو من الماء)، وأنَّه لم يستنكف من العمل ليهوديّ طالما كان ذلك العمل يكفل له كرامته ويُرضي ربّه.

روى الدولابي عن محمد بن موسى عن فاطمة بنت محمد عليهما السلام: أنَّ رسول الله أتاها يوماً فقال: «**أين ابنيّ – يعني: حسناً وحسيناً –؟. قالت، قلت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال علي: أذهب بهما فإنِّي أتخوف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء، فذهب بهما إلى فلان اليهودي. فوجه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر. فقال: يا علي... ألا تقلب ابنيّ قبل أن يشتدّ الحر عليهما؟ قال: فقال علي: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلستَ يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات! فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي ينزع لليهودي كل دلو بتمرة حتى اجتمع له شيء من تمر فجعله في حُجزته ثم أقبل، فحمل رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهما وحمل علي الآخر حتى أقلبهما**»(٢).

---

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٢: ١٥٠.

(٢) الذرية الطاهرة النبوية – محمد بن أحمد الدولابي: ص ١٤٥ – ١٤٦.

الدروس المستخلصة

يحدّثنا التاريخ أنَّ السنة النبوية تعرّضت إلى محاولات متكررة لطمسها والقضاء عليها، ابتداءً من منع تدوين الأحاديث، ثم إحراق ما دوّن منها فعلاً، ومروراً بمنع الصحابة من الخروج من المدينة لئلا ينتشروا في بلاد الله العريضة فيبثّوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم جاء الأُمويّون وعلى رأسهم معاوية فأكملوا المسيرة فأسقطوا من ديوان العطاء كلّ من يروي رواية في فضل أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ذكر ابن أبي الحديد أنَّ معاوية كتب إلى عماله بعد عام الجماعة: (أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته)، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته). و(كتب إلى عماله في جميع الآفاق ألّا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة)[١].

وذكر ابن أبي الحديد (أنَّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه؛ منهم: أبو هريرة وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير)[٢].

ونقل ابن أبي الحديد أيضاً: (ثم كتب – أي معاوية – إلى عماله: إنَّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في

(١) – شرح النهج ٣: ٥٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ١: ٣٥٨.

أبي تراب إلَّا وائتوني بمناقض له في الصحابة[١]، فإنَّ هذا أحبّ إلي وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله؛ فقُرئت كتبه على الناس، فرُويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذِكر ذلك على المنابر، وألقى معلمو الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلّموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله)[٢].

ثم قام الأُمويون بعمل خطير آخر، هو دمج السنّة النبوية بسنّة الشيخين، فأضحت سنّة الشيخين تنقل ضمن السنة النبوية، وصارت في نظر الكثيرين واجبة الاتباع، بل هي أولى بالاتباع إذا تعارضت مع سنة رسول الله.

وقد لاحظنا في هذا الفصل الحرص الكبير والجهود العظيمة التي بذلتها الزهراء البتول عليها السلام – في حفظ وصيانة وتدوين السنّة النبويّة الشريفة، واهتمامها الكبير في حفظ أحاديث أبيها المرسل صلى الله عليه وآله، بحيث نراها تفتّش هلعة على جريدة فيها إحدى روايات أبيها، خافت أن تكون قد فقدتها.

ولقد نقلت الزهراء المحدّثة عليها السلام روايات كثيرة مهمة كان لها الدور المهم في ترسيخ وتثبيت ولاية أمير المؤمنين والأئمة الأطهار من ولده عليهم السلام، كحديث اللوح، وحديث الكساء، وحديث أنَّ الأئمة بعد رسول الله بعدد نقباء بني إسرائيل، وكانت أحد رواة حديث غدير خم.

ويبقى السؤال مطروحاً للنقاش: هل أفلحت شيطنة معاوية ومكر أعوانه الأُمويين في

---

(١) طلب معاوية أن يختلق له أعوانه روايات في مناقب الصحابة تنقض روايات مناقب أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) شرح النهج ٣: ١٦.

طمس السنة النبوية الشريفة وتضييع معالم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام؟ لقد تحدّثت ابنة الزهراء عليها السلام في مجلس الطاغية يزيد بلسان أُمِّها الزهراء الطاهرة، فقالت: **«فكِدْ كيدَك، واسع سعيك، وناصِبْ جهدك، فوالله لا تمحو ذِكرنا، ولا تُميت وَحينا، ولا تُدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادِ المناد ألا لعنة الله على الظالمين»**(١).

(١) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص١٠٧؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٣٥.

فاطمة

بضعة مني

الفصل التاسع

فاطمة الزهراء عليها السلام
أسوة الإيثار

التحليق إلى ذروة نكران الذات في سبيل الله تعالى

ما أجمل أن يفكّر الإنسان بأخيه الإنسان ويؤثره على نفسه في وقت يكون هو أحوج من أخيه لما قد آثره به!! ما أبدع أن يتخلّى البشر عن هوى النفس ومطامعها وغرائزها، ويحلّق إلى آفاق لا أروع ولا أبدع من السموّ والتضحية ونكران الذات ورضوان من الله أكبر!! لقد لوّنت الزهراء عليها السلام لوحة حياتها المبتورة القصيرة بألوان تعجز كلمات البشر المحدود عن وصفها، ويبقى المجال أمام كلمات القرآن الكريم (كلام الخالق) في رسم تفاصيل تلك اللوحة الرائعة: فتنزل سورة كاملة من سور القرآن لتنقل موقفاً واحداً من مواقفها المستحيلة على الوصف، الممتنعة عن تصوّر العقل البشري المكبّل بقيود المادة.

الإيثار أن تنسى الجوع الذي يحفز أحشاءك حفزاً وتتذكر جوع أخيك الإنسان!! الإيثار أن تُعرض عن نفسك وترى سعادتك في سعادة أخيك!! الإيثار أن لا ترى لنفسك حقاً، ليس في ملذات الدنيا بل في أبسط مقوّماتها، وترى الحقّ كله لأخيك المستضعف المحتاج!!

لقد تحدثّ التاريخ عن صور كرم حاتم الطائي الذي تحيّر في إطعام ضيفه لما طرقه ليلاً ولم يكن لديه ما يُطعمه إيّاه، وطاش لبّه وانفرط عقدُ أفكاره المتّزنة، لكنّه في نهاية المطاف تناول قوسه وخرج فاصطاد صيداً نحره لضيفه، ثم أطعموا ضيفهم وأكل حاتم هو وعياله معه، حيث يقول في وصف ذلك:

فباتوا كراماً قد قضوا حقَّ ضيفهم　　　وما غرموا غرماً وقد غنموا غنما

لكنَّ التاريخ لم يعرف أحداً - غير فاطمة وبعلها وابنيها وخادمتهم - يصوم ثلاثاً

دون أن يتناول إلَّا الماء القراح، لأنَّه كان يؤثر كل ليلة عند موعد الإفطار مسكيناً ويتيماً وأسيراً. لقد نذر أبو الحسن والزهراء عليهما السلام أن يصوما شكراً لله تعالى إن عافى ولديهما الحسنين من مرض ألمّ بهما، فلمّا عوفيا وعزم الأبوان على الوفاء بالنذر أبى الولدان إلَّا مشاركتهما في الصوم، وقالت خادمتهم إنَّها تصوم معهم، حتى إذا انقضى نهار اليوم الأول بطوله، جلسوا على مائدة الإفطار التي لم تزدحم إلَّا بأقراص الشعير الخمسة التي خبزتها سيدة النساء من شعير أخذوه من رجل يهودي إزاء جزّة صوف تغزلها ابنة خاتم الأنبياء وأشرفهم، حان أداء الامتحان الأول، فقد طرق الباب مسكين مسلم واستطعمهم شيئاً! وكان بإمكانهم أن يعطوه رغيفاً واحداً كان سيأخذه شاكراً، ثم يقتسمون بينهم الأرغفة الباقية ليفطروا بعد عناء صيام يوم من أيام جزيرة العرب المعروفة بجفافها وحرارتها وطول نهارها. لكن النفوس الكبيرة أبت إلَّا أن تؤثر هذا المسكين على أنفسها بكل ما تملك. وهكذا انقضى اليوم الأول لم يفطروا فيه إلَّا على الماء القراح، ثم أصبحوا صائمين بعد ليل أمضوه بالقيام في المحاريب - كعادتهم - لأنَّ جنوبهم تتجافى عن المضاجع والخلق نيام، يريدون القيام بين يدي الملك الجبّار الذي لا أُنس لهم إلَّا بمناجاته والتضرّع إليه.

وحلّ اليوم الثاني والبطون خاوية والجوع يحفز الأحشاء ويوهن القوى، لكنَّ الأرواح القوية استهانت بالأبدان التي سبق لها أن سخّرتها وروّضتها، فمارس أصحابها حياتهم الطبيعية: فاطمة وجاريتها بين عمل البيت والعبادة، وأبو الحسن في المسجد أو حيثما يوجّهه رسول الله، والحسنان بين البيت والمسجد حتى حل موعد الإفطار بعد نهار متطاول. وجلس الصائمون بعد إنهاء فرائضهم وصلاتهم ونوافلهم على مائدة الإفطار ذات اللون الواحد المتكرر، ووزّعوا بينهم أقراص خبز الشعير الخمسة، ومدّوا أيديهم

إليها بعد التسمية والشكر، وحان موعد الامتحان الثاني. لقد طرقت الباب، طرقت الباب التي طالما قرعها مساكين المدينة. طرقت الباب التي طالما وقف جبرئيل أمامها خاضعاً مستأذناً في حياة النبي وبعده. وفتحوا الباب فوجدوا خلفها يتيماً مسلماً جائعاً، فاستطعمهم اليتيم شيئاً، فأبوا إلَّا أن يعطوه كل طعام إفطارهم ثم أفطروا على الماء القراح، وباتوا ليلتهم وأصبحوا صائمين لليوم الثالث المتوالي.

حلّ اليوم الثالث بكل معاناته ومصاعبه. كيف كان بإمكان أقدام الحسنين أن تحملاهما؟ كيف كان بإمكان الزهراء عليها السلام أداء واجبات البيت وقمّه وتنظيفه؟ كيف أمكنها طحن صاع الشعير الثالث وإعداد العجين ثم خبز أرغفة الإفطار في التنور اللاهب؟ يا أرحم الراحمين!! رحمة بالحسنين الصغيرين لتغرب الشمس هذا اليوم مبكراً!! ليأت موعد الإفطار سريعاً قبل أن تموت سيّدة النساء جوعاً!! لتكن شمس بلاد الحجاز أقل سطوعاً ولهباً اليوم فقط!! لقد غربت الشمس وودعت أرجاء المعمورة وهي مدهوشة متحيّرة، وعلا صوت بلال يؤذن للصلاة ويدعو المصلّين لأداء خير عمل: الصلاة في مسجد رسول الله وخلف خاتم الأنبياء والمرسلين.

انتظم عقد العائلة المباركة بعد أداء الصلاة، وتحلّقوا حول المائدة ليفطروا من أرغفة خبز الشعير التي أعدّتها أنامل خير النساء، ومدوا أيديهم ليفطروا فسمعوا صوت الباب يُطرق! إنَّ المساكين واليتامى والفقراء لا يعرفون باباً تُفتح في وجوههم خيراً من هذه الباب، ولم يحصل قط أن طرقها أحدهم فعاد عنها خائباً! ردّ أهل البيت أيديهم منتظرين معرفة الطارق. لقد كان هذه المرة أسيراً!! قال في استعطاف: السلام عليكم يا أهل بيت محمد! أنا أسير من أُسارى المسلمين! تأسرونا وتشدّونا ولا تُطعمونا؟! رفع أمير المؤمنين عليه السلام رغيفه ليعطيه للأسير، ورفعت فاطمة ابنة الكرام رغيفها، واقتدى الولدان

الصغيران بأبويهما، واقتدت فضّة بهم، ورُفعت الأرغفة الخمسة فأُعطيت للأسير المشرك ليعرف الفارق الكبير بين الشرك والإسلام!! لم يبق على المائدة البسيطة إلَّا الماء القراح لتفطر به البطون الغرثى، واجتاز بيت علي وفاطمة الامتحان الثالث بامتياز لا يوصف!!

وانقضت تلك الليلة على أهل البيت عليهم السلام، ولم ينقل لنا التاريخ سوى أنَّ الحسنين أبيا إلَّا مرافقة أبيهما إلى المسجد، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما أنهى صلاته ونظر إلى حال الحسنين وحال أبيهما بطل خيبر أدرك أنَّه قد لا يلحق بابنته وريحانته وفلذة كبده حيّة. لقد عرف النبي - حين شاهد الحسنين يرتعشان كالفراخ - أنَّ أُمَّهما في خطر محدق، وأدرك أنَّ فاطمة الحنون المؤثرة على نفسها، التي كانت تجوع ليشبع ولداها الصغيران، وتجوع ليشبع زوجها المجاهد، تواجه الآن خطر الموت جوعاً! يمكننا أن نتصوّر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله - في طريقهم إلى بيت فاطمة - كان يكاد يهرول، ويمكننا أن نتصور كيف كان قلبه الرحيم يخفق بقوّة وهو يقرع باب بيت فاطمة روحه التي بين جنبيه وينتظر أن يسمع صوتها الحنون يردّ، أو يرى طلعتها المشرقة وهي تفتح الباب وتستقبله كعادتها. لا ندري كيف فُتحت الباب، ولكننا لا ننسى استغاثة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يرى ابنته وحبيبته وقد غارت عيناها ولصقت بطنها بظهرها من الجوع: واغوثاه بالله!! آل بيت محمد يموتون جوعاً!! لقد عجبت ملائكة السماء من إيثار علي وفاطمة وابنيهما وخادمتهم، وسرعان ما أتى ردّ السماء: وسام الفخر الأبدي لفاطمة وبعلها وابنيها وخادمتهم الذين نجحوا في الامتحان الإلهي كما لم ينجح ولن ينجح أحد قط. هبط أمين وحي الله تعالى على أبي الزهراء ليُبلغه رد الرب الرحيم الودود على استغاثته وقال له: «**خُذ ما هنّأك الله في أهل بيتك!! خُذ - يا محمد - إكليل الغار و ضَعْه على جبين كل فرد في هذه العائلة المثالية المؤثِرة**». ثم تلا عليه سورة الإنسان: ﴿هَلْ

أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

قمّة الإيثار في قصة نزول (هل أتى)

عن أبي عبد الله عليه السّلام في قوله عز وجل: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾، قال: «مرض الحسن والحسين عليهما السّلام وهما صبيان صغيران. فعادهما رسول الله صلّى الله عليه وآله ومعه رجلان.

فقال أحدهما: يا أبا الحسن، لو نذرت في ابنيك نذراً إن الله عافاهما. فقال: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل، وكذلك قالت فاطمة عليها السّلام، وقال الصبيان: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة.

فألبسهما الله عافيته، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام. فانطلق علي عليه السّلام إلى جار له من اليهود يقال له شمعون، يعالج الصوف، فقال له: هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم. فأعطاه، فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة عليها السّلام، فقبلت وأطاعت.

ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرصاً، وصلى علي عليه السّلام مع النبي صلّى الله عليه وآله المغرب ثم أتى منزله.

فوضع الخوان وجلسوا خمستهم. فأول لقمة كسرها علي عليه السّلام إذا مسكين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين،

أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة الحديث بطوله، وجاء فيه أنَّهم عليهم السلام أعطوه طعام إفطارهم، ثم أعطوا طعام إفطارهم في الليلتين الآتيتين يتيماً وأسيراً، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلَّا الماء القراح، وأصبحوا صياماً»؛ وجاء في نهاية الحديث:

«فلما بصر بهم النبي صلّى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن! شدّ ما يسوؤني ما أرى بكم؛ انطلق إلى ابنتي فاطمة. فانطلقوا إليها وهي في محرابها، قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها. فلما رآها رسول الله صلّى الله عليه وآله ضمها إليه وقال: واغوثاه بالله! أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟

فهبط جبرئيل فقال: يا محمد، خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك. قال: وما آخذ يا جبرئيل»؟ قال: ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾، حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[1].

أخرج الثعلبي عن ابن عباس في قول الله سبحانه وتعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ قصة النذر الذي نذره علي وفاطمة: أن يصوما لله ثلاثة أيام شكراً إن برىء الحسنان عليهما السلام من مرض ألمّ بهما، فعافاهما الله تعالى، فصاما ومعهما الحسنان وجاريتهم فضة ثلاثة أيام، ثم إنَّهم أعطوا إفطارهم في اليوم الأول إلى مسكين وقف ببابهم وشكا لهم الجوع، ولم يذوقوا إلا الماء القراح، ثم جلسوا للإفطار في اليوم الثاني فجاءهم يتيم من أولاد المهاجرين وسألهم طعاماً، فأعطوه إفطارهم ولم يذوقوا إلا الماء، ثم جلسوا في اليوم الثالث للإفطار فطرق بابهم أسير وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، تأسرونا (وتشدوننا) ولا تطعمونا، أطعموني فإنِّي أسير محمد أطعمكم الله على موائد الجنة، فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً

(١) أمالي الصدوق: ١: ٢٥٦ / ح ١١ المجلس الرابع والأربعون.

إلا الماء القراح، فلما أن كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر به النبي صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة! فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها النبي صلى الله عليه وآله قال: واغوثاه بالله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً! فهبط جبرائيل عليه السّلام فقال: يا محمد خذ ما هنأك الله في أهل بيتك قال: وما آخذ يا جبرائيل؟ فاقرأه ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ﴾ إلى قوله ﴿وَلا شُكُوراً﴾ إلى آخر السورة[١].

فاطمة عليها السلام تؤثر أباها على نفسها أثناء حفر الخندق بكسرة خبز

علاقة الزهراء بأبيها المصطفى صلى الله عليه وآله عصيّة على الوصف، فقد أفاضت الزهراء على أبيها من الحنان والمحبّة ما جعله يلقبّها بـ(أُمّ أبيها). وإذا كان ديدن الزهراء عليها السلام أن تؤثر على نفسها مسكيناً ويتيماً وأسيراً، فتمنحهم طعامها وتبيت صائمة طاوية، فما بالك بها إذا رأت أباها يتضوّر جوعاً! ويصف أميرُ المؤمنين عليه السلام الإيثار بأنَّه من شِيم الأبرار، فيقول: «**مِن شِيم الأبرار حملُ النفوس على الإيثار**»[٢] ويقول: «**الإيثار أحسن الإحسان، وأعلى مراتب الإيمان**».[٣]، ونجد في الرواية التالية من أجلى صور ومصاديق الذين يصفهم القرآن الكريم بأنَّهم ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ

(١) تفسير الثعلبي ١٠: ٩٨ – ١٠٢.

(٢) عيون الحِكم والمواعظ للواسطي: ص٤٦٩.

(٣) معجم المحاسن والمساوىء لأبي طالب التبريزي: ص١٩٣ / ح٢٢.

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١]، فالأجساد المكدودة الجائعة خلال حفر الخندق بحاجة إلى لقمة خبز تقيم به أودها، يشهدُ على هذا كلامُ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أخبر به ابنته، حيث قال بأنَّ تلك الكسرة التي آثرته بها هي أوّل طعام يدخل جوفه الشريف منذ ثلاثة أيام!

عن الرضا، عن آبائه عليهم السّلام، قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السّلام: كنا مع النبي صلّى الله عليه وآله في حفر خندق إذ جائت فاطمة ومعها كسيرة من خبز، فدفعتها إلى النبي صلّى الله عليه وآله. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: ما هذه الكسيرة؟ قالت: خبزت قرصاً للحسن والحسين عليهما السّلام، (فـ)جئتك منه بهذه الكسيرة. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: يا فاطمة، أما إنَّه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث**»[٢].

إيثار الزهراء عليها السلام أباها على نفسها وصغارها

تؤثر الزهراءُ أباها بطعام رزقه إيّاها الله تعالى، فتنزل البركةُ الإلهية على ذلك الطعام القليل حتى يأكل منه النبي وأهل بيته فيشبعون، ثم إِنَّهم أوسعوا منها على جميع جيرانهم! وحين يسألها أبوها المرسل عن هذا الطعام تجيبه بما أجابت به مريم ابنة عمران حين سألها زكريا: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]، ولم تنس ابنةُ الكرام أن توسع على جيرانها من هذه المائدة المباركة بعد أن أطعمت منها أباها وزوجها وابنيها وجميع أزواج النبي.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٢٢٥ / ح ٢٨، عن صحيفة الرضا عليه السّلام.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

روى صاحب الخرائج عن جابر بن عبد الله قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقام أياماً ولم يطعم طعاماً حتى شقّ ذلك عليه، فطاف في ديار أزواجه فلم يصب عند إحداهن شيئاً، فأتى فاطمة فقال: «**يا بنية هل عندك شيء آكله، فإنّي جايع**»؟ قالت: «**لا والله بنفسي وأمّي**»! فلما خرج عنها بعثت جارية لها رغيفين وبضعة لحم فأخذته ووضعته تحت جفنة وغطّت عليها وقالت: «**والله لأؤثرن بها رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسي وغيري**» - وكانوا محتاجين إلى شبعة طعام- فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فرجع إليها فقالت: «**قد أتانا الله بشيء فخبأته لك**»، فقال: «**هلمّي عليّ يا بنية، فكشفت الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت إليه بهتت وعرفت أنَّه من عند الله**»، فحمدت الله وصلّت على نبيه أبيها وقدمته إليه، فلما رآه حمد الله وقال: «**من أين لك هذا**»؟ قالت: «**هو من عند الله، إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب**». فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي فدعاه وأحضره وأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي حتى شبعوا، قالت فاطمة: «**وبقيت الجفنة كما هي فأوسعت منها على جميع جيراني وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً**»[1].

الزهراء عليها السلام تؤثر زوجها على نفسها وابنيها

تضرب الزهراء عليها السلام مثلاً أعلى في الإيثار، فهي تؤثر زوجها على نفسها - بل على ولديها الصغيرين- وترضى أن تبقى طاوية ساغبة، ويروح أمير المؤمنين عليه السلام إلى جهاده طاعماً، وكانت تُخفي ذلك عن أمير المؤمنين كما هو واضح من سياق الرواية، فلمّا سألها أمير المؤمنين عن السبب في إخفاء ذلك عنه، أجابت بأنَّها تستحيي من ربّها أن تكلّف زوجها شيئاً فوق طاقته. لقد علمت الزهراء عليها السلام أنَّ زوجها لا يملك

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ٢٧.

يومذاك من حطام الدنيا شيئاً يمكن أن يبيعه ليشتري بثمنه طعاماً لها ولولديها، فآثرت زوجها بالطعام دون أن تُعلمه، ثم نفد الطعام فاضطرّت إلى الاعتذار وكشفت لزوجها المجاهد ما آثرت أن تُخفيه عنه رعايةً لمشاعره.

روى الشيخ الطوسي في الأمالي عن أبي سعيد الخدري، قال: أصبح علي عليه السلام ذات يوم ساغباً، فقال: «**يا فاطمة، هل عندك شيء تطعميني**»؟ قالت: «**والذي أكرم أبي بالنبوة، وأكرمك بالوصية، ما أصبح عندي شيء يطعمه بشر، وما كان من شيء أطعمك منذ يومين إلا شيء كنت أوثرك به على نفسي وعلى الحسن والحسين**». قال: «**أعلى الصبيين! ألا أعلمتني فآتيكم بشيء**»؟ قالت: «**يا أبا الحسن، إنِّي لأستحي من إلهي أن أكلّفك ما لا تقدر**» - الحديث[1].

الزهراء عليها السلام تقطع عقدها من عنقها فتؤثر به أعرابياً جائعاً

صورة أُخرى من صور إيثار الزهراء عليها السلام، تضمّ في ثناياها شهادة من رسول الله صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام بأنّها تؤثر اللهَ تعالى على نفسها، وتبتغي مرضاته، وأنّها وبعلها وابنيها ممّن يحبّ اللهَ ورسوله، ويحبّه اللهُ ورسولُه! يأتيها شيخٌ فقير من مهاجرة العرب يسألها المواساة، وكانت لم تطعم طعاماً منذ ثلاث، فأعطته جلد كبش مدبوغ ينام عليه ولداها، فأبى أن يأخذه لأنّه جائع يريد طعاماً وعارٍ يريد ثوباً يكسوه، فعمدت بضعةُ رسول الله إلى العقد الذي أهدتها إياه ابنة عمها حمزة فقطعته من عنقها ونبذته إلى ذلك الشيخ وأخبرته أن يبيعه فعسى الله أن يعوّضه به خيراً منه. والقصّة بتفاصيلها الممتعة حاكية عن الإيثار الرائع الذي هزّ أعماق رسول الله حتى بكى ودعا

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص٦١٦، مجلس يوم الجمعة ٢٩.

لذلك الشيخ الأعرابي. وستأتي في الفصل التالي رواية تتضمن أنَّ الزهراء عليها السلام قطعت قلادة في عنقها وناولتها إلى سائل، أعرضنا عن إيرادها هنا رعاية للاختصار.

روى محمد بن أبي القاسم الطبري عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وآله صلاة العصر، فلما انفتل جلس في قبلته والناس حوله، فبينا هم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلّل وأخلق، وهو لا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً. فأقبل عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله يستحثّه الخبر. فقال الشيخ: يا نبيّ الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأرشني.

فقال صلّى الله عليه وآله: «**ما أجد لك شيئاً، ولكنَّ الدالّ على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه. انطلق إلى حجرة فاطمة**»! وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه. وقال: «**يا بلال، قم فقفْ به على منزل فاطمة**».

فانطلق الأعرابي مع بلال؛ فلما وقف على باب فاطمة عليها السّلام نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومختلف الملائكة ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين. فقالت فاطمة عليها السّلام: «**وعليك السلام، فمن أنت يا هذا**»؟ قال: شيخ من العرب أقبلتُ على أبيك سيد البشر مهاجراً من شقة، وأنا - يا بنت محمد - عاري الجسد وجائع الكبد؛ فواسيني يرحمك الله! وكان لفاطمة وعلي عليهما السّلام في تلك الحال ورسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاثة أيام ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله صلّى الله عليه وآله ذلك من شأنهما.

فعمدت فاطمة عليها السّلام إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن

والحسين فقالت: «**خذ هذا أيها الطارق! فعسى الله أن يرتاح**[١] **لك ما هو خير منه**». قال الأعرابي: يا بنت محمد، شكوتُ إليك الجوع فناولتني جلد كبش! ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب.

قال: فعمدتْ لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي فقالت: «**خذه وبِعه، فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه**». فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله والنبي صلّى الله عليه وآله جالس في أصحابه، فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة بنت محمد هذا العقد، فقالت: «**بعه، فعسى الله أن يصنع لك**».

قال: فبكى النبي صلّى الله عليه وآله وقال: «**كيف لا يصنع الله لك وقد أعطتكه فاطمة بنت محمد سيدة بنات آدم**». فقام عمار بن ياسر رحمة الله عليه فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟

قال: «**اشتره يا عمار، فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنار**». فقال عمار: بكم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية أستر بها عورتي وأُصلّي فيها لربي، ودينار يبلغني إلى أهلي، وكان عمار قد باع سهمه الذي نفله رسول الله صلّى الله عليه وآله من خيبر ولم يبق منه شيءٌ، فقال: لك عشرون ديناراً ومائتا درهم هجرية، وبردة يمانية وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من خبز البر واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال أيها الرجل! وانطلق به عمار فوفّاه ما ضمن له.

وعاد الأعرابي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال له رسول الله صلّى الله عليه

---

(١) جاء في هامش بشارة المصطفى: في نسخة (م): (فعسى أن يُتاح لك).

وآله: «**أشبعت واكتسيت**»؟ قال الأعرابي: نعم واستغنيت بأبي أنت وأُمِّي. قال: «**فأجزِ فاطمة بصنيعها**». فقال الأعرابي: اللهم إنَّك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كل الجهات، اللهم أعطِ فاطمة ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت.

فأمّن النبي صلّى الله عليه وآله على دعائه وأقبل على أصحابه فقال: «**إنَّ الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك: أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي، وعلي بعلها ولولا علي ما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما، سيّدا شباب أسباط الأنبياء وسيّدا شباب أهل الجنة- وكان بإزائه مقداد وعمار وسلمان- فقال: وأزيدكم**»؟ قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: «**أتاني الروح يعني جبرئيل عليه السّلام أنَّها إذا هي قبضت ودُفنت يسألها الملكان في قبرها: من ربك؟ فتقول: الله ربي. فيقول: فمن نبيك؟ فتقول: أبي. فيقولان: فمن وليك؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري علي بن أبي طالب عليه السّلام. ألا وأزيدكم من فضلها: إنَّ الله قد وكّل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها وعند قبرها وعند موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها.**

فمن زارني بعد وفاتي فكأنَّما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنَّما زارني، ومن زار علي بن أبي طالب فكأنَّما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنَّما زار علياً، ومن زار ذريتهما فكأنَّما زارهما».

فعمد عمار إلى العقد، فطيّبه بالمسك، ولفّه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه سهم- ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر- فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا

العقد فادفعه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنت له.

فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخبره بقول عمار. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها**». فجاء المملوك، بالعقد وأخبرها بقول رسول الله صلّى الله عليه وآله. فأخذت فاطمة عليها السّلام العقد وأعتقت المملوك. فضحك الغلام، فقالت: «**ما يضحكك يا غلام**»؟ فقال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلى ربّه[١].

الزهراء عليها السلام تؤثر جيرانها في الدعاء

الإيثار في الأُمور المعنويّة أعظم قدراً وأجلّ شأناً منه في الأُمور المادية، ونجد الزهراء المؤثرة عليها السلام وهي تؤثر المؤمنين والمؤمنات على نفسها في الدعاء، فتكثر الدعاء لهم بعد أن قضت ليلة الجمعة في محرابها راكعة ساجدة، دون أن تجعل لنفسها نصيباً من الدعاء. وقد روى الراوندي عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٢] قال: «**هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فيقول له الملَك: ولك مِثلُ ما سألتَ، وقد أُعطيت لحبّك إياه**»[٣]. وروى عنه عليه السلام، قال: «**أسرعُ الدعاء نجاحاً للإجابة دعاءُ الأخ لأخيه بظهر الغيب، يبدأ بالدعاء لأخيه، فيقول له ملَك موكّل: آمين، ولك مِثلُه**».[٤]

وروى الشيخ الصدوق عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام، قال: «**رأيت**

---

(١) بشارة المصطفى صلىّ الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السّلام: ص٢١٨؛ حار الأنوار ٤٣: ٥٦ / ح ٥٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٦.

(٣) الدعوات للراوندي: ص٢٩٠.

(٤) المصدر نفسه: ص٢٨٩.

أُمِّي فاطمة عليها السّلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت لها: يا أماه! لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ، الجار ثم الدار»(١).

الزهراء عليها السلام تؤثر على نفسها سائلاً فتدفع إليها قميص زفافها الجديد

يطرق السائلُ بيت النبوة ويطلب قميصاً خلقاً، وكان بإمكان الزهراء عليها السلام أن تدفع له بغيته فينصرف شاكراً، لكنّ النفس الكبيرة أبتْ إلا أن تُنفق ممّا تحبّ، وهكذا آثرت ريحانةُ الرسول وبضعته السائل على نفسها فدفعت إليه الثوب الجديد المعدّ لزفافها. هكذا آثرت الزهراء الطاهرة عليها السلام أن تذهب إلى بيت الزوجية بثوب خلِق، ما دامت قد أحرزتْ رضا الله تعالى وأدخلت السرور في قلب امرأة مسلمة فقيرة.

أورد الشيخ المسعودي في الأسرار الفاطمية قصة إيثار الزهراء عليها السلام فتاة فقيرة بثوب زفافها الجديد، قال:

وخلعت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله ثوب عرسها في ليلة زفافها ودفعته لفتاة فقيرة، وفي اليوم التالي دخل عليها [أبوها] فلم ير ثوب عرسها عليها، فسألها عنه، فقالت له:

«أبتاه! لقد طرقت عليّ الباب فتاة فقيرة تطلب ثوباً، فأخذت ثوبي القديم لأدفعه إليها، إلّا أنّي تذكّرت قول الله تعالى ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٢)**، وأنا أحب الثوب الجديد، فآثرتها على نفسي وأعطيتُه لها»**(٣).

---

(١) علل الشرائع ١: ١٨٢ / ح ١؛بحار الأنوار ٤٣: ٨٢ / ح ٣، عن العلل.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٢.

(٣) الأسرار الفاطمية للشيخ محمد فاضل المسعودي: ص٢٩٢.

نزول آية (ويؤثرون على أنفسهم) في حق الزهراء عليها السلام

لم يبرح أمير المؤمنين عليه السلام مجلسه عند رسول الله حتّى نزل الوحي بوسام جديد للزهراء وبعلها عليهما السلام، فقد شهد لهما الربّ الكريم وملائكتُه بأنَّهما أوضح مصداق عرفته الأرض للذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وحاجة. شهد الخالقُ المطّلع على الضمائر لفاطمة وبعلها أنَّهما وُقيا شُح نفسهما، وأنَّهما المصداق الأجلى للمفلحين الذين باعوا دنياهم واشتروا الدار الآخرة.

روى الشيخ الطوسي في أماليه عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماء.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من لهذا الرجل الليلة**»؟ فقال علي ابن أبي طالب عليه السلام: «**أنا له يا رسول الله**»، وأتى فاطمة عليها السلام فقال: «**ما عندك، يا ابنة رسول الله**»؟ فقالت: «**ما عندنا إلا قوت الصبية، لكنّا نؤثر ضيفنا**».

فقال علي عليه السلام: «**يا ابنة محمد، نوّمي الصبية، وأطفئي المصباح**»، فلما أصبح علي عليه السلام غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر، فلم يبرح حتى أنزل الله (عزوجل): ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[١]﴾[٢].

أقول: نقلنا هذا الحديث عن أبي هريرة مع عدم ثقتنا بكلّ ما يرويه، لأنَّ (الفضل ما

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) أمالي الطوسي: ص١٨٥ / ح٣٠٩/ ١١.

شهدتْ به الأعداء)، وقد روي هذا الحديث في تفسير أبي يوسف عن ابن عباس أيضاً[١].

إيثار فاطمة عليها السلام في معاملتها جاريتها

أين دعاة حقوق الإنسان من هذا الحديث؟! أين دعاة المساواة من هذا الحديث؟! ها هي الزهراء المؤثرة تساوي نفسها مع خادمتها، فتناصفها العمل في البيت وتجعل لكلّ واحدة منهما يوماً. من حقّ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله أن يتأثّر وتفيض عيناه بالدموع وهو يرى ابنته المكدودة في بيتها، التي استقت بالقربة حتّى أثّرت القربة في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وحتى أصابها من عملها في بيتها ضرٌّ شديد، يراها تناصف الخادمة عملَ البيت، فيقول في إعجاب: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٢]!!

أخرج ابن مردويه عن محمّد ابن عليّ، عن أبيه عليهما السلام أنّه ذكر تزويج فاطمة عليها السلام، ثمّ ذكر أنّ فاطمة سألت من رسول الله صلى الله عليه وآله خادماً – إلى أن قال –: ثمّ غزا رسول الله صلى الله عليه وآله ساحل البحر، فأصاب سبياً فقسمه، فأمسك امرأتين إحداهما شابّة، والأُخرى امرأة قد دخلت في السن ليست بشابّة، فبعث إلى فاطمة، وأخذ بيد المرأة فوضعها في يد فاطمة وقال: «**يا فاطمة، هذه لك، ولا تضربيها فإنّي رأيتها تصلّي، وإنّ جبرئيل نهاني أن أضرب المصلّين**»، وجعل رسول الله يوصيها بها، فلمّا رأت فاطمة ما يوصيها بها التفتت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: «**يا رسول الله عليّ يوم وعليها يوم**»، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله بالبكاء وقال: ﴿اللهُ

(١) انظر: مناقب ابن شهر آشوب ١: ٣٤٧؛ وبحار الأنوار ٤١: ٢٨، عن تفسير أبي يوسف.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1]؛ ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[2]﴾.[3]

الزهراء عليها السلام تعرّض ولديها الحسنين للقصاص بدلاً من أبيها

سمعت (أُمُّ أبيها) من بلال أَنَّ صحابياً من الصحابة يدعى (عكاشة) يريد القصاص من أبيها لضربة غير متعمّدة أصابته يوماً من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأرسلت إلى الحسنين عليهما السلام أن يقوما إلى الرجل ليقتصّ منهما بدلاً من رسول الله صلى الله عليه وآله. ونلاحظ في الحديث الشريف أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يجمع الناس ويستحلفهم أن يُخبروه أفي ذمّته لأحد منهم مظلمة؟ إنَّ النبي صلى الله عليه وآله ينبّهنا إلى حقيقة أَنَّ من المظالم ما قد لا يعلم به المرء نفسه، فقد يكون قد أخطأ في حقّ أحد دون أن يقصد ودون أن يعلم، وأَنَّ على المسلم أن يسأل إخوانه أن يُبرئوا ذمته قبل أن تحين وفاته، لأَنَّ القصاص في الدنيا أسهل - على شدّته - من القصاص يوم القيامة.

روى الطبراني في معجمه الكبير عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس حديثاً طويلاً جاء فيه أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما نعيت إليه نفسه أمر أن ينادى بالصلاة جامعة، ثم خطب في الناس (فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم خطب خطبة وجِلت منها القلوب وبكت العيون، ثم قال: «**أيها الناس أيّ نبي كنتُ لكم**»؟ فقالوا: جزاك الله من نبي خيراً، فلقد كنت بنا كالأب الرحيم وكالأخ الناصح المشفق، أديت رسالات الله عز وجل، وأبلغتنا وحيه، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أُمَّته. فقال لهم: «**معاشر المسلمين أنا أنشدكم بالله وبحقي عليكم من كانت له قبلي مظلمة فليقم فوطئته مني**»، فلم يقم إليه أحد، فناشدهم الثانية فلم يقم إليه أحد، فناشدهم الثالثة: «**معاشر المسلمين أُنشدكم بالله وبحقّي عليكم، من**

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٤.

(٣) المناقب لابن مردويه: ص٢٠٠؛ مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٦٩.

كانت له قبلي مظلمة فليقم فوطئته مني قبل القصاص في القيامة»، فقام من بين المسلمين شيخ كبير يقال له عكاشة فتخطى المسلمين حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فقال: فداك أبي وأُمّي! لولا أنّك ناشدتنا مرة بعد أُخرى ما كنت بالذي يقدم على شيء من هذا، كنت معك في غزاة، فلما فتح الله عز وجل علينا ونصر نبيه صلى الله عليه (وآله) وسلم كنّا في الانصراف حاذت ناقتي ناقتك، فنزلتُ عن الناقة ودنوت منك لأُقبّل فخذك، فرفعتَ القضيب فضربتَ خاصرتي، ولا أدري أكان عمداً منك أم أردتَ ضرب الناقة، فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: «**أعيذك بجلال الله أن يتعمّدك رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم بالضرب، يا بلال انطلق إلى منزل فاطمة وائتني بالقضيب المشوق**»، فخرج بلال من المسجد ويده على أُمِّ رأسه وهو ينادي: هذا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يعطي القصاص من نفسه؛ فقرع الباب على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ناوليني القضيب المشوق، فقالت فاطمة: «**يا بلال وما يصنع أبي بالقضيب وليس هذا يوم حج ولا يوم غزاة**»؟ فقال: يا فاطمة ما أغفلك عما فيه أبوك، إنَّ رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يودّع الدين ويفارق الدنيا ويعطي القصاص من نفسه، فقالت فاطمة -عليها السلام-: «**يا بلال ومن ذا الذي تطيب نفسه أن يقتص من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم؟ يا بلال فقل للحسن والحسين يقومان إلى هذا الرجل فيقتصّ منهما ولا يدعانه يقتص من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم**» - الحديث بطوله وجاء فيه:(فقام علي بن أبي طالب فقال: «**يا عكاشة أنا في الحياة بين يدي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ولا تطيب نفسي أن يضرب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، فهذا ظهري وبطني، اقتص مني بيدك واجلدني مائة ولا تقتص من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم**»، فقال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: «**يا علي اقعد فقد عرف الله عز وجل مقامك ونيتك**»؛ وقام الحسن والحسين -عليهما السلام-

فقالا: «**يا عكاشة أليس تعلم أنَّا سبطا رسول الله، فالقصاص منا كالقصاص من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم**»، فقال لهما صلى الله عليه (وآله) وسلم: «**اقعدا يا قرة عيني، لا نسي الله لكما هذا المقام**» - الحديث وقد اقتطعنا منه مورد الشاهد.(١)

الدروس المستخلصة

كانت الزهراء عليها السلام تعدّ نفع الناس وإيثارهم على نفسها وزوجها وابنيها من أهمّ مسؤولياتها، وكانت عليها السلام تخطو في هذا المجال في جوانبه الظاهرية والمادية وفي جوانبه المعنويّة من خلال وقْفها حياتها القصيرة الطافحة بالبركة في مرضاة الله من خلال إيصال النفع إلى خلقه، لأنّ «**خير الناس من نَفَع الناس**»، ومَن أَولى من بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله باقتفاء آثاره واتّباع نهجه؟! الزهراء المؤثرة عليها السلام هي التي تنازلت مع زوجها وولديها عن طعام إفطارهم ثلاث ليال متتالية فأعطوه لمسكين ويتيم وأسير، وبقيت مع أُسرتها يتضوّرون جوعاً، فلمّا زارهم رسول الله صلى الله عليه وآله ونظر إليهم صاح (واغوثاه بالله! أهل بيت محمد يموتون من الجوع)!! وهي التي دفعت طعامها للضيف وباتت مع زوجها طاويين يعلّلان أطفالهما حتّى ناموا؛ وهي التي وهبت ثوب عرسها لفتاة فقيرة ومضت إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام بثوبها القديم؛ الزهراء المؤثرة عليها السلام هي التي كانت تنفق غلاّت (فدك) على فقراء المسلمين، مع أنَّ بيتها كان خالياً من المؤونة؛ وهي التي أنزلت ستراً كان على باب دارها وبعثت به إلى أبيها صلى الله عليه وآله فقطعه بين أهل الصفة ليستروا به أبدانهم العارية؛ وهي التي كانت تقوم الليل فتدعو لجيرانها وتقول (الجار ثمّ الدار)، وهي التي تقاسمت عمل البيت مع جاريتها، فساوتها معها في الحقوق والواجبات!

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣: ٥٨ - ٦٤ / ح ٢٦٧٦.

الفصل العاشر

الزهراء عليها السلام معدن الزهد والقناعة

ما هو الزهد؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه** ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[١]**، وَمن لم يأسَ على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه**».[٢]

وأخرج الفيض الكاشاني عن أبي الطفيل قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: «**الزهد في الدنيا: قصر الأمل، وشُكر كل نعمة، والورع عن كل ما حرّم الله عز وجل**».[٣]وروى الكليني في الكافي تعريفاً للزهد عن الإمام الصادق عليه السلام، في حديث رواه بإسناده عن إسماعيل بن مسلم قال، قال أبو عبد الله عليه السّلام: «**ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله عز وجل**».[٤]

الاختيار الواعي لحياة الزهد

لماذا عاشت ابنة أشرف الأنبياء والمرسلين عيشة الفقر والزهد والقناعة؟ لماذا ارتدت الزهراء البتول شملة خلقة من صوف قد خيطت في كثير من مواضعها بسعف النخيل؟ هل عجز أمير المؤمنين عليه السلام أن يوفّر لزوجته فراشاً يرقدان عليه غير إهاب كبش كانا ينامان عليه ليلاً، فإذا حلّ الصبح قلباه وعلفا عليه ناضحهما؟

إنّنا لا نرتضي أن ننظر إلى البتول الطاهرة على أنّها امرأة كواحدة من النساء عجزت

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٣.

(٢) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبدة ٤: ١٠٢ / ح٤٣٩.

(٣) الوافي ٤: ٤٠٤ / ح٢١٩٩.

(٤) الكافي ٥: ٧٠ / ح٢.

عن توفير شيء لحياتها، فلجأت إلى حياتها البسيطة مرغمة! إنَّ شخصيّة فاطمة الزهراء عليها السلام جسّدت الشخصيّة المسلمة التي لا تهدف إلى اكتناز المال واقتناص الجاه والشهرة، لأنَّها بضعة لا تتجزّأ عن أبيها صلى الله عليه وآله الذي قال: «**ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد**»! فاطمة الزاهدة هي ابنة من قال: «**الفقر فخري**»! فاطمة القانعة هي كفوء من كان يقول للدنيا: غرّي غيري! فاطمة هي زوجة من قال له النبي: «**يا علي إنَّ الله عز وجل قد زيّنك بزينة لم يتزيّن العباد بزينة أحبّ إليه منها: الزهد في الدنيا!**»

لم تكن حياة الزهراء فقيرة وبسيطة بسبب قلّة ذات يدها، بل كانت مسبّبة عن غناها الروحيّ ونهج حياتها المستلهم من تعاليم الإسلام، حيث كانت تتخذ البساطة سلّماً للوصول إلى الاستغناء المطلق؛ ولقد أثبتت أمُّ أبيها - وأثبت بعلها أمير المؤمنين - أنَّهما لم يقيما للدنيا وزناً، فقد عاشا حياتهما الشريفة المشتركة بالدرجة نفسها من البساطة حين شرعا حياتهما بأبسط الإمكانات، وحين امتلكا الإمكانات والعائدات الضخمة من فدك، وحين صودرت فدك منهما وحُرما - ومعهم بنو هاشم - من سهم ذوي القربى.

لقد علّمت الزهراء عليها السلام الأجيال رجالاً ونساءً أن دفء البيت ينبع من المحبة والصفاء والمودّة بين الزوجين، ولا علاقة له بالثروة والإمكانات الموجودة في البيت، وعلّمتهم أنَّ السعادة والطمأنينة مرهونة بمن في البيت وليس بما في البيت. ولقد أثبتت الزهراء المرضية عليها السلام للنساء أنَّ المرأة لا تباع أو تشترى شأن السلع التجارية، وأنَّ بإمكانها أن ترتقي بمقامها وترتفع من خلال التزامها بالرسالة التي ندبها إليها الإسلام، وأن تقطع الطريق على الذين يحاولون توظيفها لخدمة مقاصدهم الدنيئة باسم الدفاع عن حقوق المرأة، بينما يسحقون في الوقت ذاته مشاعرها ويدوسون كرامتها ويمرّغون في الوحل إنسانيّتها!! ليست المرأة - في نظر الزهراء عليها السلام - سلعة

تجارية تبادل بمهر مرتفع، أو بجهاز فاحش الثمن، أو بحياة في بيت فخم تشيع فيه مظاهر التعالي والتفاخر؛ ولم تُخلق المرأة لتكون وسيلة رخيصة لإطفاء شهوات الرجل، بل خلقت شريكة حياة له، تسير خلالها معه في مسيرة شرف وعزّ، وتتحمّل مسؤولياتها في الحياة ندّاً للرجل، وتتحرك كما يرسم لها الشرع الشريف حدود التحرّك، وتلزم بيتها حين يأمرها الشرع بلزومه؛ تنشد في حركتها وسكونها رضا الله تعالى.

لقد كان هاجس الزهراء عليها السلام في كل ما تفعل رضا الله تعالى ورسوله، وشاهدناها وقد صنعت لباب بيتها ستراً، وارتدت قلادة وقرطين ومسكتين، وانتظرت قدوم أبيها وزوجها، فلما دخل أبوها البيت شاهدت في وجهه ملامح تنمّ عن عدم رضا كامل، فسارعت إلى القلادة والقرطين والمسكتين فنزعتها، وسارعت إلى الستر فنزعته، ثم بعثت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليجعله في سبيل الله تعالى. انظروا إلى رد فعل الرسول لهذه الحركة! قال صلى الله عليه وآله (وهو يتوقّع تلك الحركة وينتظرها): «**فعلت فِداها أبوها! فعلت فِداها أبوها**»!! ثم علّل صلى الله عليه وآله مشاعره السابقة بقوله: «**ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد**»!

تعلّمت الزهراء عليها السلام في هذه المدرسة النبوية أنَّ الغنى – كلّ الغنى – في الاستغناء؛ وأنَّ الفقر – كلّ الفقر – في الحاجة والافتقار! ولقد وجدناها من قبل تلبس ثوباً قديماً ليلة زفافها إلى زوجها وتعطي ثوبها الجديد لفقيرة من فقراء المسلمين، مجسّدة أجلى مصاديق العمل بقوله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1].

وزادت معاناة الزهراء عليها السلام في بيتها، وتحسّن وضع المسلمين المالي، فأعطاها الرسول الأكرم خادمة تعينها، ودخلت فضة بيت علي وفاطمة عليهما السلام فشاهدت

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٢.

الإمكانات المتواضعة في بيت ابنة أشرف الأنبياء والمرسلين، وكانت تعرف شيئاً من فن كان يسعى إليه كثير من الناس ولا يناله إلا الأقلّون منهم، وهو ما كان يُدعى بالإكسير، ويتلخّص في طلاء النحاس بالذهب ليبدو ذهباً (وكان الناس يومذاك يعتقدون أنَّه يصبح ذهباً حقيقة). جاءت فضّة وعرضت على مخدوميها إمكاناتها وفي ذهنها أنَّهم سيفرحون كثيراً، لكنها فوجئت بما لم يكن في حسبانها أبداً. لقد أخذت فضة قطعة من النحاس وألانتها، وجعلتها على هيئة سبيكة، وألقت عليها الدواء وصنعتها ذهباً وجاءت إلى أمير المؤمنين عليه السلام ووضعتها بين يديه. فلمّا رآها، قال: «**أحسنت يا فضّة! لكن لو أذبت الجسد لكان الصبغُ أعلى، والقيمةُ أغلى**»!

تزاحمت الأفكار في نفس فضّة! ما الذي يعنيه مولاها بكلامه؟! هل كان يقصد السبيكة المطلية التي يدعوها الناس ذهباً، أم أنَّه يقصد أعمق من ذلك؟! إنَّ الطلاء - يا فضّة - لا يغيّر باطن القطعة النحاسية، مهما غيّر من ظاهرها وموّه على الناس. ولو أنَّكِ ألنت الجسد - يا فضة - وروّضتيه وغيّرتِ باطنه، لكان الصبغ والتغيير حقيقياً، ولصارت القيمة أغلى!!

تساءلت فضّة مدهوشة: يا سيّدي! تعرف هذا العلم؟

رد بابُ عِلم خاتم الأنبياء في حزم: «**نعم؛ وهذا الطفل يعرفه**»- وأشار إلى الحسين عليه السلام-.

ثم إنَّه نادى الحسين عليه السلام فجاء وردد مقولة أبيه!!

أُسقط ما في يد فضّة. لكنَّ المفاجأة الأكبر كانت قادمة؛ قال لها مولاها أمير المؤمنين عليه السلام: «**نحن نعرف أعظم من هذا**»؛ ثمّ أومأ بيده، فإذا عُنق من ذهب وكنوز

الأرض سائرة.

يا فضّة! إذا تصوّرتِ أنَّك تعرفين ما لا يعرفه إمام افترض الله تعالى ولايته على العالمين، فقد أضحيتِ أعلمَ منه في تلك المسألة. ثمّ إنَّ هناك شيئاً أعظم! مَن قال لك بأنَّ بيت علي وفاطمة محتاجون؟! إنَّ الزهد والقناعة - يا فضّة - لا تعنيان الفقر والحاجة! ولقد نزل جبرئيل عليه السلام على والد الزهراء صلى الله عليه وآله وأخبره أنَّ العلي الأعلى يعرض عليه أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً! فقال: «**لا يا ربّ! ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً؛ فإذا شبعتُ حمدتُك وشكرتك، وإذا جعت تضرّعت إليك ودعوتُك**»!

ما زال أمام فضّة الكثير لتتعلّمه في بيت مولاتها الزهراء عليها السلام. قال لها أمير المؤمنين عليه السلام: «**ضعيها مع أخواتها!**» ضعي يا فضّة هذه القطعة من النحاس المطليّ مع أخواتها من قطع الذهب والفضة الحقيقي؛ لأنَّ الذهب والفضة والنحاس معادن وأحجار لا فرق بينها إلَّا في الاعتبار، ولو احتاج الناس غداً إلى معدن سواها لأضحى أغلى منها! الذهب والفضة في نظر علي وفاطمة عليهما السلام أحجار متماثلة لافرق بينها إلَّا في كونها ترفع حاجة. وإذا استغنى الإنسان زالت قيمة هذه المعادن والأحجار في نظره. وإذا استغنى الإنسان عن الدنيا، أصبحت الدنيا بأسرها بلا قيمة!!

ولقد حفظت فضّة الدرس جيداً، وألانت الجسد فكان الصبغ أعلى والقيمة أغلى؛ ورافقت فضّة مخدومتها الزهراء عليها السلام في حياتها وتخلّقت بأخلاقها، واقتدت بسادتها في إيثارهم المسكينَ واليتيم والأسير في قصّة النذر الشهيرة، فنزل في حقّهم سورة ﴿هَلْ أَتَى﴾!!

تأست الزهراء ابنةُ الكرام بأبيها صلى الله عليه وآله، فلم تسكن في بيت فخم، بل لم

يكن لبيتها البسيط الصغير أي مزية تميّزه عن بيوت عامّة المسلمين الفقراء، ولم يكن لبيتها الطيني المفروشة ساحته بالرمل - في واقع الأمر - إلّا مأوى تأوي إليه مع بعلها وابنيهما من الشمس اللاهبة صيفاً، ومن المطر المنهمر شتاء! ولم يكن لها ولبعلها ما يلتحفانه ليلاً إلّا قطيفة قصيرة إذا غطّيا بها رأسيهما انكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشف رأساهما! وكانت بين الفينة والفينة ترهن شيئاً من وسائل البيت فتأخذ قباله شيئاً من شعير تطحنه وتخبزه بيديها الطاهرتين، فتُطعم به فقيراً معدماً أو يتيماً لا يحنو عليه أحد، فهي بضعةٌ من النبي الكريم الذي وصفه الله تعالى أنَّه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾!

ويأتي رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أحد أصحابه ليعود ابنته المريضة، فيطرق الباب ويستأذن في الدخول، فلـمّا علمت الزهراء أنَّ مع أبيها أحد أصحابه أخبرته من خلف الباب بأنَّها لا تملك عباءة تستتر بها، فعلّمها النبي كيف تستتر، ثم أخبرته أنَّها لا تملك شيئاً تختمر به، فناولها ملاءة خلقة متداعية كانت عليه وقال: «**اختمري بها**»! ثم دخل عليها فسألها عن حالها، فعلم أنَّها موجوعة، وأنَّ الجوع يزيد في محنتها لأنَّها لا تجد ما تأكله!!

ليسمع فقراء المسلمين! ليسمع الجياع الذين لا يجدون ما يقتاتون به! ليسمع ضحايا استئثار الأغنياء وحبسهم مال الله واكتنازهم الذهب والفضة!! أيها الجياع والبؤساء! إنّكم لستم وحدكم الذين استمرأتم طعم الجوع والفاقة والحرمان، ولستم وحدكم الذين نسيتم طعم الشبع ولذّة المأكل والمشرب، بل يواسيكم في ذلك أشرفُ مَن خلق الله تعالى على وجه البسيطة: أشرف الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وخاتم الأوصياء أمير المؤمنين علي عليه السلام وسيدة نساء العالمين عليها السلام. واعلموا أنَّ

الله تبارك وتعالى لم يبتلكم بالجوع والحرمان من هوانٍ بكم عليه، ولم يرزق سواكم مِن كرامة له عليه سبحانه؛ وأنَّ الدنيا لو كانت تعدل عند الله جناحَ بعوضة لما سقى الكافرَ منها شربة ماء.

فعلتْ فِداها أبوها! فعلتْ فِداها أبوها!

في الحديث التالي أثبتت الزهراء عليها السلام أنَّها تختار الزهد في الدنيا عن إرادة ووعي كاملَين، فلقد اشترت يوماً سواراً وخلخالاً من فضة وقلادة وقرطين، كما اشترت لباب بيتها ستراً، ربّما لأنَّها شاءت أن تتلقّى أباها وزوجها العائدين من السفر بما قد يدخل السرور على قلبيهما، لكنّ مجرّد ظنّها أنَّ أباها لم يرتح لذلك العمل جعلها تنزع القلادة والقرطين والمسكتين، وتنزع الستر فترسل بها بأجمعها إلى رسول الله وتوصيه أن يُنفقها في سبيل الله تعالى. وقد رأينا رسول الله يفرح حين يرى ذلك فيقول «**فعلتْ فِداها أبوها - ثلاث مرات -**»، ثم علّل صلى الله عليه وآله فرحه لزهد ابنته بقوله: «**ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد**»! ذلك أنَّ الدنيا - كما وصفها صلى الله عليه وآله - لا تعدل عند الله جناح بعوضة، ولذلك زواها عزوجل عن أوليائه وأنبيائه عليهم السلام من أجل أن تفرغ قلوبهم للآخرة كما يقول صادقُ أهل البيت عليهم السلام، فقد روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سُئل عن قول اللهَّ عز وجل ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ** سَلِيمٍ﴾[1]، قال: «**القلب السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه**». قال: «**وكل قلبٍ فيه شرك أو شك فهو ساقط، وإنَّما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة**».[2]

روى الشيخ الصدوق في الأمالي بإسناده عن محمد بن قيس، قال: كان النبي صلى الله

(١) سورة الشعراء: الآية ٨٩.

(٢) الكافي ٢: ١٦ / ح٥.

عليه وآله إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة عليها السلام فدخل عليها فأطال عندها المكث، فخرج مرّة في سفر فصنعت فاطمة عليها السلام مَسَكتين من ورق[1] وقلادة وقُرطين وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها عليهما السلام، فلمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله دخل عليها فوقف أصحابه على الباب لا يدرون أيقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عُرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فظنّت فاطمة عليها السلام أنّه إنّما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها، ونزعت الستر، فبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالت للرسول: قل له صلى الله عليه وآله: «**تقرأ عليك ابنتك السلام، وتقول اجعل هذا في سبيل الله**» فلما أتاه وخبّره، قال صلى الله عليه وآله: «**فعلتْ فِداها أبوها**» - ثلاث مرات - ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة، ما أسقى منها كافراً شربة ماء؛ ثم قام فدخل عليها[2].

بنت خاتم الأنبياء ترتدي شملة مرقّعة بسعف النخل في مواضع كثيرة

تعجّب سلمان وحزن حين شاهد سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ترتدي شملة خلقة من صوف قد بلت حتى تمزّقت في اثني عشر مكاناً، فخيطت بسعف النخيل!! وطافت في مخيّلة سلمان صور بنات الأكاسرة والقياصرة الكافرات وهنّ يرفلن في السندس والحرير، وصعُب عليه أن يشاهد فاطمة الطاهرة عليها السلام في تلك الشملة المتهرئة وهي أشرف نساء الوجود، لكنّ عجبه سيزداد ويتضاعف بالتأكيد

(١) في هامش البحار: المسكة (بالتحريك): السوار والخلخال. والورق: الفضّة.

(٢) الأمالي - الشيخ الصدوق ص ٣٠٥.

حين يسمع بضعة الرسول تبوح لأبيها بأَنَّها وزوجها لا يمتلكان من حطام الدنيا إلَّا مسك كبش يضعان عليه علف البعير نهاراً، فإذا أجنّهما الليل قلباه وجعلاه فراشاً!! فهل سمع الدهرُ بابنة رسول أو نبي سبقت في الزهد الزهراء عليها السلام؟! ولذلك وجدنا أباها الصادق المصدق يؤكد لسلمان أنَّ ابنته لفي الخيل السوابق المجلية في سباق مضمار الزهد، ويتضح لكل ذي بصيرة أنَّ الزهراء عليها السلام لما طالبت بـ(فدك) فإنَّ مطالبتها لم تكن من أجل حطام الدنيا الفانية.

قال أبو محمد جعفر بن أحمد القمي مؤلف كتاب زهد النبي صلوات الله عليه وآله: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[1] بكى رسول الله صلى الله عليه وآله بكاءً شديداً وبكى أصحابه و[هم] لا يدرون ما نزل به جبرئيل عليه السلام، ولم يستطع أحد من أصحابه أن يكلّمه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى فاطمة فرح بها، فانطلق بعض أصحابه إلى باب فاطمة وبين يديها شيء من شعير وهي تطحن وتقول: ما عند الله خير وأبقى. قال: فقال: السلام عليك يا بنت رسول الله. فقالت: «**وعليك السلام، ما جاء بك**»؟ قال: تركت رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً حزيناً، ولا أدري ما نزل به جبرئيل! فقالت: «**تنحَّ [من] بين يدي أضمّ إليّ ثيابي وأنطلق إلى رسول الله لعله يخبرني بما نزل به جبرئيل**». قال: فلبست فاطمة شملة من صوف خلقاناً، قد خيطت باثني عشر مكاناً من سعف النخل، فلمّا خرجت فاطمة عليها السلام نظر إليها سلمان رضي الله عنه، فوضع يده على رأسه وهو ينادي: (واحزناه) إنَّ قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد عليها شملة من صوف قد خيطت باثني عشر مكاناً بسعف النخل!!

(١) سورة الحجر: ٤٣ – ٤٤.

فلمّا دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله قالت: «**يا رسول الله، إنَّ سلمان تعجّب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق نبياً ما لي ولعلي منذ خمس سنين إلَّا (مسك) كبش، نعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإنَّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف النخل**».

قال النبي صلى الله عليه وآله: «**يا سلمان، إنّ ابنتي لفي الخيل السوابق**». ثمّ قالت: «**يا أبت، فديتك ما الذي أبكاك**»؟ فذكر لها ما نزل به جبرئيل من الآيتين المتقدمتين. قال: «**فسقطت فاطمة على وجهها**» وهي تقول: «**الويل ثم الويل لمن دخل النار**». قال: فسمع ذلك سلمان فقال: يا ليتني كنت كبشاً لأهلي فأكلوا لحمي ومزّقوا جلدي ولم أسمع بذكر النار. وقال أبو ذر: يا ليت أُمّي كانت عاقراً ولم تلدني ولم أسمع بذكر النار، وقال عمار: يا ليتني كنت طائراً في القفار ولم يكن عليّ حساب ولا عذاب ولم أسمع بذكر النار- الحديث(١).

الزهراء عليها السلام تطحن وترضع ولدها

تدمع عينا النبي الرحيم صلى الله عليه وآله ويذرف الدموع حين يرى ابنته الحبيبة في ريعان شبابها وهي ترتدي كساءً غليظاً من أجلّة الإبل، وهي جالسة تطحن بيديها دون أن يشغلها ذلك العمل الشاق المضني عن إرضاع ولدها، فيسلّيها بأنَّ مرارة الدنيا التي تعاني مذاقها الصعب هي أجرٌ معجّل لحلاوة الآخرة التي لا انقضاء لها، فتجيبه بضعته الزاهدة بأنْ تحمد الله تعالى على نعمائه، وتشكره عزوجل على آلائه. الزهراء الزاهدة عليها السلام لا ترى في مرارة الدنيا إلاّ نعمة وآلاء يتوجّب أن تشكر الله تعالى عليها! فينزل الله تعالى آية قرآنية يُخبر فيها نبيه الكريم - والزهراء عليها السلام بضعة منه - بأنَّه سيُعطيه يومَ القيامة حتّى يرضى! جاء في تفسير الثعلبي عن الإمام الصادق عليه السّلام، وفي

(١) الدروع الواقية - السيد ابن طاووس ص ٢٧٤ -٢٧٦؛ بحار الأنوار ٨: ٣٠٣ - ٣٠٤؛ وقد اخترنا لفظ بحار الأنوار.

تفسير القشيري عن جابر الأنصاري قال: رأى النّبيّ صلّى الله عليه وآله فاطمة، وعليها كساء من أَجِلَّة الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: «**يا بِنتَاه، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة**».

فقالت عليها السّلام: «**يا رسول الله، الحمدُ لله على نعمائه، والشكرُ لله على آلائه**». فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَى﴾[1].[2]

الزهراء عليها السلام تنام ليلها على إهاب كبش وتتوسد وسادة أدم محشوّ بليف

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الزهدُ أنْ لا تطلب المفقودَ حتّى يعدم الموجود**». ويقول عليه السلام: «**مَن زهد في الدنيا أعتق نفسه وأرضى ربّه**». ويقول عليه السلام: «**أصلُ الزهد حسنُ الرغبة فيما عند الله**». ونلاحظ أنَّ الزهراء عليها السلام جسّدت أجلى صور الزهد في حياتها، وأنَّها عليها السلام زهدت في الدنيا فأعتقت نفسها وأرضت ربّها. ومَن يُجاريها في الزهد وقد خلا بيتها إلَّا من رمل مبسوط، وفراشها إلَّا من إهاب كبش، ووسائدها إلَّا من وسادة من أدم حُشيت ليفاً! وقد ذكرنا أنَّها عليها السلام كانت تعلف الناضح على إهاب الكبش، فإذا حلّ الليل قلبت الإهاب ونامت على صوفه! من يُجاري بضعة خاتم الأنبياء والرسل وقد كان صداقها درعاً من حديد! وربّما يظنّ الكثيرون أنَّهم يشاركون الزهراء في زهدها لأنَّهم يعيشون حياة الفقر والفاقة، لكنّهم يغفلون عن حقيقة (الاختيار) في هذه الحياة الزاهدة، تلك الحياة التي اختارتها الزهراء عن قناعة، بل عدّتها من نعم الله تعالى التي تستحق الشكر. عن الصادق عليه السّلام، قال: «**كان فِراش علي وفاطمة عليهما السّلام حين دخلتْ عليه إهابَ كبش، إذا أرادا أن**

(١) الضحى: ٥.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٤٢، عن تفسير الثعلبي.

يناما عليه قلباه فناما على صوفه».قال: «**وكانت وسادتها أدماً حشوها ليف. قال: وكان صداقها درعاً من حديد**»(١). وأخرج الهيثمي عن أسماء بنت عميس قالت: لما أُهديت فاطمة إلى علي بن أبي طالب لم نجد في بيته إلّا رملاً مبسوطاً، ووسادة حشوها ليف، وجرّة، وكوزاً(٢).

الزهراء عليها السلام ترهن درعها وكسوتها لتقترض تمراً وشعيراً

يطرق سمع الزهراء عليها السلام أنَّ أعرابياً أتى أباها مستطعماً، وأنَّ النبي ضمن لمن زوّد الأعرابي أن يزوّده الله تعالى زاد التقوى، فلم يمنعها كونها لم تطعم هي وأولادها الصغار زاداً منذ ثلاث، حتى رقد صغيراها من شدّة الجوع، فالخير حين يطرق أبواب الكرام فإنَّهم لا يردّوه خائباً أبداً! ترهن ابنةُ خاتم الرسل درعها عند رجل يهوديّ لقاء صاع من تمر وصاع من شعير، ثم تطحن الشعير بيدها وتختبزه خبزاً فتبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله دون أن تستبقي منه رغيفاً واحداً لصغارها الجياع!! فلقد أمضت بضعةُ النبي ذلك الخبز لله تعالى، ولا ترتضي لنفسها أن تأخذ شيئاً مما أمضته!

أخرج المحدث النوري عن مجالد، عن ابن عباس حديثاً طويلاً عن أحد أعراب بني سليم أتى به إلى رسول الله، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**من يزوّد الأعرابي وأضمن له على الله عزوجل زاد التقوى**»؟ - إلى أن يصل إلى قوله: - قالت فاطمة عليها السلام لسلمان: «**يا سلمان والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً إنَّ لنا ثلاثاً ما طعمنا، وإنَّ الحسن والحسين قد اضطربا علي من شدة الجوع، ثم رقدا كأنَّهما فرخان منتوفان، ولكن لا أردّ الخير إذا نزل الخير ببابي. يا سلمان، خذ درعي هذا ثم امض به إلى شمعون اليهودي**»، وقل له: «**تقول لك فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله:أقرضني**

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٠٤ / ح ١٤، عن قرب الإسناد.

(٢) مجمع الزوائد ٩: ٢٠٩.

عليه صاعاً من تمر، وصاعاً من شعير، أردّه عليك إن شاء الله». قال: فأخذ سلمان الدرع ثم أتى به إلى شمعون اليهودي فقال له: يا شمعون، هذا درع فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، تقول لك: «**أقرضني عليه صاعاً من تمر، وصاعاً من شعير، أرده عليك إن شاء الله**» فأخذ شمعون الدرع ثم جعل يقلّبه في كفه وعيناه تذرفان بالدموع وهو يقول: يا سلمان هذا هو الزهد في الدنيا، هذا الذي أخبرنا به موسى بن عمران في التوراة، أنّا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه. ثم دفع إلى سلمان صاعاً من تمر وصاعاً من شعير فأتى به سلمان إلى فاطمة فطحنته بيدها واختبزته خبزاً، ثم أتت به إلى سلمان فقالت له: «**خذه وامض به إلى النبي صلى الله عليه وآله**»، قال: فقال لها سلمان: يا فاطمة خذي منه قرصاً تعللين به الحسن والحسين، فقالت: «**يا سلمان هذا شيء أمضيناه لله عز وجل لسنا نأخذ منه شيئاً**» - الخبر[(١)].

وأخرج ابن شهر آشوب في المناقب: ورهنت (فاطمة) عليها السلام كسوة لها عند امرأة زيد اليهودي في المدينة واستقرضت الشعير فلما دخل زيد داره قال: «**ما هذه الأنوار في دارنا**»؟ قالت: «**لكسوة فاطمة**»! فأسلم في الحال وأسلمت امرأته وجيرانه، حتى أسلم ثمانون نفساً.[(٢)]

ملحفة الزهراء قطيفة إذا غطّت رأسها بها انكشفت أقدامها، وإذا غطّت أقدامها انكشف رأسها

برح التعب والنصب بالزهراء وزوجها حداً شكيا معه إلى بعضهما ما يلقيان من مشقة العيش، فأخبرها أمير المؤمنين بأنَّه أضحى يشتكي صدره من كثرة ما حمل عليه قرب الماء، وأخبرته هي أن يديها الدمثتين قد اخشوشنتا وتصلبتا ومجلتا من طحن الشعير، ثم اتفقا

(١) مستدرك الوسائل ١٣: ٤١٨ / ح١٥٧٧١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٩.

على أن تذهب الزهراء فتشكو حالها لأبيها وتطلب منه خادماً من السبي الذي حصل المسلمون عليه مؤخراً، فذهبت الزهراء ووجدت عند أبيها بعض الصحابة يحدثونه، فاستحيت أن تخبره بحالها. استحيت بضعة الرسول أن تُخبر أباها – وهو أقرب الناس إليها – بمعاناتها، وأن تطلب منه خادماً تخفّف عنها الضرّ الذي لحقها. وعلِم النبي صلى الله عليه وآله أنَّ ابنته طرقته لحاجة، فذهب إلى بيتها فرآها ملتحفة بقطيفة قصيرة إنْ غطّت بها رأسها انكشفت عن قدميها، وإن غطت بها قدميها انكشف رأسها! لكن بضعة خاتم الأنبياء لم تأنف من عيشتها تلك، ولم تُخرج يديها فتريهما لأبيها العطوف، بل استحيت حتى من بيان معاناتها، فتكفّل زوجها أمير المؤمنين عليه السلام بذلك، ولم يُعطهما النبي ما طلبا! لكنّه أخبرهما أن يسبّحا التسبيح الذي عُرف بـ(تسبيح الزهراء)، ففرحا بذلك والتزما به طوال حياتهما الشريفة.

عن علي عليه السّلام: «**أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لما زوّجه فاطمة عليها السّلام بعث معها بخميلة، ووسادة أدم حشوها ليف، ورحائين، وسقاء، وجرّتين**».

فقال علي عليه السّلام لفاطمة عليها السّلام ذات يوم: «**والله لقد سنوتُ**[1] **حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه**». فقالت عليها السّلام: «**وأنا والله لقد طحنتُ حتى مجلت يداي**»[2]... (إلى أن قال) «**وأتاهما النبي صلّى الله عليه وآله وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطّيا رؤوسهما انكشفت أقدامهما، وإذا غطّيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا**»، فقال صلّى الله عليه وآله: «**مكانكما**»! ثم قال: «**ألا أخبركما بخير ممّا سألتماني**»؟ قالا: «**بلى**». قال: «**كلمات علّمنيهنّ جبريل عليه السلام**» فقال:

---

(١) أي حملت الماء.

(٢) أي اخشوشنتا وتصلّبتا.

«تسبّحان دبر كلّ صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبّران عشراً، فإذا آويتما إلى فراشكما فسبّحاً ثلاثاً وثلاثين، وأحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبّرا أربعاً وثلاثين». قال [أمير المؤمنين]: **«فوالله ما تركتهنّ منذ سمعت ذلك من رسول الله»**(١).

الزهراء عليها السلام تطحن بالرحى حتى تدمى يداها

شهادة من سلمان الذي ألحقه رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل البيت أنَّه رأى الزهراء تطحن بالرحى حتى تسيل دماؤها على عمود الرحى! وأنَّه شاهد ابنها الحسين عليه السلام ريحانة رسول الله وهو يتضوّر جوعاً في ناحية الدار، دون أن تسمح الزهراء لنفسها أن تستعين بخادمتها فضة في يوم استراحتها! وحين يشير عليها سلمان أن تستعين بفضة تخبره أنَّ أباها أوصاها بتقسيم عمل البيت بينها وبين فضة، وأنَّ هذا اليوم هو يوم استراحة فضة. هكذا عن قناعة لا يشوبها شكوى ولا تذمّر! أو ليس الزهد في الدنيا هو قصر الأمل، وشُكر كل نعمة كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام؟!

روي أنَّ سلمان قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل والحسين في ناحية الدار يتضور من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله دبرت كفّاك وهذه فضة! فقالت: **«أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها»**. قال سلمان، قلت: إنِّي مولى عتاقة إما أنا أطحن الشعير أو أُسكت الحسين لك؟ فقالت: **«أنا بتسكينه أرفق، وأنت تطحن الشعير»**. فطحنت شيئاً من الشعير فإذا أنا بالإقامة، فمضيت وصليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما فرغت قلت لعلي ما رأيت، فبكى وخرج ثم عاد فتبسم،

---

(١) ملحقات إحقاق الحق ١٠: ٣٧١، عن صفة الصفوة.

فسأله عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**دخلت على فاطمة وهي مستلقية لقفاها والحسين نائم على صدرها، وقدّامها رحى تدور من غير يد**»، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «**يا علي أما علمت أنَّ لله ملائكة سيارة في الأرض يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة**».(١)

بيت الزهراء عليها السلام مفروش بالرمل، ووليمة عرسها تمر وزبيب

صورة ولا أروع ولا أبدع لبيتٍ بسيط لا يمتاز بشيء عن بيت الفقراء المعدمين، بيتُ لعريسين لم تشهد لهما الأرض نظيراً، بيت من بيوت الرحمن تتنافس في خدمته ملائكته، قد أذن اللهُ تعالى له أن يُرفع ويُذكَر فيه اسمُه، قد فُرشت أرضُه بالرمل، وحُشيت بالليف المخدّتان اللتان لا ثالث لهما، ووضع فيه عود مستعرض ليقوم بعمل حبل الغسيل وحمّالة السقاء، أما فراش العريسين اللذين تتباهى بخدمتهما الملائكة فلم يكن سوى إِهاب كبش! وأمّا الشراب الذي قُدّم للمدعوّين فلم يتعدَّ أن يكون إلا ماء عذباً، ولا الطعام الذي طعموه أن يكون إلا تمراً وزبيباً (أو زيتاً وتمراً)! وليس عجيباً - مع هذا الوصف الرائع - أن تشهد أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة أنَّها لم تر عرساً أحسن من هذا!!

هل تجهيز بيت العرس وفق البساطة وعدم التكلّف ممّا يُنقص المودّة بين الزوجين، أو يمنعهما عن أن يبنيا حياتهما المشتركة على أرضيّة صلبة من التفاهم والمحبة والإيثار؟ أم أَنَّ التأنّق والبذخ الزائدين ممّا يوثّق وشائج العلاقة بين الزوجين إن كانت في أصلها مهزوزة ضعيفة؟! لقد أضاع بعضُنا البوصلة، فاتّجه لتزيين الظاهر وتزويقه، ونسي إصلاح الأساس والباطن!

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢٩.

روى ابن ماجة بإسناده عن مسروق، عن عائشة وأُمِّ سلمة، قالتا: أمرنا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي، فعمدنا إلى البيت ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء، ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفشناه بأيدينا، ثم أطعمنا تمراً وزبيباً، وسقينا ماءً عذباً، وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء. فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة[1].

وأخرج الزرندي الحنفي عن جابر، قال: حضرنا عرس علي وفاطمة، فما رأينا عرساً كان أحسن منه، حشونا البيت كثيباً من الرمل تراباً طيباً، وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا، وكان فراشهما ليلة عرسهما إهاب كبش[2].

وروى الحافظ الطبراني بإسناده عن جابر بن عبد الله، قال: حضرنا عرس علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فما رأينا عرساً كان أحسن منه حيساً، وهيأ لنا كما رسول الله صلى الله عليه وآله زيتاً وتمراً فأكلنا، وكان فراشهما ليلة عرسهما إهاب كبش[3].

الصدّيقة البتول عليها السلام تقطع قلادتها وتناولها لسائل

على الرغم من أنَّ الشريعة ترغّب المرأة أن لا تعطّل نفسها من شيء من الزينة تُدخل به السرور في قلب زوجها، وتمتاز به المرأةُ عن الرجل، فلقد قطعت الزهراء الزاهدة عليها السلام قلادتها من عنقها ورمت بها حين رأت أباها المرسل يُشيح بوجهه! الزهراء عليها السلام لم ترتدِ القلادة حباً في الدنيا، ولذلك فهي تُسارع إلى التخلّي عنها وتقدّمها

---

(١) سنن ابن ماجة – محمد بن يزيد القزويني ١: ٦١٦.

(٢) نظم درر السمطين: ص ١٨٨.

(٣) المعجم الأوسط ٦: ٢٩٠.

إلى سائل فقير. وفي المقابل نجد النبي صلى الله عليه وآله يخاطب ابنته «**أنتِ مني**»، ثم يعلن أنَّ غضب الله تعالى قد اشتدّ على من يهرق دمه (بإهراق دماء عترته) ويؤذيه فيهم.

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن علي عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة عليها السلام، وإذا في عنقها قلادة، فأعرض عنها، فقطعتها ورمت بها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنت مني يا فاطمة**». ثم جاء سائل فناولته القلادة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اشتدّ غضب الله وغضبي على مَن أهرق دمي وآذاني في عترتي**»(١).

وعن الرضا، عن آبائه، عن علي بن الحسين عليهم السّلام: «**حدّثتني أسماء بنت عميس، قالت: كنت عند فاطمة عليها السّلام جدّتك، إذ دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وفي عنقها قلادة من ذهب كان علي بن أبي طالب عليه السّلام اشتراها من فيء له**».

فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**لا يغرّنك الناس أن يقولوا: بنت محمد! [و] عليك لباسُ الجبابرة**».

فقطّعتها وباعتها واشترت بها رقبة فاعتقتها؛ فسرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك(٢).

بنت خاتم الأنبياء مريضة جائعة

تشتكي الزهراءُ عليها السلام المرض، ويهدّ قواها الوجع، ويزيد بلواها الجوعُ الذي يحفز الأحشاء! ويأتيها أبوها الحبيب صلى الله عليه وآله ومعه أحد أصحابه ليعودها في مرضها، فتخبر الزاهدةُ أباها قبل أن تأذن له ولصاحبه أنَّها لا تمتلك خماراً، وما قيمة

(١) الأمالي – الشيخ الصدوق: ص ٥٥٢.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٧ / ح ٢٨، عن صحيفة الرضا عليه السّلام.

الخمار؟! فيعطيها النبي ملاءة خلقة متهالكة كان يرتديها لتختمر بها، ويعلّمها كيف تستتر بالعباءة التي لا تمتلك سواها، ثم يسألها عن حالها فتخبره أنَّ الجوع يزيد عليها آلامها ووجعها، فلا يعطيها طعاماً، بل يقول لها - وما أعجب قوله! -: «**يا بنية، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين**»؟ ثم يقول لها قولاً يعلم أنَّه سيُخفّف لوعة آلامها ومضاضة جوعها: «**أما والله لقد زوّجتكِ سيداً في الدنيا والآخرة**»!

عن عمران بن حصين أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله قال: «**ألا تنطلق بنا نعود فاطمة، فإنّها تشتكي**»؟ قلت: بلى. قال: «**فانطلقنا إلى أن انتهينا إلى بابها؛ فسلّم و استأذن**»، فقال: «**أدخل أنا ومن معي**»؟

قالت: «**نعم، و من معك يا أبتاه؟ فوالله ما عليّ إلاّ عباءة**». فقال لها: «**اصنعي بها كذا واصنعي بها كذا- فعلّمها كيف تستتر-**». فقالت: «**والله ما على رأسي من خمار**». قال: «**فأخذ خلق ملاءة كانت عليه**»، فقال: «**اختمري بها. ثم أذنت لهما فدخلا**». فقال: «**كيف تجدينك يا بنية**»؟ قالت: «**إنّي لوجعة، وإنَّه ليزيدني أن ما لي طعام آكله**».

قال: «**يا بنية، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين**»؟ قالت: «**يا أبة، فأين مريم ابنة عمران**»؟ قال: «**تلك سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك. أما واللهِ لقد زوّجتكِ سيداً في الدنيا والآخرة**»[(١)].

لم تجد فضة في بيت الزهراء عليها السلام إلا السيف والدرع والرحى

تأتي بنت الملوك إلى بيت الزهراء عليها السلام سيدة نساء أهل الجنّة، فتعلّمت في هذا البيت صناعة الإكسير الأعظم بعد أن كانت تعرف صناعة إكسير الذهب. تعلّمت

(١) بحار الأنوار ٣٧: ٦٩ / ح ٣٨.

أنَّ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وأنَّ بالإمكان إذابة الجسد وصياغته وفق الصياغة الإسلامية لتكون قيمته أكبر بآلاف الأضعاف.

روى البرسيّ في مشارق الأنوار، قال: لّما جاءت فضّة إلى بيت الزهراء عليها السلام لم تجد هناك إلاّ السيف والدرع والرّحى، وكانت بنت ملك الهند. وكانت عندها ذخيرة من الإكسير، فأخذت قطعة من النحاس وألانتها، وجعلتها على هيئة سبيكة، وألقت عليها الدواء وصنعتها ذهباً. فلمّا جاءت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وضعتها بين يديه. فلمّا رآها، قال: «**أحسنت يا فضّة! لكن لو أذبتِ الجسد لكان الصبغ أعلى والقيمة أغلى**». فقالت: يا سيّدي! تعرف هذا العلم؟ قال: «**نعم؛ وهذا الطفل يعرفه- أشار إلى الحسين عليه السلام-. فجاء وقال كما قال أمير المؤمنين عليه السلام**».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**نحن نعرف أعظم من هذا**»؛ ثمّ أومأ بيده، فإذا عنق من ذهب وكنوز الأرض سائرة. ثمّ قال: «**ضعيها مع أخواتها، فوضعتها فسارت**»(١).

صداق الزهراء عليها السلام درع من حديد وفراشها إهاب كبش

المهر هو صداق المرأة، وهو ما يدفعه الزوج إلى زوجته بعقد الزواج. وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله الناس بعدم المغالاة في المهور، لأنَّ تلك المهور المرتفعة تثقل كاهل الزوج في بداية زواجه، وتجعله يحسّ أنَّ زواجه أشبه بصفقة تجاريّة منه بشراكة حياة حقيقيّة قائمة على المحبّة والتفاهم، وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى هذه الحقيقة حين خطب الناس ذات مرة فقال: «**ألا لا تُغالوا صداق النساء، فإنَّ الرجل يغالي صداق المرأة حتى يكون ذلك لها في قلبه عداوة**»(٢).

---

(١) بحار الأنوار ٤١: ٢٧٣ / ح ٢٩.

(٢) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢: ٣٥٠.

وكان أمير المؤمنين وزوجته الزهراء عليهما السلام الرائدين في تخفيف المهر وفقاً لوسع الرجل وإمكانه المالي، فقد أصدق أمير المؤمنين فاطمة عليهما السلام درعه الحطميّة، فباعها بأربعمائة وثمانين درهماً دفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

روي عن الصادق عليه السّلام، قال: «**كان فراش علي وفاطمة عليها السّلام حين دخلت عليه إهاب كبش، إذا أرادا أن يناما عليه قلباه فناما على صوفه. قال: وكانت وسادتها أدماً حشوها ليف. قال: وكان صداقها درعاً من حديد**»[١].

الاستعداد للموت

أحرى بمن زهد في حطام الدنيا أن يستعد للدار الآخرة الباقية؛ وقد أوصى أهل البيت عليهم السلام أتباعهم أن يعملوا للدنيا كأنَّهم يعيشون فيها أبداً، وأن يعملوا للآخرة كأنّهم يموتون غداً. وإنَّ عدم نسيان الآخرة يجعل المسلم يسعى لها سعيها، ويجنّبه الانغمار في الذنوب والمعاصي. ومن الاستعداد للموت أن يوصي المرء بوصيّة يعمل بها أولى الناس به. وقد تواترت الروايات في الزهراء عليها السلام أوصت زوجها أمير المؤمنين عليه السلام بعدة وصايا، أشهرها أن يدفنها ليلاً ولا يؤذن بموتها الذين ظلموها وغصبوا حقّها.

أخرج المجلسي أنَّه جاء في وصية فاطمة عليها السّلام في رقعة عند رأسها بعد موتها: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ الجنة حق والنار حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور. يا علي، أنا فاطمة بنت**

---

(١) بحار الأنوار ٤٣ العلامة المجلسي ٧٩: ١٠٤ / ح ١٤، عن قرب الإسناد.

محمد، زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة. أنت أولى بي من غيري، حنّطني وغسّلني وكفّني بالليل وصلّ عليّ وادفنّي بالليل ولا تعلم أحداً؛ وأستودعك الله وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة»[١].

وأخرج المجلسي عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه (عليهم السلام)قال: «**إنّ فاطمة عليها السلام لما احتضرت أوصت علياً عليه السلام ثمّ قالت: إذا أنا متّ فتولّ أنت غسلي وجهّزني وصلّ عليّ وأنزلني قبري، وألحدني وسوّ التراب عليّ واجلس عند رأسي قبالة وجهي فأكثر من تلاوة القرآن والدّعاء فإنّها ساعة يحتاج الميّت فيها إلى أُنس الأحياء وأنا أستودعك الله تعالى وأُوصيك في ولدى خيراً، ثمّ ضمّت إليها أُمّ كلثوم فقالت له: إذا بلغتْ فلها ما في المنزل ثمّ الله لها، فلمّا توفّيت فعل ذلك أمير المؤمنين»**[٢].

أقول: أوردنا في الفصل الرابع والخامس والسادس روايات كثيرة في زهد الزهراء وقناعتها، وأنّها كانت تغزل الصوف لتنسج ملابس زوجها، أو تغزل الصوف لتشتري الشعير فتطحنه وتخبزه طعاماً لها ولزوجها وأطفالها، وأنّها شكت إلى أبيها يوماً وطلبت منه أن يعطيها خادماً تعينها، فخيّرها أن يعطيها خادماً أو يعلّمها التسبيح (الذي عُرف باسمها لاحقاً) فاختارت التسبيح! كما أوردنا في الفصل السابق أمثلة على إيثار الزهراء عليها السلام وعدم تعلّقها بحطام الدنيا.

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٤ / ح ٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧.

الدروس المستخلصة

لم تختر البتول الطاهرة حياة الفقر والزهد مُرغمة، ولم يعجز أمير المؤمنين عن أن يوفّر لزوجته ولنفسه حياة أفضل وأمكانات أفضل، فقد كان أبوها صلى الله عليه وآله يقول بأنَّ الدنيا ليست من محمد ولا من آل محمد، وكان زوجها يخاطب الدنيا «**غرّي غيري!**»، وكانت الزهراءُ الزاهدة بضعةَ أبيها في سيرته ومنهاجه كما كانت بضعة منه في الانتماء والنسب؛ وكانت عليها السلام كفواً حقيقياً لأمير المؤمنين الزاهد الذي لم تكن الدنيا تعني له شيئاً ذا بال وقيمة، اللهمّ إلاّ أن يُقيم حقاً أو يدحضَ باطلاً.

لم تهدف بضعة رسول الله إلى اكتناز المال، ولم تسعَ أمُّ أبيها إلى اقتناص الشهرة والجاه، فقد استغنت بغناها الروحي ونهج حياتها المستلهم من تعاليم الإسلام، حيث كانت تتخذ البساطة سلّماً للوصول إلى الاستغناء المطلق، ولذلك لم يختلف شكل حياتها حين شرعت حياتها بأبسط الإمكانات، وحين امتلكت الإمكانات والعائدات الضخمة من فدك، وحين صودرت فدك منها وحُرمت من سهم ذوي القربى.

تعلّمت الزهراء عليها السلام في المدرسة النبوية أنَّ الغنى – كلّ الغنى – في الاستغناء؛ وأنَّ الفقر – كلّ الفقر– في الحاجة والافتقار! ولم يكن في حياتها استثناء لهذا الإيمان الراسخ، ولقد وجدناها – من ثمّ – تلبس ثوباً قديماً ليلة زفافها إلى زوجها وتعطي ثوبها الجديد لفقيرة من فقراء المسلمين، مجسّدة أجلى مصاديق العمل بقوله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.


إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ

الفصل الحادي عشر

الزهراء عليها السلام المثال الكامل للعفاف والحياء

أفضلُ العبادة العَفافُ

قال الطريحي: العفاف – بفتح العين – والتعفّف: كفّ النفس عن المحرّمات وعن سؤال الناس. والاستعفاف: الصبر والنزاهة عن القبائح؛ يقال: عَفّ عن الشيء يعِفّ عِفّة فهو عَفيف. والعفّة من الصفات النفسانية، بل هي ملكة من الملَكات، والمراد بها ملكة التعفّف عن القبائح. وفي الحديث الشريف «**أفضلُ العبادة العَفافُ**»(١). وقد روي أنَّ رجلاً قال لأبي جعفر الباقر عليه السّلام: إنِّي ضعيف العمل، قليل الصيام، ولكني أرجو أن لا آكل إلا حلالاً، قال، فقال له: «**أيّ الاجتهاد أفضل من عفّة بطنٍ وفَرْج**»(٢)!

لقد ضربت الزهراء عليها السلام أروع الأمثلة في العفّة والحياء، وبلغ من شدّة احترازها ومحافظتها على الحجاب أنَّها كانت تحتجب حتى عن الأعمى، لأنَّه – كما قالت سلام الله عليها – يشمّ الريح؛ كما أنَّها فسّرت فعلها بأنَّها لا تريد أن تراه! المعادلة الصحيحة في الحجاب – كما رسمتها الزهراء الطاهرة عليها السلام – أن لا ترى المرأةُ الرجال، ولا يراها الرجال؛ وليست مجرّد أن تستر المرأة نفسها عن الرجال، ثم تنظر إليهم كما يحلو لها النظر!! الحجاب – كما تبيّن سيّدة نساء العالمين عليه السلام – هو حجاب معنوي قبل أن يكون حجاباً مادياً يفصل بين المرأة والرجل. والحجاب المعنوي يحجب المرأة عن أن تتبسّط مع الرجال، ويحجبها عن أنظارهم وأسماعهم، بل يحجب عطرها ورائحتها عن الرجال!! وإذا ألجأت الضرورةُ المرأةَ إلى الخروج، فعليها المحافظة على ذلك الحجاب المعنوي كما تحافظ على الحجاب الماديّ.

هل حدّثنا التاريخ عن امرأة احتاطت للحجاب بعد موتها؟! نعم، لقد فعلت الزهراء

---

(١) مجمع البحرين للطريحي ٥: ١٠٢، مادة (عفف).

(٢) الوافي، للفيض الكاشاني ٤: ٣٣١/ح٢٠٤٤.

البتول عليها السلام ذلك، وشكت إلى أسماء أنَّها تستقبح ما يُصنع بالنساء في ذلك الوقت، فقد كانوا يطرحون على المرأة الثوب، فيصفها؛ فأخبرتها أسماء أنَّها رأت بأرض الحبشة أنَّهم يأتون بجرائد رطبة ويحنوها، ثمّ يضعون المرأة عليها ويطرحون عليها ثوباً؛ فلا يُعلم وصف بدنها! فاستحسنت الزهراء عليها السلام ذلك، وأوصت أسماء - إن هي ماتت- أن تغسلها مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وأوصتها أن لا يدخل عَلَيها أحد!

ما هو ردّ السماء على سيرة الزهراء العفيفة الطاهرة سلام الله عليها؟! هل نستغرب أن يخبرنا الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله أنَّ الله تبارك وتعالى وعد أمَته العفيفة الحيية أن يكسوها يوم القيامة حلّتين من نور، وأنَّها عليها السلام ستزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس يحيط بها سبعون ألف جارية؟! هل نعجب إذا أخبرنا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنَّ النداء يأتي يوم القيامة (يا أهل الجمع غضّوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمّد)؟! لقد حجبت الزهراء عليها السلام نفسها عن أبصاركم في الدنيا، وعليكم اليوم أن تغضّوا أبصاركم لتمرّ الطاهرة المطهّرة إلى جنانها وسط جواريها، فتمر عليها السلام كالبرق اللامع!!

المعادلة صادقة: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.(١)

لقد أرادت الزهراءُ عليها السلام الآخرةَ وسعت لها سعيها، فشكر الله تعالى سعيها؛ ولم تكتفِ سلام الله عليها بكونها ابنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ولم يقنعها أنَّها سيدة نساء العالمين، وأنَّها زوجة خاتم الأوصياء أمير المؤمنين، وأنَّها أُمُّ الحسنين سيدي شباب

(١) سورة الإسراء: آية ١٨و١٩.

أهل الجنة، وأنَّ الأئمة الأطهار من نسلها؛ بل ضربت في سيرتها وحجابها المثل الأعلى، فجعلت أباها يضمّها إليه تارة ويقول ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾(١)، ويعجب تارة ويقول «**أشهدُ أنّك بضعة منّي**»!!

فإلى أين يريد دعاة الحريّة بشعاراتهم الجوفاء أن يسوقوا بنات الزهراء ومحبّاتها؟! وإلى أي جحيم يحاولون السير بهنّ من خلال هذه الحريّة المزعومة التي لم يُشاهد منها إلا العري الفاضح والأزياء العجيبة المتهتكة؟! لقد شاهدنا جميعاً الدركات المنحطة التي تردّت فيها بعض بنات حوّاء جرّاء انسياقهنّ الأعمى خلف الشعارات الفضفاضة في تحرير المرأة؛ وأي تحرير؟! أتتحرر المرأة حين يشرّع قانون إباحة إسقاط الجنين؟ أتتحرر حين يسمح باختلاط الجنسين في الملاعب والمسابح؟ أيليق بالمرأة أن تساوى بالرجل في الوظائف دون تمييز لطبيعة تكوينها النفسي والجسدي؟ هل يليق بطبيعة المرأة وكرامتها أن تعيّن عاملة تعبئة في محطات تعبئة الوقود؟ هل يناسبها أن تعمل في المطاعم والكازينوهات لتقديم الطعام والشراب للزبائن؟

لقد شرّع الإسلام أمر الحجاب للمرأة، ليس تحقيراً لها ولا حطّاً من شأنها ولا تقييداً لحركتها، بل فرضه من أجل أمر مهم، وهو منع جانب الأُنوثة فيها من البروز بصورة تغطّي على ملكات المرأة وقابليّاتها، فيؤدّي ذلك إلى تطفيف قيمتها وتقليل دورها الفاعل وجعلها مجرّد (أُنثى) يُتعامل معها على أساس ملاك (الجسد) وليس (الروح) و(الشخصيّة) و(القابليّات)! يدعم هذا الرأي ما ورد في القرآن الكريم من نهي النساء عن أن ﴿تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ أو أن ﴿يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾(٢)

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٤.

(٢) سورة النور: الآية ٣١.

أو أن يتبرّجن ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[١]. كلّ ذلك من أجل أن لا يبرز جانب الفتنة الأنثويّة فيطمع فيهنّ مَن كان في قلبه مرض، فيتعامل معهنّ على أساس (الطمع) فيهنّ، وليس تعامل الندّ الكريم للندّ الكريم.

إنَّ المرأة المسلمة التي تستلهم سيرة الزهراء عليها السلام تضع نصب أعينها على الدوام أنّها ستكون أقرب إلى الزهراء عليها السلام حين تقتدي بسيرتها العطرة في العفاف والحجاب والتقوى؛ وأنّها ستكون بعيدة كلّ البُعد عن الزهراء عليها السلام إن هي تركت الحياء وهتكت أستار العفّة وبرزت من خدرها متعرّضة لأنظار الرجال الأجانب، ملبّية نداء الشهوات والغرائز الشيطانية. وإنَّ محبّات الزهراء عليها السلام يعلمن يقيناً أنَّ قدوتهنّ الطاهرة لم تخرج من دارها إلّا حين فرض عليها الإسلام أن تخرج لتدافع عن إمامها أمير المؤمنين عليه السلام وتفضح خطة أعداء الإسلام بخطبها واحتجاجاتها. أما سوى ذلك فقد كانت الزهراء عليها السلام سعيدة بأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام ضمن لها ما وراء باب الدار وكفاها تحمّل رقاب الرجال.

خير نسائكم العفيفة

العفّة والصون هو ستر العيوب وحسن الظاهر، وتعني الكفّ عما لا يحلّ ولا يُحمَد. وتحصل العفّة للمرء إذا تمكّن من قهر القوة الشهويّة لديه. ومن أحد أهمّ مظاهر العفّة لدى النساء الحجاب. وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**أفضل العبادة عفة البطن والفرج**»[٢].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد: ص٢٢٨.

روى الكليني بإسناده عن يحيى بن أبي العلاء، والفضل بن عبد الملك، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خير نسائكم العفيفة**»(١).

وأخرج المتقي الهندي عن علي عليه السلام (في حديث) قال: «**الحياء حسن، ولكن في النساء أحسن**»(٢).

خير للنساء أن لا يرين الرّجال ولا يراهنّ الرّجال

الحجاب الذي فرضه الله تعالى على المرأة له صور عديدة، أيسرُها أن تحتجب المرأة عن الرجل بملابس خاصة وصفتها الشريعة، بحيث لا يبدو له منها مما يثير فيه الشهوة، لكنّ الزهراء عليها السلام ترسم في هذا الحديث صورة للحجاب تنتفي فيها الأسباب التي قد تؤدي إلى الفتنة بين الرجل الأجنبي والمرأة الأجنبية، إذ إِنَّ الصورة المثلى للحجاب - في نظر الزهراء عليها السلام - أن تحتجب المرأة عن الرجال بشخصها، فلا تراهم ولا يرونها.

أخرج المجلسي في بحار الأنوار أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: «**أيّ شيء خير للمرأة**»؟

قالت: «**أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل**»، فضمّها إليه، وقال: «**ذريّة بعضها من بعض**»(٣).

أقول: قد يقرأ البعض هذا الحديث، فيعجز عن التوفيق بينه وبين خروج الزهراء

(١) الكافي للكليني ٥: ٣٢٤/ ح٣.

(٢) كنز العمال ١٥: ٨٩٦/ ح٤٣٥٤٢.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٨٤.

عليها السلام من بيتها وخطبتها في محضر الخليفة الأول، لكن استحضاراً للظروف التي اكتنفت خروج الزهراء عليها السلام والكيفية التي خرجت بها سيزيل هذا الالتباس. لم تخرج الصدّيقة عليها السلام من بيتها إلاّ لضرورة كبيرة حتّمت عليها الخروج، فإنّ غصب الخلافة وإبعاد أمير المؤمنين عليه السلام عن قيادة الأمَّة سيعود على الأمَّة بأسرها بأضرار بالغة لا يمكن تلافيها. كما أَنَّ الطريقة التي خرجت بها الزهراء الطاهرة عليها السلام توضّح أنَّها راعت أمر الحجاب إلى أبعد حدوده الممكنة يومذاك، فقد خرجت في لّمة من نسائها اللاتي يُحطن بها، فلمّا دخلن المسجد أُنيطت بينها وبين الرجال ملاءة تحدّثت الزهراء الطاهرة من خلفها. وتحدّثنا كتب التواريخ والسير أنَّ خطبتها أحدثت تأثيراً عميقاً في نفوس الناس، وخاصة في صفوف الأنصار، لكنّ أُسلوب التهديد السافر الذي لجأت إليه السلطة يومذاك حجّم من تحرّك هؤلاء الأنصار الذين هتفوا باسم أمير المؤمنين عليه السلام في محاولة استدراك ما فاتهم وإصلاح ما فرط منهم في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام.

الزهراء عليها السلام تأذن لأبيها وصاحبه في الدخول بعد احتجابها بصورة كاملة

احتجبت الزهراء العفيفة قبل أن يدخل عليها أبوها مع أحد أصحابه لعيادتها، وأذنت لهما بالدخول بعد أن ارتدت عباءتها وغطّت رأسها بخمار، ولم تشأ أن يدخلا عليها – مع مرضها – قبل أن تحتجب الحجاب الكامل الذي يليق بها.

روى الكليني عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه فلما انتهيت

إلى الباب وضع يده عليه فدفعه ثم قال: «**السلام عليكم**»، فقالت فاطمة: «**عليك السلام يا رسول الله**».

قال: «**أدخل**»؟ قالت: «**ادخل يا رسول الله**». قال: «**أدخل أنا ومن معي**»؟ فقالت: «**يا رسول الله ليس علي قناع**».

فقال: «**يا فاطمة! خذي فضل ملحفتك فقنّعي به رأسك**»؛ ففعلتْ، ثم قال: «**السلام عليكم**»، فقالت فاطمة: «**وعليك السلام يا رسول الله**».

قال: «**أدخل**»؟ قالت: «**نعم يا رسول الله**»، قال: «**أنا ومن معي**»؟ قالت: «**ومن معك**». قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله ودخلت وإذا وجه فاطمة عليها السلام أصفر كأنَّه بطن جرادة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مالي أرى وجهك أصفر**»؟ قالت: «**يا رسول الله الجوع**»، قال صلى الله عليه وآله: «**اللهمّ مشبع الجوعة ودافع الضيعة، أشبع فاطمة بنت محمد**».

قال جابر: فوالله لنظرت إلى الدم ينحدر من قصاصها حتى عاد وجهها أحمر، فما جاعت بعد ذلك اليوم[1].

ونلاحظ في الحديث الشريف آداب الاسئذان في الدخول، حيث يكرّر النبي صلى الله عليه وآله السؤال بعد أن أذنت له ابنته «**أدخل أنا ومن معي؟**» وهذا الاستئذان يجسّد في حقيقته تذكيراً للبعض الذين يُدخلون على نسائهم وبناتهم الرجال الأجانب أن يراعوا أمر الحجاب والعفاف. وإنَّ من البديهيّ أنَّ قلّة غيرة الرجال على نسائهم وبناتهم كثيراً ما تستتبع قلّة عفافهنّ جرّاء الاختلاط والتبسّط ورفع الكلفة والحشمة مع الرجال الأجانب.

(١) الكافي ٥: ٥٢٨ - ٥٢٩.

الزهراء عليها السلام تحتجب عن الأعمى

تكشف الزهراء عليها السلام عن بُعد من أبعاد الحجاب قد يخفى على بعض النساء، فقد يتصوّر البعض منهنّ أنَّ كلّ ما عليها هو أن تحتجب عن الرجال الأجانب كي لا يرونها، بيدَ أنَّ البعد الآخر هو أن تحتجب المرأة لكي لا ترى الرجال، وأن تحتجب كي لا يشمّ رجل أجنبيّ رائحتها؛ فالحجاب يتّسع من بُعده الماديّ ليأخذ بُعداً معنوياً أيضاً، فهو ليس فقط (حاجباً ماديّاً) يفصل بين الرجل الأجنبي وبين المرأة الأجنبية، بل هو أيضاً رغبة نفسية في (صيانة) المرأة حريمها من أن يتعرّض للخدش من قبل أعين الرجال الأجانب، كما أنَّه رغبة نفسية للمرأة نفسها في الاحتراز عن النظر إلى الرجال الأجانب. وكما أنَّ الحجاب يحجب أنظار الرجل من أن تصل إلى المرأة التي لا يحلّ له النظر إليها، فهو أيضاً حجاب أمام أنظار المرأة من أن تصل إلى الرجل الأجنبي الذي لا يحلّ لها النظر إليه. ألم يقُل نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله «**يا علي لك أوّل نظرة، والثانية عليك ولا لك**».(١)

وروى الصدوق عن هشام بن سالم، عن عقبة قال: قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «**النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، مَن تركها لله عز وجل لا لغيره أعقبه الله إيماناً يجد طعمه**».(٢)

وروى عن ابن أبي عمير، عن الكاهلي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة**».(٣)

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٤: ١٩ / ح٤٩٧١. ومن الواضح أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يخاطب الأمّة من خلال وصيّه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ذكرنا أنَّه من باب (إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة).

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ١٨ / ح٤٩٦٩.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ١٨ / ح٤٩٧٠.

وروى عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عز وجل حكايةً عن ابنة شُعيب: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[١] قال: قال لها شعيب عليه السلام: «**يا بنية هذا قويّ قد عرفتِه برفع الصخرة، الأمين من أين عرفتِه**»؟

قالت: يا أبة إنّي مشيت قدّامه، فقال: «**امشي من خلفي، فإن ضللتُ فأرشديني إلى الطريق، فإنّا قوم لا ننظر في أدبار النساء**».[٢]

روى الحافظ ابن المغازلي بإسناده عن علي بن أبي طالب، أنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: «**لم حجبتيه وهو لا يراك**»؟ فقالت: «**يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح**». فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**أشهد أنّك بضعة منّي**»[٣].

الزهراء عليها السلام تضمن لزوجها عمل البيت، ويضمن لها عمل خارج البيت

مسؤولية الحياة الزوجية مسؤولية مشتركة يتقاسمها الزوجان بينهما بما ينسجم مع طبيعة كلٍّ منهما ويوفّر لهما الأجواء المناسبة لرعاية الحدود التي رسمتها الشريعة المقدسة، ولقد قضى النبي على ابنته بأن تتكفّل بالأعمال البيتية داخل البيت من إعداد الطعام وتدبير أُمور البيت وتربية الأطفال، بينما قضى على صهره أمير المؤمنين أن يتكفل بالأعمال خارج البيت، فأدخل هذا التقسيم على قلب الزهراء سروراً لا يعلمه إلّا الله تعالى، حيث أعفاها من تحمّل رقاب الرجال ومسايرتهم في الأسواق وسوى ذلك من الأُمور التي لا

(١) سورة القصص: الآية ٢٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ١٩ / ح٤٩٧٤.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب، لابن المغازلي: ص٣٨١ / ح٤٢٨.

تنسجم مع طبيعة المرأة المسلمة وما أُمرت به من رعاية حدود الحجاب.

ومن المؤسف أن نجد أنَّ هذه الحدود والتقسيمات قد تناساها وتغافل عنها الكثيرون، فصارت المرأة تزاول أعمال الرجال الخشنة، وتتزاحم مع الرجال في الأسواق، وذلك يتطلّب منها أن تخرج من حدود طبيعتها الأُنثوية الرقيقة وتتلبّس بطبيعة خشنة غريبة عنها، ويكلّفها التعامل مع رجال غرباء أعفتها الشريعةُ من التعامل معهم، قد لا ينظر إليها بعضهم إلَّا بوصفها (أُنثى) وليس بوصفها (إنسانة).

عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال «**إنَّ فاطمة عليها السّلام ضمنت لعلي عليه السّلام عمل البيت؛ العجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها علي عليه السّلام ما كان خلف الباب؛ نقل الحطب وأن يجيء بالطعام. فقال لها يوماً: يا فاطمة، هل عندك شيء**»؟ قالت: «**والذي عظّم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به. قال: أفلا أخبرتني**»؟ قالت: «**كان رسول الله صلّى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً**». فقال: «**لا تسألين ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء عفو وإلا فلا تسأليه**»- الحديث[١].

أخرج المجلسي عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السّلام، قال: «**تقاضى**[٢] **علي وفاطمة عليهما السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله في الخدمة. فقضى على فاطمة عليها السّلام بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي عليه السّلام بما خلفه. قال: فقالت فاطمة عليها السّلام: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله، بإكفائي رسول الله صلّى الله عليه وآله تحمّل رقاب الرجال**»[٣].

(١) تفسير العياشي ١: ١٧١ / ح ٤١.

(٢) أي استفهماه وسألاه.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٨١ / ح ١.

الزهراء عليها السلام تسأل أباها عن سرّ عذاب نساء شاهدهنّ في إسرائه

في الحديث التالي نلحظ عقاباً أُخروياً للنساء اللاتي يخالفن أزواجهنّ ويؤذينهم ويخرجن من بيوتهنّ بغير إذن أزواجهنّ، واللاتي يتهتّكن ولا يلتزمن بالحجاب واللاتي يتزيّنّ للرجال الأجانب، واللاتي تنجرّ بهن أقدامهنّ إلى الزنا، واللاتي يتهادين فيلدن من الزنا ويعلّقنه في أعناق أزواجهنّ. ونرى نبينا الكريم يبكي بكاءً شديداً مما شاهده من شدّة عذاب أولئك النسوة اللاتي رآهنّ ليلة إسرائه إلى السماء، بحيث سألته بضعته الزهراء عليها السلام أن يخبرها عن الأعمال التي اقترفتها تلك النسوة فاستوجبن تلك العقوبات الشديدة. ولعل الحديث الشريف حين تدرّج في ذكر مخالفات أولئك النسوة، إنّما كان يُلفت أنظارنا إلى حقيقة أنّ الانحراف عن الشريعة يبدأ بدرجة بسيطة، لكنّه قد يصل إلى درجات كبيرة ما لم يتدارك الإنسان نفسه بالتوبة ويعود إلى جادّة الشريعة. قد يستسهل بعضُ النساء أمر الخروج من البيت من دون إذن أزواجهنّ، وقد يستصغر بعضهن أمرَ تغطية شعر الرأس من الرجال، أو يستصغرن أمر إيذاء الزوج في بيت الزوجية، لكنّ تلك المخالفات قد تنجرّ إلى انحرافات أكبر لا سامح الله. ونلاحظ أنَّ نبينا الكريم ختم هذا الحديث الشريف بجملة لخّصت أهمّ واجبات المرأة (وليس كلّها)، وهي قوله صلى الله عليه وآله «**ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها**».

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأمّي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقال: يا علي ليلة أُسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمّتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت امرأة معلقة بثديها، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها،**

ورأيت امرأة قد شُدّ رجلاها إلى يديها وقد سُلّط عليها الحيّات والعقارب، ورأيت امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار، يخرج دماغ رأسها من منخرها، وبدنها متقطع من الجذام والبرص، ورأيت امرأة معلّقة برجليها في تنور من نار، ورأيت امرأة تقطّع لحم جسدها من مقدّمها ومؤخرها بمقاريض من نار، ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعاءها، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن الحمار، وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب، والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار. فقالت فاطمة عليها السلام: حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب؟ فقال: يا بنتي، أما المعلّقة بشعرها فإنَّها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما المعلّقة بلسانها فإنَّها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلّقة بثديها فإنَّها كانت تمتنع من فراش زوجها، وأما المعلّقة برجليها فإنَّها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنَّها كانت تزين بدنها للناس، وأما التي شدّت يداها إلى رجليها وسُلّط عليها الحيات والعقارب فإنَّها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض، ولا تتنظف، وكانت تستهين بالصلاة، وأما العمياء الصماء الخرساء فإنَّها كانت تلد من الزنا فتعلّقه في عنق زوجها، وأمَّا التي تقرض لحمها بالمقاريض فإنَّها تعرض نفسها على الرجال، وأمَّا التي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها فإنَّها كانت قوّادة، وأمَّا التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار فإنَّها كانت نمّامة كذّابة، وأمَّا التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دُبرها وتخرج من فيها فإنَّها كانت قينة نوّاحة حاسدة. ثم قال عليه السلام: ويل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»(١).

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٨: ٣٠٩ - ٣١٠.

الحوراء الإنسية عليها السلام تحترز للحجاب بعد الموت

استقبحت الطاهرة المطهّرة ما دارت عليه العادة في ذلك الوقت، فقد كانوا يطرحون الثوب على بدن المرأة المتوفّاة ويحملونها، فيبدو للرجال صفة بدنها، وشكتّ ذلك إلى أسماء بنت عميس في أواخر حياتها الشريفة، مع أنَّها كانت تعاني آلاماً وأحزاناً تشغل سواها عن التفكير في مثل هذا الأُمور. احتاطت (البضعة الطاهرة) من أن ينظر إليها أحد بعد موتها، ولو جنازة مغطّاة! وفرحت وسرّت أيّما سرور حين أرتها أسماء شيئاً أشبه بالهودج رأته بأرض الحبشة عند هجرتها إليها، توضع المرأة المتوفاة في داخله فلا يراها أحد، فأوصتها أن تعمل لها مثله عند وفاتها.

أورد المحب الطبري عن أُمِّ أبي جعفر، أنّ فاطمة سلام الله عليها قالت لأسماء بنت عميس: «**يا أسماء! إنّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنّه يطرح على المرأة الثوب، فيصفها**». فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله! ألا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟

فدعت بجرائد رطبة فحنتها، ثمّ طرحت عليها ثوباً. فقالت فاطمة سلام الله عليها: «**ما أحسن هذا وأجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا متّ فاغسليني أنت وعليّ عليه السلام، ولا يدخل عَلَيّ أحد**» – الحديث وقد اختصرناه[1].

وعد الله تعالى فاطمة أن يكسوها يوم القيامة حلّتين من نور

لعلّه هاجس كان يعتمل في قلب الزهراء عليها السلام، أن يُحشر الناس يوم القيامة عراة، وفزعت العفيفة إلى أبيها تستفسر منه عن حقيقة الحال، فأكّد هواجسها؛ واستحيت العفيفة الطاهرة عليها السلام من خالقها أن تُحشر يوم القيامة عارية حتى لو لم يلتفت

(١) ذخائر العقبى: ص ٥٣.

إليها أحد. استحيت العفيفةُ أن تحشر كذلك حتى لو كان ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(١)؛ استحيت الطاهرة ونادت «**واسوأتاه يومئذ من الله عز وجل!**»، فما برحتْ من مجلسها حتى بشّر الروح الأمين أباها المرسل أنَّ الله تعالى استحيى من أَمَته العفيفة كما استحيت منه، ووعدها أن يحشرها كاسية يوم القيامة، وزاد في إكرامه لها بأنَّه سيكسوها حلّتين من نور بدل الحلّة الواحدة!

روي عن الزهري، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «**قال علي بن أبي طالب لفاطمة عليهما السلام: سألتِ أباك فيما سألتِ أين تلقينه يوم القيامة؟ قالت: نعم، قال لي: اطلبيني عند الحوض. قلتُ: إن لم أجدك ههنا؟ قال: تجديني إذاً مستظلاً بعرش ربي ولن يستظل به غيري. قالت فاطمة: فقلت: يا أبة أهل الدنيا يوم القيامة عُراة؟ فقال: نعم يا بنية،.... قالت فاطمة عليها السلام، فقلت له: واسوأتاه يومئذٍ من الله عز وجل! فما خرجتُ حتى قال لي: هبط علي جبرئيل الروح الأمين عليه السلام فقال لي: يا محمد! اقرأ فاطمة السلام وأعلمها أنَّها استحيت من الله تبارك وتعالى فاستحيى الله منها، فقد وعدها أن يكسوها يوم القيامة حلتين من نور. قال علي عليه السلام: فقلت لها: فهلاّ سألتيه عن ابن عمك؟ فقالت: قد فعلتُ، فقال: إنَّ علياً أكرم على الله عز وجل من أن يُعريه يوم القيامة**»(٢).

الزهراء تزفّ إلى الجنة كالعروس وحولها سبعون ألف جارية

يوم القيامة هو يوم الجزاء، يوم حصاد ثمار مكارم الأخلاق التي أتعب الإنسان نفسه في زراعة أشجارها وسقيها وتعاهدها. ومن أولى باللطف والكرامة في يوم جزاء الأعمال

---

(١) سورة عبس: الآية ٣٧.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ٥٥.

من سيّدة نساء العالمين، بضعة خاتم الأنبياء والمرسلين، الطهرة الطاهرة المطهّرة؟!

روى الشيخ الصدوق والفقيه الحافظ ابن المغازلي الواسطي الشافعي والخطيب الخوارزمي كلٌّ منهم بإسناده عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تُحشر ابنتي فاطمة وعليها حلّة الكرامة قد عجنت بماء الحيوان، فينظر إليها الخلائق فيتعجبون منها، ثم تكسى أيضاً من حلل الجنة ألف حلّة، مكتوب على كل حلّة بخط أخضر (أدخلوا بنت محمّد الجنّة على أحسن صورة وأحسن كرامة وأحسن منظر) فتزفّ كما تزفّ العروس، ويوكّل بها سبعون ألف جارية**»[1].

الدروس المستخلصة

رسمت العفيفةُ الطاهرة المطهّرة المعادلة الصحيحة في العفاف كما لم يرسمها أحدٌ قبلها: أن لا ترى المرأةُ الرجال، ولا يراها الرجال؛ وبيّنت سيّدة نساء العالمين عليها السلام أنَّ الحجاب هو حجاب معنوي قبل أن يكون حجاباً مادياً يفصل بين المرأة والرجل. وأنَّ مثل هذا الحجاب المعنوي يحجب المرأة عن أن تتبسّط مع الرجال، كما يحجبها عن أنظارهم وأسماعهم، بل يحجب عطرها أو حتى رائحتها عن الرجال!! وأنَّ المرأة العفيفة إذا ألجأتها الضرورةُ إلى الخروج، فإنّها ستجاهد في المحافظة على ذلك الحجاب المعنوي كما تحافظ على الحجاب الماديّ. لم يحطّ الإسلام من شأن المرأة حين فرض عليها الحجاب، بل سعى إلى منع جانب الأُنوثة فيها من البروز بصورة تغطّي على ملكات المرأة وقابليّاتها، ممّا يجعلها مجرّد (أُنثى) يُتعامل معها على أساس ملاك (الجسد)

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ٣٤؛ مناقب علي بن أبي طالب ص٤٠٢ / ح٤٥٧؛ مقتل الحسين١: ٥٢؛ وأخرجه المحب الطبري في ذخائر العقبى ص ٤٨ عن علي عليه السلام.

وليس (الروح) و(الشخصيّة) و(القابليّات)!

وإنَّ الزهراء عليها السلام لم تخرج من دارها إلَّا حين فرض عليها الإسلام أن تخرج لتدافع عن إمامها أمير المؤمنين عليه السلام وتفضح خطة أعداء الإسلام بخطبها واحتجاجاتها. أَمَّا سوى ذلك فقد كانت الزهراء عليها السلام سعيدة بأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام ضمن لها ما وراء باب الدار وكفاها تحمّل رقاب الرجال.

الفصل الثاني عشر

الزهراء عليها السلام وتنوّع أساليب مواجهة انحراف السلطة

بعد ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله آلت أُمورُ الخلافة إلى غير ما خطّط له النبي صلى الله عليه وآله بأمر ربّه، وارتقى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله أُناس بلا مؤهلات علميّة ولا سابقة من جهاد، في طريقة عجيبة غريبة وصفها الثاني بأَنَّها (فلتة وقى الله شرّها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه)![(١)] بل وصفها الأوّل نفسه بأَنهَّا كانت فلتة، واعتذر عنها بأَنَّه خشي الفتنة!![(٢)] ووفقاً لذلك انفتحت أمام الأُمَّة أبواب الفتن مُشرعة، وتكاثرت في أُفقها سحائب البِدع والضلالة. فماذا فعلت الزهراء عليها السلام إزاء ذلك كلّه؟

وإنَّ من الطبيعيّ أن تقف الزهراء عليها السلام في مواجهة غاصبي الخلافة باعتبارها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، ونظراً لحرصها الشديد على الدين والمسلمين، كما أَنَّ من الطبيعيّ أن تساند الزهراء عليها السلام أمير المؤمنين عليه السلام وتدعم حركته في استرداد حقّه الطبيعيّ في قيادة الأُمَّة الإسلامية باعتباره وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ونظراً للمؤهلات التي يحملها ومن أبرزها كونه معصوماً من الزلل، وكونه أعلم الأُمَّة! قال تعالى ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[(٣)]. وقد تنوّعت الأساليب التي استخدمتها الزهراء عليها السلام وفقاً للحكمة وتبعاً لمقتضيات المرحلة، ونتحدّث في هذا الفصل عن تلك الأساليب بقدر ما يتّسع له المجال:

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٤٧.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٥.

المطالبة بفدك

يقيناً أنَّ الزهراء عليها السلام لم تطالب بفدك من أجل طمع دنيويّ، فقد أثبتت طوال مسيرة حياتها المبتورة أنَّها زاهدة في متاع الدنيا، ولطالما آثرت على نفسها مع خصاصتها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام «**وما أصنعُ بفدك وغير فدك، والنفسُ مظانّها في غدٍ جَدَث؟!**» لكنّ الزهراء عليها السلام أرادت أن تثبت للناس أنَّ مَن غصب فدكاً (وغصب الخلافة قبل ذلك) ليس له فقه في دين، وأنَّه غير مؤتمن على دين الناس طالما كان غير مؤتمن على الدنيا! وقد وفّقت عليها السلام في مسعاها إلى درجة كبيرة.

المطالبة بإرثها من أبيها

أثبتت الزهراء عليها السلام من خلال مطالبتها بإرثها من أبيها جهل الخليفة بكتاب الله تعالى، حيث خاطبته على مسمع من الصحابة «**أفي كتاب الله أن ترث أباكَ ولا أرث أبي؟!**» سؤال يسير في ظاهره، لكن الخليفة المتصدّر للحكم بعنوان خليفة رسول الله لم يجد له جواباً، إلَّا زعمه بأنَّه سمع من رسول الله بأنَّ الأنبياء لا يورّثون!! أتراه لم يسمع قوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[1]، أو قوله تعالى ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[2]؟

المطالبة بسهم ذوي القربى

كان سهم ذوي القربى طعمة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكان آلُ محمد صلى الله عليه وآله لا يأكلون من الصدقات شيئاً، لأنَّها لا تحلّ لهم، فجعل الله تعالى لهم خُمس الخمس مكان الصدقة. قال تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ

---

(١) سورة النمل: الآية ١٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٦.

خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...﴾ الآية[١].

وقد طالبت الزهراء عليها السلام بسهم ذوي القربى، فتذرّع الخليفة بحديث زعم أنَّه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو قوله «**سهم ذوي القربى لهم في حياتي، وليس لهم بعد موتي**». وكأَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أبا بكر بهذا الحديث ولم يخبر به ابنته، مع أنَّ الأمر يخصّها دون أبي بكر، لأنَّها من ذوي القربى!

الزهراء عليها السلام تدور على بيوت الأنصار لاستنصارهم

حمل أمير المؤمنين عليه السلام الزهراء عليها السلام على حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له، فقابلها الأنصار بأعذار واهية، وقالوا بأنَّ علياً لو كان سبق إليهم أبا بكر لبايعوه ولم يعدلوا به أبا بكر. وهو عذر واهٍ لا محلّ له، لأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يوم السقيفة مشغولاً بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله.

خطبتها عليها السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله

لما شاهدت الزهراء عليها السلام أنَّ مطالباتها لم تلق أُذناً صاغية من الخليفة (كما هو المتوقّع)، تحرّكت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، وتوجهت إلى مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان أبو بكر في حشد من المهاجرين والأنصار، فأُنيطت دونها ملاءة، ثم خطبت خطبتها المشهورة في الاحتجاج على أبي بكر ورجاله من المهاجرين، وذكّرتهم بحقّ أبيها عليهم في وجوب حفظ أهل بيته بعده، وذكّرتهم بمقامات أمير

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

المؤمنين عليه السلام في الجهاد والذبّ عن الإسلام يوم كان هؤلاء في بلهنيّة من العيش فاكهين آمنين، ثم عدلت إلى مجلس الأنصار فخاطبتهم موبّخة خذلانهم وتواكلهم عن نصرتها ونصرة أمير المؤمنين عليه السلام، وعاتبتهم على تنكّرهم لوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله في أخيه علي عليه السلام، وعلى نكوصهم عن نصرة الحقّ بعد سوابقهم المشرقة في الجهاد والإيثار.

كلامها عليها السلام مع نساء الأنصار

عكفت الزهراء عليها السلام في بيتها مهمومة عليلة، فدخلت عليها نساء الأنصار لعيادتها، فألقت عليهن خطبة بثّت فيها شكواها من رجالهنّ، وضمّنتها إنذاراً بالعذاب الإلهيّ الذي ينتظرهم بما قدّمت أيديهم جرّاء زحزحتهم الخلافة عن رواسي الرسالة، موبّخة إيّاهم بأنّهم حين استبدلوا علياً عليه السلام بأبي بكر فقد استبدلوا الذّنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل. ثم أنهت الزهراء عليها السلام كلامها بأنّهم سيرون غبّ عملهم وشيكاً، وأنّهم سيحصدون الثمار الفجّة لما زرعوا!

تصدّيها لهجوم الأعداء على الدار

هاجم أعداء الزهراء عليها السلام دارها من أجل إخراج أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه ليبايعوا قسراً، وقد تصدّت الزهراء عليها السلام للمهاجمين بنفسها ونالها من ذلك ضرر عظيم، فلماذا تصدّت الزهراء عليها السلام للمهاجمين بنفسها مع أنَّ علياً عليه السلام كان في الدار؟ لقد ألقت الزهراء عليها السلام بثقلها المعنوي والرمزي باعتبارها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، يضاف إلى ذلك أنّها عليها السلام لم تكن مطالبة بالبيعة للخليفة كما هو حال أمير المؤمنين عليه السلام. ويظهر

من النصوص التاريخية أنَّ السلطة كانت تتحاشى المساس بالزهراء عليها السلام خوفاً من نقمة الناس، ولذلك ورد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع الخليفة في حياة فاطمة عليها السلام، فلمّا ارتحلت الزهراء عليها السلام وأنكر علي عليه السلام وجوه الناس، لجأ للبيعة مضطراً.

وقد نقل أنَّ الزهراء عليها السلام لما شاهدت ما صنع مهاجمو بيتها، قامت على باب الحجرة وقالت: «**يا أبا بكر! ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله!**»

ونلاحظ أنَّ الزهراء عليها السلام خاطبت أبا بكر مع أنَّه لم يكن مع المهاجمين، علماً منها أنَّهم هجموا بأمره، وسعياً منها في تأليب الرأي العام ضدّه، باعتبار أنَّه تناسى وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته، فلم يرعَ لهم حُرمة!

بكاؤها المتّصل على أبيها

لقد بكت الزهراء عليها السلام على أبيها بكاءً متواصلاً، ورثت أباها المرسل بكلمات تفيض لوعة وحرقة، وكان يزيد في بكائها وحزنها إحساسها العميق بعمق الفاجعة التي ألمت بالأمَّة الإسلاميّة بفقدان خاتم الرسل وأشرفهم صلى الله عليه وآله من جهة، وبإبعاد أخيه ووصيّه المرتضى عن قيادة الأمَّة من بعده. وحتى استفزّ بكاؤها البعض، فشكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وخيّروا الزهراء أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فأخرجها أمير المؤمنين عليه السلام خارج المدينة وبنى لها بيت الأحزان، لتندب أباها فيه. وكانت الزهراء عليها السلام تزور قبر عمّها حمزة سيّد الشهداء عليه السلام فتبكي عنده، إحساساً منها بخلوّ مكانه في مساندة أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الفترة العصيبة.

لقد كان بكاء الزهراء عليها السلام في أحد وجوهه اعتراضاً حزيناً في وجه السلطة الحاكمة، ولفتاً لأنظار الناس إلى الخسارة الفادحة التي ألّمت بهم.

مواجهتها مع الرجلين لما قدما لعيادتها

أورد المجلسي قصة الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام، (إلى أن يصل إلى قوله): إلى أن ثقلت، فسألا (يقصد الأول والثاني) عنها [علياً عليه السلام] وقالا: قد كان بيننا وبينها ما قد علمتَ، فإن رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا، قال [علي عليه السلام]: «**ذلك إليكما**». فقاما فجلسا بالباب ودخل علي عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال لها: «**أيتها الحرّة! فلان وفلان بالباب يريدان أن يسلّما عليك، فما ترين**»؟ قالت: «**البيت بيتك، والحرة زوجتك، افعل ما تشاء**»، فقال: «**سدّي قناعك!**» فسدت قناعها، وحوّلت وجهها إلى الحائط؛ فدخلا وسلما، وقالا: ارضي عنا رضي الله عنك، فقالت: «**ما دعاكما إلى هذا**»؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة، ورجونا أن تعفي عنا [وتخرجي سخيمتك] فقالت: «**إن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه، فإنّي لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنّكما تعلمانه، فإن صدقتما علمتُ أنّكما صادقان في مجيئكما**»، قالا: سَلي عما بدا لك، قالت: «**نشدتكما بالله، هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني**»؟ قالا: نعم، فرفعت يدها إلى السماء فقالت: «**اللهمّ إنّهما قد آذياني فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأُخبره بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما**».

قال: فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور، وجزع جزعاً شديداً، فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة؟ - الحديث[1].

---

(١) بحار الأنوار ٢٨: ٣٠٣؛ و٤٣: ١٩٩ - ٢٠٠.

منعها عائشة من الدخول عليها

لما حان وقت وفاة الزهراء عليها السلام أوصت أسماء بنت عميس أن لا تدخل عليها عائشة بنت أبي بكر، وقد حضرت عائشة بالفعل وأرادت الدخول عليها فمنعتها أسماء، فشكت عائشة لأبيها من أسماء، فسألها أبو بكر عن سبب منعها (أزواج النبي) من الدخول على الزهراء عليها السلام، فأخبرته أنَّها تصرّفت حسب وصيّة فاطمة عليها السلام. ومن الواضح أنَّ عائشة محسوبة على أبيها الخليفة الذي نقمت عليه الزهراء عليها السلام لمواقفه العدائية ولغصبه الخلافة، ولذلك حجبتها الزهراء عليها السلام ولم تسمح لها بالدخول عليها حتى بعد موتها!

وصيّتها أن لا يحضر تشييعها ودفنها أحد من ظالميها

أوصت الزهراءُ عليها السلام لما قربت وفاتُها زوجَها أمير المؤمنين عليه السلام بجملة وصايا، وكان من بينها أنَّها أوصته أن لا يحضر جنازتها وتشييعها أحدٌ ممّن ظلمها حقّها.[1]

وهذه الوصيّة تظهر بوضوح أنَّ الزهراء عليها السلام لم تنكص عن مواجهة انحراف نظام الحكم إلى آخر لحظة في حياتها الشريفة، بل إنَّها خطّطت أن يكون حرمان أزلام الحكم من الاشتراك في تشييع جنازتها والصلاة عليها بمثابة سلب لغطاء الشرعية عنهم. وسنتحدث عن هذا الموضوع والذي يليه في الفصل الثالث والعشرين.

(١) انظر: بحار الأنوار ٨: ٢٣١ (الطبعة الحجرية) عن إرشاد القلوب.

وصيّتها بدفنها ليلاً

روي عن الإمام الصادق «**أنَّ الزهراء عليها السلام أوصت زوجها أمير المؤمنين عليه السلام أن لا يدفنها إلَّا لَيلاً وأن لا يُعلم أحداً بقَبرها**».(١)

لم تكن الزهراء عليها السلام شخصيّة عادية يمكن أن تُدفن خلسة دون أن يفتقدها أحد، بل كانت البنت الوحيدة التي خلّفها رسول الله صلى الله عليه وآله في أُمَّته وأوصى برعايتها، وأعلن مراراً بما لا مزيد فوقه أنَّ من آذى ابنته فاطمة فقد آذاه صلى الله عليه وآله لأنَّها بضعة منه وروحه الذي بين جنبَيه! وبهذا اللحاظ أرادت الزهراء عليها السلام أن يكون دفنها ليلاً بمثابة صرختها الأخيرة في وجه الحاكم المستبدّ، وإعلاناً صريحاً منها لا تشوبه شائبة بأنَّها ناقمة وغاضبة على هذا الحاكم. وبإمكان أي شخص له أبسط إمكانية استدلال أن يعرف أنَّ من يكون محطّاً لغضب الزهراء عليها السلام فإنَّه سيكون محطّاً لغضب الله ونقمته ولعنته، وأن يعرف أيضاً أنَّ مثل هذا الحاكم ليس له أدنى لياقة ولا تبرير شرعي في إدارة شؤون الحكم وقيادة الأمَّة الإسلاميّة.

القبر المجهول صرخة فاطمة عليها السلام المدويّة عبر الأجيال

يتفاجأ زائر البقيع وهو يطوف بين قبور أزواج النبي صلى الله عليه وآله وقبور صحابته، أنْ ليس من قبر يحمل اسم فاطمة الزهراء ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله!!

ويستغرب أيّما استغراب حين لا يجد أحداً يهديه إلى قبرها ليزوره، ويتزايد عجبه واستغرابه حين لا يحصد من أجوبة المشرفين على البقيع إلا همهمة وجمجمة لا تكاد تبين. وتنقدح في ذهن الزائر شمسُ الحقيقة وهي تخرق حُجب التزوير والتضليل المتراكمة

(١) انظر: دلائل الإمامة للطبري: ص ٤٥.

عبر القرون الطويلة: أَنَّ قبر الزهراء عليها السلام مجهولٌ لسبب وجيه لا يريد القوم الإفصاح عنه.

لقد شاءت بضعةُ رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون قبرها مجهولاً حتى لشيعتها ومحبّيها. شاءت أن تبقى الحرقةُ في قلوب محبّيها لاهبةً لا تخمد على كرّ الأزمنة والعصور!

لقد نقلت إلينا الصدّيقة الطاهرة – عبر قبرها المجهول – صورة معبّرة عن المصائب التي صُبّت عليها فأحالت أيامها الزاهرة لياليَ مظلمة مدلهمّة! وسيبقى قبر فاطمة المجهول المعفّى بين القبور صرخة فاطمة المدويّة عبر أجيال المسلمين إلى يوم القيامة!

تدرج الزهراء عليها السلام في مستوى المواجهة

تدرجت الزهراء عليها السلام في مستوى المواجهة مع الانحراف الذي يقوده خط السقيفة، فقد ابتدأت جهادها ومواجهتها في صورتها الإيجابية، ولما شاهدت عدم تجاوب الناس معها انتقلت إلى المواجهة السلبية والمقاطعة.

المواجهة في صورها الإيجابية:

ينقل المفيد في الأمالي عن عروة بن الزبير قال: لما بايع الناس أبا بكر خرجت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فوقفت على بابها وقالت: «**ما رأيتُ كاليوم قط، حضروا أسوء محضر، تركوا نبيهم صلى الله عليه وآله جنازة بين أظهرنا واستبدّوا بالأمر دوننا**».[١]

وينقل المفيد في الأمالي عن مروان بن عثمان قال: لما بايع الناس أبا بكر دخل علي عليه السلام والزبير والمقداد بيت فاطمة عليها السلام، وأبوا أن يخرجوا، فقال

---

(١) أمالي المفيد: ص٩٥.

عمر بن الخطاب: أضرموا عليهم البيت ناراً، فخرج الزبير ومعه سيفه، فقال أبو بكر: عليكم بالكلب، فقصدوا نحوه، فزلّت قدمه وسقط إلى الأرض ووقع السيف من يده، فقال أبو بكر: اضربوا به الحجر، فضرب بسيفه الحجر حتى انكسر. وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام نحو العالية فلقيه ثابت بن قيس بن شماس، فقال: ما شأنك يا أبا الحسن؟ فقال: «**أرادوا أن يحرقوا علي بيتي وأبو بكر على المنبر يبايع له ولا يدفع عن ذلك ولا ينكره**»، فقال له ثابت: ولا تفارق كفي يدك حتى أُقتل دونك، فانطلقا جميعاً حتى عادا إلى المدينة وإذا فاطمة عليها السلام واقفة على بابها، وقد خلت دارها من أحد من القوم وهي تقول: «**لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا، وصنعتم بنا ما صنعتم ولم تروا لنا حقاً**».[١]

الزهراء عليها السلام تدور على بيوت المهاجرين والأنصار

روى المفيد في الاختصاص عن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام (في حديث) أنَّه قال: «**...وحملها علي على أتان عليه كساء له خمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين عليهما السلام معها، وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار! انصروا الله فإنِّي ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، ففُوا لرسول الله صلى الله عليه وآله ببيعتكم. قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها**» - الحديث.[٢]

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الاختصاص: ص١٨٤.

الزهراء عليها السلام تطلب النصرة من أحد الأنصار

معاذ بن جبل هو أحد كبار الأنصار، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين ابن مسعود. بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله قاضياً إلى الجند باليمن يعلّم الناس القرآن وشرائع الإسلام(١).

وقد استنصرت الزهراء عليها السلام معاذاً، وأقامت عليه الحجّة، وذكّرته أنَّه قد بايع رسول الله على أن ينصره وذريّته ويمنعه ممـا يمنع منه نفسه وذريته، لكنّ معاذاً هذا الذي يصفه علماء العامّة أنَّه كان أعلم الناس بالحلال والحرام اعتذر عن نُصرة الزهراء لقلّة الناصر!!

روى المفيد في الاختصاص عن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام (في حديث) أنَّه قال: «...**فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل إنِّي قد جئتك مستنصرة، وقد بايعتَ رسول الله صلى الله عليه وآله على أن تنصره وذريته وتمنعه مما تمنع منه نفسك وذريتك، وإنَّ أبا بكر قد غصبني على فدك وأخرج وكيلي منها. قال: فمعي غيري؟ قالت: لا ما أجابني أحد، قال: فأين أبلغ أنا من نصرتك؟ قال: فخرجت من عنده**»- الحديث.(٢)

الزهراء عليها السلام تشكو مظلوميتها إلى الله

وقف أميرُ المؤمنين عليه السلام في ساحة القتال مستعبراً من قلّة أنصاره، وقال «**أين إخوانيَ الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين**

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ٣٥٦ – ٣٥٧.

(٢) الاختصاص: ص١٨٤.

ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة. قال ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء»(١). ووقفت الزهراء مستعبرة باكية من قلّة الناصر وارتداد الأُمَّة، فأشبهتْ زوجها أمير المؤمنين عليه السلام في غُربته وفي محنته.

روى الخصيبي في الهداية الكبرى عن الإمام الصادق عليه السلام (في حديث): «**ثم قالت وهي باكية: اللهم إليك نشكو فقد نبيك ورسولك وصفيك وارتداد أُمَّته ومنعهم إيّانا حقّنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيك بلسانه**» - الحديث.(٢)

الزهراء عليها السلام تلجأ إلى أُسلوب المقاطعة والمواجهة السلبية

لجأت الزهراء عليها السلام إلى أُسلوب المقاطعة مع المهاجرين والأنصار الذين خذلوها ولم يرعوا وصيّة نبيّهم فيها، والمقاطعة مع السلطة التي أصرّت على ظلمها حقّها، والمقاطعة مع المهاجرين والأنصار الذين خذلوها ولم يرعوا وصيّة نبيّهم فيها.

أ- المقاطعة مع المهاجرين والأنصار: روى الشيخ الطوسي في الأمالي عن ابن عباس، قال: دخلت نسوة من المهاجرين والأنصار على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يعدنها في علتها، فقلن لها: السلام عليك يا بنت رسول الله، كيف أصبحتِ؟ فقالت: «**أصبحتُ والله عائفةً لدنياكنّ، قالية لرجالكن، لفظتُهم بعد إذ عجمتُهم، وسئمتُهم بعد إذ سبرتُهم، فقبحاً لأفون الرأي وخطل القول وخور القناة، و (لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون)، ولا جرم والله لقد قلّدتهم ربقتها،**

---

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة ٢: ١٠٩، الخُطب.

(٢) الهداية الكبرى: ص٤٠٧.

وشننت عليهم عارها، فجدعاً ورغماً للقوم الظالمين».(١)

ب- المقاطعة مع السلطة: روى الشيخ الصدوق في علل الشرايع الزهراء عليها السلام فقالت: «**أُنشدكما بالله هل سمعتما النبي صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها، مَن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي**»؟ قالا: اللهم نعم. قالت: «**الحمد لله؛ ثم قالت: اللهمّ إنِّي أُشهدك فاشهدوا يا من حضرني أنَّهما قد آذياني في حياتي وعند موتي، والله لا أُكلّمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي فأشكوكما بما صنعتما بي وارتكبتما مني**».(٢)

ت- منع مَن شارك في ظلمها من تشييع جنازتها والصلاة عليها: أخرج المجلسي في بحار الأنوار عن إرشاد القلوب: (في حديث):...وإنَّه لم يحضرها إلَّا أمير المؤمنين والحسن والحسين وزينب وأمُّ كلثوم وفضة جاريتها وأسماء بنت عميس، وأَنَّ أمير المؤمنين أخرجها ومعه الحسن والحسين في الليل وصلّوا عليها ولم يعلم بها أحد ولا حضر وفاتها ولا صلى عليها أحد من سائر الناس غيرهم لأنَّها عليها السلام أوصت بذلك وقالت «**لا تُصَلِّي عَليّ أُمَّة نَقَضَت عَهدَ الله وَعَهدَ أبي رَسُول الله في أميرُالمؤمنين علي عليه السلام وظلموني حقي، وأخذوا إرثي، وخرقوا صحيفتي التي كتبها لي أبي بملك فدك...**».(٣)

ث- الوصية في دفنها ليلاً وإخفاء موضع قبرها: روى الطبري في دلائل الإمامة عن

---

(١) الأمالي للطوسي: ص٣٧٥.

(٢) علل الشرايع ١: ١٨٧ / الباب ١٤٩.

(٣) بحار الأنوار ٨: ٢٣١ (الطبعة الحجرية) عن إرشاد القلوب.

الإمام الصادق أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال (في حديث): «**ثمّ أخذتْ عليّ عهداً أنَّها إِذَا تُوفّيتْ لا أُعلم أَحَدَاً إِلّا أُمَّ سَلَمة زوج رسول الله وأمَّ أَيمَن وفضَّة، وَمنَ الرجَال ابنَّيها وعبد الله بن عبّاسَ وَسَلمَانَ المحمدي وَعَمّارَ بن ياسر والمقدادَ وأباذَرَ وحذَيفَة،... وقالت:... ولا تُدفنّي إِلَّا لَيلاً ولا تعلم أحداً قَبري**».(١)

توظيف الشعر في بيان ظلم السلطة الحاكمة

للشعر مكانة خاصة في التأثير على قلوب الناس، وخاصة في الفترة التي عاشت فيها الزهراء عليها السلام، ولذلك استخدمت الشعر في بيان عمق مظلوميّتها، وتجلية مدى فداحة المصائب التي لقيتها.

ومع أنَّه لم يُعهد عن الزهراء عليها السلام قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّها نظمت شعراً، لكنّها نفثة القلب المحزون وزفرات الفاقد الواله التي انسابت على الشفاه مع الدموع المنسابة من المآقي. ندبت الزهراء أباها، وذرفت مع كلّ كلمة دمعة – بل دموعاً – وشكت إليه بقلب مصدوع عظم فجيعتها به، فقد احتجب عنها – بغياب أبيها المرسل – كلّ الخير، ولقيتْ ما لم يلقه أحد من العرب والعجم، وصُبّت عليها من المصائب ما لو صُبّ مثله على الأيام المشرقة لاستحالت ليالي مظلمة مدلهمّة. لعلّ الشعر كان في تلك المرحلة من حياة الزهراء عليها السلام أقرب في التعبير عن خلجات نفسها من النثر! ولعلّ لئالىء الدموع المتناثرة من أعين الزهراء عليها السلام انتظمت – لوحدها – في عقد شعريّ دون أن تتقصّد الزهراء قول الشعر! لقد وعدتْ (أُمُّ أبيها) أن تجعل حزنها بعد أبيها مؤنساً لها، وأن تجعل الدمع المنثال وشاحها الذي تتّشح به!

(١) دلائل الإمامة للطبري: ص ٤٥.

١- روى الشيخ المفيد عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام قالت: «**لما اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك والعوالي، وأيست من إجابته لها، عدلت إلى قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فألقت نفسها عليها وشكت إليه ما فعله القوم بها، وبكت حتى بلّت تربته عليه السلام بدموعها وندبته**»، ثم قالت في آخر ندبتها:

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة ... لو كنتَ شاهدَها لم تكثر الخطبُ

إنّا فقدناك فقْدَ الأرض وابلها ... واختلّ قومُك فاشهدهم فقد نُكبوا

قد كان جبريلُ بالآيات يؤنسنا ... فغبتَ عنّا فكلّ الخير مُحتجب

فكنتَ بدراً ونوراً يُستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزّة الكتب

تجهّمتنا رجالٌ واستُخفّ بنا ... بعد النبي وكلّ الخير مُغتصَب

سيعلم المتولّي ظُلم حامتنا ... يوم القيامة أنّى سوف ينقلب

فقد لقينا الذي لم يَلقه أحدٌ ... من البريّة لا عجم ولا عرب

فسوف سنبكيكَ ما عِشنا وما بقيتْ ... لنا العيون بتهمالٍ له سكب (١)

٢- أخرج السهيلي والنويري أنّه (لما توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله ودُفن ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ورجعت فاطمة إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها، فقالت:

اغبرّ آفاقُ السماء وكُوّرت ... شمسُ النهار وأظلم العصرانِ

فالأرض من بعد النبيّ كئيبةٌ ... أسفاً عليه كثيرة الرّجفان

---

(١) أمالي المفيد: ص٤١، المجلس الرابع. وقد عزا البعض الأبيات – أو بعضها – إلى صفية بنت عبد المطلب أو إلى صفية بنت أثاثة أو إلى هند بنت أمامة أو إلى رقية بنت صفية، لكنّ المجمع عليه هو أنَّ الزهراء عليها السلام تمثّلت بهذه الأبيات – أو ببعضها – في ندبتها لأبيها صلى الله عليه وآله. انظر للمزيد: مختصر بصائر الدرجات لحسن بن سليمان الحلي: ص١٩٢؛ الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي: ص٤٠٦؛ دلائل الإمامة لابن جرير الطبري الشيعي: ص١١٨؛ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس: ص٢٦٥؛ شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٥: ١٠٦.

فليبكه شرقُ البلاد وغربها ... ولتبكه مضرٌ وكلّ يمان

وليبكه الطّودُ المعظم جوّه ... والبيت ذو الأستار والأركان

يا خاتم الرُّسل المبارك ضوؤه ... صلّى عليك منزّلُ القرآن

نفسي فداؤك ما لرأسك مائلاً ... ما وسّدوك وسادة الوسنان[1]

٣- أخرج ابن شهر آشوب أنَّ الزهراء عليها السلام قالت:

قُل للمُغيّب تحت أطباق الثرى ... إن كنتَ تسمع صرختي وندائيا

صُبّتْ علي مصائبٌ لو أنّها ... صُبّت على الأيام صِرن لياليا

قد كنتُ ذاتَ حمىً بظلّ محمد ... لا أخشى من ضَيمٍ وكان جماليا

فاليوم أخشع للذليل وأتّقي ... ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا

فإذا بكت قمريةٌ في ليلِها ... شجناً على غصن بكيتُ صباحيا

فلأجعلنّ الحزن بعدكَ مؤنسي ... ولأجعلنّ الدمع فيك وشاحيا

ماذا على مَن شمّ تربة أحمد ... أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا[2]

٤- وأخرج ابن شهر آشوب أنَّ الزهراء عليها السلام قالت:

كنتَ السواد لمقلتي ... يبكي عليك الناظرُ

مَن شاء بعدك فليمُتْ ... فعليك كنت أُحاذر[3]

٥-وأخرج لها أيضاً عليها السلام:

---

(١) الروض الأنف للسهيلي ٤: ٢٧٥؛ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ١٨: ٤٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٨.

نعتْ نفسَك الدنيا إلينا وأسرعتْ ونادتْ: ألا جدّ الرحيل وودعت[1]

٦-وأخرج لها عليها السلام وقد ضمنت أبياتاً وتمثلت بها:

قد كنتَ لي جبلاً ألوذ بظلّه فاليوم تُسلمني لأجرد ضاحِ

قد كنت جار حميّتي ما عشت لي واليوم بعدك من يريش جناحي

وأغضّ من طرفي وأعلم أنّه قد مات خيرُ فوارسي وسلاحي

حضرتْ منيّته فأسلمني العزا وتمكّنت ريب المنون جواحي

نشر الغرابُ عليَّ ريشَ جناحه فظللتُ بين سيوفه ورماح

إني لأعجب مَن يروح ويغتدي والموت بين بكوره ورواح

فاليوم أخضع للذليل وأتّقي ذلّي وأدفع ظالمي بالراح

وإذا بكتْ قمريةٌ شجناً بها ليلاً على غصنٍ بكيتُ صباحي

فالله صبّرني على ما حل بي مات النبي قد انطفى مصباحي[2]

٧- وأخرج الشيخ الخوئي في منهاج البراعة أَنَّ فاطمة عليها السّلام قالت في رثائه صلَّى الله عليه وآله:

إذا اشتدّ شوقي زرتُ قبرك باكياً أنوح وأشكو لا أراك مجاوبي

فيا ساكنَ الصّحراء علّمتني البكا وذِكرُك أنساني جميع المصائب

فإن كنتَ عنّي في التّراب مُغيّباً فما كنتَ عن قلب الحزين بغائب[3]

٨-وأخرج الشيخ الخوئي في منهاج البراعة أبياتاً لها صلوات الله وسلامه عليها أيضاً:

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٩.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة حبيب الله الخوئي ١٢: ٢٥٠.

إذا مات يوماً ميّت قلّ ذِكرُه وذِكر أبي قد مات والله أزيد

تذكّرت لّما فرق الموت بيننا فعزّيت نفسي بالنّبي محمّد

فقلت لها إنّ الممات سبيلنا ومن لم يمتْ في يومه مات في غد(١)

أقول: سيأتي في (الفصل العشرون) شرح خطبة الزهراء عليها السلام للقاضي النعمان.

الدروس المستخلصة

وظّفت الزهراء عليها السلام جميع إمكاناتها في مواجهة الانحراف الذي حصل في قيادة الأُمَّة الإسلاميّة، فحرف المسيرة الإسلاميّة عن النهج الذي اختطّه لها نبي الرحمة صلى الله عليه وآله. فقد تسلل إلى رأس السلطة أشخاص غير مؤهّلين للوصاية على الدين والمسلمين، نزل الوحيُ المبين بعزل أوّلهم وحرمانه عن تبليغ بضع آيات من سورة براءة، ونزل الأمر الربّاني على النبي صلى الله عليه وآله بأنَّه لا يبلّغ هذا الأمر إلَّا أنت أو رجلٌ منك! فبعث النبي صلى الله عليه وآله أميرَ المؤمنين علياً عليه السلام خلف الأوّل وأمره أن يأخذ منه آيات سورة براءة فيقرأها على مشركي مكّة. وإذ لم يئتمن الوحيُ (أبا بكر) على تبليغ بضع آيات من سورة واحدة، فهل يئتمنه على تبليغ القرآن كلّه والشريعة بأسرها؟!

عرفت (أُمُّ أبيها) عليها السلام عمق الخطر المحدق بالدين وأهله، فتحرّكت ضمن الحدود التي رسمتها لها الشريعة، وواجهت الانحراف وأهله، واحتجّت وعارضت وحذّرت، ودارت مع بعلها على بيوت الأنصار تسألهم النصرة، فلما لم يستجب لها

---

(١) منهاج البراعة ١٢: ٢٥٠.

أحد لم تكفّ ولم تتقاعس ولم تتذرّع، بل واصلت مسيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاهدت في تصحيح الانحراف بوسائل أُخرى تدعى في اصطلاحنا الحاضر بـ(المعارضة السلبيّة).

وظّفت الصدّيقة الطاهرة في مسيرتها البيانَ، فأفادت منه في إيصال صورة جليّة عن مدى (الظلم) الذي تعرّض له أهلُ البيت عليهم السلام – والزهراء عليها السلام في طليعتهم – من قِبل السلطة وأزلامها، وبيّنت بما لا مزيد فوقه أنَّ الأُمّة ستحصد وشيكاً الثمار الفجّة المرّة لتقاعسها عن نصرة الدين، وأنَّ الفتنة التي نشبت سرعان ما ستترعرع وتمدّ جذورها إلى كلّ مفاصل الحياة الاجتماعية، وأنَّ الندم المتأخّر لن يُغني في تلافي ما فرط وانهدم وتلاشى.

فاطمة

اللهم صل على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها بعدد ما أحاط به علمك

الفصل الثالث عشر

المدرسة الفاطمية للتعليم والتعلّم

عِلم الزهراء فاطمة عليها السلام

قال الكجوري في (الخصائص الفاطميّة): في تفسير فرات عنه عليه السلام قال: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: «**فاطمة من نساء العالمين**»؛ ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: «**لا يهوديّة ولا نصرانيّة**»؛

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: «**يكاد العلمُ ينبع منها سلامُ الله عليها**».

وروى مثله السيد ابنُ طاووس في كتاب الطرائف عن ابن المغازلي الشافعيّ، عن الإمام الحسن عليه السلام؛ والعلاّمةُ في كشف الحق عن الحسن البصريّ؛ وابنُ البطريق عن المناقب لابن المغازلي.

وبهذا التفسير تبيّن أنّ علم الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) من علم فاطمة الزهراء عليها السلام كالزيت يعصر من الزيتونة، حيث يُفاض العلم من أعلى مراقي النبوّة على فاطمة الطاهرة مباشرة بدون نزول مَلَك مقرّب، والأئمّة الطاهرون عليهم السلام يتكلّمون عنها. فكما كان وجودها المقدس سبباً لوجود كلّ واحد من الأئمّة، فكذلك كان عِلمهم يفاض عليهم بواسطتها. ويظهر من قوله تعالى ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[1] أنّ علم فاطمة من الرسول، وأنّ علوم الأئمّة الأطهار عليهم السلام من فاطمة عليها السلام. وفي هذا كمال الشرف لتلك المخدّرة وغاية التمجيد في العلم الموهوب لها عليها السلام.

ولمّا كان علم فاطمة عليها السلام منسيّاً في هذا الزمان، أفردت له خصيصة خاصة

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

للكلام عنه، وذكرت الأخبار الدالّة على إحاطتها بالعلوم الدينيّة والمعارف الحقّة، وأنّها عالمة بما في الأرض والسماء. ففاطمة الزهراء مشكاة علوم آل محمد عليهم السلام، فكما يستفيد النّاس من ضوء النجوم ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[١]، فكذلك بعلوم فاطمة يهتدون، فتأمّل انتهى كلامه رحمه الله تعالى[٢].

الزهراء عليها السلام أسوة الجهاد في اكتساب العلم

حثّ الإسلام على اكتساب العلم والمعرفة، وعدّ رسول الله صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة، لم يفرق في ذلك بين صغير وكبير، ولا بين ذكر وأُنثى؛ كما أَنَّه وسّع الإطار الزمني لهذه الفريضة، حيث جاء عن النبي صلى الله عليه وآله «**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**». وقد عدَّ الإسلام أنَّ منزلة العالم منزلة رفيعة لا تقاس بها منزلة غير العالم؛ قال جل وعلا ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]. وقد وردت أحاديث كثيرة في منزلة العالم وطالب العلم، وجاء فيها أنَّ المرء لا يزال يُدعى عالماً ما دام يطلب العلم، فإذا ظنّ أنَّه قد علم، فقد جهل. كما جاء فيها أنَّ الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم وأنَّها تستغفر لطالب العلم. كما وردت أحاديث كثيرة في الحث على بذل العلم وتعليمه، وجاء فيها أنَّ لكل شيء زكاة، وزكاة العلم نشرُه. وقد أرشد القرآن الكريم الناس إلى أصل عام عقلائي، وهو وجوب رجوع الجاهل إلى العالم؛ قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤]، وقال

(١) سورة النحل: الآية ١٦.

(٢) الخصائص الفاطمية للكجوري ١: ٢٤٩.

(٣) سورة الزمر: الآية ٩.

(٤) سورة النحل: الآية ٤٣؛ سورة الأنبياء: الآية ٧.

تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام في خطابه لعمّه آزر ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾(١).

وإذا كان المعلّم هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان التلميذ بضعته وريحانته فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام، فلا ريب أنَّ هذا التعليم والتعلّم سيكونان في صورتهما النموذجية المثلى. يقول الإمام الصادق عليه السلام «**ما أعلم أنَّ أحداً كان أكثر عند رسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة عليها السلام، ولا أفضل مما علّمها أبوها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله**»، ونلاحظ في هذا المجال أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يأمر الزهراء عليها السلام بأحكام النساء، فتأمر هي بذلك المؤمنات وتنقل إليهن ذلك العلم. وكما أنَّ الخطاب الإلهي كان في بعض جوانبه موجهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله باعتباره مرآة للأُمَّة الإسلامية، فإنَّ خطاب النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام كان بوصفها مرآة للنساء المؤمنات؛ وإلّا فإنَّنا نعلم يقيناً أنَّ الزهراء عليها السلام كان علمها لدنيّاً من قبل الله تعالى، شأنها في ذلك شأن رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة الأطهار عليهم جميعاً سلام الله تعالى، حيث كانوا جميعاً أنواراً محدقين بعرش الله تعالى، وهم الذين علّموا الملائكة التسبيح والتهليل. كما أنَّ الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله تشهد للزهراء عليها السلام بمنزلتها في العلم. قال الصادق المصدق «**أنا ميزان العلم، وعليّ كفّتاه، والحسن والحسين خيوطه، وفاطمة علاقته، والأئمة من أُمَّتي عموده**»، يشهد على كلامنا ما ورد من أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السّلام: «**اشهدي ذبح ذبيحتك، فإنَّ أول قطرة منها يكفّر الله بها كلّ ذنب عليك**

(١) سورة مريم: الآية ٤٣.

وكل خطيئة عليك». فسمعه بعض المسلمين فقال: يا رسول الله! هذا لأهل بيتك خاصّة أم للمسلمين عامة؟ قال: «**إنَّ الله وعدني في عترتي ألّا يُطعم النار أحداً منهم، هذا للناس عامة**».(١)

ماذا نستنبط حين يطرق سمعنا أنَّ النبي صلى الله عليه وآله يخيّر ابنته - وقد طرقته ليلاً حين أصابت بعلها أميرَ المؤمنين عليه السلام شدّة - بين أن يعطيها خمس أعنز أو أن يعلّمها خمس كلمات علّمه إيّاهن جبرئيل عليه السلام، فتختار عليها السلام تعلم الكلمات وترجع إلى زوجها الجائع مبتهجة وتخبره بالخبر، فيقول عليه السلام لها: «**خير أيّامك، خير أيّامك**»! إنَّ الزهراء وبعلها عليهما السلام يضربان المثل الأروع للتعلّم، ويردّان على تساؤل (ماذا يفعل الجائع بتعلّم العلم؟!) ببيان أنَّ المكسب الحقيقي للفرد المسلم هو بتعلّم العلم وتربية الروح وتنمية العقل، وليس بملء البطن وسدّ الجوعة.

أما مدرسة التعليم الفاطمية فقد تحدثنا عنها شيئاً في الفصل الثامن ضمن الكلام عن الزهراء المحدِّثة عليها السلام. ومن الشيّق أن نلاحظ أنَّ هناك لهفة من النساء في زمن النبي على تعلم الحديث والأحكام أُسوة بالرجال، حتى أنَّ مِن النساء مَن شكت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أنَّ الرجال ذهبوا واستأثروا بحديث رسول الله، وطلبن منه صلى الله عليه وآله أن يجعل لهن يوماً يعلّمهنّ فيه مما علّمه الله تعالى. وقد استنتج العلامة الطباطبائي من حديث أسماء بنت يزيد ونظائره الحاكية عن دخول النساء على النبي (صلى الله عليه وآله)، وتكليمهن إياه فيما يرجع إلى شرائع الدين ومختلف ما قرره الإسلام في حقهن، أَنَّ بإمكان النساء مراجعة ولي الأمر في حلّ ما قد يشكل

(١) المحاسن: ص ٦٧؛ بحار الأنوار ٩٦: ٢٨٨ / ح ٥٩، عن المحاسن.

عليهـن، عـلى الرغـم مـن كونهـن مأمـورات بالحجـاب والاختصـاص بالأُمـور المنزليـة مـن شـؤون الحيـاة غالبـاً.(١)

لقد وسّعت الزهراء فاطمة عليها السلام مدرستها التعليمية، فاتسعت لتشمل المؤمنات، بل شملت الشيعة قاطبة، حيث كانت تعاليم الزهراء عليها السلام وسيرتها العطرة هي المنار الذي ينير أمام محبيها وشيعتها الطريق السالكة الأمينة في خضم منعطفات الحياة وظلمات شبهها وفتنها. وإنَّ نظرة سريعة إلى خطب السيدة زينب عليها السلام كفيلة أن تظهر آثار التربية الفذّة لأُمِّها الزهراء عليها السلام.

(١) انظر تفسير الميزان للعلامة الطبطبائي ٤: ٨٩.

التعليم النبوي لفاطمة عليها السلام

لم يُعلم رسول الله أحداً أفضل مما علّمه ابنته وبضعته الزهراء

شهادة من الإمام الصادق عليه السلام أنَّ فاطمة الزهراء كانت ملازمة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ أحداً لم يكن عنده صلى الله عليه وآله أكثر منها، وأنَّ أحداً لم يتعلّم من رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل مما تعلمته منه بضعته الطاهرة عليها السلام. وبودّي في هذا المجال الإشارة إلى كلام موسى عليه السلام مع العبد الصالح ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1]، التي ناقش علماؤنا الأبرار المعاني الكبيرة التي تنطوي عليها في آداب التعليم، فقد جعل موسى عليه السلام نفسه بمنزلة (التابع) لمن يريد التعلّم منه، ثم إنَّه استأذنه في التعلّم منه، ثم إنَّه اعترف لمعلّمه بالعِلم، وجعل نفسه بمنزلة الجاهل المتعلّم التابع من غير منازعة، ثم إنَّه طلب منه تعليمه (ممّا يعلم) أي بعض ما يعلم، ولم يشترط عليه تعليمه كلّ ما يعلم، ثم إِنَّه طلب منه الإرشاد، ليكون تعلّمه هادفاً للرشد والتكامل[2].

ومع إيماننا بأنَّ الزهراء عليها السلام عالمة بالعلم اللدنيّ، لكننا نتعلّم منها آداب (ملازمة العالِم) و(التواضع له)، وأنَّها تعلّمت من أبيها المرسل ما لم يتعلّم أحدٌ أفضل منه!

روى صفوان قال: دخل محمد بن علي الحلبي على أبي عبد الله عليه السلام في يوم الجمعة فقال له: تعلّمني أفضل ما أصنع في مثل هذا اليوم.

فقال: «**يا محمد! ما أعلم أنَّ أحداً كان أكثر عند رسول الله صلى الله عليه وآله من**

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٦.

(٢) انظر التفصيل في (منية المريد في أدب المفيد والمستفيد) للشهيد الثاني: ص ٢٣٧.

فاطمة عليها السلام، ولا أفضل مما علّمها أبوها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله»؛ ثم علّمه عليه السلام ما يصنع في يوم الجمعة.(١)

النبي يأمر فاطمة بأحكام النساء فتأمر بها المؤمنات

لقد كانت الزهراء عليها السلام طاهرة مطهرة لا ترى ما ترى النساء، شهد لها بذلك ربّ العزّة في آية التطهير، وشهد لها أبوها صلى الله عليه وآله في قوله «**إنَّ ابنتي فاطمة حوراء آدمية لأنَّها لم تحض ولم تطمث**»(٢). والمفهوم من الرواية المقبلة أنَّ رسول الله كان يخاطب ابنته بأنَّ تكليف المرأة هو قضاء الصيام دون قضاء الصلاة، وأنَّ بضعة الرسول كانت تنقل ذلك الخطاب إلى المؤمنات، من دون أن تكون عليها السلام مخاطبةً به شخصياً.

روى الكليني بإسناده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قضاء الحائض الصلاة ثم تقضي الصوم؟ قال: «**ليس عليها أن تقضي الصلاة وعليها أن تقضي صوم شهر رمضان**»؛ ثم أقبل علي وقال: «**إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله[كان] يأمر بذلك فاطمة عليها السلام، وكانت تأمر بذلك المؤمنات**»(٣).

فاطمة تشكو إلى رسول الله بعض أمرها فيعلّمها حديثاً

نلاحظ في الروايات المقبلة ظاهرة جديرة بالاهتمام، وهي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلّم بضعته علماً جديداً نافعاً كلّما ألجأتها الضرورة إلى أن تشكو لأبيها العناء الذي كانت تلقاه في معيشتها، وكانت الزهراء عليها السلام تسرّ وتفرح بهذا النوع من

---

(١) مصباح المتهجد - الشيخ الطوسي: ص ٣١٨ - ٣١٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٢: ٣٢١؛ كنز العمال للمتقي الهندي ١٢: ١٠٩ / ح٣٤٢٢٦.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ٣: ١٠٤ - ١٠٥.

المعاملة، بحيث إنَّها كانت تختار العِلم حين يخيرها أبوها بين أن يعلّمها شيئاً لآخرتها أو يعطيها شيئاً لدُنياها. علينا أن نتعلّم من هذه المدرسة التعليمية الفريدة كيف نتعامل مع الأُمور المعنوية الباقية ونفضّلها على الأُمور المادية الزائلة، وأن نقوّي في أنفسنا حبّ العلم وحبّ التعليم والتعلّم.

روى الكليني بإسناده عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعض أمرها، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله كريسة وقال: تعلّمي ما فيها! فإذا فيها مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**»[1].

فاطمة عليها السلام: ذهبتُ للدنيا وجئتُ بالآخرة

تطرق الزهراء عليها السلام باب أبيها ليلاً – وقد أمضّ بها الجوع – في وقت لم تعوّده قبلاً أن تزوره فيه، فيعلم النبي أنّها جاءت لحاجة ماسّة، ويستمع إلى سؤال بضعته وريحانته وهي تكنّي عن حاجتها «**يا رسول الله، ما طعام الملائكة؟**»، فيجيب النبي وهو يُجاريها وقد علم مرادها: «**التحميد**»؛ ثم تعود ابنة الكرام تسأل «**ما طعامنا؟! نحن يا أبت لسنا ملائكة – وإن كنّا أفضل من الملائكة – لتكتفي أبداننا بالتحميد، وإنَّ الشدّة التي أصابتنا قد أذاقتنا مرارة الجوع بحيث ألجأتنا إليك**»! يُخيّر النبي حبيبته الزهراء بين أن يُعطيها خمس أعنز تدرّ عليها من ألبانها ما يسدّ عليها وعلى زوجها وابنيها ألم الجوع وبين أن يُعلّمها خمس كلمات جاء بهنّ جبرئيل! ولم تتردد الزهراء في الاختيار، ونست – أو تناست – ألم الجوع ومرارته

(١) الكافي ٢: ٦٦٧.

واختارت الثواب الأُخرويّ الباقي وفضّلته بلا تردد على الطعام الدنيويّ الفاني، بحيث إنَّها عادت إلى بيتها وقالت لأمير المؤمنين عليه السلام «**ذهبتُ للدنيا وجئتُ بالآخرة**»؛ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**خير أيامك، خير أيامك**»!

عن سويد بن غفلة قال: أصابت أمير المؤمنين علياً عليه السلام شدة، فأتت فاطمة عليها السلام ليلاً رسول الله صلى الله عليه [وآله]وسلم فدقت الباب فقال: «**أسمع حسّ حبيبتي بالباب يا أُمَّ أيمن (قومي) وانظري**». ففتحت لها الباب فدخلت، فقال صلى الله عليه وآله سلم: «**لقد جئتنا في وقت ما كنت تأتيننا في مثله**»؟ فقالت فاطمة عليها السلام: «**يا رسول الله ما طعام الملائكة عند ربها**»؟ فقال: «**التحميد**»؛ فقالت: «**ما طعامنا**»؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**والذي نفسي بيده ما اقتبس في آل محمد شهراً نار، اختاري: آمر لك بخمس أعنز أو أعلمك خمس كلمات علّمنيهن جبرئيل عليه السلام**»؟ قالت: «**يا رسول الله، ما الخمس الكلمات**»؟ قال: «**يا ربّ الأوّلين والآخرين، ويا خير الأوّلين والآخرين، ويا ذا القوّة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين**» ورجعت، فلمّا أبصرها (أمير المؤمنين) علي عليه السلام (قال:) «**بأبي وأَمّي ما وراءك يا فاطمة**»؟ قالت: «**ذهبتُ للدنيا وجئتُ بالآخرة**»؛ قال علي عليه السلام: «**خير أيامك، خير أيامك**»[(١)].

النبي يعلم فاطمة عليهما السلام التسبيح المعروف باسمها

وفي محطّة أُخرى من محطات حياة الزهراء عليها السلام نراها تلجأ لأبيها لتسأله خادماً تعينها على سقي الماء وطحن الرحى وإيقاد النار، وكانت قد أصابها

---

(١) الدعوات، لقطب الدين الراوندي: ص ٤٧ – ٤٨.

مـن ذلك ضرر شـديد بحيث اشـتكت مـن صدرها وبحيـث مجلت يداها، لكن لسـانها لم يطاوعهـا لتبـوح بحاجتهـا لأقـرب النـاس إليها أمـام بعـض أصحابه، ثـم جـاء النبي إليهـا وخيّرهـا بـين أن يعطيهـا خادمـاً تُعينهـا وبـين أن يُعلّمهـا وزوجهـا مـا هـو خيرٌ لهـما مـن الخـادم، فلمّا علّمهـا التسـبيح الذي عُرف باسـمها ملأ نفسـها الرضـا والغبطة حتـى قالت ثلاثـاً «**رضيـتُ عن الله ورسـوله**».

عن علي عليه السّلام أنَّه قال لرجل من بني سعد: «**ألا أُحدّثك عني وعن فاطمة عليها السّلام؟ إنَّها كانت عندي وكانت من أحبّ أهله إليه، وإنَّها استقت بالقربة حتى أثّر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبّرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد**».

«**فقلت لها: لو أتيتِ أباك فسألتيه خادماً يكفيك ضرّ ما أنت فيه من هذا العمل. فأتت النبي صلّى الله عليه وآله، فوجدت عنده حدّاثاً؛ فاستحيت فانصرفت. قال: فعلم النبي صلّى الله عليه وآله أنَّها جاءت لحاجة**».

قـال: «**فغـدا علينـا رسـول الله صـلّى الله عليـه وآلـه ونحـن في لفاعنا، فقال: السـلام عليكم! فسـكتنا واسـتحيينا لمكاننا. ثم قال: السـلام عليكم، فسـكتنا. ثم قال: السـلام عليكـم. فخشـينا إن لم نـردّ عليـه أن ينـصرف، وقـد كان يفعل ذلك؛ يسـلّم ثلاثـاً، فإن أُذن لـه وإلا انصرف**».

«**فقلت: وعليك السلام يا رسول الله؛ ادخل. فلم يعدُ أن جلس عند رؤوسنا، فقال: يا فاطمة، ما كانت حاجتك أمس عند محمد**»؟

قال: «**فخشيت إن لم نُجبه أن يقوم. قال: فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أُخبرك**

يا رسول الله. إنَّها استقتْ بالقربة حتى أثّرت في صدرها، وجرّت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحتْ البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدتْ تحت القدر حتى دكنت ثيابها. فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك ضرّ ما أنت فيه من هذا العمل.

قال: أفلا أعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين. قال: فأخرجت عليها السّلام رأسها فقالت: رضيتُ عن الله ورسوله صلّى الله عليه وآله – ثلاث دفعات»[١].

عن علي بن أبي طالب عليه السّلام، قال: «**قالت فاطمة عليها السّلام: يابن عمّ، شقّ عليّ العمل والرحا، فكلّم رسول الله صلّى الله عليه وآله. قال لها: نعم. فأتاهما نبي الله صلّى الله عليه وآله من الغد وهما نائمان في لحاف واحد، فأدخل رجليه بينهما. فقالت فاطمة عليها السّلام: يا نبي الله! شقّ عليّ العمل، فإن أمرت لي بخادم مما أفاء الله عليك.**

قال: أفلا أعلّمك ما هو خير لك من ذلك؟ تسبّحين ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبّري أربعاً وثلاثين؛ فذلك مائة باللسان وألف في الميزان، وذلك بأنَّ الله يقول: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾[٢]**، إلى مائة ألف»**[٣].

أقول: لقد تعلّمت أمُّ أبيها عليها السلام هذا الدرس من أبيها فلم تترك هذا التسبيح طوال حياتها الشريفة حتى عُرف باسمها؛ كما تعلّم زوجُها أمير المؤمنين عليه السلام هذا التسبيح فلم يتركه حتى في حرب صفّين[٤].

---

(١) علل الشرائع ٢: ٣٦٦/ ح ١؛ بحار الأنوار ٤٣: ٨٢/ ح ٥، عن علل الشرائع.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

(٣) مجمع الزوائد ١٠: ١٤٦؛ مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٠.

(٤) انظر ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري ص١٠٦؛ كنز العمال ١٥: ٥٠٤/ ح٤٢٠٤١.

رسول اللّه يأمر ابنته بالسخاء

السخاء من الخصال التي يحبّها الله تعالى، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه (كان فيما خاطب الله تعالى به نبيه عليه السلام، أن قال له: «**يا محمد** ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]؛ **قال: السخاء، وحُسن الخُلق**»[٢]. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنَّه قال: قال الله تعالى: «**هذا دِينٌ أرتضيه لنفسي، ولن يُصلحه إلاّ السخاء وحُسن الخُلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه**»[٣].

روى محمد بن جرير في دلائل الإمامة بإسناده عن محمد بن الحسن ابن بنت إلياس، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا علي بن موسى الرضا، قال: حدثني موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن جده، عن أبيه الحسين، عن أُمِّه فاطمة (عليهم السلام)، قالت: قال لي أبي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إياك والبخل، فإنَّه عاهة لا تكون في كريم، إياك والبخل، فإنَّه شجرة في النار، وأغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله النار؛ والسخاء شجرة في الجنة، وأغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله الجنة**»[٤].

وقد أوردنا في الفصلين التاسع والعاشر نماذج من سخاء الزهراء عليها السلام وإيثارها.

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) الأمالي للطوسي: ص٣٠٢/ ح٥٩٩/ ٤٦.

(٣) تحف العقول، للحراني: ص٤٥، في قصار كلماته صلى الله عليه وآله.

(٤) دلائل الإمامة، لمحمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ٧١ / ح٩.

تعليم النبي ابنته دعاءً لا يدعو به أحد إلا استجيب له

روى محمد بن جرير عن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جده الحسن ابن علي، عن أمِّه فاطمة بنت رسول الله عليهم السلام قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة، ألا أُعلمك دعاءً لا يدعو به أحد إلا استُجيب له، ولا يحيك في صاحبه سم ولا سحر، ولا يعرض له شيطان بسوء، ولا تُردّ له دعوة، وتُقضى حوائجه كلها، التي يرغب إلى الله فيها عاجلها وآجلها؟ قلت: أجل يا أبه، لَهَذا – والله- أحبّ إلي من الدنيا وما فيها. قال: تقولين: يا الله، يا أعز مذكور وأقدمه قدماً في العزة والجبروت. يا الله، يا رحيم كل مسترحم، ومفزع كل ملهوف. يا الله، يا راحم كل حزين يشكو بثه وحزنه إليه. يا الله، يا خير من طُلب المعروف منه وأسرعه إعطاء. يا الله، يا من تخاف الملائكة المتوقدة بالنور منه، أسألك بالأسماء التي يدعوك بها حملة عرشك ومن حول عرشك، يسبحون بها شفقة من خوف عذابك، وبالأسماء التي يدعوك بها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل إلا أجبتني وكشفت يا إلهي كربتي، وسترت ذنوبي. يا من يأمر بالصيحة في خلقه فإذا هم بالساهرة [يحشرون]، أسألك بذلك الاسم الذي تُحيي به العظام وهي رميم، أن تُحيي قلبي، وتشرح صدري، وتُصلح شأني. يا من خصّ نفسه بالبقاء، وخلق لبريته الموت والحياة، يا من فِعله قول، وقوله أمر، وأمره ماضٍ على ما يشاء. أسألك بالاسم الذي دعاك به خليلك حين أُلقي في النار فاستجبت له وقلت: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1]، وبالاسم الذي دعاك به موسى من جانب الطور الأيمن فاستجبت له دعاءه، وبالاسم الذي كشفت به عن أيوب الضر، وتُبت به على داود، وسخّرت به لسليمان الريح تجري بأمره والشياطين، وعلّمته منطق الطير. وبالاسم الذي وهبتَ به**

(١) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

لزكريا يحيى، وخلقت عيسى من روح القدس من غير أب. وبالاسم الذي خلقت به العرش والكرسي. وبالاسم الذي خلقت به الروحانيين. وبالاسم الذي خلقت به الجنّ والإنس. وبالاسم الذي خلقت به جميع الخلق وجميع ما أردت من شيء. وبالاسم الذي قدرت به على كل شيء. أسألك بهذه الأسماء لما أعطيتني سؤلي، وقضيت بها حوائجي. فإنَّه يقال لك: يا فاطمة، نعم نعم»(١).

النبي يعلم فاطمة وبعلها دعاءً لدفع الشدائد

روى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله علم علياً وفاطمة عليهما السلام هذا الدعاء وقال لهما: «إن نزلتْ بكما مصيبة أو خفتما جور السلطان أو ضلّت لكما ضالة، فأحسنا الوضوء وصلّيا ركعتين وارفعا أيديكما إلى السماء وقولا:

(يا عالم الغيب والسرائر، يا مطاع يا عليم، يا الله يا الله يا الله، يا هازم الأحزاب لمحمد صلى الله عليه وآله، يا كائد فرعون لموسى، يا مُنجي عيسى من الظلمة، يا مُخلّص قوم نوح من الغرق، يا راحم عبده يعقوب، يا كاشف ضُرّ أيوب، يا مُنجي ذي النون من الظلمات، يا فاعل كلّ خير، يا هادياً إلى كل خير، يا دالاً على كل خير، يا آمراً بكل خير، يا خالق الخير، يا أهل الخيرات، أنت الله رغبت إليك فيما قد علمتَ وأنت علام الغيوب، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد) ثم اسألا الحاجة تُجاب إن شاء الله تعالى»(٢).

النبي يعلم فاطمة عليها السلام دعاءً لدفع الأرق

عن علي عليه السلام: «إنَّ فاطمة عليها السلام شكت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الأرق، فقال لها: قولي يا بنية: (يا مشبع البطون الجائعة، ويا كاسي الجسوم العارية،

---

(١) دلائل الإمامة – محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ٧٣ – ٧٤.

(٢) بحار الأنوار(٨٨: ٣٧٠/ ح٢٥).

ويا ساكن العروق الضاربة، ويا منوّم العيون الساهرة، سكّن عروقي الضاربة، وأئذن لعيني نوماً عاجلاً) فقالته فاطمة عليها السلام، فذهب عنها ما كانت تجده»[١].

الزهراء عليها السلام تتعلم من أبيها دعاءً لرفع الوعكة

مهج الدعوات: دخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة الزهراء عليها السلام، فوجد الحسن عليه السلام موعوكاً، فشقّ ذلك على النبي صلى الله عليه وآله فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: «**يا محمد ألا أُعلمك معاذة تدعو بها فينجلي بها عنه ما يجده**»؟ قال: «بلى»، قال: «**قل (اللهم لا إله إلا أنت العلي العظيم، ذو السلطان القديم، والمنّ العظيم، والوجه الكريم لا إله إلا أنت العلي العظيم، ولي الكلمات التامات، والدعوات المستجابات، حلّ ما أصبح بفلان**»، فدعا النبي صلى الله عليه وآله ثم وضع يده على جبهته فإذا هو بعون الله قد أفاق[٢].

النبي يعلم فاطمة وبعلها دعاءً لقضاء الحوائج

روي أنَّ النبي صلى الله عليه وآله علم علياً وفاطمة عليهما السلام وقال: «**يصلّي أحدكما ركعتين، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي ثلاث مرات، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات، وآخر الحشر ثلاث مرات، من قوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾[٣] إلى آخره، فإذا جلس فليتشهّد وليُثنِ على الله وليصلّ على النبي صلى الله عليه وآله وليدعُ للمؤمنين والمؤمنات، ثم يدعو على إِثر ذلك فيقول: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ**

(١) بحار الأنوار ٧٣: ٢١٣؛ مستدرك الوسائل ٥: ١٢٥.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٩٢ – ص ٣٦.

(٣) سورة الحشر: الآية ٢١.

كل اسم هو لك، يحق عليك فيه إجابة الدعاء إذا دُعيت به، وأسألك بحق كل ذي حق عليك، وأسألك بحقك على جميع ما هو دونك أن تفعل بي كذا وكذا»(١).

رسول الله يعلّم الزهراء عليهما السلام إكرام الضيف

روى الكليني بإسناده عن إسحاق بن عبد العزيز، وجميل، وزرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**مما علّم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام أن قال لها: يا فاطمة، مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه**»(٢).

إكرام الضيف فرع من فروع السخاء، ولقد كان بيت فاطمة وعلي عليهما السلام معروفاً بإكرام الضيف، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّي أحبّ من دنياكم ثلاثة: إكرام الضيف، والصوم في الصيف، والضرب بالسيف**»(٣). كما نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه رُئي حزيناً، فقيل له: ممّا حزنك؟ قال: «**لسبعٍ أتت لم يضف إلينا ضيف**»(٤).

النبي يوصي ابنته بتقسيم عمل البيت مع الخادم

الخادم في الدار هو بشر ألجأته الظروف أو الضرورة أن يكون خادماً، لكنَّ هذه الشرائط لا تسلب من الخادم إنسانيّته وكونه عبداً من عبيد الله تعالى، شأنه شأن مخدوميه. ولقد جسّد أهل البيت عليهم السلام - وفي طليعتهم الزهراء عليها السلام - النموذج الأجمل والأكمل في مراعاة الخدم والمستخدمين، ونرى الرسول الكريم يوصي ابنته

---

(١) بحار الأنوار ٨٦: ٣٦٥/ ح٥٩.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني ٦: ٢٨٥

(٣) الخصائص الفاطمية للكجوري ١: ٦٠٨.

(٤) الخصائص الفاطمية ١: ٦٠٨.

الحبيبة بتقسيم العمل في البيت بينها وبين خادمتها، فالتزمت الزهراء بوصيّته مع شدّة المعاناة التي كانت تواجهها في معيشتها.

سلمان، قال: كانت فاطمة عليها السّلام جالسة، قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين عليه السّلام في ناحية الدار يبكي. فقلت: يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله! دبرت كفّاك وهذه فضة! فقالت: «**أوصاني رسول الله صلّى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً ولي يوماً، فكان أمس يوم خدمتها**». - الحديث.(١)

النبي يأمر الزهراء بإطعام عائلة المتوفى

من السنّة إطعام عائلة المتوفّى ثلاثة أيام، لأنَّ المصاب بفقيدهم يشغلهم عن الطعام والشراب، لكنَّنا نجد في مجتمعنا المعاصر - مع بالغ الأسف - أنَّ هذه السنّة قد محيت، بل جرت العادة أن تصنع عائلةُ الفقيد الطعام للمعزّين الذين يفِدون للتعزية، فتحصل لهم من ذلك مشقّة عظيمة تزيدهم همّاً وحزناً وألماً!

روي عن الإمام الصادق عليه السّلام أنَّه لما قُتل جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السّلام أن تأتي أسماء بنت عميس ونساءها، وأن تصنع لهم طعاماً ثلاثة أيام. فجرت بذلك السنّة أن يُصنع لأهل المصيبة طعام ثلاثاً(٢).

وقال الواقدي في قصة جعفر الطيار:... فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى دخل على ابنته فاطمة عليها السّلام وهي تقول: «**وا عمّاه**». فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**على مثل جعفر فلتبكِ الباكية**». ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**اصنعوا**

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٥٣٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ١١٦ / ح ٥٤٩؛ تذكرة الفقهاء ١: ٥٩ / ح ٥و٦.

لآل جعفر طعاماً، فقد شُغلوا عن أنفسهم اليوم»[١].

النبي يعلم فاطمة التستّر الكامل من الرجل الأجنبيّ

تعلّم الزهراء عليها السلام النساء درساً جديداً في التستّر الكامل من الرجل الأجنبي حتى في حال المرض، فليس المرض عذراً يسمح للمرأة المسلمة بواسطته - ما دام بإمكانها أن تحتجب - أن تتخلّى عن بعض التزاماتها في رعاية الحجاب. وقد وجدنا الزهراء الطاهرة لا تكتفي بالعباءة التي علّمها أبوها أن تحتجب بها وتستتر عن صاحبه الذي جاء معه لعيادتها في مرضها، بل شكت إلى والدها أنَّها لا تمتلك خماراً تختمر به، فألقى لها ملاءة خلقة كانت عليه فاختمرت بها.

عن عمران بن حصين أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله قال: «**ألا تنطلق بنا نعود فاطمة، فإنَّها تشتكي**»؟ قلت: بلى. قال: فانطلقنا إلى أن انتهينا إلى بابها؛ فسلّم و استأذن، فقال: «**أدخل أنا ومن معي**»؟ قالت: «**نعم، ومن معك يا أبتاه؟ فوالله ما عليّ إلاّ عباءة**». فقال لها: «**اصنعي بها كذا واصنعي بها كذا**»- فعلّمها كيف تستتر-. فقالت: «**والله ما على رأسي من خمار**». قال: فأخذ خلق ملاءة كانت عليه، فقال: «**اختمري بها**». ثم أذنت لهما فدخلا-الحديث.[٢].

النبي يخبر ابنته بوقت استجابة الدعاء يوم الجمعة

ما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته بشيء أو أرشدها إلى أمر إلَّا وجدناها تلتزم بأمره ولا تترك العمل به.

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٧٦٦.

(٢) بحار الأنوار ٣٧: ٦٩ / ح ٣٨.

وفي هذا الحديث - كما هو الحال في الأحاديث التي مرّت والتي ستأتي - نلاحظ هذا الالتزام بأجلى صوره، ذلك أنَّ المعصوم هو الأولى بفِعل كل خير، وهو السابق إلى كلّ فضل.

روى محمد بن جرير في دلائل الإمامة بإسناده عن زيد بن علي، عن آبائه، عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله، قالت: «**سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه إياه. قالت: فقلت: يا رسول الله، أي ساعة هي؟ قال: إذا تدلّى نصفُ عين الشمس للغروب. قال: وكانت فاطمة عليها السلام تقول لغلامها: اصعد على السطح، فإن رأيتَ نصف عين الشمس قد تدلى للغروب فأعلِمني حتى أدعو**»[1].

النبي يأمر فاطمة أن لا تسأل زوجها شيئاً

كم من نسائنا من تلتزم بنهج الزهراء عليها السلام وسيرتها؛ فلا تسأل زوجها أن يأتي لها بما يحتاج إليه البيت؟ بل كم من نسائنا مَن لا تُثقل على زوجها وتكلّفه فوق طاقته؟! لقد أوصى رسول الله ابنته الحبيبة أن لا تسأل زوجها شيئاً، فبقيت ثلاثاً لا تملك شيئاً إلا آثرت به زوجها به، وتحمّلت بصبر واحتمال الجوع دون أن تُعلم زوجها أنَّ مؤونتهم قد نفدت.

روى العيّاشي في تفسيره عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**إنّ فاطمة عليها السلام ضمنت لعليّ عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز، وقمّ البيت، وضمن لها عليٌّ عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب، وأن يجي ء بالطعام**».

فقال لها يوماً: «**يا فاطمة! هل عندك شيءٌ؟**»

قالت: «**والّذي عظّم حقّك؛ ما كان عندنا منذ ثلاث إلاّ شي ء آثرتك به**».

(١) دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ٧٢.

قال: «**أفلا أخبرتني**»؟

قالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لا تسألي ابن عمّك شيئاً إن جاءك بشيء عفواً وإلاّ فلا تسأليه**» - الحديث[1]؛ وقد اقتطعنا منه مورد الحاجة، وقد نقلناه بتمامه في موضع آخر.

النبي يوصي الزهراء بعدم الجزع عند مصيبة فقده

الصبر عند المصيبة من جملة خصال الخير التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله[2]، ونجد الإمام الصادق عليه السلام في دعائه الجامع للخضوع والخشوع لله تعالى يسأل اللهَ عزوجلّ أن يهبَه «**أجملَ الصبر عند المصيبة**»[3]. ونجد أنَّ الزهراء عليها السلام تلتزم بوصية أبيها صلى الله عليه وآله، روى الكليني بإسناده عن أبي عبد الله عليه السّلام: «**قال أمير المؤمنين عليه السّلام: مُروا أهاليكم بالقول الحسن عند موتاكم، فإنَّ فاطمة عليها السّلام لما قُبض أبوها أسعدتها بنات هاشم، فقالت: اتركن التعداد، وعليكن بالدعاء**»[4].

وعن عمرو بن أبي المقدام، قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول في هذه الآية: ﴿**وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾[5]، قال: «**إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السّلام: إذا أنا متُّ فلا تخمشي عليّ وجهاً، ولا ترخي عليّ شَعراً، ولا تنادي بالويل**

---

(١) تفسير العياشي ١: ١٧١؛ بحار الأنوار ١٤: ١٩٧ و١٩٨ / ح٤، و٤٣: ٣١ / ح٣٨.

(٢) انظر: الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٤٥ / ح٥٦٥٣.

(٣) انظر: الصحيفة الصادقية جمع الشيخ باقر شريف القرشي: ص٢٣٨.

(٤) الكافي ٣: ٢١٨.

(٥) سورة الممتحنة: الآية ١٢.

ولا تقيمي عليّ نائحة». ثم قال: «**هذا المعروف الذي قال الله عز وجل في كتابه**»: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾[١].

وقد ورد أنَّه «**لولا أنَّ الصبر خُلق قبل البلاء، لتفطّر المؤمن كما تتفطّر البَيضة على الصفا**»، وفي الحديث إيماء إلى أن المؤمن هو الصابر، وغير الصابر ليس بمؤمن، لأنَّ الصبر رأس الإيمان، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان، ويتحقق الصبر بمنع النفس عن الجزع عند ورود المكروه، ومنع الباطن من الاضطراب، ومنع اللسان من الشكاية[٢].

قولي (يا أبه) فإنَّها أحيى للقلب وأرضى للربّ!

أثقل بعض الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانوا ينادون رسول الله باسمه من دون ذكر الرسالة، فنزل الوحيّ بالنهي عن مناداة النبي باسمه من دون تعظيم. ونلاحظ أنَّ الزهراء عليها السلام امتنعت بعد نزول الآية المذكورة عن مناداة أبيها إلَّا بـــ(يا رسول الله)، فأخبرها صلى الله عليه وآله أنَّ الآية إنّما نزلت لتأديب أهل الجفاء والغلظة، وأنَّ مناداتها له بالأُبوّة ممّا يحيي قلبه ويبعث فيه السرور، ومما يُرضي الربّ الجليل.

القاضي أبو محمد الكرخي في كتابه عن الصادق عليه السّلام: «**قالت فاطمة عليها السّلام: لما نزلت** ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾[٣]**، رهبت رسول الله صلّى الله عليه وآله أن أقول: يا أبة، فكنت أقول: يا رسول الله. فأعرض عني**

(١) معاني الأخبار: ص ٢٩٠؛ بحار الأنوار ٧٩: ٧٦ / ح ١١، عن معاني الأخبار.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني ٨: ٢٨٩.

(٣) سورة النور: الآية ٦٣.

مرة أو اثنتين أو ثلاثاً. ثم أقبل عليّ فقال:

يا فاطمة، إنَّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك؛ أنت مني وأنا منك، إنَّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكبر. قولي: يا أبة، فإنَّها أحيى للقلب وأرضى للرب»(١).

النبي يأمر الزهراء بعدم النوم إلا بعد عمل أربعة أشياء

الإسلام دين اليُسر، ولذلك نجد أنَّ هناك كثيراً من الأعمال التي لا تتطلّب جهداً تجعل فاعلها ينال عظيم الأجر والثواب. وقد نقلت الزهراء عليها السلام في الحديث التالي إلى الأجيال ما علمّها إياه أبوها المرسل صلى الله عليه وآله، فدلّتهم على أعمال يسيرة يفعلونها قبل أن يخلدوا إلى النوم، يحرزون بسببها ثواباً كبيراً.

عن فاطمة الزهراء عليها السّلام، أنَّها قالت: «دخل عليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد افترشت فراشي للنوم، فقال: يا فاطمة، لا تنامي إلا وقد عملتِ أربعة: ختمتِ القرآن، وجعلتِ الأنبياءَ شفعاءك، وأرضيتِ المؤمنين عن نفسك، وحججتِ واعتمرتِ. قال هذا وأخذ في الصلاة.

فصبرتُ حتى أتمّ صلاته، قلت: يا رسول الله! أمرتَ بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال. فتبسم صلّى الله عليه وآله وقال: إذا قرأتِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات فكأنَّكِ ختمتِ القرآن، وإذا صلّيتِ عليّ وعلى الأنبياء قبلي كنّا شفعاءكِ يوم القيامة، وإذا استغفرتِ للمؤمنين رضوا كلُّهم عنك، وإذا قلتِ (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) فقد حججتِ واعتمرت»(٢).

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٠٢؛ بحار الأنوار ٤٣: ٣٣/ ح ٣٩، عن المناقب.

(٢) خلاصة الأذكار: ص ٧٠.

فاطمة عليها السلام تسأل أباها عن عذاب شرار النساء

جاء في الرواية أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصّ على بضعته الزهراء عليها السلام ما شاهد ليلة إسرائه إلى السماء من عذاب نساء من أمَّته، حيث دخل عليه أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام - كما يروي الصدوق - فوجداه يبكي بكاءً شديداً، فسأله أمير المؤمنين عمّا يُبكيه، فأخبره أنَّه شاهد نساءً من أُمَّته في عذاب شديد، وأنَّه بكى مما رأى من شدّة عذابهنّ (ثم قصّ صور العذاب التي شاهدها صلوات الله عليه وآله) فقالت فاطمة عليها السلام: «**حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب**»؟ فقال: «**يا بنتي أما المعلقة بشعرها فإنّها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما المعلقة بلسانها فإنَّها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثديها فإنَّها كانت تمتنع من فراش زوجها، وأما المعلقة برجليها فإنَّها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنَّها كانت تزين بدنها للناس، وأما التي شدّت يداها إلى رجليها وسلط عليها الحيات والعقارب فإنّها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض، ولا تتنظف، وكانت تستهين بالصلاة، وأما العمياء الصماء الخرساء فإنّها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها، وأما التي تقرض لحمها بالمقاريض فإنّها تعرض نفسها على الرجال، وأما التي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها فإنّها كانت قوادة، وأما التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار فإنَّها كانت نمّامة كذابة، وأما التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فإنَّها كانت قينة نواحة حاسدة. ثم قال عليه السلام: ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها**»[1].

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ١٣، في أحوال النساء على ما رآهن رسول الله؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٨: ٣٠٩ - ٣١٠.

مدرسة التعليم الفاطمية الزهراء عليها السلام علاقة ميزان العلم

اشتركت الزهراء عليها السلام في تكوين (ميزان العلم) مع أبيها المرسل مدينة العِلم، وبعلها أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة العِلم، وابنيها الحسنين عليهما السلام، والأئمة الطاهرين من أُمَّة محمد صلى الله عليه وآله، وهؤلاء هم الراسخون في العلم الذين قال الله تعالى عنهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. وجاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «**أين الَّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم**»[١].

وقد ورد في الحديثين التاليين أنَّ ميزان العلم يوزن فيه أعمال المحبين لأهل البيت عليهم السلام، فينالون جزاء ذلك أسمى درجات القُرب والسعادة الأبديّة، كما يوزن فيه أعمال المبغضين لأهل البيت عليهم السلام، فينالون جزاء ذلك أدنى دركات البُعد والطرد عن رحمة الله تعالى، ويتسافلون في قعر جهنّم في عذابهم الأبديّ.

أخرج الخوارزمي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا ميزان العلم، وعليّ كفّتاه، والحسن والحسين خيوطه، وفاطمة علاقته، والأئمة من أمّتي عموده؛ يوزن فيه أعمال المحبّين لنا والمبغضين لنا**»[٢].

وأخرج المجلسي عن الشيخ الطوسي في مصباح الأنوار عن الصادق عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا ميزان العلم، وعلي كفتاه، والحسن والحسين حباله، وفاطمة علاقته، والأئمة من بعدهم يزنون المحبين والمبغضين الناصبين الذين عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين**»[٣].

---

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة ٢: ٢٧، من خطبة له عليه السلام في بعثة الأنبياء، ثم وصف آل البيت.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام ١: ١٠٧؛ ينابيع المودة ٢: ٢٤٢ / ح٦٧٩.

(٣) بحار الأنوار ٢٣: ١٠٦.

فاطمة تعلّم الملائكة التسبيح والتقديس والتهليل والتمجيد

أوّل ما خلق الله تعالى نور محمّد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، قبل أن يخلق السماوات والأرضين والملائكة. ولولاهم عليهم السلام ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض. فلما شاهدت الملائكة أرواح أهل البيت نوراً واحداً استعظموا أمرهم، فسبّح النبي وأهلُ بيته لتعلم الملائكة أنّهم مخلوقون، وأنَّ الله تعالى منزّه عن صفاتهم، فسبّحت الملائكة بتسبيح النبي وأهل بيته عليهم السلام ونزّهت عن صفات النبي وأهل بيته عليهم السلام.

فلما شاهد الملائكةُ أعظم شأن النبي وأهل بيته عليهم السلام، هلّلوا عليهم السلام لتعلم الملائكة أَنْ لا إله إلّا الله وأنَّ النبي وأهل بيته عليهم السلام عبيد وليسوا بآلهة يجب أن تُعبد مع الله أو دونه، فقالت الملائكة (لا إله إلا الله)، فلمّا شاهدت الملائكة أكبر محلّ النبي وأهل بيته عليهم السلام، كبّروا لتعلم الملائكة أنَّ الله أكبر من أن يُنال عظيم المحل إلّا به، فلما شاهدت الملائكة ما جعله الله للنبي وأهل بيته عليهم السلام من العز والقوة، قالوا (لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم)، لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوة إلا بالله[1].

أخرج مؤلف كتاب (منهج التحقيق إلى سواء الطريق) عن كتاب (الآل) لابن خالويه يرفعه إلى جابر الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنّ الله عز وجل خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد، فعصر ذلك النور عصرة فخرج منه شيعتنا، فسبّحنا فسبّحوا، وقدّسنا فقدّسوا، وهلّلنا فهلّلوا، ومجّدنا فمجّدوا، ووحّدنا فوحّدوا. ثم خلق الله السماوات والأرض وخلق الملائكة، فمكثت**

(١) انظر: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، للمجلسي الأول ٥: ٤٥٥.

الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً؛ فسبّحنا فسبّحت شيعتنا فسبّحت الملائكة، وكذا في البواقي؛ فنحن الموحّدون حيث لا موحّد غيرنا، وحقيق على الله عز وجل كما اختصّنا واختصّ شيعتنا أن يُزلفنا وشيعتنا في أعلى عليين، إنّ الله اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن نكون أجساماً فدعانا فأجبناه، فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله عز وجل»(١).

وروى الصدوق في فضائل الشيعة عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾(٢) فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله عز وجل آدم بألفي عام، فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي مِن هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش**»، الخبر(٣).

الزهراء تعلم الحسين عليهما السلام دعاءً في الحاجة والمهم والغم والنازلة

علّمت الزهراء عليها السلام قرّة عينها الحسين عليه السلام دعاءً علّمه جبرئيل الأمين لأبيها صلى الله عليه وآله، وعلّمها إيّاه أبوها، وهو دعاء يُدعى به عند الأمر

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٢٧: ١٣١ – ١٣٢.

(٢) سورة ص: الآية ٧٥.

(٣) بحار الأنوار ١١: ١٤٢.

العظيم الفادح. والدعاء - كما ورد - هو سلاح المؤمن وجُنّته الحصينة، لأنّ العبد يلجأ بدعائه إلى جبّار السماوات والأرضين ويحترز بقوّته ويستعين به.

ونلاحظ في الحديث التالي أنَّ الإمام الحسين عليه السلام آثر أن ينقل هذا الدعاء الثمين إلى وصيّه الإمام زين العابدين عليه السلام في آخر لحظات حياته الشريفة، فقد علّمه إيّاه والدماء تغلي بعد أن ضمّه إلى صدره الشريف. ونلاحظ أنَّ الدعاء الشريف يبتدىء بالقسم على الله تعالى مرّتين بحقّ محمّد صلى الله عليه وآله والقرآن كتاب الله المنزل الذي أنزله عليه، ويختم بالصلاة على محمّد وآله محمّد، وأنَّه يتضمّن الطلب من الله تعالى، باعتباره القادر على الحوائج، والعالم بالضمائر، ومنفّس الكرب، ومفرّج الغمّ، وراحم الشيخ الكبير، ورازق الطفل الصغير، الذي بان فضلُه ونورُه للعالمين، فلا يحتاج إلى تبيان وتفسير ودلالة تدلّ عليه.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**ضمّني والدي عليه السلام إلى صدره يوم قُتل والدماء تغلي وهو يقول: يا بني احفظ عني دعاءً علّمتنيه فاطمة عليها السلام وعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلمه جبرئيل عليه السلام في الحاجة والمهم والغم والنازلة إذا نزلت والأمر العظيم الفادح، قال: ادعُ بحق يس والقرآن الحكيم وبحق طه والقرآن العظيم، يا مَن يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما في الضمير، يا منفّس عن المكروبين، يا مفرّج عن المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صلّ على محمد وآل محمد، وافعل بي كذا وكذا**»[(١)].

(١) الدعوات - قطب الدين الراوندي: ص ٥٤ - ٥٥.

الزهراء تعلم سلمان دعاءً لدفع الحمّى

وروي أَنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام علّمت سلمان المحمدي رضي الله عنه هذه الكلمات وقالت: «**من واظب على الدعاء بها لم تمسّه الحمى وهي: (بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبّر الأُمور، باسم الله خالق النور من النور، والحمد لله الذي خلق النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور (بقدر مقدور) على نبي محبور، الحمد لله الذي هو بالعز مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السرّاء والضرّاء مشكور، وصلى الله على سيدنا خير خلقه محمد وآله الطاهرين الميامين المباركين الأطهار وسلم تسليماً دائماً كثيراً)**»[1].

وروى محمد بن جرير الشيعي بإسناده عن ابن أبان، عن سلمان رضي الله عنه قال: كنت خارجاً من منزلي ذات يوم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ لقيني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «**مرحباً يا سلمان، صر إلى منزل فاطمة بنت رسول الله، فإنّها إليك مشتاقة، وإنّها قد أُتحفت بتحفة من الجنة، تريد أن تتحفك منها**». قال سلمان: فمضيت إليها فطرقت الباب، فاستأذنت فأذنت لي بالدخول فدخلت، فإذا هي جالسة في صحن الحجرة، عليها قطعة عباءة، قالت: «**اجلس**»! فجلست، فقالت: «**كنت بالأمس جالسة في صحن الحجرة، شديدة الغم على النبي، أبكيه وأندبه، وكنت رددت باب الحجرة بيدي، إذ انفتح الباب ودخل علي ثلاث جوارٍ لم أر كحسنهن، ولا كنضارة وجوههن، فقمت إليهن منكرة لشأنهن، وقلت: من أين أنتن، من مكة أو من المدينة؟ فقلن: لا من**

(١) الدعوات – قطب الدين الراوندي: ص ٢٠٨.

أهـل مكـة ولا من أهـل المدينة، نحن من دار السـلام، بعثنـا إليك رب العالمـين، يقرئك السـلام ويعزّيـك بأبيـك محمـد. قالت فاطمة: فجلسـت أمامهـن وقلت للتـي أظن أنّها أكبرهـن: مـا اسـمك؟ قالـت: ذرة. قلـت: ولم سُـمّيت ذرة؟ قالـت: لأَنَّ الله عـز وجل خلقنـي لأبي ذر الغفـاري. وقلـت: للأُخـرى: ما اسـمك؟ قالـت: مقـدادة. فقلت: ولم سـمّيت مقـدادة؟ قالـت: لأَنَّ الله عز وجل خلقنـي للمقداد. وقلت للثالثة: ما اسـمك؟ قالـت: سـلمى. قلت: ولم سـمّيت سـلمى؟ قالـت: لأَنَّ الله عـز وجل خلقني لسـلمان. وقـد أهديـن إلي هديـة من الجنة، وقـد خبأتُ لـكَ منهـا. فأخرجت إلي طبقـاً من رطب أبيـض أبـرد مـن الثلج، وأذكـى رائحة من المسـك، فدفعـت إلي خمس رطبـات، وقالت لي: كُل يـا سـلمان هـذا عنـد إفطارك». فخرجـت وأقبلت أريـد المنزل، فـوالله ما مررت بمـلأ مـن النـاس إلّا قالوا: تحمل المسـك يا سـلمان! حتى أتيـت المنزل، فلـما كان وقت الإفطـار أفطـرت عليهـن، فلـم أجـد لهن نـوى ولا عجـماً، حتـى إذا أصبحـت بكرت إلى منـزل فاطمـة فأخبرتهـا، فتبسـمت ضاحكـة، وقالـت «يـا سـلمان: مـن أيـن يكون لهـا نـوى؟ وإنَّـما هـو عـز وجـل خلقـه لي تحـت عرشـه بدعـوات كان علّمنيهـا النبي». فقلـت: حبيبتـي، علميني تلـك الدعوات، فقالـت: «إن أحببتَ أن تلقـى الله وهو عنك غيرغضبـان، فواظـب عـلى هـذا الدعـاء، وهو: (بسـم الله النـور، بسـم الله الـذي يقول للـشيء كـن فيكـون، بسـم الله الذي يعلـم خائنة الأعـين وما تخفـي الصدور، بسـم الله الـذي خلـق النـور مـن النـور، بسـم الله الـذي هـو بالمعـروف مذكـور، بسـم الله الذي أنـزل النـور عـلى الطور، بقـدر مقـدور، في كتاب مسـطور، عـلى نبي محبـور)»[١].

(١) دلائل الإمامة – محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ١٠٧ – ١٠٨.

الزهراء عليها السلام توصي ولدها: الجار ثم الدار

أوصى الله تعالى برعاية الجار، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله الحديث المشهور «**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننتُ أنَّه سيورثه**». ومن السُنن في الدعاء أن يدعو المؤمن بظهر الغيب لإخوانه المؤمنين قبل نفسه، فإنَّ الملائكة ستؤمّن على دعائه وتدعو له بأضعاف ما دعا لإخوانه. وقد التزمت الزهراء عليها السلام بالدعاء لجيرانها من المؤمنين والمؤمنات وتؤثرهم على نفسها في الدعاء.

الحسن بن علي بن أبي طالب عليها السّلام، قال: «**رأيت أُمِّي فاطمة عليها السّلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتُكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت لها: يا أمّاه! لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ، الجار ثم الدار**»[١].

الشيعة حسب تعريف سيدة النساء عليها السلام

مصطلح (الشيعة) مشتقّ من المشايعة، وهي المتابعة والمطاوعة[٢]. وقد غلب هذا الاسم على كلِّ من شايع علياً عليه السلام وتابعه وقدّمه على غيره منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وآله. وأوّل من ذكر (الشيعة) هو رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث نوّه بهم في أحاديث كثيرة تناقلتها كتب الفريقين، كما في قوله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «**أنت وشيعتك تردون على الحوض رواء مرويّين مُبيضّة وجوهكم، وإنَّ عدوّك يردون على الحوض ظماء مقمحين**»[٣].

(١) علل الشرائع ١: ١٨٢ / ح ١.

(٢) النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير ٢: ٥٢٠، مادة (شيع).

(٣) المعجم الكبير للطبراني ١: ٣١٩ / ٩٤٨؛ مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٣١.

ويتحدّث الحديث التالي عن رجل من الشيعة خشي من الذنوب التي يرتكبها أن تكون قد أخرجته عن كونه (شيعياً)، فسأل امرأته أن تستفسر من سيّدتها الزهراء عليها السلام عمّا إذا كان من شيعتهم أم لا، فأخبرته عن الزهراء عليها السلام أنَّ ارتكاب الذنوب يُبعد المرء عن حدود كونه شيعياً، لكنّ محبّة أهل البيت وموالاتهم ومعاداة أعدائهم تعصم المرء من نار جهنّم، لكنّ عليه أن يدفع ضريبة ذنوبه من خلال التطهير بالعذاب الدنيويّ (بالبلايا والرزايا) أو بالعذاب الأُخروي، حسب مدى انغماره في الذنوب، وحسب نوع الذنوب التي قد ارتكبها، حتى يستنقذه مواليه أهل البيت عليهم السلام من ذلك العذاب بشفاعتهم.

روي أنَّ رجلاً قال لامرأته: اذهبي إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاسأليها عني أنّي من شيعتكم أم لست من شيعتكم؟ فسألتها فقالت: قولي له: «**إن كنتَ تعمل بما أمرناك، وتنتهي عما زجرناك عنه، فأنت من شيعتنا وإلّا فلا**»، فرجعت فأخبرته فقال: يا ويلي ومن ينفكّ من الذنوب والخطايا، فأنا إذاً خالد في النار، فإنَّ من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار. فرجعت المرأة فقالت لفاطمة ما قال زوجها، فقالت فاطمة: قولي له: «**ليس هكذا، شيعتنا من خيار أهل الجنة، وكل محبينا وموالي أوليائنا ومعادي أعدائنا والمسلّم بقلبه ولسانه لنا ليسوا من شيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا في سائر الموبقات، وهم مع ذلك في الجنة، ولكن بعد ما يطهرون من ذنوبهم بالبلايا والرزايا أو في عرصات القيامة بأنواع شدائدها أو في الطبق الأعلى من جهنم بعذابها، إلى أن نستنقذهم بحبّنا منها وننقلهم إلى حضرتنا**»[1].

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٦٥: ١٥٥.

الزهراء عليها السلام تعلّم شيعتها تزكية العلم

فضّل الله تعالى العالِم على العابد، لأنَّ العالِم وسيلة لحصول العلم واستفادة المعرفة واليقين لنفسه وغيره، بخلاف العابد، فإنَّه لا يتعدّى خيره، ولو تعدى بالاقتداء صار وسيلة للعمل دون العلم، والفارق بين الاثنين بيّن وكبير[1]. وقد روي عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «**يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم، ومتعلّم، وغثاء؛ فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلّمون، وسائر الناس غثاء**»[2].

وجاء في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «**زكاة العلم أن تعلمه عباد الله**»[3].

قال أبو محمد العسكري عليه السّلام: «**حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السّلام فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك.**

فأجابتها فاطمة عليها السّلام عن ذلك. فثنّت فأجابت، ثم ثلّثت فأجابتها، إلى أن عشّرت فأجابت.

ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشقّ عليك يابنة رسول الله. قالت فاطمة عليها السّلام: هاتي وسلي عمّا بدا لك، أرأيت من اكتري يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليّ.

سمعت أبي صلّى الله عليه وآله يقول: إنَّ علماء شيعتنا يُحشرون، فيُخلع عليهم من

---

(١) انظر: الوافي للفيض الكاشاني ١: ١٤٥.

(٢) الوافي للفيض الكاشاني ١: ١٥٣ / ح٧٢.

(٣) الكافي ١: ٤١ / ح٣، باب بذل العلم.

خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور. ثم ينادي منادي ربّنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد صلّى الله عليه وآله، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم! هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفّلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا.

فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى أنَّ فيهم- يعني في الأيتام- لمن يُخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يَخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم.

ثم إنَّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتمّوا لهم خلعهم وتضعفوها لهم. فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم.

وقالت فاطمة عليها السّلام: يا أَمَة الله، إنّ سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، وما فضل فإنَّه مشوب بالتنغيص والكدر»[١].

الزهراء عليها السلام تبيّن ثواب مؤازرة المؤمنين في المحاججة في الدين

جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله «**إذا ظهرت البدع في أمّتي، فليُظهر العالمُ عِلمَه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله**»[٢]، ونجد الزهراء عليها السلام تفتح على مؤمنة حجّتها، وتعينها على أُخرى معاندة. ثم تبيّن الثواب الكبير لمن يفتح على المؤمنين حجّتهم ويجعلهم يستظهرون على خصومهم المعاندين. وأعظم الناس أجراً هو

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السّلام: ص ٣٤٠؛ بحار الأنوار ٢: ٣/ ح ٣، عن تفسير الإمام عليه السّلام.

(٢) الوافي للفيض الكاشاني ١: ٢٤٤/ ح ١٧٩.

من أحيا نفساً، بأن أخرجها من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية، وفي الحديث الشريف المروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنَّ أبا بصير سأله عن الآية: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(١) قال: «**مَن استخرجها من الكفر إلى الإيمان**»(٢).

بالإسناد، عن أبي محمد عليه السّلام، قال: «**قالت فاطمة عليها السّلام وقد اختصم إليها امرأتان؛ فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة والأُخرى مؤمنة. ففتحت على المؤمنة حجّتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحاً شديداً. فقالت فاطمة عليها السّلام: إنَّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإنَّ حزن الشيطان ومردته بحزنها أشدّ من حزنها، وإنَّ الله تعالى قال لملائكته: أوجبوا لفاطمة عليها السّلام بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضِعف مما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنّة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان معدّاً له من الجنان**»(٣).

حديث الزهراء عليها السلام في عقوبة المتهاون بصلاته

وُصفت الصلاة بأنّها عمود الدين، وإذا كان البناء لا يقوم من دون عمود، فإنَّ الدين لا يستوي من دون الصلاة. وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنَّ ما بين الإيمان والكفر ترك الصلاة. والحديث في هذا المجال عن المتهاون بصلاته، وهو الذي يؤخّرها من دون علّة موجبة، أو الذي يسرع فيها فينقرها نقر الغراب، أو الذي لا خشوع له في صلاته ولا التفات إلى أدب قيامه بين يدَي ربّه.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٢) مستدرك الوسائل للنوري ١٢: ٢٤٠ / ح ١٣٩٩٣.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السّلام: ص ٣٤٦؛ بحار الأنوار ٢: ٨ / ح ١٥.

روى السيد علي بن طاووس في فلاح السائل عن سيدة النساء فاطمة، ابنة سيد الأنبياء صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، أنَّها سألت أباها محمداً صلى الله عليه وآله، فقالت: «**يا أبتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء**»؟ قال: «**يا فاطمة من تهاون بصلاته من الرجال والنساء، ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة، ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره. فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأُولى: يرفع الله البركة من عمره. ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عز وجل سيماء الصالحين من وجهه، وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحين، وأما اللواتي تصيبه عند موته: فأولاهن: أنَّه يموت ذليلاً، والثانية: يموت جائعاً، والثالثة: يموت عطشاناً، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه. وأما اللواتي تصيبه في قبره: فأولاهنّ يوكّل الله به ملَكاً يزعجه في قبره، والثانية: يضيّق عليه قبره، والثالثة: تكون الظلمة في قبره. وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره فأولاهن: أن يوكل الله به ملَكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية: يحاسبه حساباً شديداً، والثالثة: لا ينظر الله إليه، ولا يزكّيه، وله عذاب أليم**»[1].

بإمكان المرأة الصائمة ذات الصبي مضغ الطعام وإطعام صغيرها

الإسلامُ دين اليُسر، ودين يلحظ جوانب الحياة، كافة ويقدّم التسهيلات التي تعين الفرد المسلم في أداء التكاليف الملقاة على عاتقه. وتُبتلى المرأة الصائمة التي تعدّ الطعام لزوجها، أو التي تمضغ الطعام لصغيرها، بأنّ عليها تذوّق الطعام لتطمئنّ من جودته، الأمر الذي قد يجعلها تشكّ في صحّة صيامها، والأمر كذلك إذا مضغت المرأة الطعام

(١) مستدرك الوسائل – الميرزا النوري ٣: ٢٣ – ٢٤.

لصغيرها، فقد يتخلّف في فمها شيء منه أو تبتلعه عن غير قصد.

روى الكليني بإسناده عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ فاطمة صلوات الله عليها كانت تمضغ للحسن ثم للحسين صلوات الله عليهما وهي صائمة في شهر رمضان**»(١).

وروى الكليني بإسناده عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّه سُئل عن المرأة الصائمة تطبخ القدر فتذوق المرقة تنظر إليه؟ فقال: «**لا بأس**». قال: وسُئل عن المرأة لها الصبيّ وهي صائمة، فتمضغ الخبز وتُطعمه؟ فقال: «**لا بأس؛ والطيرَ إنْ كان لها**»(٢).

الزهراء تأمر النساء بالدعاء وترك التعداد عند رحيل أبيها

يوصي أهل البيت عليهم السلام أتباعهم بالصبر والتسليم عند المصيبة، وأن لا يقولوا عند المصيبة ما يُنقص من قدرهم وأجرهم. وقد روي في هذا المجال أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال عليه السلام: «**إنَّ قولنا: (إنّا لله) إقرار على أنفسنا بالـمُلك. وقولنا: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار على أنفسنا بالـهُلك**»(٣).

وقد سبق أن أوردنا حديثاً عن الكليني جاء فيه أنَّ الزهراء عليها السلام كانت توصي بنات هاشم بالدعاء وترك التعداد، فلا نكرر.

شروط الصيام عند سيدة النساء عليها السلام

لا ينحصر الصوم بالمعنى الظاهري وهو الامتناع عن الأكل والشرب، بل يتعدّاه إلى جوارح الإنسان التي تصوم عن إلحاق الأذى بالآخرين، بل تصوم عن كلّ ما لا يحلّ،

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٢٣ – ٢٤.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني ٤: ١١٤.

(٣) نهج البلاغة شرح محمد عبدة ٤: ٢٢، الخطب.

وقد ورد أنّ من صام صامت جوارحُه. وقد روي أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تسبّ جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام، فقال لها: «كُلي»! فقالت: إنِّي صائمة، فقال: «**كيف تكونين صائمة وقد سببتِ جاريتك، إنَّ الصوم ليس من الطعام والشراب**»(١).

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**إنَّ الكذبة لتُفطر الصيام، والنظرة والظلم كله، قليله وكثيره**»(٢). ومن هذا المنظار نفهم كلام الزهراء عليها السلام في الحديث التالي.

أخرج المجلسي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أَنَّها قالت: «**ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصُن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه**»؟!(٣)

الزهراء لا تدع أحداً من أهلها ينام ليلة القدر

ليلة القدر ليلة عظيمة، فهي ليلة نزول القرآن الكريم، وهي الليلة التي تنزل فيها الملائكة والروح إلى الأرض فيُخبرون الأئمة عليهم السلام بما يكون في تلك السنة من قضاء وقدر.

وقد سئل عنها الإمام الباقر عليه السلام فقال:

«**يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل، خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل ورزق، فما قدر في تلك الليلة وقضى فهو المحتوم، ولله فيه المشيّة**»(٤).

---

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ١: ١٩٥؛ الحدائق الناضرة ١٣: ١٢.

(٢) إقبال الأعمال ١: ١٩٥.

(٣) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٩٣: ٢٩٥.

(٤) الفصول المهمة للحر العاملي ١: ٣٩٢/ ح ٥٢٥.

وقد اقتفت الزهراء عليها السلام أَثر أبيها صلى الله عليه وآله، فكانت تحرص أن لا يفوت أحداً من أهل بيتها أمر إحيائها بالذكر والعبادة.

عن عليٍّ عليه السّلام: «**إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يطوي فراشه ويشدّ مئزره في العشر الأواخر من شهر رمضان، وكان يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين، وكان يرشّ وجوه النيام بالماء في تلك الليلة، وكانت فاطمة عليها السّلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة وتداويهم بقلّة الطعام وتتأهّب لها من النهار وتقول: محرومٌ مَن حُرم خيرها**»(١).

فاطمة عليها السلام تدعو في ساعات استجابة الدعاء

الدعاء - كما في الرواية - هو سلاح المؤمن، والدعاء هو مفتاح العلاقة بين العبد وربّه؛ قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾(٢). لكنّ للدعاء شروطاً وآداباً وكيفيّة ينبغي استكمالها، كما أَنَّ هناك أوقاتاً يُستجاب فيها، ومن هذه الأوقات عند إفطار الصائم، وبعد أداء الصلاة المكتوبة، وفي السَحر إلى طلوع الشمس. وفي الرواية الآتية تدلّنا الزهراء عليها السلام على الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، ومرّت قريباً رواية أخبر فيها النبي بضعته بوقت استجابة الدعاء يوم الجمعة.

وعن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، قال: «**ما بين فراغ الإمام عن الخطبة إلى أن تستوي الصفوف، وساعة أُخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس، وكانت فاطمة عليها السّلام تدعو في ذلك الوقت**»(٣).

(١) دعائم الإسلام للمغربي ١: ٢٨٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٧.

(٣) بحار الأنوار ٨٦: ٢٧٣.

الزهراء تواظب على زيارة قبور الشهداء وتصلّي وتدعو عندهم

واظبت الزهراء عليها السلام على زيارة قبور الشهداء والصلاة والدعاء عندها كل إِثنين وخميس من كلّ أُسبوع، ولم تنقطع عن ديدنها ذلك حتى لحقت بالرفيق الأعلى. والظاهر من الرواية أنَّها سلام الله عليها كانت تزور حمزة وأصحابه من شهداء أُحد. وبطبيعة الحال فإنَّ زيارة النساء لقبور الشهداء ينبغي الإتيان بها على نحوٍ خالٍ من الجزع وعدم الرضا بقضاء الله تعالى، وعلى نحوٍ لا يتنافى مع الستر والصيانة، وإلّا كانت الزيارة مكروهة، بل قد تصل إلى حدّ الحرمة(١).

وقد ورد في الرواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنَّه قال (في حديث): «**ما من يوم أشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أُحد، قُتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قُتل فيه ابنُ عمه جعفر بن أبي طالب. ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنَّهم من هذه الأُمَّة، كلّ يتقرّب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكّرهم فلا يتّعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً**» - الحديث، وقد نقلنا منه موضع الحاجة(٢).

عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: سمعته يقول: «**عاشت فاطمة عليها السّلام بعد رسول الله خمسة وسبعين يوماً، لم تُر كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين؛ الإثنين والخميس فتقول: هيهنا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهيهنا كان المشركون**».

---

(١) انظر: التعليقة على رياض المسائل للسيد عبد الحسين اللاري: ص٢٨٧.

(٢) الكافي ٤: ٥٦١.

وفي رواية أبان، عمن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السّلام: «**أنَّها عليها السّلام كانت تصلّي هناك وتدعو حتى ماتت**»[١].

الزهراء عليها السلام تحذّر من التهاون في الصلاة

يصف النبي الكريم الصلاة بأنَّها «**عمود الدين، إنْ قُبلت قبل ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها**»؛ وجاء في تفسير الأصفى أَنَّ علياً عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلون، فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين؟! فيقول: «**جاء وقت الصلاة، وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**»[٢].

وقد روى السيد ابن طاووس في فلاح السائل عن سيدة النساء فاطمة ابنة سيد الأنبياء صلوات الله عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وعلى أبنائها الأوصياء أنَّها سألت أباها محمداً صلى الله عليه وآله، فقالت: «**يا أبتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء**»؟

قال: «**يا فاطمة من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره.**

فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأُولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عز وجل سيماء الصالحين من وجهه، وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظّ في دعاء الصالحين.

وأما اللواتي تصيبه عند موته فأُولاهن أنَّه يموت ذليلاً، والثانية يموت جائعاً، والثالثة يموت عطشاناً، فلو سُقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه. وأما اللواتي تصيبه في قبره فأُولاهن

---

(١) الكافي ٤: ٥٦١.

(٢) تفسير الأصفى ٢: ١٠٠٥.

يوكّل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثانية يضيق عليه قبره، والثالثة تكون الظلمة في قبره.

وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره: فأُولاهن أن يوكّل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلايق ينظرون إليه، والثانية يُحاسب حساباً شديداً، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم»[١].

الزهراء توصي زوجها بالزواج بعدها بقريبة ترعى أولادها

الإسلام دين الواقعية وتلبية الحاجات الفطرية، وهو يتعامل مع الفرد المسلم تعاملاً يؤمّن احتياجاته الجسدية والروحية على حدٍّ سواء؛ ولذلك ينظر بإيجابية إلى موضوع الزواج المجدد للرجل والمرأة في حال وفاة أحدهما أو انفصالهما بالطلاق أو للضرورات الأُخرى، باعتبار الحاجة الماسة للإنسان إلى شريك يشاطره حياته ويسهم في تأمين الاستقرار النفسي والروحي له. ونلاحظ في هذا الصدد أَنَّ سيدة نساء العالمين عليها السلام قد فكرت في موضوع تأمين الاستقرار والطمأنينة لعائلتها بعد وفاتها، فأوصت أمير المؤمنين عليه السلام وعهدت إليه أن يتزوّج بعد وفاتها، وعللت ذلك بأنَّه لا بدّ للرجال من النساء، لكنها أوصت أن يتزوج ابنة أُختها أمامة لأنَّها ستكون لأولادها بمثابة الأُمِّ.

أخرج الفتال النيسابوري في روضة الواعظين حديث وفاة الزهراء عليها السلام، وجاء فيه: فقالت: «**يا بن عم إنَّه قد نُعيت إلي نفسي، وإنَّني لا أرى ما بي إلَّا أنَّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي... قال: أوصيني بما شئت، فإنَّك تجِدِيني فيها أمضي كما أمرتني به وأختار أمرك على أمري. ثم قالت: جزاك الله عني خير**

(١) فلاح السائل: ص٢٢؛ بحار الأنوار ٨٠: ص ٢١ – ٢٢.

الجزاء يا بن عم رسول الله، أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة [أُختي] أمامة فإنّها تكون لولدي مثلي، فإنَّ الرجال لا بد لهم من النساء» - الحديث بطوله، وقد أوردناه[1].

الزهراء عليها السلام والتقية

روي عن الزهراء عليها السلام قولها: «**البِشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، والبشر في وجه المعاند المعادي يقي صاحبه عذاب النار**»[2].

لقد عمل رسول الله صلى الله عليه وآله بالتقية، وجاء عنه أنَّه استأذن رجل عليه صلى الله عليه وآله فقال: «**ائذنوا له بئس أخو العشيرة**»، فلما دخل ألان له الكلام، فقالت عائشة: يا رسول الله قلتَ الذي قلت ثم ألنتَ الكلام!! قال: «**أي عائشة، إنّ شرّ الناس من تركه الناس (أو ودّعه الناس) اتّقاء فحشه**»[3].

وعمل أهل البيت عليهم السلام بالتقيّة وأوصوا شيعتهم بها. جاء في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[4]، قال«﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ**﴾ **كلّهم** ﴿**حسناً**﴾ **مؤمنهم ومخالفهم: أمّا المؤمنون فيبسط لهم وجهه وبِشره. وأما المخالفون فيكلّمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان، فإن ييأس من ذلك يكفّ شرورهم عن نفسه، وعن إخوانه المؤمنين**».[5]

وجاء فيه أيضاً: قال الحسن بن عليٍّ عليهما السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه**

(١) روضة الواعظين: ص ١٥١ - ١٥٢.

(٢) تفسير الإمام عليه السّلام ص ٣٥٤.

(٣) انظر: الأدب المفرد للبخاري: ص٢٧٨، باب (شّر الناس من يُتّقى شّره).

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٥) تفسير العسكري: ص٣٥٤/ ح٢٤٠.

وآله: إنَّ الأنبياء إنَّما فضّلهم الله تعالى على خلقه أجمعين لشدة مداراتهم لأعداء دين الله، وحسن تقيتهم لأجل إخوانهم في الله».(١)

قصة فضة خادمة الزهراء وتلميذتها

ترسم فضّة خادمة الزهراء عليها السلام صورة عن حفظ القرآن الكريم والاندكاك في الأدب القرآني، بحيث شهد أولادُها أنَّها لم تتحدث بغير القرآن عشرين سنة! تكفينا سيرة تلميذة الزهراء عليها السلام لنرسم في أذهاننا - على حدّ فهمنا - صورة عن معلّمتها التي وصفتها آيات البارئ بأنَّها ﴿كوكبٌ درّيٌّ﴾، ووصفها أبوها الصادق المصدّق بأنَّها «**علاقة ميزان العِلم**»! وتبيّن من تفسير أهل البيت عليهم السلام أنّ علم الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) من علم فاطمة الزهراء عليها السلام كالزيت يُعصر من الزيتونة، حيث يُفاض العلم من أعلى مراقي النبوّة على فاطمة الطاهرة مباشرة بدون نزول مَلَك مقرّب، والأئمّة الطاهرون (عليهم السلام) يتكلّمون عنها.

أخرج أبو القاسم القشيري في كتابه عن بعضهم، قال: انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امرأة، فقلت لها: من أنت؟ فقالت ﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٢)، فسلّمت عليها، فقلت: ما تصنعين ههنا؟ قالت: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾(٣)، فقلت: أمن الجنّ أنتِ أم من الانس؟ قالت: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾(٤)، فقلت: مِن أين أقبلتِ؟ قالت: ﴿يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾(٥)، فقلت: أين تقصدين؟ قالت:

(١) تفسير العسكري: ص٣٥٥/ح٢٤٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٩.

(٣) سورة الزمر: الآية ٣٨.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٥) سورة فصلت: الآية ٤٤.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾(١)، فقلت: متى انقطعتِ؟ قالت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٢)، فقلت: أتشتهين طعاماً؟ فقالت: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾(٣)، فأطعمتها، ثم قلت: هرولي ولا تعجلي، قالت: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٤)، فقلت: أُردفكِ؟ فقالت: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(٥)، فنزلتُ فأركبتها، فقالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾(٦). فلما أدركنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟ قالت: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾(٧)، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾(٨)، ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾(٩)، ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾(١٠)، فصِحتُ بهذه الأسماء، فإذا أنا بأربعة شباب متوجّهين نحوها، فقلت: مَن هؤلاء منك؟ قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(١١)، فلمّا أتوها قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾(١٢)، فكافوني بأشياء، فقالت: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(١٣) فزادوا عليّ، فسألتهم عنها فقالوا: هذه أُمُّنا فضّة جارية

(١) سورة آل عمران: الآية ٩١.

(٢) سورة ق: الآية ٣٧.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٦) سورة الزخرف: الآية ١٢.

(٧) سورة ص: الآية ٢٥.

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٣٨.

(٩) سورة مريم: الآية ١٣.

(١٠) سورة طه: الآية ١١ و١٢.

(١١) سورة الكهف: الآية ٤٤.

(١٢) سورة القصص: آية ٢٦.

(١٣) – سورة البقرة: آية ٢٦٣.

الزهراء عليها السلام ما تكلّمت منذ عشرين سنة إلّا بالقرآن.[١]

فوائد بقلة فاطمة عليها السلام

أحبّت الزهراء عليها السلام بقلة نافعة دعا رسول الله صلى الله عليه وآله لها بالبركة وقال بأنَّ فيها شفاءً من تسعة وتسعين داء، وفي هذه المحبّة وهذا الدعاء دلالة للشيعة بالانتفاع من هذه البقلة المباركة والاستشفاء بها.

روى الكليني بإسناده عن فرات بن أحنف قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**ليس على وجه الأرض بقلة أشرف ولا أنفع من الفرفخ وهو بقلة فاطمة عليها السلام؛ ثم قال: لعن الله بني أُمية هم سمّوها بقلة الحمقاء بغضاً لنا وعداوة لفاطمة عليها السلام**»[٢].

قال قطب الدين الراوندي: كان النبي صلى الله عليه وآله وجد حرارة فعض على رجلة فوجد لذلك راحة فقال: «**اللهم بارك فيها، إنَّ فيها شفاءً من تسعة وتسعين داء، أنبتي حيث شئت**». وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تحب هذه البقلة (فدعيت) إليها، فقيل بقلة الزهراء كما نُسبت الشقائق إلى النعمان، ثم (بنو) أُمية غيّرتها فقالوا: بقلة الحمقاء (ثم جعل من ذبّ عنهم من علمائهم تسميتها البقلة الحمقاء)، وقالوا: الحمقاء صفة للبقلة، لأنّها تنبت بممر الناس ومدرج الحوافر فتداس ولا تطول[٣].

الدروس المستخلصة

حثّ الإسلام على اكتساب العلم والمعرفة، وعدّ رسول الله صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة واجبة على كلِّ مسلم ومسلمة، لم يفرق في ذلك بين صغير وكبير، ولا بين

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٨٧.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني ٦: ٣٦٧.

(٣) الدعوات – قطب الدين الراوندي: ص ١٥٥.

ذكر وأُنثى؛ كما أَنَّه وسّع الإطار الزمني لهذه الفريضة، حيث جاء عن النبي صلى الله عليه وآله «**أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**». وقد عدَّ الإسلام أنَّ منزلة العالم منزلة رفيعة لا تقاس بها منزلة غير العالم؛ قال جلّ وعلا ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١). وقد وردت أحاديث كثيرة في منزلة العالم وطالب العلم، وجاء فيها أنَّ المرء لا يزال يدعى عالماً ما دام يطلب العلم، فإذا ظنّ أنَّه قد علم، فقد جهل. كما جاء فيها أنَّ الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم وأنَّها تستغفر لطالب العلم. كما وردت أحاديث كثيرة في الحث على بذل العلم وتعليمه، وجاء فيها أن لكل شيء زكاة، وزكاة العلم نشرُه. وقد أرشد القرآن الكريم الناس إلى أصل عام عقلائي، وهو وجوب رجوع الجاهل إلى العالم؛ قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢)، وقال تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام في خطابه لعمّه آزر ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾(٣).

ولقد ضربت الزهراء وبعلها عليهما السلام المثل الأروع للتعلّم، وكانا يردّان على تساؤل (ماذا يفعل الجائع بتعلّم العلم؟!) ببيان أنَّ المكسب الحقيقي للفرد المسلم هو بتعلّم العلم وتربية الروح وتنمية العقل، وليس بملء البطن وسدّ الجوعة.

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٣؛ سورة الأنبياء: الآية: ٧.

(٣) سورة مريم: الآية ٤٣.

الفصل الرابع عشر

فاطمة عليها السلام أُسوة الصدق في الحديث

الصدّيقة الكبرى

الصدق كما يقول أمير المؤمنين ومولى الموحّدين عليه السلام هو لسان الحق. وإنّ الصادق – كما يقول صادقُ أهل البيت جعفر بن محمد عليه السلام – أوّل من يصدّقه الله عز وجل يعلم أنَّه صادق، وتصدّقه نفسُه تعلم أنَّه صادق. قال الله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1]، وجاء في تفسير الآية الكريمة عن عبد الله بن عمر، قال: يعني محمداً وأهل بيته. ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله عزوجل لم يبعث نبياً إلَّا بصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر**»، ويقول عليه السلام في قيمة الإنسان الصادق: «**أحسن من الصدق قائلُه، وخير من الخير فاعلُه**».

ولقد عرفت قريشُ نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله منذ صباه بصدق الحديث وأداء الأمانة، وكان يُعرف بينهم بالصادق الأمين؛ ولذلك كانت عليهم الحجّة كاملة حين كذّبوه لَّما بعثه الله تعالى إليهم نبيّاً، ناهيك عن القرآن وسائر الأُمور التي أيّده الله تعالى بها. ولقد كانت سيدة نساء العالمين عليها السلام الأُسوة والمثل الأعلى في صدق الحديث؛ ولقد شهد لها ربّ العزة بالصدق، وإنَّ من أسمائها عند الله تعالى (الصدّيقة)؛ كما شهد تعالى لها بالطهارة عن كل رجس ودنس يوم أنزل في حقها وحق بعلها وابنيها قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة ويشهد لهم بالتطهير؛ وشهد للزهراء عليها السلام أبوها الصادق المصدّق يوم سمّاها بـ(الصدّيقة الكبرى) ويوم قال لبعلها أمير المؤمنين عليه السلام «**أوتيتَ زوجة صدّيقة مثل ابنتي**» ويوم قال عنها بأنَّها بضعة منه، وأنَّ الله تعالى يرضى لرضاها،

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٩.

ويغضب لغضبها؛ وشهد لها زوجها الصدّيق أمير المؤمنين عليه السلام بالصدق وقال بأنَّه لم يعهد منها كذبة ولا مخالفة، حاشاها عن ذلك، فهي - كما صرّح أمير المؤمنين عليه السلام - أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن ترتكب مثل هذه المخالفات؛ بل شهد لها حتى خصومها بأنَّهم لم يروا أحداً أصدق لهجة من الزهراء عليها السلام إلَّا أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله.

هل كانت مجرّد صدفة أن يسمّي الله تعالى أَمَتَه الزهراء بالصدّيقة، ثم يسمّيها رسوله الكريم صلى الله عليه وآله بالصدّيقة؛ أم أنَّه استشراف ليوم وقفت فيه تلك الصدّيقة الطاهرة لتطالب بردّ الحق المغتصب واستشهدت عليها السلام في دعواها بآيات القرآن الكريم، وشهد لها أمير المؤمنين عليه السلام الذي كنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله بالصدّيق، وشهد لها الحسنان اللذان وصفهما رسول الله صلى الله عليه وآله بأنَّهما سيّدا شباب أهل الجنة، وشهدت لها أمُّ أيمن التي شهد لها الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله أنَّها في الجنّة. لكنّها عليها السلام كُذِّبت مِن قِبل مَن يدّعي خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقد حكمت السماء - إذاً - بينهما، فكان أحدهما صدّيقاً، وكان الآخر كاذباً مدّعياً ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1]. وإذا عَلِم المسلمون كذبَ هذا الكاذب وأحرزوا زورَه، تبيّن لهم تكليفُهم تجاهه. أما الصادقون الذين أحرزنا صدقهم وطهارتهم -وسيّدة النساء عليها السلام في طليعتهم - فما الذي يتوجّب علينا تجاههم؟ يردّ علينا القرآن الكريم بالأمر الإلهي الصريح: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2]. ويروي جابر الأنصاري عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية، قال: «**مع آل محمد صلى الله عليه وآله**».

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٩.

فاطمة هي الصديقة الكبرى

قال الخطيب الكجوري في بيان لقب الصدّيقة الكبرى: وهو لقب شريف عظيم مدح الله تبارك وتعالى به مريم عليها السلام في القرآن المجيد، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(١).

ولقّب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة الطاهرة بـ«**الصدّيقة الكبرى**»؛ قال (صلى الله عليه وآله):

«**وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى**». والصدّيق على وزن فعّيل من أبنية المبالغة كما يقال: وهو كثير الصدق، والصدق نقيض الكذب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾(٢)...

وبديهي أنّ مقام الصدق والاستقامة في القول والفعل يأتي تلو مقام النبوّة ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾(٣). وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾(٤). وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٨٤.

(٣) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(٤) سورة الحديد: الآية ١٩.

(٥) سورة التوبة: الآية ١١٩.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مدح أمير المؤمنين عليه السلام: «**هذا خير الأوّلين وخير الآخرين من أهل السماوات وأهل الأرضين، وهذا سيّد الصدّيقين وسيّد الوصيّين**».

وقد مدح القرآن الكريم يحيى بن زكريا ونعته بالتصديق فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾(١)... وإنّما مُدحت مريم ووصفت بـ(الصدّيقة) لصدقها في دعواها أنّ عيسى منه ولم يمسسها بشر، فشهد الله لها بالصدق، فصارت صدّيقة لأنّ الله صدّقها. وسمّيت فاطمة الزهراء عليها السلام: الصدّيقة الكبرى عليها السلام لأنّها صدّقت بوحدانية الحقّ تعالى ونبوّة أبيها وإمامة بعلها وإمامة أبنائها المعصومين واحداً بعد واحد وهي في رحم أُمّها وعند ولادتها. ثمّ إنّها كانت - وهي طفلة صغيرة - أوّل من سبق إلى التصديق بنبوّة النبي (صلى الله عليه وآله) بعد أمّها، وعاشت في كنف الرسالة، واقتدت في جميع أحوالها وأفعالها وأقوالها بمربّيها العظيم، وأكملت منذ طفولتها ملكاتها القدسيّة النفسانيّة، وعاشت مع الصادقين والصدّيقين، وقد وصفها أبوها - وهو أصدق القائلين وأفضل الصدّيقين - بأنّها «**الصدّيقة الكبرى**» وفضّلها بذلك على مريم العذراء، وقد قال: «**فاطمة مريم الكبرى**»...

قال الطبرسيّ (رحمه الله) في مجمع البيان في ذيل الآية المذكورة ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ..﴾(٢): الصدّيق المداوم على التصديق - أي دائم الصدق - بما يوجبه الحق. وقيل: الصدّيق الذي عادته الصدق، وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل، يقال لملازم الشرب (شرّيب)، ولملازم الشّكر (شكّير). وقيل في معنى الصدّيق: إنّه المصدّق بكلّ ما أمر الله به وأنبياؤه، لا يدخله في ذلك شكّ، ويؤيّده قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٩.

﴿وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾(١). وسيأتي في غسل فاطمة الزهراء عليها السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**والصدّيقة لا يغسلها إلاّ صدّيق**». وبناءً على ما مرّ، فقد اتّفق المخالف والمؤالف على أنّ فاطمة الزهراء هي الصدّيقة الكبرى قولاً وقلباً وفعلاً، لم تكذب قطّ كذبة واحدة، وكانت تفعل ما تقول، ولم تتخلّف قط في أداء أيّ تكليف أو امتثال أيّ أمر، وكان لها في ذلك صدق نيّة وعزم وثبات ومداومة ومراقبة تامّة. قال أهل التحقيق: إنّ التصديق يلازمه التبعيّة في الأقوال والأفعال، كما صنع يحيى عليه السلام حين صدق بنبوّة عيسى عليه السلام وتابعه متابعة كاملة من المهد إلى اللحد. وقال النبي (صلى الله عليه وآله): ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾(٢).

وقد صدّقت فاطمة عليها السلام بما أمر الله وبما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) واتّبعته، ولا شكّ أنّ التابع يعدّ من المتبوع، فهي من النبيّ والنبيّ منها لاتّحاد التابع والمتبوع المذكور في قوله «**فمن تبعني فإنّه منّي**»، إضافة إلى جهة النسب والقرابة، والأُبوّة والنبوّة، وأمّا حديث «**فاطمة منّي وأنا من فاطمة**» فشرف آخر وفضيلة خاصّة؛ انتهى كلام الخطيب الكجوري.(٣)

ما رأيت أصدق لهجة من الزهراء إلا الذي ولدها

شهدت عائشة – مع ما كان بينها وبين الزهراء وبعلها وابنَيها – أنّها لم ترَ أحداً يفوق في صدق اللهجة والحديث بضعة رسول الله عليها السلام، اللهمّ إلّا أن يكون أباها الصادق المصدّق الذي أنجبها. ولا يخفى ما في هذه الشهادة من قيمة، ذلك أنَّ عائشة

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٩.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٦؛ والكلام لإبراهيم الخليل عليه السلام.

(٣) الخصائص الفاطمية للكجوري ١: ٢١٨ – ٢٢٣.

تشهد أنَّ الزهراء عليها السلام لم تكن بالتي تدفعها الخصومة التي كانت بينها وبين عائشة إلى مجانبة قول الحقّ والصدق قيد شعرة، وعلى الرغم من الانتقاصات المتكررة التي كانت عائشة توجهها لشخص خديجة أمِّ الزهراء عليهما السلام، بل لشخص الزهراء نفسها، وعلى الرغم من العداء الذي كانت عائشة لا تبالي من إظهاره تجاه بعل الزهراء (أمير المؤمنين عليه السلام)، فقد كانت الزهراء الصدّيقة على طول الخط لا تقول إلَّا حقاً وصدقاً.

روى الحاكم بإسناده عن عائشة: أنَّها إذا ذكرتْ فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله قالت: ما رأيتُ أحداً كان أصدق لهجةً منها إلَّا أن يكون الذي ولدها[١].

ما عهدتني كاذبة ولا خائنة

هذه شهادة من إمام معصوم جعله رسولُ الله منه بمنزلة هارون من موسى وقال عنه بأنَّه مع الحقّ وأنَّ الحقّ معه، إنَّ الزهراء عليها السلام أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله مِن أن ترتكب خلاف الصدق والحقّ.

أخرج الفتال النيسابوري حديث وفاة الزهراء عليها السلام، جاء فيه أنَّها قالت: «**يا بن عمّ، ما عهدتَني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتُك منذ عاشرتني، فقال عليه السلام: مَعاذ الله أنتِ أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أوبّخك بمخالفتي**»- الحديث، وقد أوردناه[٢].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣: ١٦٠ - ١٦٠.

(٢) روضة الواعظين: ص١٥٣، مجلس في ذكر وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٩١ - ١٩٣.

الزهراء الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى

إذا وصف القرآن الكريم مريم عليها السلام بأنّها (صدّيقة)، في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[١]، فإنَّ فاطمة عليها السلام بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وشهادة الإمام المعصوم عليه السلام هي (الصدّيقة الكبرى). ولقد كانت كفواً لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو الصدّيق الأكبر بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله.

روى الصدوق عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «**إنَّ الله تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولاً، وأنزل علي سيّد الكتب، فقلت:**

إلهي وسيدي، إنَّك أرسلت موسى إلى فرعون، فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيراً، تشدّ به عضده، وتصدّق به قوله، وإنِّي أسألك يا سيدي وإلهي أن تجعل لي من أهلي وزيراً، تشدّ به عضدي. فجعل الله لي علياً وزيراً وأخاً، وجعل الشجاعة في قلبه، وألبسه الهيبة على عدوه، وهو أول من آمن بي وصدقني، وأول من وحّد الله معي، وإنِّي سألت ذلك ربي عز وجل فأعطانيه. فهو سيد الأوصياء، اللحوق به سعادة، والموت في طاعته شهادة، واسمه في التوراة مقرون إلى اسمي، وزوجته الصدّيقة الكبرى ابنتي، وابناه سيدا شباب أهل الجنة ابناي، وهو وهما والأئمة بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين، وهم أبواب العلم في أمّتي، من تبعهم نجا من النار، ومن اقتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم، لم يهب الله عز وجل محبتهم لعبد إلا أدخله الله الجنة»[٢].

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده عن إسحاق بن عمار وأبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ الله تبارك وتعالى أمهر فاطمة عليها السلام رُبع الدنيا،**

(١) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٢) أمالي الصدوق: ص٧٤، المجلس السادس.

فرُبعها لها، وأمهرها الجنّة والنار، تُدخل أعداءها النار، وتُدخل أولياءها الجنة، وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى»[١].

فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة

قال العلامة المجلسي بعد روايته الحديث اللاحق: (الصدّيقة) فعيلة للمبالغة في الصدق والتصديق، أي كانت كثيرة التصديق لما جاء به أبوها صلى الله عليه وآله، وكانت صادقة في جميع أقوالها، مصدّقة أقوالها بأفعالها، وهي معنى العصمة.

ولا ريب في عصمتها صلوات الله عليها لدخولها في الذين نزلت فيهم آية التطهير بإجماع الخاصة والعامة والروايات المتواترة من الجانبين - إلى آخر كلامه قدّس سرّه.[٢]

روى الكليني في الكافي بإسناده عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: «**إنَّ فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة، وإنَّ بنات الأنبياء لا يطمثن**»[٣].

من أسماء الزهراء عند الله تعالى الصديقة والمباركة

قال أبو عبد الله عليه السلام: «**لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة والصدّيقة والمباركة، والطاهرة والزكية، والراضية والمرضية، والمحدثة والزهراء؛ ثم قال عليه السلام: تدري أي شيء تفسير فاطمة؟ قال: فُطمت من الشر، ثم قال: لولا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فما دونه**»[٤].

---

(١) أمالي الطوسي: ص٦٦٨، مجلس يوم الجمعة ٣٦؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٠٥.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول للمجلسي ٥: ٣٢٠.

(٣) الكافي - الشيخ الكليني ١: ٤٥٨ / ح٢.

(٤) روضة الواعظين - الفتال النيسابوري: ص ١٤٨.

أُوتيت زوجة صدّيقة مثل ابنتي

نلاحظ في الرواية القادمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتطرّق إلى أيٍّ من أسماء الزهراء عليها السلام سوى اسم (الصدّيقة)، وأنَّه غبط أمير المؤمنين (الصدّيق الأكبر) بأنَّ الله تعالى رزقه زوجة صدّيقة كزوجته الزهراء عليها السلام، وأنَّ الله تعالى رزق أمير المؤمنين من زوجته فاطمة الحسنَ والحسين سيدي شباب أهل الجنّة. ثمّ يقول صلى الله عليه وآله «**ولكنّكم منّي وأنا منكم**».

أخرج المحبّ الطبريّ عن أبي سعيد في شرف النبوّة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لعليّ: «**أُوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا: أوتيتَ صهراً مثلي ولم أوتَ أنا مثلك؛ وأوتيت زوجة صدّيقة مثل ابنتي ولم أؤتَ مثلها زوجة؛ وأوتيتَ الحسن والحسين من صلبك، ولم أؤت من صلبي مثلهما؛ ولكنّكم منّي وأنا منكم**»[١].

فاطمة صدّيقة لا يغسلها إلا صدّيق

روى الكليني في الكافي بإسناده عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من غسل فاطمة؟ قال: «**ذاك أمير المؤمنين**» – وكأني استعظمت ذلك من قوله – فقال: «**كأنَّك ضقت بما أخبرتك به**»؟ قال: فقلت: قد كان ذاك جُعلت فداك، قال: «**فقال، لا تضيقنّ فإنَّها صدّيقة ولم يكن يغسلها إلَّا صدّيق، أما علمتَ أنَّ مريم لم يغسلها إلَّا عيسى**»[٢].

---

(١) الرياض النضرة ٢: ١٧٢ – ١٧٣.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني ١: ٤٥٩ / ح٤.

الإمام العسكري ينقل قصة عن الصدّيقة فاطمة عليهما السلام

قال أبو محمد العسكري عليه السّلام: «**حضرت امرأة عند الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السّلام فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها فاطمة عليها السّلام عن ذلك. فثنّت فأجابت، ثم ثلّثت فأجابتها، إلى أن عشّرت فأجابت.**

ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشقّ عليك يابنة رسول الله. قالت فاطمة عليها السّلام: هاتي وسَلي عمّا بدا لكِ، أرأيتِ مَن اكتري يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريتُ أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليّ» - الحديث(١).

الله تعالى يأمر بطاعة الصادقين محمد وأهل بيته

اتّباع الصدّيقة الزهراء عليها السلام واجب باعتبارها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أوجب علينا الله تعالى طاعته واتباعه، كما أنّه واجب باعتبار الزهراء عليها السلام من الصادقين الذين أمر البارئ باتباعهم والكون معهم.

روى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٢) قال: مع آل محمد صلى الله عليه وآله(٣).

وروى المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، [قال:] بطاعتهم(٤).

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السّلام: ص ٣٤٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(٣) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ٥: ١٤٠.

(٤) تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ٢: ١١٧ / ح١٥٦.

الدروس المستخلصة

الصدق كما يقول أمير المؤمنين ومولى الموحّدين عليه السلام هو لسان الحق. وإنّ الصادق – كما يقول صادقُ أهل البيت جعفر بن محمد عليه السلام – أوّل من يصدّقه الله عز وجل يعلم أنَّه صادق، وتصدّقه نفسُه تعلم أنَّه صادق.

ولقد عُرف نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله منذ صباه بصدق الحديث وأداء الأمانة، وكانت قريش تسمّيه الصادق الأمين؛ ولذلك كانت عليهم الحجّة كاملة حين كذّبوه لّما بعثه الله تعالى إليهم نبيّاً.

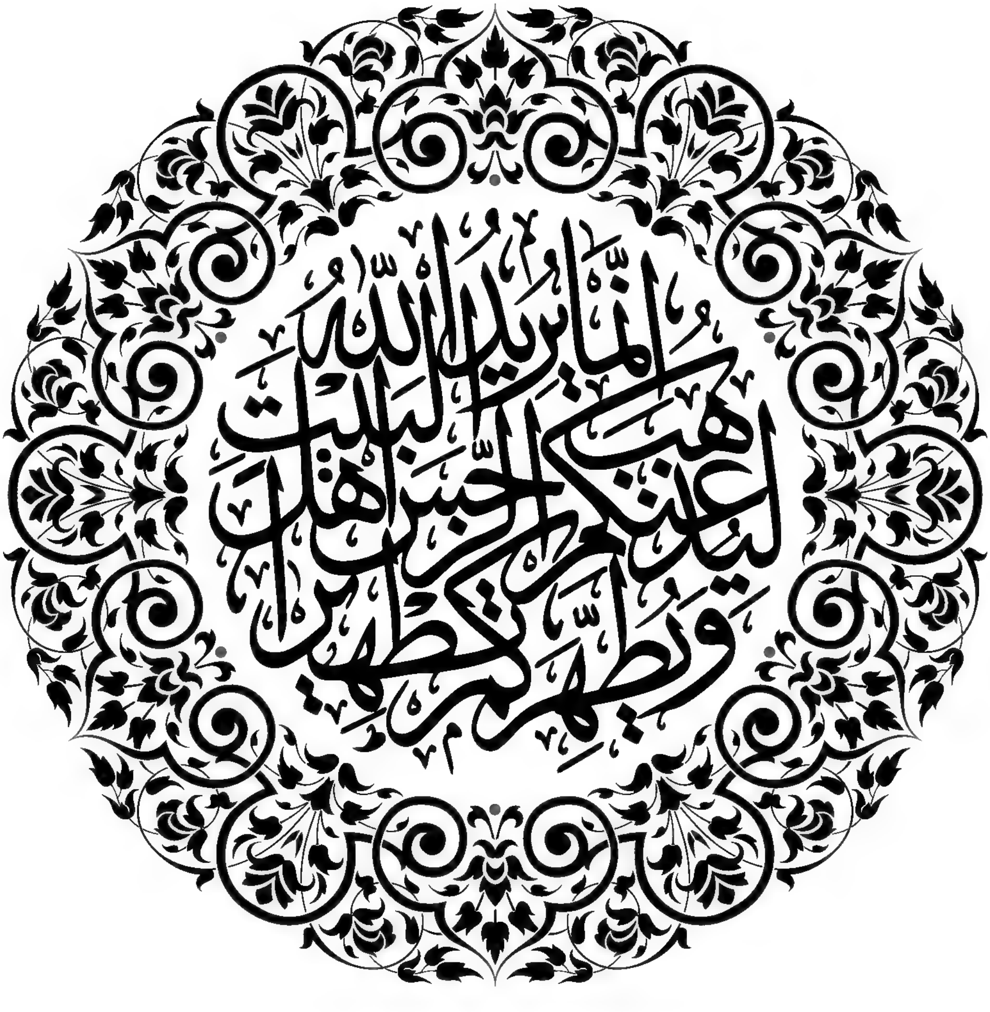
وكانت الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام الأُسوة والمثل الأعلى في صدق الحديث وفي التصديق بما جاء به أبوها المرسل صلى الله عليه وآله، ولقد صدّقت أفعالُها أقوالَها؛ ولقد شهد لها ربّ العزة بالصدق وسمّاها بـــ(الصدّيقة)؛ كما شهد تعالى لها بالطهارة عن كل رجس ودنس يوم أنزل في حقّها وحقّ بعلها وابنيها قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة ويشهد لهم بالتطهير؛ وشهد للزهراء عليها السلام أبوها الصادق المصدّق يوم سمّاها بـ(الصدّيقة الكبرى).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلّا بصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر**»، ويقول عليه السلام في قيمة الإنسان الصادق: «**أحسن من الصدق قائلُه، وخير من الخير فاعلُه**».

ولقد أمر الله تعالى عباده بالصدق، وأمر باتباع الصادقين، فقال تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(١)

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٩.


إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

الفصل الخامس عشر

رضا الزهراء عليها السلام بقضاء الله تعالى وامتثالها لأمره

معنى الرّضا بقضاء الله وحقيقته وما ورد في فضيلته

قال الفيض الكاشاني: قال عليه السّلام: «**أعطوا الله الرّضا من قلوبكم، تظفروا بثواب فقركم، وإلا فلا**».

وفي أخبار موسى عليه السّلام أنّ بني إسرائيل لما قالوا له عليه السّلام: سَل لنا ربّك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنّا، فقال موسى عليه السّلام: «**إلهي قد سمعتَ ما قالوا**»، فقال: (يا موسى قل لهم يرضون عنّي حتّى أرضى عنهم)؛ ويشهد لهذا ما روي عن نبيّنا صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من أحبّ أن يعلم ما له عند الله عزّ وجلّ، فلينظر ما للهّ تعالى عنده، فإنّ الله تعالى يُنزل العبد منه حيث أنزله العبدُ من نفسه**».

وفي أخبار داود عليه السّلام: «**ما لأوليائي والهمّ بالدّنيا، إنّ الهمّ يُذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم، يا داود إنّ محبّتي من أوليائي أن يكونوا روحانيّين لا يغتمّون**».

وسئل عيسى عليه السّلام: ما أفضل الأعمال؟ فقال: «**الرّضا عن الله والحبّ له**».

وروي أنّ موسى عليه السّلام قال: «**يا ربّ دُلّني على أمر فيه رضاك حتّى أعمله؛ فأوحى الله تعالى إليه: رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره، فقال: يا ربّ دلّني عليه؟ فقال: إنّ رضاي في رضاك بقضائي**».

وفي مناجاة موسى عليه السّلام: «**أي ربّ أيّ خلقك أحبّ إليك؟ قال: مَن إذا أخذت منه المحبوب سالمني، قال: فأيّ خلقك أنت عليه ساخط؟ قال: مَن يستخيرني في الأمر فإذا قضيتُ له كره قضائي. وقد روي ما هو أشدّ منه، وذلك أنّ الله تعالى قال: أنا الله لا إله إلا أنا، من لم يصبر على بلائي ولم يرضَ بقضائي ولم يشكر نعمائي، فليتّخذ ربّاً سواي**».[1]

(١) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء للفيض الكاشاني ٨: ٨٦ – ٨٩.

الزهراء الراضية عليها السلام

الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم له وامتثال أمره عز وجل علامة إيمان الفرد المسلم. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سئل: بأي شيء يعلم المؤمن أنَّه مؤمن؟ قال عليه السلام: «**بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور أوسخط**»[1]. وروي عنه عليه السلام قوله: «**إنَّ أعلمَ الناس بالله أرضاهم بقضاء الله**»[2].

كيف يسلِّم المسلمُ لأمر الله تعالى؟ إذا علِم المسلمُ أنَّه عبد مملوك لله تعالى، وأنَّ مالكه وربّه لا يريد له إلا الخير والصلاح، فإنَّه سيفوّض أمره لله تعالى ويسلّم له ولا يسخط في شيء من حكمه.

وقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**الرضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين**»[3]. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**يا عباد الله أنتم كالمرضى ورب العالمين كالطبيب، فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب وتدبيره به، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلّموا لله أمره تكونوا من الفائزين**».[4]

ولقد قيل لإمامنا الحسن المجتبى عليه السلام: إنَّ أبا ذر يقول (الفقر أحبّ إليّ من الغنى، والسُقم أحبّ إلي من الصحة)، فقال عليه السلام: «**رحم الله أبا ذر! أما أنا فأقول مَن اتّكل على حسن اختيار الله له، لم يتمنّ شيئاً! وهذا حدّ الوقوف على الرضا بما تصرّف به القضاء**»![5]

---

(١) الكافي ٢: ٦٣ / ح١٢.

(٢) الكافي ٢: ٦٠ / ح٢.

(٣) التمحيص لمحمد بن همام الإسكافي: ص٦٠ / ح١٣١.

(٤) الاحتجاج للطبرسي ١: ٤٥.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣: ٢٦٢؛ وجاء في تحف العقول لابن شعبة الحراني بلفظ: (من اتّكل على حسن الاختيار مِن الله له، لم يتمنّ أنه في غير الحال التي اختارها الله له).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**مَن رضي بالقليل من الرزق قبل اللهُ منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤونته وزكت مكسبته وخرج من حدّ العجز**»![1]

لقد نالت الزهراء عليها السلام لقب (الراضية) لأنَّها رضيت بقضاء الله تعالى، وفعلت كل ما يرضيه سبحانه، وصبرت على بلائه عز وجل. لم تسمع أذنُ الدهر من الزهراء عليها السلام كلمة تذمّر أو سخط؛ ولم ترها عينُ الدهر إلا مسلّمة راضية. وبلغ بها عليها السلام الرضا بقضاء الله تعالى وتقديره أنَّها لّما حدّثها رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن مصرع حبيبها وقرّة عينها الحسين عليه السلام، وأخبرها بما يجري عليه من البلاء، حزنت واسترجعت، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة بنت محمد، أما تحبين أن تأمرين غداً بأمر فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض، فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه؟...**» إلى آخر كلامه الشريف، فقالت: «**يا أبة، سلّمت ورضيت وتوكلت على الله**».

لقد عدّت الزهراء الراضية عليها السلام مرارة الدنيا وشدّتها من آلاء الله تعالى ونعمه التي يجب شكره تعالى عليها؛ حيث روي أنَّ أباها صلّى الله عليه وآله رآها وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها.

فدمعت عيناه صلّى الله عليه وآله فقال: «**يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة. فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه**». فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ

---

(١) تحف العقول: ص٢٧٧.

يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[١].

ولقد جمع رسولُ الله صلّى الله عليه وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام في بيته وأخبرهم بأنّهم سيلقون من أعاديهم شدّة وقال: «**إنَّ الله عز وجل يقول: قد جعلت عدوّكم لكم فتنة، فما تقولون؟ فقالوا: نصبر لأمر الله وما نزل من قضائه حتى نقدم عليه**».

في معنى «الراضية»

قال الخطيب الكجوري في بيان لقب (الراضية): (... هذا اللقب الشريف يحكي رضا تلك المقدسة، ويحكي عالم الرضوان الأكبر، وهو عالم لا يكون إلاّ للمعصومين (عليهم السلام)، كما أخبر الحق تعالى في سورة الغاشية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[٢].

قال بعض العرفاء في تفسير هذه الفقرة من الدعاء: «**وخذ لنفسك رضاءً من نفسي**» أي أرضِ نفسي بكلّ ما ينزل منك ويرد عليها، فإذا صارت النفس راضية، صارت يوم القيامة إلى عيشة مرضيّة. وعلامة النفس الراضية أنّها لا تسخط على ما قدّره الله لها، ولا ترضى من نفسها بالقليل من العمل.

روي في المجمع: «**مَن رضي بالقليل من الرزق، قبل الله منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال، خفّت مؤونته وتنعّم أهله، وبصّره الله داء الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام**».

---

(١) سورة الضحى: الآية ٥.

(٢) سورة الغاشية: الآية ٨ - ١٠.

والراضي: الذي لا يسخط بما قدّر عليه ويرضى لنفسه بالقليل. وهذا الحديث غاية في الشرف والجلال.

واعلم أنّ النفس إذا صارت مطمئنّة، بلغت زمان الرجوع إلى الحق والخروج من علائق البدن والتوجّه إلى عالم القدس، فهي حينئذ راضية ومرضية. وهذا الإرضاء ناشئ من الاطمئنان المودع في النفس والاطمئنان يلي مقام الإيقان وهو راشح من ترقّي الملكات الحقّة.

ومعنى الاطمئنان أنّ العناية التي تحفّه في الآخرة يراها بالمشاهدة والعيان في دار الدنيا، أي أنَّ عالم الشهود والكشف لديه في الدنيا والآخرة على نهج واحد، وهو معنى «**لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً**».

قال في المجمع: النفس المطمئنّة الآمنة من الخوف والحزن أو المطمئنّة للحقّ تعالى؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[١].

وجاء في التفسير عن أهل البيت (عليهم السلام)عن الصادق: «**النفس المطمئنّة إلى محمّد صلى الله عليه وآله والراضية بالولاية، والمرضيّة بالثواب، وادخلي في عبادي، أي محمّد وأهل بيته عليهم السلام**».

والخلاصة: إنّ هذا اللقب غاية في تمجيد فاطمة الصدّيقة الطاهرة عليها السلام، وقد ظهرت صفة الرضا بنحو الكمال في حبيبة ذي الجلال، بل اتّحد رضاها برضا الله ورسوله وارتفعت المغايرة، وإلاّ لما قال النبي صلى الله عليه وآله: «**رضا فاطمة رضاي، وسخط فاطمة سخطي**». وقد استفاد المرحوم المجلسي من هذا الحديث ونظائره عصمة الزهراء عليها السلام.انتهى كلام الخطيب الكجوري[٢].

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢٧ و٢٨.

(٢) الخصائص الفاطمية ١: ٢٣١ – ٢٣٣.

الزهراء راضية برضا الله ورسوله

لما شكت فاطمة لأبيها المرسل مرضها، وذرفت أمامه الدمع، أراد صلى الله عليه وآله أن يسلّيها ويطيّب خاطرها، فذكّرها بأنَّه زوّجها من أمير المؤمنين عليه السلام السابق إلى الإيمان، وباب مدينة عِلم الرسول، وأعظم الأُمَّة حِلماً، وأنَّ هذه النعمة الكبيرة لجديرةٌ أن تُنسيها ألم المرض وعناءه. ونجد الزهراء الراضية عليها السلام تعلن رضاها وتسليمها لأمر الله عز وجلّ.

وعن معدان بن سنان، أنَّه قال: مرضت فاطمة بنت رسول الله عليها السّلام. فأتاها ليعودها، فبكت وشكت إليه حالها. فقال: «**يا فاطمة، أما ترضين أن زوّجتك أقدم أمَّتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً**»؟ قالت: «**بلى رضيت يا رسول الله**»[١].

امتثال الزهراء لأمر الربّ تعالى في مناداة الرسول

امتثلت الزهراء عليها السلام لأمر الله تعالى في دعاء الرسول ومخاطبته، فقد نهاهم أن يخاطبوه باسمه أو كنيته، حيث كان بعض الصحابة يخاطبه بقوله (يا محمّد) أو (يا أبا القاسم)، وأمرهم تعالى أن يخاطبوه بأكرم صفاته وأسمائه، أي بـ(يا رسول الله) أو (يا نبيّ الله)[٢]! ومع أنهَّا عليها السلام بضعة النبي وريحانته وأقرب الناس إليه، لكنّها سارعت إلى امتثال الأمر الإلهي، حتى أخبرها رسول الله أنَّ الآية لم تنزل فيها ولا في أهلها، ثم أخبرها أنَّ قولها له (يا أباه) أحبّ إلى قلبه وأرضى للربّ.

عن الحسين بن علي عليهما السّلام، عن أمّه فاطمة الزهراء عليها السّلام سيدة نساء

---

(١) شرح الأخبار ٢: ٢١٠ / ح ٥٤٢.

(٢) انظر التفسير الصافي للفيض الكاشاني ٣: ٤٥١.

العالمين، قالت: «**نزلت على سيدي قراءة هذه الآية: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾[1]، قالت فاطمة عليها السّلام: فجئت وهبت النبي صلىّ الله عليه وآله أن أقول له: يا أباه، فجعلت أقول: رسول الله. فأقبل عليّ وقال: يا بُنية، لم تنزل فيك ولا في أهلك من قبل. قال: أنتِ مني وأنا منك، وإنّما نزلت في أهل الجفاء، وإنَّ قولكِ: (يا أباه) أحبّ إلى القلب وأرضى للرب. ثم قال: أنت نِعم الولد، وقبّل جبهتي ومسحني من ريقه؛ فما احتجت إلى الطيب بعده**»[2].

ما رضيت فاطمة حتى رضي الله رب العالمين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ ابنته الراضية بأنَّ الله تعالى يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، وها هو صلى الله عليه وآله يُخبر عن ابنته الزهراء بأنَّها ما رضيتْ حتى رضي الله تعالى ربّ العالمين. وفي هذين الحديثين نرى بوضوح معالم عصمة الزهراء عليها السلام التي أذهب اللهُ عنها الرجس وطهّرها تطهيراً، فهي لا ترضى بأمر ليس فيه لله تعالى رضا، واللهُ تعالى يرضى لرضا الزهراء لأنَّها لا ترضى إلاّ بما يُرضيه.

أخرج الحافظ ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: دخلت أمُّ أيمن على النبي صلى الله عليه وآله وهي تبكي فقال لها: ما يُبكيك لا أبكى الله عينيك؟ قالت: بكيت يا رسول الله لأنّي دخلت منزل رجل من الأنصار قد زوّج ابنته رجلاً من الأنصار، فنثر على رأسها اللوز والسكر، فذكرتُ تزويجك فاطمة من علي بن أبي طالب ولم ينثر عليها شيئاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**لا تبكي يا أمَّ أيمن، فوالذي بعثني بالكرامة واستخصّني**

(١) سورة النور: الآية ٦٣.

(٢) حلية الأبرار ١: ١١٠ / الباب الحادي و العشرون، عن المناقب الفاخرة؛ بحار الأنوار ٤٣: ٥٥ باختلاف يسير في اللفظ.

بالرسالة ما أنا زوّجتُه ولكن الله زوّجه، ما رضيتُ حتى رضي علي، وما رضيتْ فاطمة حتى رضي الله رب العالمين»؛ الحديث[١].

الزهراء راضية عن الله تعالى ورسوله

المؤمن إذا اختار له الله ورسوله أمراً سلّم وعلِم أنّ خيره فيما اختاره له اللهُ ورسوله. قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٢]. ونجد الزهراء الراضية عليها السلام تجسّد الرضا بحكم الله ورسوله واختيارهما، سواء في أمر زواجها أو في أُمور معيشتها، بل نجدها عليها السلام - كما سيأتي قريباً - راضية مسلّمة أمام المصائب والمحن التي يُخبرها الصادق المصدّق أنّها ستجري عليها وعلى ذريّتها من بعدها، وسيأتي أنَّ الزهراء عليها السلام تعتبر مرارة الدنيا وضنك العيش من جُملة آلاء الله تعالى ونِعمه التي ينبغي شكره عليها.

روى أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن أعبد قال، قال لي علي بن أبي طالب -عليه السلام-: «**يا بن أعبد هل تدري ما حق الطعام**»؟ قال قلت: وما حقه يا بن أبي طالب؟ قال: «**تقول بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا**». قال: «**وتدري ما شكره إذا فرغت**»؟ قال،قلت: وما شكره؟ قال: «**تقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا**» ثم قال: «**ألا أخبرك عني وعن فاطمة -عليها السلام-؟ كانت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت من أكرم أهله عليه وكانت زوجتي، فجرت بالرحى حتى أثّر الرحى بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر؛ فقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله بسبي**

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٢٦.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

أو خدم. قال: فقلت لها: انطلقي إلى رسول الله، فاسأليه خادماً يقيك حر ما أنتِ فيه. فانطلقت إلى رسول الله فوجدت عنده خدماً أو خداماً، فرجعت ولم تسأله فذكر الحديث. فقال: ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ إذا أويت إلى فراشك سبّحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبّري أربعاً وثلاثين. قال: فأخرجت رأسها فقالت: (رضيت عن الله ورسوله) مرّتين»[1].

وأخرج الحافظ ابن عساكر عن أبي هريرة قال: لما خطب علي فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وآله دخل عليها فقال لها: «**أي بنية! إن ابن عمّك علياً قد خطبك، فماذا تقولين**»؟ فبكت ثم قالت: «**كأنّك يا أبة إنّما ذخرتني لفقير قريش**»! فقال: «**والذي بعثني بالحق، ما تكلّمتُ في هذا حتى أذن اللهُ فيه من السماء**»! فقالت فاطمة: «**رضيتُ بما رضي الله لي ورسوله**»- الحديث[2].

الزهراء عليها السلام تعتبر مرارة الدنيا من آلاء الله تعالى

تدمع أعين النبي الرحيم وهو ينظر إلى ابنته الرقيقة تصارع شظف العيش ومشقته، فتطحن بالرحى بيديها حتى تسيل دماؤهما فتصبغ عمود الرحى، وترضع ولدها وهي تطحن حتى يغفو على صدرها، ويذرف النبي دموعه وهو يرى ابنته الحبيبة ترتدي كساءً غليظاً من أجلة الإبل، فيهمس لها بأن تتعجّل مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة. إنْ كانت دُنياكِ يا بضعة الرسول مرّة كالعلقم، فسوف يُعطيكِ ربّك من نعمائه وآلائه يوم القيامة فتقرّ عينُك وترضين.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٥٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٢٥.

أخرج الثعلبي في تفسيره عن جعفر بن محمد عليه السّلام؛ وتفسير القشيري، عن جابر الأنصاري، أنَّه رأى النبي صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السّلام وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها.

فدمعت عينا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: «**يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة**». فقالت: «**يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه**». فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى(١)﴾(٢).

النبي يخبر ابنته بقتل الحسين فتسلّم لقضاء الله وترضى بحكمه

تحمل الزهراء عليها السلام قرّة عينها الحسين عليه السلام صغيراً، تضمّه إلى صدرها، وترنو إليه فيهشّ لها بابتسامته الجميلة، فتحسّ أنَّ الدنيا لا تسعها من السعادة، ويأتي أبو الزهراء فيأخذ الحسين ويحمله ويتطلّع إلى وجهه فيلعن قاتليه وسالبيه والمتوازرين عليه، وتفزع الزهراء حين يطرق سمعها كلام أبيها. وتتساءل بذهول: «**يا أبة أيّ شيء تقول**»؟! فيُخبرها النبي أنَّ ابنها وفلذة كبدها سيُقتل في عصبة من أهل بيته ليس لهم على الأرض شبيه، كأنَّهم نجوم السماء الزواهر! يراهم النبيّ عياناً، حتى كأنَّه ينظر إلى معسكرهم ومحطّ رحالهم وتربتهم التي سيرقدون فيها!! فتسترجع الزهراء عليها السلام وينصدع قلبها الرحيم تصبّ الدموع سخاناً، فيُخبرها النبي بدرجة ولدها سيّد الشهداء التي سينالها بشهادته، وبمنزلة زوّاره ومحبّيه عند الله تعالى الذين وصفهم بأنَّهم الشفعاء وأنَّهم مصابيح في ظلمات الجور، وأنَّهم الذين يستنزل بهم الغيث. ثم أخبرها بمنزلة الشفاعة التي سيمنّ الله بها على أبيها يوم القيامة، وأنَّ زوجها أمير المؤمنين سيكون القسيم بين الجنّة والنار، وأنَّها

(١) سورة الضحى: الآية ٥.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٤٢، عن تفسير الثعلبي؛ تفسير نور الثقلين ٥: ٢٩٤، عن تفسير الثعلبي.

ستأمر في الخلق يوم القيامة فتُطاع، وأنّها ستلتقط شيعتها يوم القيامة كما يلتقط الطيرُ الحبَّ الجيّد فتُدخلهم الجنّة؛ فقالت: «يا أبة، سلّمتُ ورضيت وتوكّلت على الله».

عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «كان الحسين عليه السّلام مع أُمِّه تحمله، فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، وأهلكَ اللهُ المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعانهم عليك. فقالت فاطمة عليها السّلام: يا أبة! أي شيء تقول؟! قال: يا بنتاه، ذكرتُ ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنَّهم نجوم السماء، يتهادون إلى القتل، وكأنّي انظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

فقالت: يا أبة، وأين هذا الموضوع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له كربلا، وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأُمَّة؛ يخرج عليهم شرار أمّتي، ولو أنَّ أحدهم يشفع له مَن في السماوات والأرضين ما شُفّعوا فيهم، وهم المخلّدون في النار. قالت: يا أبة، فيُقتل؟

قال: نعم يا بنتاه، ما قُتل قبله أحد كان تبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحش والحيتان في البحار والجبال. لو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، وتأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يُلتفت إليه غيرهم؛ أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون على حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسيماهم، وأهل كل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، بهم ينزل الغيث.

فقالت فاطمة عليها السّلام: يا أبة، إنّا لله، وبكت. فقال: يا بنتاه، إنَّ أهل الجنة هم الشهداء في الدنيا؛ بذلوا أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه الحق، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها؛ قتلة أهون من ميتة؛ مَن

كُتب عليه القتل خرج إلى مضجعه، ومَن لم يُقتل فسوف يموت.

يا فاطمة بنت محمد، أما تحبّين أن تأمرين غداً بأمر فتُطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض، فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه؟ أما ترضين أن يكون بعلك قسيم الجنة ويأمر النار فتطيعه، يُخرج منها من يشاء ويترك من يشاء؟ أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على إرجاء السماء وينظرون إليك وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله؟

فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك إذا أفلجت حجّته على الخلائق وأُمرت النار أن تطيعه؟ أما ترضين أن تكون الملائكة تبكي لابنك ويأسف عليه كلُّ شيء؟ أما ترضين أن يكون مَن أتاه زائراً في ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حجّ إلى بيت الله الحرام واعتمر ولم يخلُ من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا؟ قالت: يا أبة، سلّمت ورضيت وتوكّلت على الله.

فمسح صلّى الله عليه وآله على قلبها ومسح على عينها، فقال: إنِّي وبعلك وأنت وابنيك في مكان تقرّ عيناك ويفرح قلبك»[١].

موقف الزهراء وبعلها من تسمية الحسنين

شاهدنا بعض الروايات المحرّفة عن تسمية الحسنين عليهما السلام، تشير إلى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان كلّما ولد له ولد سمّاه حرباً، وعلّلوا ذلك - بزعمهم - أنَّه كان

(١) كامل الزيارات: ص ٦٩ / ح ٢ / الباب ٢٢؛ تفسير فرات: ص ٥٥.

يحبّ الحرب! هكذا حاولوا رسم صورة مشوّهة لأمير المؤمنين عليه السلام، فأعرضوا عن كلّ صفاته ومزاياه، ولم ينظروا إلا إلى شجاعته في الميدان، مع أنَّه ليس من لوازم هذه الشجاعة أبداً أنَّه كان يحبّ الحرب. كما زعموا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأتي بعد ذلك فيغيّر اسم الوليد. بينما تفصح الروايات الصحيحة عن أنَّ الزهراء عليها السلام كانت تطلب من أمير المؤمنين عليه السلام أن يسمّي أولاده، وأنَّ أمير المؤمنين كان يأبى أن يسبق رسول الله بتسمية أولاده، وأنَّ الله تعالى أرسل جبرئيل ليأمر النبي بتسميتهما باسمي ولدي هارون، وأنَّ الزهراء وبعلها رضيا بتسمية الله ورسوله. ويؤيد كلامَنا طائفةٌ ضخمة من روايات اللوح الذي يشتمل على أسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام، إذ تصرّح معظم الروايات أنَّ اللوح (أو الصحيفة) كان بيد الزهراء عليها السلام بعد ولادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فكيف يسمّي أمير المؤمنين ولده الحسين حرباً وقد علِم أنَّ الله تعالى سمّاه حسيناً؟!

روي عن جابر بن عبد الله، قال: لما ولدت فاطمة عليها السّلام الحسن عليه السّلام قالت لعلي عليه السّلام: «سمّه». فقال: **«ما كنتُ لأسبق باسمه رسولَ الله صلّى الله عليه وآله»**. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **«ما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل»**.

فأوحى الله جل جلاله إلى جبرئيل عليه السّلام: **«أنّه قد وُلد لمحمد ابن، فاذهب إليه وهنّئه وقل له: إنَّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون. فهبط جبرئيل عليه السّلام فهنّأه من الله تعالى جل جلاله، ثم قال: إنَّ الله يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر. قال: لساني عربي. فقال: سمّه الحسن؛ فسمّاه الحسن»**[1].

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ص ٢١٠.

الزهراء تمتثل لنهي النبي بخصوص صحيفة أسماء الأئمة

شاهد جابر الأنصاري بيد الزهراء عليها السلام صحيفة أخبرته أنَّ فيها أسماء الأئمة من ولدها، فأحبّ جابر أن ينظر فيها، لكنَّ الزهراء أخبرته أنَّه قد نُهي أن يمسّ تلك الصحيفة إلاّ نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ثم أخبرته أنَّه مأذون له أن ينظر إلى باطن الصحيفة من ظاهرها. وقد نقل لنا جابر الصحابي الكبير بحكم عمره الطويل خبر اللوح وأسماء الأئمة عليهم السلام، وشاهدنا أنَّ الإمام الصادق عليه السلام يستشهد بجابر في بيان أسماء الأئمة التي شاهدها في الصحيفة، من أجل ترسيخ حقيقة أنَّ اختيار الأئمة وتسميتهم بأسمائهم قد سبق في عِلم الله تعالى.

عن أبي نضرة، قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السّلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السّلام ليعهد إليه عهداً، فقال له أخوه زيد ابن علي: «**لو امتثلت فيّ بمثال الحسن والحسين لرجوت أن لا تكون أتيت منكراً**».

فقال له: «**يا أبا الحسين! إنَّ الأمانات ليست بالمثال، ولا العهود بالرسوم، وإنَّما هي أُمور سابقة عن حُجج الله عز وجل**». ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال له: «**يا جابر! حدّثنا بما عاينت من الصحيفة**».

فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر! دخلت على مولاتي فاطمة بنت محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله لأُهنئها بمولد الحسن عليه السّلام، فإذا بيدها صحيفة بيضاء من درّة، فقلت: يا سيدة النسوان! ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟

قالت: «**فيها أسماء الأئمة من ولدي**». قلت لها: ناوليني لانظر فيها. قالت: «**يا جابر! لولا النهي لكنت أفعل، لكنه قد نهي أن يمسها إلاّ نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها**» الحديث[1].

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١: ٣٢ / ح ١.

الزهراء وبعلها وابناها صابرون على أمر الله وقضائه

أخبر الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله أهلَ بيته عليهم السلام غير مرّة أنَّ أمَّته ستتنكّر لهم، وأنَّهم سيلقون بعده جفاءً وشدة، وأنَّ الله تعالى قد جعل عدوّهم لهم فتنة، فقالوا بأنَّهم سيصبرون على قضاء الله وأمره.

وقد صبر أهلُ البيت على الفتنة والامتحان، وصبروا على القتل والإقصاء والسبي، حتّى كأنّهم سبايا من وُلد الترك أو الروم. ولو تقدّم رسول الله إلى أمَّته بقتلهم واستئصالهم وإبادتهم، لما زادت الأُمَّة على ما فعلته فيهم شيئاً!! فما أشدّ ظلامة أهل البيت!! وسُبحان ربّنا إنْ كان وعدُ ربّنا لمفعولاً!

الصادق عليه السّلام، قال: «**إنَّ النبي صلّى الله عليه وآله جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام في بيته وأخبرهم بأنَّهم سيلقون من أعاديهم شدّة**»،

وقال: «**إنَّ الله عز وجل يقول: قد جعلت عدوّكم لكم فتنة، فما تقولون**»؟ فقالوا: «**نصبر لأمر الله وما نزل من قضائه حتى نقدم عليه**». فنزلت هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾[1]؛ «**وإنهّم سيصبرون كما قالوا**»[2].

الزهراء تمتثل لأمر سد الأبواب، والسماء تستثني باب بيتها

بمجرّد أن سمعت الزهراء عليها السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل إلى أصحابه أن يسدّوا أبوابهم التي كانت شارعة إلى المسجد، جلست على باب الدار تنتظر من سيرسله النبي إليها بسدّ باب بيتها، ولم تحتجّ الزهراء بمنزلتها وقربها من رسول الله

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٠.

(٢) تفسير البرهان / المقدمة: ص ٢٦٢، عن كنز الفوائد.

كما احتجّ العبّاس عمّ النبي، ولم تسأل - كما فعل أبو بكر وعمر - هل سدّ النبيّ باب أحد قبلها، ولم تخضْ مع الخائضين في الأمر الذي أصدره رسول الله، الذين ألجأوا النبي إلى صعود المنبر ليُخبرهم بأنَّه لم يسدّ أبوابهم ولم يفتح باب علي، بل الله تعالى هو الذي سدّ أبوابهم وترك باب عليّ شارعة مفتوحة.

روى محمد بن سليمان الكوفي عن عيسى الملائي، قال: دخلت على علي ابن الحسين عليه السّلام فقلت: حدّثني عن الأبواب، سمعت من أبيك فيها شيئاً؟ قال: «**حدثني أبي الحسين بن علي عليهما السّلام عن علي عليه السّلام أنَّه قال: أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله يدي ثم أرسل إلى أبي بكر أن سدّ بابك. فاسترجع ثم قال: هل فعل هذا بأحد قبلي؟ قال: لا. قال. سمعاً وطاعة، فسدّه. ثم أرسل إلى عمر سدّ بابك. فقال: هل فعل بأحد قبلي؟ قيل: نعم، بأبي بكر. فقال: إنَّ لي بأبي بكر أُسوة، فسدّ بابه. ثم أرسل إلى العباس سدّ بابك. فغضب غضباً شديداً ثم قال: ارجع إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: أليس عم الرجل صنو أبيه؟ قال: بلى، ولكن سدّ بابك.**

فلمّا سمعت فاطمة عليها السّلام سدّ الأبواب خرجتْ فجلست على بابها تنتظر من يرسل إليها بسدّ الأبواب. فخرج العباس ينتظر هل يسد باب علي عليه السّلام، فرأى فاطمة عليها السّلام جالسة والحسن الحسين عليهما السّلام معها. فقال: قد خرجتْ وبسطتْ ذراعيها كالأسد وأخرجت جرويها.

وخاض الناس في سدّ الأبواب وفتْحِ باب علي عليه السّلام. فلما سمع النبي صلّى الله عليه وآله ذلك صعد المنبر فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ ما أنا بالذي سددتُ أبوابكم وفتحتُ باب علي، ولكن الله سدّ أبوابكم وفتح باب علي»(١).

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام ٢: ٤٦٠ / ح ٩٥٦.

فاطمة تنتزع ستراً موشّى من على بابها وترسله للفقراء بأمر النبي

أخبرت الزهراء بعلها أنَّ أباها رسول الله أتى بيتها فلم يدخل عليها كما عوّدها أن يفعل! فسأله أمير المؤمنين عليه السلام عن السبب، فذكر له أنَّه قد رأى على الباب ستراً موشّى، وأنَّه قال ما لي وللدنيا! وعرفت ريحانة رسول الله أنَّ أباها يريد لها الإعراض عن كلّ ما يمتّ للدنيا وزينتها بصلة، فأرسلت إليه صلى الله عليه وآله أن يأمرها فيه بما شاء، فأمرها أن تُرسله إلى بيت من بيوت فقراء أهل المدينة سمّاه لها.

عن ابن عمر، قال: أتى النبي صلّى الله عليه وآله بيت فاطمة عليها السّلام بنته فلم يدخل عليها، وجاء علي عليه السّلام فذكرت له ذلك. فذكره للنبي صلّى الله عليه وآله، قال: «**إنّي رأيت على بابها ستراً موشّياً**». فقال: «**ما لي وللدنيا**». فأتاها علي عليه السّلام فذكر ذلك لها. فقالت: «**ليأمرني فيه بما شاء. قال: ترسل به إلى فلان أهل بيت بهم حاجة**»[١].

الزهراء تمتثل لأمر النبي صلى الله عليه وآله في الحجّ

من الأُمور التي خالف فيها بعض الصحابة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله: حجّ التمتّع، حيث نزل قولُه تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[٢]، فأمر رسولُ الله الناس أن يحلّوا من إحرامهم ويجعلوها عُمرة، واستثنى من ذلك الذين ساقوا معهم الهدي، حيث يجب على أولئك أن يقيموا على إحرامهم. وكان أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الفترة في اليمن، فأرسل إليه رسول الله بالمجيء، فجاء وقد ساق معه الهدي، فأقام على إحرامه. أما فاطمة عليها السلام فامتثلت لأمر رسول الله وأحلّت من إحرامها ولبست

(١) صحيح البخاري ٣: ١٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

ثياباً مصبوغة. وكان الناس زمن الجاهلية يحرّمون العمرة في موسم الحجّ، ولذلك صعُب على بعض المسلمين أن يحلّوا من إحرامهم امتثالاً لأمر الله ورسوله، بل وجدنا بعضهم يحرّم متعة الحجّ بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله!

عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «**إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أقام بالمدينة عشرين لم يحجّ**». ثم أنزل الله عزّ وجل عليه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾[1]، ثم ساق الحديث وذكر فيه أنَّ رسول الله لمّا فرغ من سعيه خاطب الناس فقال: «**إنَّ هذا جبرئيل وأومأ بيده إلى خلفه يأمرني أن آمر مَن لم يَسُق هدياً أن يحلّ، ولو استقبلتُ من أمري ما استدبرت لصنعتُ مثل ما أمرتكم، ولكني سقتُ الهَدي، ولا ينبغي لسائق الهدي أن يحلّ حتى يبلغ الهديُ محلّه**»... - الحديث، وجاء في آخره:

وقدم علي عليه السّلام من اليمن على رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو بمكة. فدخل على فاطمة عليها السّلام وهي قد أحلّت. فوجد ريحاً طيّباً ووجد عليها ثياباً مصبوغة، فقال: «**ما هذا يا فاطمة**»؟ فقالت: «**أمرنا بهذا رسول الله صلّى الله عليه وآله**». فخرج علي عليه السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله مستفتياً، فقال: «**يا رسول الله إنِّي رأيت فاطمة عليها السّلام قد أحلّت، عليها ثياب مصبوغة**»! فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أنا أمرت الناس بذلك، فأنت يا علي بما أهللت**»؟ قال: «**يا رسول الله، إهلال كإهلال النبي صلّى الله عليه وآله**». فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**قرّ على إحرامك مثلي؛ أنت شريكي في هديي**».[2]

(١) سورة الحج: الآية ٢٧.

(٢) الكافي ٤: ٢٤٥ / ح ٤.

الدروس المستخلصة

الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم له وامتثال أمره عز وجل علامة إيمان الفرد المسلم. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سئل: بأي شيء يعلم المؤمن أنَّه مؤمن؟ قال عليه السلام: «**بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور أوسخط**». وروي عنه عليه السلام قوله: «**إنَّ أعلمَ الناس بالله أرضاهم بقضاء الله**».

وإذا علِم المسلمُ أنَّه عبد مملوك لله تعالى، وأنَّ مالكه وربّه لا يريد له إلَّا الخير والصلاح، فإنَّه سيفوّض أمره لله تعالى ويسلّم له ولا يسخط في شيء من حكمه. وقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**الرضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين**». وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يا عباد الله أنتم كالمرضى ورب العالمين كالطبيب، فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب وتدبيره به، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلّموا لله أمره تكونوا من الفائزين**».

ولقد نالت الزهراء عليها السلام لقب (الراضية) لأنَّها رضيت بقضاء الله تعالى، وفعلت كل ما يرضيه سبحانه، وصبرت على بلائه عز وجل. ولقد عدّت الزهراء الراضية عليها السلام مرارة الدنيا وشدّتها من آلاء الله تعالى ونعمه التي يجب شكره تعالى عليها.

فاطمة

بضعة مني

الفصل
السادس عشر

الزهراء عليها السلام المثل
الأعلى في العبادة

المثل الأعلى في العبادة

بمَ يكون العبد قريباً من ربّه تعالى؟ ولماذا يحب الله تبارك وتعالى لقاء بعض عباده دون بعضهم؟ الجواب على ذلك في منتهى السهولة؛ يكون العبد قريباً من ربّه حين يحس – بعمق – بالعبودية، وحين يحب لقاء ربّه ويتقرّب إليه بالفرائض والنوافل، وحين يجد خالقُه منه صدق النيّة وإخلاصها.

العبادة هي خضوع العبد لمولاه وخشوعه له، وهي في لبّها تعني تسليم العبد الذليل العاجز أمره ونفسه لخالقه القادر العزيز المتعال، وهي في صورتها الأُخرى مسيرة الموجود الناقص إلى التكامل من خلال خشوع المعرفة والإيمان بالخالق الكامل. ولذلك فهي في حدّ ذاتها ليست هدفاً، بل طريقٌ وصراطٌ مستقيم لنيل القرب من الله تعالى ومعرفته. وقد ورد في الحديث الشريف في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، أي ليعرفون!

ولقد اقتدت سيدة نساء العالمين بأبيها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله الذي كان يقوم ليله حتى تورّمت قدماه الشريفتان، وحتى نزل عليه قوله تعالى ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[2]. فكانت الزهراء تنهج في صلاتها – أي تتابع أنفاسها – من خيفة الله تعالى، وكانت تقوم للصلاة بين يدي خالقها وفرائصها ترتعد من خشية جبّار السماوات والأرضين، وإنّها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من المقربين،

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة طه: الآيتان ١ و ٢.

وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة، ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ﴾[1]، وكان ولدها الحسن عليه السّلام يراها ليلة الجمعة وقد قامت في محرابها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى يتضح عمود الصبح، وكان يسمعها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء؛ وكان نور وجه الزهراء عليها السلام يزهر بالبياض في بيوت المدينة والناس بعدُ لمّا يغادروا فراش نومهم، فيهرع أهلها إلى بيت فاطمة فيجدونها قائمة في محرابها، فإذا انتصف النهار زهر نور وجهها بالصفرة في بيوت المدينة، ثم يرى أهلها أنَّ ذلك النور العجيب كان منبعثاً من وجه فاطمة القائمة في محرابها تناجي ربها الودود. فإذا غربت الشمس زهر نور وجهها بالحمرة وسطع في بيوت المدينة، فيرى أهلها أنَّ ذلك النور يشع من وجه البتول الجالسة في محرابها تسبح الله وتمجّده، فرحة شاكرة لنعماء البارئ وآلائه!!

ما الذي حصلت عليه أشرف امرأة في الوجود في دنياها؟ أي ترف دنيويّ كانت تتقلّب فيه؟ لم تذق سيّدة النساء شيئاً من عطايا الدنيا، لكنّ ذلك لم يكن يعني لها شيئاً أبداً ما دامت تتقلّب في النِعم المعنويّة لله عز وجل وكانت - من ثمّ - تفرح بعطاء البارئ ومِننه وتحمد له نَعماءه.

تقول الزهراء فاطمة في جلال تذهل أمامه الأفئدة والعقول: «**ما لي ولعلي منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإنَّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف**»!!

لم يشغل الزهراء عليها السلام عن ذكر ربها شاغل دنيوي مما يشغل غيرها من النساء، ولم يقعد بها عن التزلّف إلى خالقها كونها ابنة حبيب الله وسيد رسله، فحقّ على الملائكة

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

المقربين أن يسلّموا عليها وينادوها: يا فاطمة، ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[١].

لم يقعد بسيدة نساء العالمين عليها السلام عن عبادة الحقّ تعالى حقيقة أنَّ الله عز وجل خلقها من نوره قبل أن يخلق آدم، يوم كانت في حقّة تحت ساق العرش طعامها التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد؛ فكانت سيدة نساء العالمين تصلي صلاة الأوّابين التي دعيت باسمها، وكانت من الذين شهدت السماء بأنَّهم ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[٢]، ومن الذين وصفتهم آيات الوحي بأنهَّم ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[٣] وامتدحتهم بأنهَّم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[٤].

الزهراء تنهج في الصلاة من خيفة الله تعالى

قال ابن فهد الحلي: كانت فاطمة عليها السّلام تنهج في صلاتها من خيفة الله تعالى[٥].

أقول: لماذا تنهج سيدة نساء العالمين عليها السلام في الصلاة؟ إنَّ النهج – وهو تتابع الأنفاس وتلاحقها – يحصل عادة من شدة الحركة والتعب الذي يصيب البدن، أو نتيجة الانفعال والتأثر النفسي الشديد؛ لكن الزهراء عليها السلام التي كانت تقوم في محرابها حتى تتورم أقدامها الشريفة لم تصبها حالة الانبهار وتلاحق الأنفاس من التعب – مع

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

(٢) سورة الذاريات: الآية ١٧.

(٣) سورة النور: الآية ٣٧.

(٤) سورة النور: الآية ٣٦.

(٥) عدة الداعي: ص ١٣٩؛ بحار الأنوار ٨١: ٢٥٨ عن عدة الداعي.

وجوده - بل كانت تنهج وتتلاحق أنفاسها من خيفة الله تعالى وخشيته، لأنّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(١)، ومن أحقّ من فاطمة الطاهرة العابدة العالمة بخشية ربّ الأرباب وجبّار السماوات والأرض؟!

لقد كانت الزهراء عليها السلام السبّاقة في طاعة الله تعالى، مخلصة في عبادته، فرفعها اللهُ تعالى وأعلى شأنها على بريّته. وقد أخرج المجلسي عن سيدة النساء صلوات الله عليها قالت: «**من أصعد إلى الله خالص عبادته، أهبط الله عز وجل إليه أفضل مصلحته**»(٢).

صلاة فاطمة عليها السلام صلاة الأوّابين

مدح الله تعالى نبيّه سليمان فقال عنه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(٣)، ومدح تعالى نبيّه أيوب فقال عنه ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(٤)، و(الأوّاب) هو العبد الكثير الرجوع إلى الله تعالى ابتغاء مرضاته(٥). وفي الحديث عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قال: «**...فكان سليمان بن داود عليه السلام في ملكه ما سخر الله له من الجن والإنس والطير مجاهداً مكابداً في أمر الله وطاعته فقال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(٦)، وقال لأيوب في سُقمه ودوده وجهده ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(٧)، وهكذا ينبغي لأهل الحقايق أن يكونوا لسيدهم في السراء والضراء**

(١) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٦٧: ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٣) سورة ص: الآية ٣٠.

(٤) سورة ص: الآية ٤٤.

(٥) انظر: بحار الأنوار ١٤: ٩٨.

(٦) سورة ص: الآية ٣٠.

(٧) سورة ص: الآية ٤٤.

والشدة والرخاء على الحال الذي يرضاه منهم» - الحديث.[١]

روى العياشي عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال «**من صلى أربع ركعات [فقرأ] في كل ركعة خمسين مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ كانت صلاة فاطمة عليها السلام، وهي صلاة الأوّابين**»[٢].

الله تعالى يباهي ملائكته بأمَته فاطمة عليها السلام المقبلة على عبادته

شهد الصادق المصدّق - وهو الذي لا ينطق عن الهوى - أنَّ الله تعالى كلّما قامت أمَته فاطمة الحوراء الإنسية في محرابها باهى بها ملائكته وأشهدهم أنَّه تعالى قد آمن شيعتها من النار. وكيف لا يُباهي بها وهي التي تقوم في محرابها وقد أقبلت بقلبها على عبادة ربّها، وارتعدت فرائصها من خشيته وخيفته؟! وكيف لا تذعن لها الملائكة وهي ترى نورها يزهر لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض؟! تلك هي المخلوقة الحوراء الإنسية التي منّ بها الله على نبيّه، فأضحت ثمرة لفؤاده وروحه التي بين جنبيه!

روى الصدوق في الأمالي عن النبي صلّى الله عليه وآله، قال: «**... وأما ابنتي فاطمة عليها السّلام، فإنَّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله، زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي، انظروا إلى أَمَتي فاطمة عليها السّلام سيدة إمائي، قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على**

---

(١) مستدرك الوسائل للنوري ٧: ٥٢٩ / ح ٨٨٢٠.

(٢) تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ٢: ٢٨٦.

عبادتي. أُشهدكم أنّي قد أمنت شيعتها من النار»(١).

الملائكة تسلّم على الزهراء حين تقوم في محرابها

تقوم الزهراء سيدة نساء العالمين في محرابها فيسلّم عليها الملائكة المقربون الذين باهاهم الله تعالى بها، وينادونها بما نوديت به مريم في محرابها. ونحن نعلم يقيناً - ولو صعُب الأمر على بعض من في قلوبهم مرض - أنَّ الزهراء عليها السلام لا تقارن بمريم، فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي سيدة نساء أهل الجنة وفيهنّ مريم وآسية بنت مزاحم.

أخرج ابن شهر آشوب عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «**فاطمة عليها السّلام سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنَّها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة**»، ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(٢)(٣).

الزهراء عليها السلام تقوم في المحراب حتى تتورم قدماها

أشبهت الزهراء عليها أباها المرسل صلى الله عليه وآله الذي كان يقف في محرابه على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه، وكان يقسم الليل أنصافاً فيقوم في صلاة الليل بطوال السور، وكان إذا ركع يقال لا يُدرى متى يرفع، وإذا سجد يقال لا يُدرى متى

---

(١) الأمالي للصدوق ١: ١١٢ / ح ٤؛ بحار الأنوار ٤٣: ١٧٢ / ح ١٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٥.

يرفع، وحتى خاطبه ربّه الرؤوف ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[١].

قال الحسن [البصري]: ما كان في الدنيا أعبد من فاطمة عليها السلام كانت تقوم حتى تتورم قدماها[٢].

فاطمة عليها السلام تذكر القبر ليلة زواجها فتتهجّد لله مع بعلها

افتتحت الزهراء العابدة حياتها الزوجيّة بالعبادة في المحراب، إذ لم تشأ لحياتها الجديدة إلّا أن تكون استمراراً لحياتها السابقة في طاعة الله تعالى والقيام له في محراب العبادة والتهجّد. ونحن نرى البعض يفتتح حياته الزوجيّة بالتحلّل من بعض النوافل أو الفرائض أو أدائها في غير وقتها. وما أحرى شبابنا بالاقتداء بالعابدة الذاكرة عليها السلام في الالتزام بطاعة الله تعالى في كلّ حال، في السرّاء والضرّاء والشدّة والرخاء..

أورد السيد المرعشي في ملحقات إحقاق الحق عن العلامة الشيخ عبد الله الحنفي المتوفى بعد سنة ٨٠٠ هـ في كتاب - الرقائق- المعروف بالإخوانيات (ص ٢٥٠ مخطوط)، قصة زواج الزهراء عليها السلام بالتفصيل، وجاء في آخرها:

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله]وسلم بفاطمة وعلي فأخذ علياً بيمينه وأخذ فاطمة بشماله وجعلهما إلى صدره وقبّل بين عينيهما ثم رفعهما إليه وقال: «**يا أبا الحسن نِعم الزوجة زوجتك**»، ثم قام يمشي معهما إلى البيت الذي لهما ثم خرج وأخذ بعضادتي الباب وقال: «**جمع الله شملكما أستودعكما الله وأَستخلفه عليكما**»، فأقبل علي -عليه السلام- على فاطمة يلاطفها بالكلام حتى جنّ الظلام، فأخذت فاطمة في البكاء، فقال

(١) سورة طه: الآيتان ١ و ٢.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ٧٦.

لها: «ما يبكيك يا سيدة نساء العالمين ألم ترضي أن أكون لك بعلاً وتكونين لي أهلاً»؟ فقال: «يا بن العمّ كيف لا أرضى وأنت الرضا وفوق الرضا، وإنّما فكّرت في حالي وأمري عند ذهاب عمري، ونزولي في قبري، فشبّهت دخولي إلى فراش عزّي وفخري كدخولي لحدي وقبري، وأنا أسألك يا بن العم بحق محمد إلاّ ما بلغتني قصدي وإربي وقمتَ بنا إلى محرابنا نتعبّد في هذه الليلة فهو أحق وأحرى بنا؛ فنهضا إلى المحراب وقاما إلى التهجّد في خدمة رب الأرباب»[١].

فاطمة تزهر في محرابها على أهل المدينة ثلاث مرات في النهار

ذكرنا أنَّ الزهراء عليها السلام كانت تزهر لملائكة السماء حين تقوم في محرابها، وفي هذه الرواية التي نحن بصددها نجد الإمام الصادق عليه السلام يصرّح أنَّ الزهراء عليها السلام كانت تزهر لأهل المدينة ثلاث مرات في اليوم، حتى يدخل نور وجهها إلى حجراتهم وبيوتهم، وأنَّهم كانوا يعجبون في الأيام الأُولى من ذلك النور، فيسألون عنه رسول الله، وكان النبي صلى الله عليه وآله - زيادة في بيان فضل الزهراء - يرسلهم إلى بيتها، فكانوا يأتون منزلها ويشاهدون بأمِّ أعينهم النور يسطع من وجهها ومحرابها. فهل رعى أهل المدينة حقّ الزهراء وحُرمتها بعد أبيها؟ يقول أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً أخاه رسول الله بعد أن نفض يده من تراب قبر الزهراء «... وستُنبئك ابنتُك بتظافر أمّتك عليّ وعلى هَضمها حقّها، فأحْفِها السؤالَ واستخبِرها الحال، فكم مِن غَليلٍ مُعتلجٍ بصدرها لم تجدْ إلى بَثّه سبيلاً، وستقول ويَحكُم اللهُ وهو خيرُ الحاكمين»[٢].

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: يابن

(١) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي ٤: ٤٧٤ - ٤٨١.

(٢) انظر: أمالي المفيد: ص٢٨٢؛ أمالي الطوسي: ص١١٠؛ نهج البلاغة شرح محمد عبدة، الخطبة رقم ٢٠٠.

رسول الله! لم سمّيت الزهراء «زهراء»؟

فقال: «**لأنّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السّلام في النهار ثلاث مرات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فراشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيضّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك، فيأتون النبي صلّى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السّلام، فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها ومن وجهها، فيعلمون أنَّ الذي رأوه كان من نور فاطمة.**

فإذا انتصف النهار وترتّبت للصلاة زهر نور وجهها عليها السّلام بالصفرة في حجرات الناس، فتصفرّ ثيابهم وألوانهم، فيأتون النبي صلّى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السّلام، فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها- صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها- بالصفرة، فيعلمون أنَّ الذي رأوا كان من نور وجهها.

فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمرّ وجه فاطمة فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً للهّ عز وجل، فكانت حمرة وجهها تدخل حجرات القوم وتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك، ويأتون النبي صلّى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السّلام، فيرونها جالسة تسبح الله وتمجده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أنَّ الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السّلام.

فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين عليه السّلام، فهو يتقلّب في وجوهنا إلى يوم القيامة، في الأئمة منا أهل البيت إمام بعد إمام»[1].

---

(١) علل الشرائع ١: ١٨٠ / ح ٢ / باب ١٤٣.

قال عمارة: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن فاطمة عليها السّلام لم سمّيت زهراء؟ فقال: «**لأنَّها كانت إذا قامت في محرابها، زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض**»(١).

الزهراء وبعلها وابناها لا يهجعون من الليل إلَّا قليلاً

هاجر أمير المؤمنين عليه السلام من مكة إلى المدينة واصطحب معه الفواطم، وهنّ أمُّه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنت الزبير - وظل ليلته تلك هو والفواطم طوراً يصلّون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلى أمير المؤمنين بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله، والفواطم كذلك وغيرهم ممن صحبه حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾(٢). وبعد زواج أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام كان بيتهما هو البيت الذي وصفه الله تعالى في كتابه بقوله ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾(٣)، وفي الرواية التالية وصف لحال أهل هذا البيت وأنَّهم كانوا يُديمون ذِكر الله ولا يهجعون إلَّا قليلاً! وسيأتي في الرواية التالية أنَّ الزهراء عليها السلام تقوم ليلة الجمعة في محرابها حتى يتضح عمود الصبح!

---

(١) معاني الأخبار: ص ٦٤ / ح ١٥؛ علل الشرايع ١: ١٨١ / ح٣ / باب ١٤٣.

(٢) انظر: أمالي الشيخ الطوسي: ص٤٧١.

(٣) سورة النور: الآية ٣٦.

روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾(١) قال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة؛ وكان علي يصلي ثلثي الليل الأخير، وينام الثلث الأول، فإذا كان السحر جلس في الاستغفار والدعاء، وكان ورده في كل ليلة سبعين ركعة ختم فيها القرآن(٢).

الزهراء تقوم في محرابها حتى يتضح عمود الصبح

الدعاء للإخوان بظهر الغيب ممّا حثّت عليه الشريعة، وقد روى علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، قال: رأيت عبد الله بن جندب بالموقف، فلم أر موقفاً أحسن من موقفه، ما زال ماداً يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض، فلما صدر الناس قلت له: يا أبا محمد، ما رأيت موقفاً أحسن من موقفك. قال: والله ما دعوت إلّا لإخواني، وذلك أنَّ أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) أخبرني أنّه من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: «**ولك مائة ألف ضِعف**»، فكرهتُ أن أدع مائة ألف ضعف مضمونة لواحدة لا أدري تُستجاب أم لا(٣).

روى الشيخ الصدوق عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام، قال: «**رأيت أمّي فاطمة عليها السّلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت لها: يا أماه! لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ، الجار ثم الدار**»(٤).

(١) سورة الذاريات: الآية ١٧.

(٢) شواهد التنزيل ٢: ٢٦٧.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص٥٤١ / ح٧٣١، المجلس السبعون.

(٤) علل الشرائع ١: ١٨٢ / ح ١؛ بحار الأنوار ٤٣: ٨٢ / ح ٣، عن العلل.

اهتمام الزهراء عليها السلام بتلاوة القرآن

القرآن كلام الله تعالى، وهو الثقل الأكبر الذي خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله في أمّته وأوصاهم بتعاهده، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله أميرَ المؤمنين عليه السلام بالإكثار من تلاوة القرآن، فقال له «**وعليك بتلاوة القرآن على كل حال**»(١)؛ وقد روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**من قرأ القرآن قائماً في صلاته، كتب الله له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه في صلاته جالساً كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة، ومن قرأه في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات**»(٢).

وقد أنست مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بالقرآن في حياتها، فروي عنها أنّها قالت: «**حُبّب إلي من دنياكم ثلاث: تلاوة كتاب الله، والنظر في وجه رسول الله، والإنفاق في سبيل الله**».(٣)

وأخرج السيوطي عن فاطمة عليها السلام قالت، قال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم: «**قارئ ﴿الْحَدِيدَ﴾ و﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ و﴿الرَّحْمَنِ﴾ يُدعى في ملكوت السماوات والأرض ساكن الفردوس**».(٤)

كما روي عنها سلام الله عليها أنّها أوصت أمير المؤمنين أن يُكثر تلاوة القرآن عند قبرها، حيث أخرج المجلسي عن أبي عبد الله عن آبائه (عليهم السلام) قال: «**إنّ فاطمة عليها السلام لما احتضرت أوصت عليّاً عليه السلام ثمّ فقالت: إذا أنا متّ فتولّ أنت**

(١) الفصول المهمة للحر العاملي ٣: ٣١٨/ ح ٣٠٢٣.

(٢) الفصول المهمة ٣: ٣١٩/ ح ٣٠٢٥.

(٣) فضائل القرآن الكريم للشيخ الصالحي النجف آبادي ١: ٢٣٢.

(٤) الدر المنثور للسيوطي ٦: ١٤٠.

غسلي وجهّزني وصلّ عليّ وأنزلني قبري، وألحدني وسوِّ التراب عليّ واجلس عند رأسي قبالة وجهي فأكثِر من تلاوة القرآن والدّعاء، فإنّها ساعة يحتاج الميّت فيها إلى أُنس الأحياء، وأنا أستودعك الله تعالى وأُوصيك في ولدي خيراً، ثمّ ضمّت إليها أُمَّ كلثوم فقالت له: إذا بلغتْ فلها ما في المنزل ثمّ الله لها، فلمّا توفّيت فعل ذلك أمير المؤمنين»[1].

اهتمام الزهراء عليها السلام بالصيام

إذا صام الفرد وصامت جوارحه عن ارتكاب ما حرّم اللهُ تعالى، ارتقى بسلوكه إلى مقامات رفيعة أراد له خالقُه بلوغها. أمّا الصيام الشكليّ دون مشاركة الجوارح وانقيادها فلا يعني للفرد إلّا الجوع والعطش.

ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تسبّ جاريةً لها وهي صائمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام فقال لها: «**كُلي**»! فقالت: إنّي صائمة، فقال: «**كيف تكونين صائمة وقد سببتِ جاريتك؟! إنَّ الصوم ليس من الطعام والشراب**»[2].

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: «**يا جابر هذا شهر رمضان، من صام نهاره وقام ورداً من ليله وعفّ بطنه وفَرجه وكفّ لسانه، خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر**». فقال جابر: يا رسول الله، ما أحسن هذا الحديث! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا جابر ما أشد هذه الشروط**»[3].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٧٩: ٢٧.

(٢) الحدائق الناضرة: ١٣: ١٢؛ آداب الصائم.

(٣) الحدائق الناضرة: ١٣: ١٢؛ آداب الصائم.

وقد روي عن الزهراء عليها السلام روايتان في اهتمامها بالصيام ورعاية شروطه، حيث أخرج المجلسي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّها قالت: «**ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصُن لسانَه وسمعَه وبصرَه وجوارحَه**».(١)

كما روي عن أمِّ أيمن رضي الله عنها، قالت: مضيت ذات يوم إلى منزل سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام لأزورها في منزلها، وكان يوماً حاراً من أيام الصيف، فأتيت إلى باب دارها وإذا أنا بالباب مغلق، فنظرت من شقوق الباب وإذا بفاطمة الزهراء عليها السلام نائمة عند الرحى، ورأيت الرحى تدور وتطحن البرّ، وهي تدور من غير يد تديرها، والمهد أيضاً إلى جانبها، والحسين عليه السلام نائم فيه، والمهد يهتزّ ولم أر من يهزّه، ورأيت كفاً تسبّح [لله] قريباً من كف فاطمة الزهراء. قالت أمُّ أيمن: فتعجبت من ذلك فتركتها ومضيت إلى سيدي رسول الله – صلى الله عليه وآله – [وسلمت عليه] وقلت: يا رسول الله إنِّي رأيت اليوم عجباً، ما رأيت مثله أبداً. فقال لي: «**ما رأيت يا أمَّ أيمن**»؟ فقلت: إنِّي قصدت منزل فاطمة الزهراء، فلقيت الباب مغلقاً، فإذا أنا بالرحى تطحن البرّ، وهي تدور من غير يد [تديرها]، ورأيت مهد الحسين ابن (فاطمة) يهتز من غير يد تهزه، ورأيت كفاً يسبّح لله قريباً من كف فاطمة الزهراء، [ولم أر شخصه]. فقال: «**يا أمَّ أيمن اعلمي أنَّ فاطمة الزهراء صائمة، وهي متعبة [جائعة]، والزمان قيض، فألقى الله عليها النعاس فنامت، فسبحان من لا ينام، فوكّل الله ملَكاً يطحن عنها قوت عيالها، وأرسل [الله] ملَكاً آخر، يهزّ مهد ولدها الحسين – عليه السلام – لئلا يزعجها عن نومها، ووكّل الله تعالى ملَكاً آخر يسبّح الله عز وجل قريباً من كفّ فاطمة [يكون**

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٢٩٥.

] **ثواب تسبيحه لها، لأنَّ فاطمة – عليها السلام- لم تفتر عن ذكر الله عز وجل، فإذا نامت جعل الله ثواب تسبيح ذلك الملك لفاطمة – عليها السلام»**. فقلت: يا رسول الله أخبرني مَن يكون الطحّان، ومن الذي يهزّ مهد الحسين – عليه السلام- ويناغيه، ومن المسبّح؟ فتبسم النبي – صلى الله عليه وآله – ضاحكاً، وقال: «**أما الطحان فهو جبرائيل، وأما الذي يهزّ مهد الحسين – عليه السلام – فهو ميكائيل، وأما [الملك] المسبّح فهو إسرافيل**».[1]

أقول: ذكرنا قصة صيام الزهراء عليها السلام ونزول سورة (هل أتى) في الفصل التاسع، فلا نكرر.

الزهراء عليها السلام تبكي لنزول آية العذاب

العلماء بالله تعالى هم الذين يخشون الله حقّ خشيته، وهم أولى من غيرهم بعبادته وطاعته واتقاء سخطه، وقد روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بكى لما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2]، وأنَّه خاطب عشيرته وقومه أن يشتروا أنفسهم من النار. كما روي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع المؤذن يقول (اللهُ أكبر)، فبكى عليه السلام وبكينا ببكائه، فلما فرغ المؤذن قال: «**أتدرون ما يقول المؤذن**»؟! قلنا: الله ورسوله ووصيه أعلم، فقال: «**لو تعلمون ما يقول لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً**» – الحديث.[3] فما بالك بهم إذا سمعوا بذكر عذاب الله وصفة جهنّم!

روى المجلسي في بحار الأنوار أنَّه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله ﴿

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٤: ٤٦؛ بحار الأنوار ٣٧: ٩٧.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٣) التوحيد للصدوق: ص٢٣٨.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[1] بكى النبي صلى الله عليه وآله بكاءً شديداً وبكت صحابته لبكائه، ولم يدروا ما نزل به جبرئيل عليه السلام، ولم يستطع أحد من صحابته أنْ يكلّمه، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى فاطمة عليها السلام فرح بها، فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحنه وتقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[2]، فسلّم عليها وأخبرها بخبر النبي صلى الله عليه وآله وبكائه، فنهضت والتفّت بشملة لها خلقة قد خيطت [في] اثني عشر مكاناً بسعف النخل، فلما خرجت نظر سلمان المحمدي إلى الشملة وبكى وقال: وا حزناه إنَّ بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد صلى الله عليه وآله عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً، فلما دخلت فاطمة على النبي صلى الله عليه وآله قالت:

«**يا رسول الله إنَّ سلمان تعجب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق ما لي ولعلي منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإنَّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف**»، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**يا سلمان إنَّ ابنتي لفي الخيل السوابق**».

ثم قالت: «**يا أبت فديتك ما الذي أبكاك**»؟ فذكر لها ما نزل به جبرئيل من الآيتين المتقدمتين. قال: فسقطت فاطمة عليها السلام على وجهها وهي تقول: «**الويل ثم الويل لمن دخل النار**».

فسمع سلمان فقال: يا ليتني كنت كبشاً لأهلي فأكلوا لحمي ومزّقوا جلدي ولم

(١) سورة القصص: الآية ٦٠؛ وسورة الشورى: الآية ٣٦.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

أسـمع بذكـر النـار، وقال أبـو ذر: يـا ليت أمّي كانـت عاقـراً ولم تلدني ولم أسـمع بذكر النـار، وقـال عـمار: يا ليتنـي كنت طائـراً في القفـار لم يكن عـليّ حسـاب ولا عقاب ولم أسـمع بذكر النـار - الحديث(١).

بيت فاطمة عليها السلام بيت أذن الله أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه

شاء الله تعالى لبيوت أهل البيت عليهم السلام أن تُرفع ويُذكر فيها اسمُه، وصرّح نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله بأنَّ بيت علي وفاطمة هو من أفاضل بيوت الأنبياء التي شاء الله لها أن تُرفع. وسيأتي قول رسول الله صلى الله عليه وآله «**ألا إنَّ فاطمة بابها بابي، وبيتها بيتي**»؛ ولقد داوم رسول الله صلى الله عليه وآله على الوقوف على باب فاطمة يومياً ولفترة دامت عدة أشهر، يُناديهم للصلاة ويقرأ قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢)! وهناك أحاديث متكاثرة أوصى فيها رسول الله بفاطمة وبعلها وابنيها، وجعل حربهم حرباً له، وسلمهم سلماً له.

أخرج المجلسي عن الكليني في الروضة، عن ابن عبّاس قال: كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قرأ القارئ ﴿فِي بُيوتٍ أَذِنَ الله أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾(٣) الآية، فقلت: يا رسول الله! ما البيوت؟

فقال: «**بيوت الأنبياء، وأومأ بيده إلى منزل فاطمة عليها السلام**»(٤).

أخرج العلامة الحلي عن الثعلبي بإسناده عن أنس بن مالك وبريدة في تفسير قوله

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٨: ٢٠٣.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) سورة: النور: الآية ٣٦.

(٤) بحار الأنوار ٢٣: ٣٣٢/ ح ١٩، عن روضة الكافي.

تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ الآية، قالا: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية،فقام رجل، فقال: أي بيوت هذه يا رسول؟ فقال: «**بيوت الأنبياء**»، فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا البيت منها؟ يعني بيت علي وفاطمة. قال: «**نعم، من أفاضلها**»[1].

الزهراء تفرّغت لطاعة الله فأعانها على دهرها وكفاها

حين يتفرّغ العبدُ إلى طاعة مولاه، فإنَّ المولى - لا ريب - سيُعينه على تلك الطاعة. وأمامنا صور مشرقة عن فاطمة العابدة الطاهرة، ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً ويقيناً، وعلِم ضعفها عن مشاقّ الدهر وصروف الزمان، فأعانها على دهرها، وكفاها مؤونة ما يثقل عليها ويقطعها عن التفرّغ إلى طاعة مولاها. مع أنَّ العبادة ليست محصورة بالصلاة والصيام وقراءة القرآن، بل تشمل كلّ عمل أُريد به وجهه الكريم، حتّى أنَّ نوم المؤمن يُعدّ عبادة إذا قصد منه إراحة بدنه من أجل أن يتمكّن من أداء ما فرض الله عليه وندبه لأدائه.

قال محمد بن علي بن الحسين عليه السّلام: بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله سلمان إلى منزل فاطمة عليها السّلام بحاجة، قال: فوقفت بالباب وقفة حتى سلّمت. فسمعت فاطمة عليها السّلام تقرأ القرآن من جوّا والرحى تدور من برّا وما عندها من أنيس. فعدت إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله! رأيت أمراً عظيماً. فقال: «**هيه يا سلمان، تكلّم بما رأيت وسمعت**». قلت: وقفت بباب ابنتك سلّمت، فسمعت فاطمة عليها السّلام تقرأ القرآن من جوّا والرحى تدور من برّا وما عندها أنيس.

---

(١) منهاج الكرامة: ص١٢١، البرهان السادس.

فتبسّم وقال: «**يا سلمان، إنَّ ابنتي فاطمة عليها السّلام ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها، فتفرغت إلى طاعة الله؛ فبعث ملكاً اسمه روفائيل- وفي رواية أُخرى: رحمة- يدير لها الرحى، وكفاها الله تعالى مؤونة الدنيا مع مؤونة الآخرة**»(١).

وروي أنَّ أبا ذر قال: بعثني رسول الله صلّى الله عليه وآله أدعو علياً عليه السّلام. فأتيت بيته فناديته فلم يجبني أحد، والرحى تطحن وليس معها أحد.

قال: «**إن ابنتي فاطمة عليها السّلام ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً ويقيناً، وإنَّ الله علم ضعفها فأعانها على دهرها وكفاها. أما علمت أنَّ لله ملائكة موكّلين بمعونة آل محمد عليهم السّلام**»؟(٢)

وروي عن سلمان، قال: كانت فاطمة عليها السّلام جالسة، قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين عليه السّلام في ناحية الدار يبكي. فقلت: يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله! دبرت كفّاك وهذه فضة! فقالت: «**أوصاني رسول الله صلّى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً ولي يوماً، فكان أمس يوم خدمتها**». قال سلمان: إنِّي مولى عتاقة، إما أن أطحن الشعير أو أُسكت لك الحسين عليه السّلام؟ فقالت: «**أنا بتسكنيه أرفق، وأنت تطحن الشعير**».

فإذا أنا بالإقامة؛ فمضيت وصلّيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله. فلما فرغت قلت لعلي عليه السّلام ما رأيت؟ فبكى وخرج، ثم عاد يتبسم. فسأله عن ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: «**دخلت على فاطمة عليها السّلام وهي مستلقية لقفاها والحسين عليه السّلام نائم على صدرها وقدّامها الرحى تدور من غير يد**»! فتبسّم رسول الله صلّى

(١) دلائل الإمامة: ص ٤٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٩ / ح ٤٣، عن الخرائج.

الله عليه وآله وقال:

«يا علي، أما علمت أنَّ لله ملائكة سيارة في الأرض، يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة»؟[١]

وعن زاذان، عن سلمان، قال: أتيت ذات يوم منزل فاطمة عليها السّلام، فوجدتها نائمة قد تغطّت بالعباءة، ونظرت إلى قدر منصوبة بين يديها تغلي بغير نار. فانصرفت مبادراً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فلمّا بصر بي ضحك، ثم قال: **«يا أبا عبد الله، أعجبك ما رأيت من حال ابنتي فاطمة عليها السّلام»**؟ قلت: نعم يا رسول الله. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **«أتعجب من أمر الله؟ إنَّ الله تبارك وتعالى علم ضعف ابنتي فاطمة عليها السّلام، فأيّدها بمن يعينها على دهرها من كرام ملائكته»**[٢].

بيت فاطمة بيت رسول الله وبابها بابه

هل يحتاج المرء إلى تأمّل وتفكّر ليفهم مغزى عبارة (فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله)؟! لقد صرّح رسول الله بأنَّه حربٌ لمن حارب أهل بيته، وأنَّه سِلمٌ لمن سالمهم؛ فهل كان في كلامه غموض؟! أليس في قوله **«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»** دلالة واضحة لكلّ من ألقى السمع وهو شهيد أنّ أهل بيته عدل القرآن، وأنَّ مقولة (حسبُنا كتاب الله) إعراض واضح عن كلام رسول الله وجحود بيّن لوصيّته صلى الله عليه وآله!

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٥٣٠؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢٨ / ح ٣٣.

(٢) الثاقب في المناقب: ص ٣٠١ / ح ٢٥٤ ٢.

أخرج المجلسي عن كتاب الطُرف للسيد علي بن طاووس نقلاً من كتاب الوصية للشيخ عيسى بن المستفاد الضرير، عن موسى بن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام) قال: «لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا الأنصار وقال: يا معشر الأنصار قد حان الفراق، وقد دُعيت وأنا مجيبٌ الداعي، وقد جاورتم فأحسنتم الجوار، ونصرتم فأحسنتم النصرة، وواسيتم في الأموال، ووسعتم في المسلمين، وبذلتم لله مُهج النفوس، والله يجزيكم بما فعلتم الجزاء الأوفى، وقد بقيت واحدة وهي تمام الأمر وخاتمة العمل، العمل معها مقرون؛ إنّي أرى أن لا أفترق بينهما جميعاً لو قيس بينهما بشعرة ما انقاست، من أتى بواحدة وترك الأُخرى كان جاحداً للأُولى، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. قالوا: يا رسول الله فأين لنا بمعرفتها، فلا نمسك عنها فنضل ونرتد عن الإسلام، والنعمة من الله ومن رسوله علينا، فقد أنقذنا الله بك من الهلكة يا رسول الله، وقد بلّغت ونصحت وأدّيت وكنت بنا رؤوفاً رحيماً شفيقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لهم: كتاب الله وأهل بيتي، فإنَّ الكتاب هو القرآن وفيه الحجة والنور والبرهان، كلام الله جديد غض طريّ شاهد ومحكم عادل ولنا قائد بحلاله وحرامه وأحكامه، يقوم غداً فيحاجّ أقواماً فيزلّ الله به أقدامهم عن الصراط، واحفظوني معاشر الأنصار في أهل بيتي، فإنَّ اللطيف الخبير أخبرني أنَّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا وإنَّ الإسلام سقفٌ تحته دعامة، لا يقوم السقف إلّا بها، فلو أنَّ أحدكم أتى بذلك السقف ممدوداً لا دعامة تحته فأوشك أن يخرّ عليه سقفه فيهوي في النار، أيها الناس الدعامة: دعامة الإسلام، وذلك قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فالعمل الصالح طاعة الإمام ولي الأمر والتمسّك بحبله، أيها الناس أفهمتم؟ الله الله في أهل بيتي، مصابيح الظلم، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ومستقر الملائكة، منهم وصيي وأميني ووارثي، وهو مني بمنزلة

هارون من موسى. ألا هل بلّغت معاشر الأنصار؟ ألا فاسمعوا ومن حضر، ألا إنَّ فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله».

قال عيسى: فبكى أبو الحسن عليه السلام طويلاً، وقطع بقية كلامه، وقال: «**هُتك والله حجابُ الله، هُتك واللهِ حجابُ الله، هُتك واللهِ حجاب الله يا أمه صلوات الله عليها**»[(١)].

صلاة الطاهرة فاطمة عليها السلام

من الصلوات المندوبة يوم الجمعة صلاة النبي صلى الله عليه وآله وصلاة أمير المؤمنين عليه السلام وصلاة الصديقة الزهراء عليها السلام.

قال الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد في بيان صلاة فاطمة عليها السلام: هما ركعتان تقرأ في الأُولى (الحمد)، ومائة مرة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وفي الثانية الحمد، ومائة مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإذا سلّمت سبّحت تسبيح الزهراء عليها السلام، ثم تقول: (سُبحانَ ذي العزّ الشامخ المنيف، سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذي الملك الفاخر القديم، سبحان من لبس البهجة والجمال، سبحان من تردّى بالنور والوقار، سبحان من يرى أثر النمل في الصفا، سبحان من يرى وَقْع الطير في الهواء، سبحان من هو هكذا لا هكذا غيره). وينبغي لمن صلى هذه الصلاة وفرغ من التسبيح أن يكشف ركبتيه وذراعيه، ويباشر بجميع مساجده الأرض بغير حاجز يحجز بينه وبينها، ويدعو ويسأل حاجته وما شاء من الدعاء، ويقول وهو ساجد: (يا من ليس غيره ربٌّ يُدعى! يا من ليس فوقه إله يُخشى! يا من ليس دونه مَلِك يُتّقى! يا من ليس له وزير يُؤتى! يا من ليس له حاجب يُرشى! يا من ليس له بوّاب يُغشى! يا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٢٢: ٤٧٦ – ٤٧٧.

كرماً وجوداً، وعلى كثرة الذنوب إلا عَفواً وصفحاً، صلّ على محمد وآل محمد وافعل بي كذا وكذا)[١].

أقول: سيأتي في الفصل الثامن عشر روايات تسبيح الزهراء عليها السلام.

لباس صلاة الصدّيقة عليها السلام

الدرع من اللباس هو القميص الذي يغطي البدن، أما الخمار فهو المقنعة التي تغطي الرأس.

روى الطوسي عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**والمرأة تصلي في الدرع والمقنعة إذا كان كثيفاً، يعني ستيراً**»[٢].

وأخرج صاحب الحدائق عن ابن بابويه، عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**صلّت فاطمة صلوات الله عليها في درع وخمارها على رأسها، ليس عليها أكثر مما وارت به شعرها وأُذنيها**»[٣]. ثم قال صاحب الحدائق: أما بالنسبة إلى الخمار فإنَّ الظاهر بل المعلوم انحداره عن العنق وزيادة لا الاختصاص بالرأس... ومن أظهر الأدلة على ذلك قوله عز وجل ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾؛ ثم نقل صاحب الحدائق قول الشيخ الطبرسي (قدس سره) في تفسير مجمع البيان: والخُمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة المنسدل على جنبيها، أمرن بإلقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن، فقد قيل إنهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهن، وكنى عن الصدور بالجيوب لأَنَّها ملبوسة عليها. وقيل إنَّهن أُمرن بذلك ليسترن شعرهن وقرطهن

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ص ٣٠١.

(٢) التهذيب للشيخ الطوسي ٢: ٢١٧ / ح٨٥٥.

(٣) الحدائق الناضرة للمحقق البحراني ٧: ١٢.

وأعناقهن، قال ابن عباس: تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها؛ انتهى[١].

الدروس المستخلصة

العبادة هي خضوع العبد لمولاه وخشوعه له، وهي في لبّها تعني تسليم العبد الذليل العاجز أمره ونفسه لخالقه القادر العزيز المتعال، وهي في صورتها الأُخرى مسيرة الموجود الناقص إلى التكامل من خلال خشوع المعرفة والإيمان بالخالق الكامل. ولذلك فهي في حدّ ذاتها ليست هدفاً، بل طريقٌ وصراطٌ مستقيم لنيل القرب من الله تعالى ومعرفته. وقد ورد في الحديث الشريف في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢] أي ليعرفون!

ونلاحظ في هذا الفصل أنَّ سيدة نساء العالمين لم يقعد بها كونها سيدة نساء العالمين - بل سيدة نساء الجنّة - عن القيام للصلاة بين يدي خالقها وفرائصها ترتعد من خشية جبّار السماوات والأرضين، وكانت سلام الله عليها تنهج في صلاتها - أي تتابع أنفاسها - من خيفة الله تعالى.

لم يشغل الزهراء عليها السلام عن ذكر ربها شاغلٌ دنيوي مما يشغل غيرها من النساء، ولم يقعد بها عن التزلّف إلى خالقها كونها ابنة حبيب الله وسيد رسله، فحقّ على الملائكة المقربين أن يسلّموا عليها وينادوها: يا فاطمة، ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

---

(١) الحدائق الناضرة للمحقق البحراني ٧: ١٣.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

الفصل السابع عشر

الزهراء عليها السلام الأُسوة في التوحيد

الإخلاص تأويل التوحيد

الحديث عن التوحيد من أصعب الأُمور، لأنَّه يتعلّق بمسائل علمية يصعب سبرها وغور بواطنها، فما حقيقة التوحيد وكنهه؟ سؤال تصدّت البتول الطاهرة عليها السلام للإجابة عنه في خطبتها المشهورة في قضية فدك.

تقول الزهراء سلام الله عليها: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. كلمةٌ جعل الإخلاص تأويلها**».

والتأويل من الأوْل وهو رجوع الشيء إلى أصله؛ والتأويل يعني الحقيقة الخارجية للمفهوم التي تبيّن ذلك المفهوم. تقول الزهراء عليها السلام بأنَّ حقيقة التوحيد وكنهه هو الإخلاص. أي أنَّ التوحيد النظري إذا بقي في مرحلته النظرية ولم يقترن بالعمل ولم يتحقق في وجود الإنسان، فإنَّه في نظر الإسلام ليس توحيداً حقيقياً!

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الأُولى من نهج البلاغة: «**كمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفةٍ أنّها غيرُ الموصوف**». أي أنَّ التوحيد له درجات ومراتب، وأسمى تلك الدرجات وأفضلها هي درجة الإخلاص لله تعالى، وأسمى درجات الإخلاص لله تعالى نفيُ الصفات عنه.

ويقول الإمام الرضا عليه السلام: «**أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفيُ الصفات عنه، لشهادة العقول أنَّ كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل موصوف أنَّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف**»[1]. إنَّ تجسّد مفهوم كلمة (لا إله إلا الله) يتحقق حين تكون ذات الله تعالى هي المتصرّفة بشؤون الإنسان في

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ١٣٥.

جميع الجهات، وحين لا يكون لغير ذات الله تعالى تصرّفٌ في ذلك على الإطلاق، سواء في مرحلة العقيدة أو مرحلة الحاكمية أو التشريع أو التربية.

الإقرار للإمام المعصوم شرط لتحقق التوحيد

لقد أشار الإمام الرضا عليه السلام في حديث سلسلة الذهب في نيسابور إلى حقيقة مهمة في أمر التوحيد، وهي أنَّ القول بإمامة الإمام المعصوم من أهل البيت عليهم السلام شرط لتحقق التوحيد؛ فحين نقل الإمام الرضا عليه السلام لأصحاب الحديث الذين اجتمعوا عليه حديث التوحيد عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله تعالى «**كلمةُ لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي**»؛ قال راوي الحديث: فلمّا مرّت الراحلة نادانا «**بشروطها! وأنا من شروطها**»! وقال الشيخ الصدوق تعقيباً على الحديث: من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنَّه إمام من قبل الله عز وجل على العباد مفترض الطاعة عليهم[١].

إنَّ الإقرار للإمام المعصوم (وفي عصر الزهراء عليها السلام الإقرار لأمير المؤمنين عليه السلام) بأنَّه إمام نصبه الله تعالى على العباد وافترض طاعته عليهم من أهم شروط تحقق التوحيد؛ أما القبول بحكم حاكم سوى الإمام المعصوم الذي عيّنه الله تعالى فهو الشرك بعينه، وهو المعنى الذي أرادت الزهراء عليها السلام بيانه للناس.

يقول العلامة الطباطبائي: ولا شك أنَّ الإخلاص في الدين إنَّما يتمّ على الحقيقة إذا لم يتعلّق قلبُ الإنسان بغيره تعالى من معبود أو صنم أو ندّ أو غاية دنيويّة، بل ولا مطلوب أُخروي كالفوز بالجنّة أو الخلاص من النار... فالإخلاص لله في دينه إنَّما يكون بحبّه

---

(١) عيون أخبار الرضا ١: ١٤٥.

تعالى... قال تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، والمراد: إنْ كنتم تريدون أن تخلصوا لله في عبوديّتكم بالبناء على الحبّ حقيقة، فاتّبعوا هذه الشريعة التي هي مبنية على الحبّ الذي ممثّله الإخلاص والإسلام، وهو صراط الله المستقيم[١].

تضمين القلوب فطرة توحيد الله تعالى[٢]

تقول الزهراء عليها السلام في خطبتها: «**وضمّن القلوبَ موصولَها**»

قال الشيخ المفيد:... الفطرة هي الخلق. قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يريد به خالق السموات والأرض على الابتداء والاستقبال، وقال: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يعني خلقته التي خلق الناس عليها [وهو معنى] قول الصادق عليه السلام: «**فطر الله الخلق على التوحيد**»، أي: خلقهم للتوحيد وعلى أن يوحّدوه، والمعنى المراد به أنّه [أراد منهم] التوحيد، ولو كان الأمر كذلك ما كان مخلوق إلا موحداً، وفي وجودنا من المخلوقين من لا يوحد الله تعالى دليل على أنّه لم يخلق التوحيد في الخلق، بل خلقهم ليكتسبوا التوحيد! وقد قال تعالى في شاهد ما ذكرناه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فبين أنّه إنّما خلقهم لعبادته. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله رواية تلقاها العامة والخاصة بالقبول، قال: «**كل مولود يولد فهو على الفطرة، وإنّما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه**»[٣].

تشير الزهراء عليها السلام في هذه الفقرة (وضمّن القلوب موصولها) إلى أنَّ الله

---

(١) تفسير الميزان ٣: ١٥٧ – ١٥٨.

(٢) أفدنا في العناوين الفرعية المقبلة من مقالة للسيدة مهناز توكلي (بالفارسية) بعنوان (التوحيد في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام).

(٣) تصحيح اعتقادات الإمامية للشيخ المفيد: ص ٦٠.

تعالى ضمّن قلوب الخلق أمر الفطرة على التوحيد؛ هذا التوحيد الذي يشير إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قوله «**وجبل القلوب على فطرتها**»(١) وقوله عليه السلام «**كلمة الإخلاص فإنّـها الفطرة**»(٢)؛ ويشير إليه الإمام الصادق عليه السلام في دعائه: «**أسألك بتوحيدك الذي فطرت عليه العقول وأخذت به المواثيق**»(٣). ومعنى تضمين القلب لتوحيد الله تعالى، أنَّ الله عز وجلّ خلق القلب موحّداً، وفطره على التوحيد، وإذا زال توحيد الله تعالى ومعرفته من قلب شخص ما، فإنَّه ذلك الفرد في حقيقة الأمر ليس إنساناً سويّاً، وإنَّ قلب ذلك الفرد قد تبدّل إلى شيء آخر ولم يعد قلباً آدميّاً سوياً.

الإذعان العقلي بالذات الأحدية

تقول الزهراء عليها السلام في خطبتها: «**وأنارَ في الفكر معقولها**»

المقصود بالعبارة المذكورة هو التوحيد النظري الذي يحصل بالتفكّر في الدلائل الظاهرة والآيات الدالّة على وجود الله تعالى في العالم الخارجي وفي العالم الداخلي للإنسان.

ولقد جعل الله تبارك وتعالى معنى ومفهوم كلمة التوحيد واضحة جليّة في العقل والفكر، وجعل التفكّر في الأُمور التي يمكن للبشر إدراكها هادياً له إلى نور الإيمان. والمقصود في هذه العبارة هو التوحيد النظريّ المتعلّق بالتفكر في آيات وجود الله تعالى في عالم الخارج والعالم الداخلي للإنسان.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٧٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) بحار الأنوار ٩١: ٢٧٥.

بيان الزهراء عليها السلام لصفات الله تعالى السلبية

تقول الزهراء عليها السلام في خطبتها: «**الممتنع عن الأبصار رؤيتُه، ومِن الأَلسُن صفتُه، ومِن الأوهام كيفيتُه**».

تبين الزهراء فاطمة عليها السلام في هذه الفقرة من خطبتها صفات الله تعالى السلبية، فالله سبحانه الذي ضمّن القلوب توحيده، وجبل القلوب على معرفته، وأنار في الأفكار والعقول حقيقة توحيده، لا يمكن للأبصار المادية أن تراه، ولا يمكن للألسن أن تصفه، وتعجز الأوهام والتصوّرات عن إدراكه وفهم كيفيّته. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب ذعلب اليماني (أحد علماء اليهود): «**لا تدركه العيونُ بمشاهدة الأبصار، ولكنْ رأَتْهُ القلوبُ بحقايق الإيمان**»[1].

بيان الزهراء عليها السلام للتوحيد الأفعالي والهدف من الخلقة

(ابتدعَ الأشياء لا من شيءٍ كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلةٍ امتَثَلها، كَوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها).

تبيّن الزهراء عليها السلام في هذه الفقرة الفاعلية التامة لله تعالى وعدم احتياجه إلى مادة أو مثال عند خلقه للأشياء، بل أوجدها تعالى بلا مادة وبلا مثال أو صورة مسبقة؛ فقد كوّنها وخلقها بأجمعها بقدرته ومشيئته دون أن يكون له حاجة إليها ولا فائدة له فيها.

ونجد نظير هذه الفقرة في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في قوله: «**الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله**»[2].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

تقول الزهراء عليها السلام في بيان الهدف من الخلقة: «**إلا تثبيتاً (تبييناً) لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريّته، وإعزازاً لدعوته**».

تبين الزهراء عليها السلام غرض الذات الأحدية من إيجاد عالم الوجود، حيث لا يمكن تصوّر غرض وعلّة في أفعال ذات الحق تعالى (الغنيّة بالذات) خارج عن تلك الذات. ولذلك فإنَّ غرض الإيجاد هو تثبيت (تبيين) حكمة الله تعالى، والتنبيه على وجوب طاعته تعالى والانقياد لأوامره، والإظهار لقدرته عز وجلّ، ودعوة المخلوقات للعبودية له والخضوع لأمره والتسليم له، وإعزازاً لدعوته تعالى. وإنَّ كلَّ صفة من صفات كمال الحق تعالى تعود إلى الصفة الأُخرى وتتعلق بها، وإنَّ ذكر الحكمة والقدرة من بين الكمالات الإلهية كان من باب المثال ليس إلَّا، لأنَّ الذات الإلهية هي عين جميع الكمالات، وإنَّ عالم الوجود بأرجائه هو ممثل لجميع كمالات تلك الذات، ولا انحصار في الأمر بكمال معيّن دون آخر.

فلسفة الثواب والعقاب

تقول الزهراء عليها السلام: «**ثمّ جعل الثوابَ على طاعته، ووضع العقابَ على معصيتِهِ، ذيادة لعبادِهِ عن نقمته، وحياشةً لهم إلى جنّتِهِ**».

تتعرّض الزهراء عليها السلام في هذه الفقرة لبيان فلسفة الثواب والعقاب، حيث تذكر أنَّ الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية إنّما جعلهما الله تبارك وتعالى من أجل إبعاد الناس وذودهم عن النقمة والعذاب، وسوقهم باتجاه الجنّة والقرب والسعادة. إنَّ العقاب الموضوع على كل معصية من المعاصي هو في حقيقة الأمر تحذير للإنسان كي يحفظ فطرته السليمة عن التلوّث، ويستغفر عن خطأه، من أجل أن يبتعد عن نقمة الله

تعالى وسخطه وعذابه، ويتّجه إلى رضاه وثوابه. يقول رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: «**ما مِن شيء يقرّبكم إلى الله والجنّة إلا وقد أمرتكم به، وما مِن شيء يُبعدكم عن الله والجنة إلا ونهيتُكم عنه، فليبلغ الشاهدُ الغائب**».

بيان سرّ النبوة

تقول الزهراء فاطمة في خطبتها: «**وأشهد أنَّ أبي محمداً صلى الله عليه وآله عبدهُ ورسولهُ، اختاره وانتجبه قبلَ أنْ أرسله، وسّماهُ قبل أن اجتباهُ،... عِلماً مِن الله تعالى بمآئل الأُمور و إحاطةً بحوادث الدهور.... إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبِسَتْرِ الأهاويل مصونةٌ...**».

تتعرض الزهراء عليها السلام في هذه الفقرة من خطبتها لبيان سرّ نبوّة أبيها خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وبتبعها منصب الإمامة الذي يمثل امتداد النبوّة المتعلّقة بالمقصد الغائي من الخلقة، فتصرّح سلام الله عليها بأنَّ حاكمية الله تعالى في هذه البسيطة ضرورة تعلّقت بها مشيئة الله تبارك وتعالى، نظراً لأنَّ الحاكمية الإلهية هي الهدف النهائي لخلق العالم، ولأنَّ هذه الحاكمية إنَّما يمكن تحققها بواسطة النبي (وبتبعه الأئمة) الذين هم حجج الله تعالى.

إنَّ ضرورة مقام الخلافة الإلهية أهم من خلق الشمس والقمر وجميع الظواهر المادية الأُخرى، لأنَّ مقام الخلافة الإلهية هو العلة الغائية لخلق جميع هذه الظواهر، ومن دون هذه العلة الغائية فإنَّ خلق العالم سيكون عبثاً. وإنَّ خلق العالم له علة غائية وهي (الإنسان الكامل) المتجسّد في وجود أنبياء الله تعالى وعلى الأخص في وجود خاتمهم وأشرفهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وذريته الأئمة الأطهار سلام الله عليهم. وهذا

الإنسان الكامل هو العلة الغائية للخلقة لأنَّه الجامع لكل الحقائق الوجودية على نحو الإجمال، ولأنَّه المجلّي الكامل الذي تتجلى فيه الذات الإلهية بجميع كمالاتها من حيث الأسماء والصفات.

لقد اختار الله تعالى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وقدّمه إلى أنبيائه وأخذ العهد عليهم أن يؤمنوا به ويدعوا أممهم إلى الإيمان به، «**اختاره وانتجبَه قبل أَنْ أرسلَه، وسمّاهُ قبل أن اجتباهُ....**»، وسبب هذا الاختيار والاجتباء هو عِلم الله تعالى بمآئل الأُمور «**عِلماً مِن الله تعالى بمآئل الأُمور و إحاطةً بحوادث الدهور**». وإنَّ إرسال الأنبياء عليهم السلام كان وفق سلسلة واحدة تبدأ بآدم عليه السلام وتختم بنبينا المرسل صلى الله عليه وآله الذي يتوجّب عليه إتمام هذا العمل. «**إبْتعثَهُ إتماماً لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه**». ولقد أتم النبي صلى الله عليه وآله ما أوكل إليه «**فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشفَ عن القلوب بُهَمها، وجَلّى عن الأبصار غُمَمها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذَهم مِن الغواية، وبصَّرهُم من العماية، وهَداهم إلى الدّين القويم، ودَعاهُم إلى الصراط المستقيم**».(١)

قال السيد الطباطبائي في تفسير الميزان:

إنَّ الصراط المستقيم الذي هو صراط غير الضالين صراط لا يقع فيه شرك ولا ظلم البتة كما لا يقع فيه ضلال البتة، لا في باطن الجَنان من كفر أو خطور لا يرضى به الله سبحانه، ولا في ظاهر الجوارح والأركان من فعل معصية أو قصور في طاعة، وهذا هو

(١) انتهى ما أفدناه من مقالة للسيدة مهناز توكلي (بالفارسية) بعنوان (التوحيد في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام).

حق التوحيد علماً وعملاً إذ لا ثالث لهما، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟[١]

ثم تطرق السيد الطباطبائي إلى ذكر الفرق بين (السبيل) و(الصراط)، وبيّن أنَّ هناك سبلاً كثيرة بينما ليس هناك سوى صراط واحد، ثم قال: مثل الصراط المستقيم بالنسبة إلى سبل الله تعالى كمثل الروح بالنسبة إلى البدن،... وإذا تأملت ما تقدم من نعوت الصراط المستقيم تحصل لك أنَّ الصراط المستقيم مهيمن على جميع السبل إلى الله والطرق الهادية إليه تعالى،... فإنَّ الصراط هو الواضح من الطريق، مأخوذ من سرطت سرطاً إذا بلعت بلعاً، كأنَّه يبلع سالكيه فلا يدعهم يخرجون عنه ولا يدفعهم عن بطنه، والمستقيم هو الذي يريد أنَّ يقوم على ساق فيتسلط على نفسه وما لنفسه كالقائم الذي هو مسلط على أمره،... فالصراط المستقيم ما لا يتخلف حكمه في هدايته وإيصاله سالكيه إلى غايته ومقصدهم[٢].

وقال الشيخ الوحيد الخراساني في منهاج الصالحين: (كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكّر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته). فبينت أنَّ تأويل كلمة التوحيد هو الإخلاص، والإخلاص الذي هو تأويل كلمة التوحيد إخلاص في العلم والعمل.

أما الإخلاص علماً فبنفي الصفات الزائدة على الذات المستلزمة للتجزئة والتركيب والتثنية والحد والعدد، فهو الواحد الأحد، وتفسيره ما قاله علي عليه السلام: «**أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنَّها غير الموصوف، وشهادة**

(١) تفسير الميزان ١: ٣٠.

(٢) تفسير الميزان ١: ٣٢- ٣٥.

كل موصوف أنَّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله».

وأما الإخلاص عملاً فبإتيان الأعمال الجوانحية والجوارحية خالصة لوجهه تعالى: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾(١)، وهو مقام المقربين الذين يصلون بالنظر إلى ملكوت السماوات والأرض إلى مقام اليقين بأنه ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢)، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣)، فيوجهون وجوههم إلى الذي ﴿فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا﴾(٤) ويعبدونه ويدعونه مخلصين له الدين، وبعد أن يصيروا مخلصين يصرف الله عنهم السوء والفحشاء، فيصيرون من المخلصين الذين يعجز الشيطان عن الاستيلاء على نفوسهم، قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(٥).

ثم بينت عليها السلام ما يتعلق بالقلوب من تضمينها بموصول هذه الكلمة، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(٦)، وما يتعلق بالأفكار من إنارتها بمعقول هذه الكلمة، فإنَّ الأفكار التي استنارت بمعقولها من حقيقة النفي والإثبات خرجت من الظلمات إلى النور الذي قال سبحانه ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(٧)، فوصلت إلى مقام الشهود والشهادة، ﴿شَهِدَ

(١) سورة الليل: الآية ١٩و٢٠.

(٢) سورة الحديد: الآية ٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٢٠؛ سورة هود: الآية ٤؛ سورة الروم: الآية ٥٥؛ سورة الشورى: الآية ٩؛ سورة الحديد: الآية ٢؛ سورة التغابن: الآية ١؛ وسورة الملك: الآية ١.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٧٩.

(٥) سورة ص: الآية ٨٢.

(٦) سورة لقمان: الآية ٢٥؛ سورة الزمر: الآية ٣٨.

(٧) سورة النور: الآية ٣٥.

اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[١]، شهدوا بأنَّه الإله «**الممتنع من الأبصار رؤيته**» فهو قدوس عن الأشكال والأوضاع، «**ومن الألسن صفته**» لأنَّه ليس له حد محدود ولا نعت موجود، «**ومن الأوهام كيفيته**» فإنَّ الموهوم المصنوع للوهم لا يمكن أن يكون كيفية صانع الوهم، فلا يعلم ما هو إلا هو، ولا كيف هو إلا هو.[٢]

وقال المجلسي في بحار الأنوار: «**كلمة جعل الإخلاص تأويلها**»: المراد بالإخلاص جعل الأعمال كلها خالصة لله تعالى، وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسل بغيره تعالى في شيء من الأمور، فهذا تأويل كلمة التوحيد، لأنَّ من أيقن بأنَّه الخالق والمدبر، وبأنَّه لا شريك له في الإلهية فحق له أن لا يشرك في العبادة غيره، ولا يتوجه في شيء من الأمور إلى غيره.

«**وضمن القلوب موصولها**».. هذه الفقرة تحتمل وجوهاً:

الأول: أنَّ الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركبه تعالى، وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة وأشباه ذلك مما يؤول إلى التوحيد.

الثاني: أن يكون المعنى جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب مما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، أو بما فطرهم عليه من التوحيد.

الثالث: أن يكون المعنى لم يكلف العقول الوصول إلى منتهى دقايق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنَّما كلف عامة القلوب بالإذعان بظاهر معناها، وصريح مغزاها، وهو المراد بالموصول.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٢) منهاج الصالحين ١: ٢٩٤ – ٢٩٥.

الرابع: أن يكون الضمير في موصولها راجعاً إلى القلوب، أي لم يلزم القلوب إلا ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيبة، والدقايق المستنبطة منها أو مطلقها، ولولا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأول، بل مطلقاً.(١)

المضامين التوحيدية في أدعية الزهراء عليها السلام

ورد في الآيات والروايات أنَّ العبادة الحقيقية ذات القيمة هي العبادة الناشئة عن المعرفة الحقيقية بالمعبود. روى البرقي في المحاسن عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **«العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق، لا تزيده سرعةُ السير إلاّ بُعداً»**.(٢)

ومن أفضل السبل للتعرّف على المعرفة التوحيدية الفاطمية التأمل في كلماتها في أدعيتها ومناجاتها سلام الله عليها، لأنّها تعبّر عن نوع نظرتها إلى ذات الباريء تعالى وصفاته. تأمّل في القول المروي عنها عقيب الصلاة الخاصة بقضاء الحوائج، الذي تقول فيه **«يا من لا يُعلم كيف هو وحيث هو وقدرتَه إلاّ هو»**(٣).

وتشير الزهراء عليها السلام إلى أمر التوحيد الأفعالي لله تعالى في قالب الحمد، فتقول: **«والحمدُ لله الذي بنعمته بلغتُ ما بلغتُ من العلم به والعمل له والرغبة إليه والطاعة لأمره»**.(٤)

وتقول في شأن عظمة الله وقدرته وسعة علمه ورحمته:

«سُبحان ذي العز الشامخ المنيف، سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذي الملك الفاخر القديم، سبحان مَن لبس البهجة والجمال، سبحان مَن تردّى بالنور والوقار،

---

(١) بحار الأنوار ٢٩: ٢٥٢.

(٢) المحاسن ١: ١٩٨.

(٣) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ص٣٠٣.

(٤) فلاح السائل: ص١٧٣.

سبحان مَن يرى أثر النمل في الصفا، سبحان مَن يرى وقع الطير في الهواء، سبحان مَن هو هكذا لا هكذا غيره»[1].

ولقد نالت الزهراء عليها السلام كمال الإخلاص في عبادتها وسلوكها بهذه النظرة التوحيدية، فلقد ورد في الحديث «**مَن أصعد إلى الله خالصَ عبادته، أهبط اللهُ إليه أفضلَ مصلحته**»[2].

الدروس المستخلصة

حقيقة التوحيد وكنهه - كما تقول الزهراء عليها السلام - هو الإخلاص. أي أنَّ التوحيد النظري إذا بقي في مرحلته النظرية ولم يقترن بالعمل ولم يتحقق في وجود الإنسان، فإنَّه في نظر الإسلام ليس توحيداً حقيقياً!

وللتوحيد درجات ومراتب كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، وأسمى تلك الدرجات وأفضلها هي درجة الإخلاص لله تعالى، وأسمى درجات الإخلاص لله تعالى نفيُ الصفات عنه.

ويتحقّق تجسّد مفهوم كلمة (لا إله إلا الله) حين تكون ذات الله تعالى هي المتصرّفة بشؤون الإنسان في جميع الجهات، وحين لا يكون لغير ذات الله تعالى تصرف في ذلك على الإطلاق، سواء في مرحلة العقيدة أو مرحلة الحاكمية أو التشريع أو التربية.

وفي حديث سلسلة الذهب الذي رواه الإمام الرضا عليه السلام في نيسابور إشارة إلى حقيقة مهمة في أمر التوحيد، وهي أنَّ القول بإمامة الإمام المعصوم من أهل البيت عليهم السلام شرط لتحقق التوحيد.

---

(١) مصباح المتهجد: ص٣٠١.

(٢) عدة الداعي: ص٢١٨.

اللهم صل على فاطمة وأبيها
وبعلها وبنيها والسر المستودع
فيها بعدد ما احاط به علمك

الفصل الثامن عشر

الزهراء عليها السلام أُنموذج الذاكرين والمسبّحين

الحوراء الذاكرة المسبّحة

يقول سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١]، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٢]، ويقول تعالى: ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[٤].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ الله سبحانه و تعالى جعل الذِكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتُبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة؛ وما برح لله – عزّت آلاؤه – عبادٌ ناجاهم في فِكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة**».[٥]

ويقول عليه السلام في الدعاء الذي رواه عنه كميل بن زياد: «**أسألك بحقّك وقُدسك وأعظم صفاتك وأسمائك، أن تجعلَ أوقاتي في الليل والنهار بذِكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة، حتى تكون أعمالي وأورادي كلُّها وِرداً واحداً، وحالي في خدمتك سرمداً... واجعل لساني بذِكرك لهجاً، وقلبي بحبّك متيّماً**».

ويقول الإمام زين العابدين في الصحيفة السجادية:

«**إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزّهتك من ذِكري إياك، على أنَّ ذِكري لك بقدري**

---

(١) سورة النور: الآية ٣٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤١ و٤٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٤) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٠.

لابقدرك؛ وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أُجعل محلًا لتقديسك. ومن أعظم النعم علينا جريان ذِكرك على ألسنتنا وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك. إلهي فألهمنا ذِكرك في الخلاء والملاء، والليل والنهار، والإعلان والإسرار، وفي السرّاء والضرّاء؛ وآنسنا بالذكر الخفيّ، واستعملنا بالعمل الزكيّ، والسعي المرضيّ؛ وجازنا بالميزان الوفيّ.

إلهي بك هامت القلوب الواهة، وعلى معرفتك جُمعت العقول المتباينة، فلا تطمئن القلوب إلّا بذكراك، ولا تسكن النفوس الّا عند رؤياك. أنت المسبَّح في كلّ مكان، والمعبود في كل زمان، والموجود في كل أوان، والمدعوّ بكل لسان، والمعظّم في كل جَنان، وأستغفرك من كلّ لذّة به غير ذِكرك، ومن كل راحة به غير أُنسك، ومن كل سرور به غير قربك، ومن كل شغل به غير طاعتك. إلهي! أنت قلتَ وقولك الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[١]، وقلتَ وقولك الحق: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٢]، فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا، يا ذاكر الذاكرين ويا أرحم الراحمين».[٣]

ويقول الإمام الصّادق عليه السّلام: «ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه إلّا الذّكر، فإنّ الله لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه»، ثمّ تلا: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً﴾.

قال: «وكان أبي كثير الذّكر، لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر الله، وآكل معه الطّعام

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤١ و٤٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٣) الصحيفة السجادية، مناجاة الذاكرين.

وإنّه ليذكر الله، ولقد كان يحدّث القوم وما شغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلّا الله»[1].

ما الذي يُتصوّر من حوراء إنسية كانت في حقّة تحت ساق العرش، طعامُها التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد؟ ما المتصوّر من مخلوقة نورانيّة خلع خالقُها عليها رداءً بشرياً وأهبطها إلى الأرض لتكون لأبيها خاتم الأنبياء والمرسلين بمثابة الأُمّ الرؤوم العطوف، ولبعلها خاتم الأوصياء سنداً ورِدءاً، ولأئمة أهل البيت عليهم السلام حجّة، ولنساء العالمين أسوة، ولنساء أهل الجنة سيّدة!!

لقد استقت سيدة النساء – كما في رواية المجلسي – في بيت علي أمير المؤمنين بالقربة حتّى أثّر في صدرها، وطحنت بالرّحى بيديها الدمثتين حتّى مجلتا، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقال لها أمير المؤمنين: «**لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل**»! فأتت النبي صلى الله عليه وآله، فوجدت عنده حدّاثاً، فاستحت فانصرفت. فعلم النبيّ صلى الله عليه وآله أنّها جاءت لحاجة؛ فغدا عليها، وهي مع بعلها في لفاعهما، فقال: «**السلام عليكم**». فسكتا واستحييا لمكانهما، ثم كرر سلامه ثلاثاً حتى خشيا إنْ لم يردّا عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك، فأذنا له، فجلس عند رأسيهما، فقال: «**يا فاطمة! ما كانت حاجتك أمس عند محمّد**»؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فأخرجتُ رأسي، فقلت: أنا والله أُخبرك يا رسول الله! إنّها استقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها، وجرّت بالرّحى حتّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتّى دكنت ثيابها، فقلتُ لها: لو أتيتِ**

(١) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة للحر العاملي ٣: ١٢٥ / ح٨١٨.

أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل».

قال: «**أفلا أُعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما: فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين**».

فأخرجت الزهراء عليها السلام رأسها، فقالت: «**رضيتُ عن الله ورسوله، رضيتُ عن الله ورسوله، رضيتُ عن الله ورسوله**»(١).

لقد قال أئمة أهل البيت عليهم السلام إنَّه لو كان هناك شيء أفضل عند الله تعالى من تسبيح الزهراء لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته الحبيبة فاطمة الطاهرة عليها السلام؛ ذلك التسبيح الذي مَن لزمه كان مع السعداء دون الأشقياء، ومن فعله كان ممّن ذكر الله تعالى ذِكراً كثيراً.

ما الذي يعني أن تطلب سيدة النساء خادماً تُعينها على العمل الشاق الذي كان يجهدها ويدمي يديها ويؤثر في صدرها ويسبب لها الضرر الشديد، فيعلّمها نبي الرحمة تسبيحات خلّدها الدهر باسم (تسبيح الزهراء عليها السلام)، فتفرح وتقرّ عينها حتى تكرر ثلاثاً: «**رضيتُ عن الله ورسوله**»!!

لقد كان طعام هذه الحوراء الإنسية التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد يوم أن كانت مصونة في حقّة تحت ساق العرش، وأحرى أن يمنحها التسبيحُ قوة روحية كبيرة تُعينها على مشاق الدنيا وتنسيها الضرر والأذى.

وكانت الزهراء عليها السّلام حين تكبّر وتسبّح تدير بيدها سبحتها المصنوعة من خيط صوف مفتّل معقود عليه عدد التكبيرات حتى قُتل أسد الله حمزة بن عبد المطلب،

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٨٢/ ح٥؛ و٧٦: ١٩٣ / ح٦.

فاستعملت تربته وعملت التسابيح فاستعملها الناس. فلما قُتل الحسين عليه السّلام، عُدل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزيّة.

ما عُبد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة

تسبيح الزهراء عليها السلام من النعم الإلهيّة التي يجهل أكثر الناس قدرها، وينطوي على أسرار لا يعرفها إلا أهلها! تكفينا شهادة الإمام الباقر عليه السلام أنّه ما عُبد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام!! هل عرفنا قدر هذا الكنز الذي نُديره بين أصابعنا دون أن نتأمّل في مكنونه؟! وهل دار في خلدنا مدى النعمة التي أنعم الله بها علينا حين يسّر لنا عبادته بأفضل صور العبادة المتصوّرة بهذا الذِكر اليسير في اللسان، العظيم لدى ملائكة الرحمن!

روى الكليني في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**ما عُبد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة**»[1].

طعام الزهراء يوم كانت تحت ساق العرش: التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد

صرّح الصادق المصدّق المرّة تلو المرّة أنَّ أهل البيت عليهم السلام لا يُقاس بهم أحد من الناس. وقد تحدثنا في مطلع الكتاب عن ولادة الزهراء عليها السلام وبدء خلقتها النوريّة، ونجد في الحديث القادم بعض الصحابة يعسر عليه تصوّر حقيقة أنَّ الزهراء

(١) الكافي للكليني ٣: ٣٤٣.

عليها السلام كانت نوراً خلقه الله تعالى قبل أن يخلق السماوات والأرض، كما يعسر عليه تصوّر أنَّها حوراء إنسيّة! وفي الزيارة الجامعة تقرير لحقيقة خلق أهل البيت عليهم السلام (أشهدُ... أنَّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهُرتْ، بعضُها من بعض، خلقكم أنواراً فجعلكم بعرشه مُحدقين، حتى منّ علينا بكم، فجعلكم الله في بُيوت أذن اللهُ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمُه، وجعل صلاتنا عليكم وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا، وطهارة لأنفسنا، وتزكية لنا، وكفّارة لذنوبنا، فكنا عنده مسلمين بفضلكم، ومعروفين بتصديقنا إياكم، فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المقربين، وأرفع درجات أوصياء المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع)(١).

روى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بإسناده عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق الأرض والسماء، فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال: فاطمة حوراء إنسية. قالوا: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح، فلما خلق الله عز وجل آدم عرضت على آدم. قيل: يا نبي الله وأين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقّة تحت ساق العرش، قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟ قال: التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد، فلما خلق الله عز وجل آدم وأخرجني من صلبه وأحب الله عز وجل أن يخرجها من صلبي جعلها تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد! قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل، فقال: يا محمد إنَّ ربك يقرئك السلام**

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٦١٣.

قلت: منه السلام وإليه يعود السلام قال: يا محمد إنَّ هذه تفاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة. فأخذتها وضممتها إلى صدري، قال: يا محمد يقول الله جل جلاله كلها ففلقتها فرأيت نوراً ساطعاً وفزعت منه فقال: يا محمد ما لك لا تأكل؟! كُلها ولا تخف فإنَّ ذلك النور للمنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة. قلت: حبيبي جبرئيل، ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت في الأرض فاطمة لأنَّها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبها، وهي في السماء المنصورة وذلك قول الله عز وجل ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء﴾[1] **يعني نصر فاطمة لمحبيها**»[2].

كيف علّم رسول الله ابنته التسبيح المعروف باسمها

أصاب الزهراء عليها السلام نصبٌ وضرّ كبير جرّاء عملها الشاق في البيت، وصعُب عليها الجمع بين العناية بالأطفال ورعايتهم وتلبية متطلّبات البيت الذي لم يكن فيه من مستلزمات المعيشة إلا الشيء اليسير كما أسلفنا، فلجأت الزهراء إلى الأب الرحيم تسأله أن يخدمها خادماً من السبي الذي حصل عليه المسلمون حديثاً. وكان ردّ النبي صلى الله عليه وآله متناسباً مع شدّة محبّته لريحانته من الدنيا، فقد خيّرها بين أن تختار هي أو يختار هو. خيّرها بين أن تختار الخادم، أو ما هو خيرٌ من الخادم. لم يخبر النبي صلى الله عليه وآله ابنته عمّا يقصد بقوله «**خيرٌ من الخادم**»، لكنّ الزهراء وبعلها عليهما السلام أدركا أنّه يقصد أمراً معنوياً عظيماً. وهكذا اختارت الزهراء عليها السلام أن تتسامى عن رغبات البدن، وتتناسى تعبها ونصبها، لأنَّ النفوس الكبيرة والأرواح العظيمة تُتعب الأبدان في مسيرها إلى الأهداف السامية:

---

(١) سورة الروم: الآية ٤.

(٢) معاني الأخبار: ص٣٩٧، /ح٥٣، باب معاني نوادر المعاني؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ٤ - ٥.

وإذا كانت النفوسُ كباراً تعبتْ في مُرادها الأجسامُ

روي عن علي عليه السّلام، قال: «**أتانا النبي صلّى الله عليه وآله ذات ليلة حتى وضع قدمه بيني وبين فاطمة عليها السّلام، فعلّمنا ما نقول إذا أخذنا مضاجعنا؛ ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثاً وثلاثين تحميدة، وأربعاً وثلاثين تكبيرة**». قال علي عليه السّلام: «**فما تركتها بعد**». فقال له رجل: ولا ليلة صفين؟ قال: «**ولا ليلة صفين**»[(١)].

وعن علي عليه السّلام (في حديث):... «**ثم قام رسول الله صلّى الله عليه وآله لينصرف، فقالت له فاطمة عليها السّلام: يا أبة، لا طاقة لي بخدمة البيت، فأخدمني خادماً يخدمني ويُعينني على أمر البيت. فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا فاطمة، أيما أحب إليك، خادم أو خير من الخادم؟**» فقال علي عليه السّلام: «**فقلت: قولي خير من الخادم. فقالت: يا أبه، خير من الخادم. فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: تكبّرين الله في كل يوم أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين مرة، وتسبّحينه ثلاثاً وثلاثين مرة. فذلك مائة باللسان وألف حسنة في الميزان. يا فاطمة، إنَّك إن قلتها في صبيحة كلّ يوم كفاك الله ما أهمّك من أمر الدنيا والآخرة**»[(٢)].

رسول الله يعلّم الزهراء خمس كلمات تعلمها من جبرئيل

إذا كان طعام الملائكة النورانيين التسبيح والتحميد والتمجيد، فما طعام البطون الغرثى؟ هل يسكن ألم الجوع فيها بالتسبيح والتمجيد؟ لقد أصابت بيت عليّ عليه السلام خصاصة وشدّة، ففزعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخبرهم – ويا عجباً – أنَّه لم يقبس في بيت من بيوت آل محمد نار من ثلاثين يوماً! ثمّ خيّرها بين أن يعطيها خمس

(١) مسند أحمد ١: ١٤٤؛ مسند أبي يعلى ١: ٢٣٧.

(٢) المناقب للخوارزمي: ص ٣٤٣ / ح ٣٦٤؛ بحار الأنوار ٤٣: ١٢٤ / ح ٣٢ عن كشف الغمة.

أعنز – وكان قد جاءته أعنز حديثاً – وبين أن يعلّمها خمس كلمات علّمهن إيّاها جبرئيل عليه السلام. فاختارت الذاكرةُ تعلّم كلمات الذكر، ونقلتها إلينا، لنتعلّم أنّ طعام الروح وغذاءها أقومُ للروح والبدن من طعام الأبدان!

أخرج الزرندي الحنفي عن سويد بن غفالة قال: أصابت علياً خصاصة فقال لفاطمة: «**لو أتيتِ النبي صلى الله عليه وآله فسألتيه**»؛ فأتته وكانت عنده أم أيمن فدقّت الباب، فقال النبي صلى الله عليه وآله لأم أيمن: «**هذا الدق فاطمة ولقد أتتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها، فقومي فافتحي لها الباب**».

قالت: ففتحت لها الباب، فقال: «**يا فاطمة، لقد أتيتِ في ساعة ما عوّدتنا أن تأتينا في مثلها**»! فقالت: «**يا رسول الله! هذه الملائكة طعامها التسبيح والتحميد والتمجيد، فما طعامنا**»؟ قال: «**والذي بعثني بالحق ما اقبس في آل محمد نار منذ ثلاثين يوماً، ولقد أتتنا أعنز، فان شئتِ أمرنا لك بخمسة أعنز، وإن شئتِ علّمتك خمس كلمات علّمنيهن جبريل عليه السلام**». فقالت: «**بل علّمني الخمس الكلمات**».

فقال فقولي: «**يا أوّل الأولين، ويا آخر الآخرين، وياذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين**». قالت: فانصرفت حتى دخلت على علي فقال: «**ما ورائك**»؟ قالت: «**ذهبتُ من عندك إلى الدنيا وأتيتك بالآخرة**». فقال: «**خير أيامك خير أيامك**».(١)

مسبحة الزهراء واستخدام التربة الحسينية

سارعت بضعةُ الرسول إلى التسبيح الذي علمها إياه أبوها خاتم الرسل صلى الله عليه وآله، فعملت لنفسها سبحة من صوف مفتول عقدت عليه عقداً بعدد التكبيرات،

(١) نظم درر السمطين للزرندي: ص١٩١.

وكانت تدير مسبحتها بيدها حتى اشتهرت باسمها عليها السلام وصار اسمها (تسبيحة الزهراء)، وسيأتي أنَّ هذا التسبيح من الذكر الكثير الذي أمر به الله تعالى عباده المؤمنين.

عن الصادق عليه السّلام، قال: «**إنَّ فاطمة بنت رسول الله عليها السّلام كانت سبحتها من خيط صوف مفتّل معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت عليها السّلام تديرها بيدها تكبّر وتسبّح حتى قُتل حمزة بن عبد المطلب. فاستعملت تربته وعُملت التسابيح فاستعملها الناس. فلما قُتل الحسين عليه السّلام، عُدل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته لما فيه من الفضل والمزيّة**»(١).

الإمام الصادق يُسئل عن تسبيحة الزهراء فيسبّح بها

أهل البيت عليهم السلام آتاهم الله تعالى الحكمة، وأمرهم بالموعظة الحسنة. ولذلك نراهم في تعليمهم لشيعتهم ينتهجون طرق الرفق بالسائل، ويأخذون بنظر الاعتبار مستواه العلميّ، وينتجون الطرق الأبلغ في النفس، والأكثر تأثيراً.

ونلاحظ في هذا المجال أنَّ الإمام الصادق عليه السلام - في الرواية التالية - يُسأل عن تسبيح فاطمة عليها السلام، فيقوم بتعليم السائل بطريقة عمليّة، بأن يسبّح بنفسه تسبيح فاطمة عليها السلام، وكان يكفيه عليه السلام أن يذكر له عدد التسبيحات فقط، لكننا نراه عليه السلام يسبّح بها لما يعلمه من فضلها عند الله تعالى، ولكون التعليم العمليّ أبلغ في النفس.

روى محمد بن عذافر قال: دخلت مع أبي على أبي عبد الله عليه السلام فسأله عن تسبيح فاطمة عليها السلام فقال «**(الله أكبر) حتى عدّ أربعاً وثلاثين مرة، ثم**

(١) المزار الكبير (ص ١١٩)؛ مكارم الأخلاق (ص ٣٢٦).

قـال (الحمـد لله) حتى بلغ سـبعاً وسـتين، ثم قـال (سـبحان الله) حتى بلغ مائـة يُحصيها مائة بيـده جملة واحـدة»[١].

ما عُبد الله بشيء أفضل من تسبيح الزهراء عليها السلام

تسبيح الزهراء عليها السلام نِحلة نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله بضعته فاطمة عليها السلام، ويشهد الإمام الباقر بأنَّه لو كان هناك أفضل من تسبيح فاطمة، لنحله رسول الله فاطمة عليها السلام لفرط محبّته لها، ولمنزلتها الكبيرة في قلبه صلى الله عليه وآله، ويؤكّد الإمام عليه السلام بأنَّ الله تعالى لم يُعبد بشيء أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولذلك فضّله عليه السلام على صلاة ألف ركعة.

عـن أبي جعفـر عليـه السـلام قـال: «**مـا عُبـد الله بـشيء أفضل مـن تسـبيح الزهراء عليهـا السـلام، ولـو كان شيء أفضـل منه لنحله رسـول الله صـلى الله عليه وآلـه فاطمة عليها السـلام**»[٢].

وكان يقول: «**تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يوم دُبر كل صلاة أحبّ إلي من صلاة ألف ركعة في كل يوم**»[٣].

وروي عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**من سبح تسبيح فاطمة عليها السلام قبل أن يثني رجليه - أي يعطفهما و يميلهما عن حالة التشهد - من صلاة الفريضة غُفر له، ويبدأ بالتكبير**»[٤].

---

(١) المعتبر - المحقق الحلي (٢: ٢٤٩).

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي (٢: ١٠٥ / ح١٦٦).

(٣) تهذيب الأحكام (٢: ١٠٥ / ح١٦٧).

(٤) عوالي اللئالي ٤: ٣٣٥.

وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من سبَح الله في دُبر الفريضة تسبيح فاطمة المائة مرّة، وأتبعها بـ(لا إله إلَّا الله)، غفر الله له**»[١].

الأئمة يأمرون صبيانهم بتسبيح فاطمة عليها السلام

ينبّهنا أهل البيت عليهم السلام إلى أهمية تسبيح الزهراء عليها السلام، ويخبروننا أنَّهم يأمرون صبيانهم بهذا التسبيح كما يأمرونهم بالصلاة التي هي عمود الدين! ألم يُخبرونا أنَّه لم يُعبد الله بشيء مثل تسبيح فاطمة عليها السلام؟! ألم يخبرونا أنَّها من مصاديق الذكر الكثير؟! ألم يخبرونا أنّه لم يلزم التسبيح عبدٌ ويداوم عليه ثم يصيبه شقاء؟!

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن أبي هارون المكفوف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**يا أبا هارون إنَّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة، فالزمه فإنَّه لم يلزمه عبد فشقي**»[٢].

تسبيح الزهراء عليها السلام من مصاديق الذكر الكثير

أمر الله تعالى عباده أن يذكروه، ووعدهم عليه أن يذكرهم؛ قال تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٣]. وإنَّ من أعظم نِعم الله تعالى على العبد أن يأذن له بأن يجري ذِكره على لسانه، وأن يكون وجوده الممكن محلاً لتقديس الله تعالى واجب الوجود. وقد أخبرنا أهلُ البيت عليهم السلام أنَّ من مصاديق الذكر الكثير تسبيح مولاتنا الزهراء عليها السلام. ولا شكّ في أنَّ من ذكرَ الله تعالى كثيراً وذكره الله تعالى كثيراً كان موضعاً لرحمة الله ورعايته ولطفه، وتلك سعادة ما فوقها سعادة.

(١) المصدر نفسه.

(٢) تهذيب الأحكام (٢: ١٠٥ / ح١٦٥).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

يروي الكافي عن زرارة بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله عز وجل**»: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾(١).

وسئل عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ما حدّ هذا الذكر؟ فقال: «**من سبّح في عقب كل فريضة تسبيح الزهراء فاطمة صلوات الله عليها وآلها، فقد ذكر الله ذكراً كثيراً**»(٢).

أخرج الطبرسي في مجمع البيان عن زرارة وحمران ابني أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**مَن سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام فقد ذكر الله ذِكراً كثيراً**». ومنه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من بات على تسبيح فاطمة كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**»(٣).

من سبّح تسبيح الزهراء ثم استغفر غُفر له

يُذنب العبدُ فيتكدّر قلبُه ويتنغّص عَيشه حتّى يؤوب إلى ربّه ويستغفر من ذنبه. و«**إنّ مّن أُعطي الاستغفار لم يُحرم المغفرة**»(٤) على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام، وما علّم اللهُ العباد الاستغفار إلّا وهو يريد أن يغفر لهم، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(٥). وقد ورد في الحديث «**إنَّ للقلوب صدأ كصدأ**

---

(١) الكافي – الشيخ الكليني ٢: ٥٠٠.

(٢) المقنعة – الشيخ المفيد: ص ١٤٠.

(٣) تفسير مجمع البيان ٨: ١٥٩؛ بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٨٢: ٣٣٥.

(٤) نهج البلاغة، جمع محمد عبدة ٤: ٣٣، خطب الإمام علي عليه السلام.

(٥) سورة النساء: الآية ١١٠.

النحاس، فاجلوها بالاستغفار»[١]. وقد ذكرنا أنَّ تسبيح الزهراء عليها من مصاديق الذكر الكثير، وأنَّ الله تعالى وعد العبد أن يذكره إذا ذكره العبد. وتتحدّث الروايات التالية عن أنَّ تسبيح الزهراء عليها السلام إذا أُتبع بالاستغفار، كان مدعاة لمغفرة الله ومرضاته، وكان مطردة للشيطان وقمعاً له.

روى الصدوق في ثواب الأعمال عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **«مَن سبّح تسبيح الزهراء عليها السلام ثم استغفر غُفر له، وهي مائة باللسان، وألف في الميزان، وتطرد الشيطان، وتُرضي الرحمن»**[٢].

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«من سبّح الله في دبر الفريضة تسبيح فاطمة عليها السلام المائة وأتبعها بـ(لا إله إلّا الله) غَفر الله له»**[٣].

وروى الحميري في قرب الإسناد عن مسعدة بن صدقة، عن الصادق عليه السلام قال: **«من سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام قبل أن يثني رجليه بعد انصرافه من صلاة الغداة غُفر له، ويبدأ بالتكبير»**؛ ثم قال أبو عبد الله عليه السلام لحمزة بن حمران: **«حسبُك بها يا حمزة»**[٤].

الثواب العظيم لتسبيح الزهراء عليها السلام

روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: **«لأن أُصلي الخمس الصلوات مجردة من نوافلها، وأُسبّح في عقب كل فريضة منها تسبيح الزهراء عليها السلام أحبّ إلي من**

---

(١) بحار الأنوار ٧٤: ١٧٢.

(٢) ثواب الأعمال: ص١٦٣؛ بحار الأنوار ٨٢: ٣٣٢.

(٣) تهذيب الأحكام – الشيخ الطوسي ٢: ١٠٥.

(٤) بحار الأنوار ٨٢: ٣٢٨؛ وسائل الشيعة ٦: ٤٤١.

أن أُصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، لا أُسبّح فيما بينها تسبيح فاطمة عليها السلام»[١].

تسبيح الزهراء علاج لثقل السمع

وعن بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال: شكوتُ إليه ثقلاً في أُذني. فقال عليه السلام: «**عليك بتسبيح فاطمة عليها السلام**»[٢].

مشكاة الأنوار: قال: دخل رجل على أبي عبد الله وكلّمه فلم يسمع كلام أبي عبد الله عليه السلام وشكا إليه ثقلاً في أذنيه، فقال له: «**ما يمنعك - أو أين أنت - من تسبيح فاطمة عليها السلام**»؟ قال: جُعلت فداك، وما تسبيح فاطمة؟ فقال: «**تكبّر الله أربعاً وثلاثين، وتحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وتسبّح الله ثلاثاً وثلاثين تمام المائة**»، قال: «**فما فعلت ذلك إلّا يسيراً حتى أذهب عني ما كنت أجده**»[٣].

---

(١) المقنعة - الشيخ المفيد: ص ١٤٠.

(٢) الدعوات - قطب الدين الراوندي: ص ١٩٧.

(٣) مشكاة الأنوار: ص٤٨٣؛ بحار الأنوار ٨٢: ٣٣٤ - ٣٣٥.

الدروس المستخلصة

من أعظم النعم التي أنعم البارئ بها على خلقه - كما يقول أئمة أهل البيت عليهم السلام - إنَّه تعالى أذن لهم بإجراء ذِكره على ألسنتهم، وأنَّه تعالى جعل عباده محلاً لتنزيهه وتقديسه. ولقد علّمتنا الزهراء الذاكرة عليها السلام أنَّ الذكر والتسبيح قوة روحية كبيرة تُعين المؤمن على مشاق الدنيا وتنسيه الضرر والأذى.

لم تقعد أعمال البيت الكثيرة الشاقة الزهراء الذاكرة عليها السلام عن تسبيح خالقها وذكره وعبادته، وقد أوردنا سابقاً أنَّها كانت تنهج في صلاتها وأنَّها كانت تقوم في محرابها حتى تتورم قدماها. ووجدنا بضعة رسول الله تشتكي لأبيها حالها، لكنَّه خيّرها بين أمرين: أحدهما دنيوي (أن يعطيها خادماً) والآخر أُخروي (أن يعلّمها التسبيح)، فاختارت الأمر الأُخروي وشاهدنا أنَّها تبتهج وتفرح بهذا الذكر فتكرر ثلاثاً «**رضيتُ عن الله ورسوله**». ونلاحظ في هذا المجال التفضيل الذي أبدته الزهراء للأُمور الأُخروية مقابل الأُمور الدنيوية، وكيف استجابت لأبيها صلى الله عليه وآله - وهي بضعة منه - حين خيّرها بين الخادم وخير من الخادم، فاختارت خيراً من الخادم مع حاجتها الشديدة إلى ذلك الخادم، ومع أنَّها لم تقصد أباها إلَّا من أجل ذلك الخادم الذي كانت في أمسّ الحاجة إليه.

كم شخصاً منّا يخيّر بين الأمر المعنويّ والماديّ فيختار المعنويّ مع حاجته الماسّة لذلك الأمر المادي؟! وكم شخصاً منا يختار الأمر المعنوي عن قناعة تامة، بل يبتهج ويسرّ بحصوله عليه؟

الفصل التاسع عشر

دعاء الزهراء عليها السلام
والصحيفة الفاطمية

أدعية الزهراء عليها السلام

الدعاء – كما في الحديث الشريف – هو مخّ العبادة، وهو تعبير عن التجاء العبد إلى خالقه وإحساسه بالعبودية له. يرفع العبد يديه بالدعاء ليقول لخالقه إنّه ضعيف وملتجىء إلى ربّه ومدبّره، وليقول بأنّه متبرّىء من حوله وقوّته، معتمد على حول الله وقوته. والإنكار لضرورة الدعاء بمثابة الاستقلال عن الله تعالى والاستغناء عنه والاستكبار أمام عظمته. يقول الله تبارك وتعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[١]؛ ويقول ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٢].

إنَّ هذه العلاقة العجيبة بين العبد ومولاه قد جعل الله تعالى – بمنّه وتفضّله وكرمه – مفتاحها بيد العبد!! يكفيه أن يرفع يديه إلى خالقه ويستحضر في قرارة نفسه أنّه عبد فقير محتاج، ويستمطر – بدعاء يلفظه قلبُه قبل شفتيه – شآبيب رحمته وإحسانه، لينهال عليه فيض الرحمة الإلهية من ربّ غنيّ لا تنفد خزائنُه ولا تزيده كثرة العطاء إلّا جوداً وكرماً! وحسبُه أن يستغني عن خالقه فيُعرض عن دعائه فيعدّ ذلك استكباراً عن عبادته تعالى، ويكون ممّن هدّده جبّار السماوات والأرض أنّه سيدخل جهنّم داخراً صاغراً ذليلاً.

ولقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن رجلين دخلا المسجد جميعاً، فكان أحدهما أكثر صلاة والآخر أكثر دعاءً، أيّهما أفضل؟ فقال عليه السلام: «**أكثرهما دعاءً؛ أما تسمع قول الله تعالى**» ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؟ كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام في هذه الآية، قال: «**هو الدعاء**»![٣]

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٧.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٣) تفسير مجمع البيان ٨: ٤٥١.

وقد كان للزهراء البتول عليها السلام حضور فاعل في مجال الدعاء، فقد أثر عنها سلام الله عليها أدعية كثيرة كانت تواظب عليها، وأدعية علّمتها لشيعتها بها. وقد أوردنا في هذا الفصل نماذج من تلك الأدعية.

دعاء الزهراء عليها السلام إذا طلع هلال شهر رمضان

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن الحسن بن علي الخزاز،عن الإمام الرضا عليه السلام ضمن حديث قال: «**معاشر شيعتي إذا طلع هلال شهر رمضان فلا تشيروا إليه بالأصابع، ولكن استقبلوا القبلة وارفعوا أيديكم إلى السماء، وخاطبوا الهلال وقولوا: ربّنا وربّك الله ربّ العالمين، اللهمّ اجعله علينا هلالاً مباركاً، ووفّقنا لصيام شهر رمضان، وسلّمنا فيه، وتسلّمنا منه في يسر وعافية، واستعملنا فيه بطاعتك، إنَّك على كلّ شيء قدير**».

ثم قال عليه السلام: «**ولقد كانت فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام تقول ذلك سنة، فإذا طلع هلال شهر رمضان، فكان نورها يغلب الهلال [فـ]يخفى، فإذا غابت عنه ظهر**»[١].

دعاؤها عليها السلام في التعويذ

أخرج السيد هاشم البحراني عن الزهراء عليها السلام (في خاتمة حديث) أنَّها كانت تقول: «**أعوذ بك يا ربّ من الحور بعد الكور**»[٢].

قال الفقيه الطريحي في مجمع البحرين:

في الدعاء (نعوذ بالله من الحور بعد الكور)، أي نعوذ بالله من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة والتمام[٣].

---

(١) فضائل الأشهر الثلاثة للصدوق: ص ٩٩ / ح٨٤.

(٢) غاية المرام للبحراني ١: ٣٢٦.

(٣) مجمع البحرين ٤: ٢٧٩، مادة (حور).

دعاء الزهراء عليها السلام للأمر العظيم

«بحق يس والقرآن الحكيم، وبحق طه والقرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما في الضمير، يا منفّساً عن المكروبين، يا مفرّجاً عن المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صلّ على محمد وآل محمد وافعل بي» [كذا وكذا][1].

دعاء الزهراء عليها السلام في طلب مكارم الاخلاق

«اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمتَ الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي. اللهم إنِّي أسألك كلمةَ الإخلاص، وخشيتَك في الرضا والغضب، والقصدَ في الغِنى والفقر. وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرّةَ عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مظلمة. اللهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين، يا ربّ العالمين»[2].

دعاء الزهراء عليها السلام في مطالب الدنيا والآخرة

«اللهم قنّعني بما رزقتني، واسترني وعافِني أبداً ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني إذا توفيّتني، اللهمّ لا تعييني في طلب ما لم تقدّر لي، وما قدّرته فاجعله ميّسراً سهلاً. اللهمّ كافِ عني والديّ، وكلَّ من له نعمة عليّ خير مكافاة، اللهمّ فرّغني لما خلقتني له، ولا

(١) صحيفة الزهراء عليها السلام جمع الشيخ جواد القيومي: ص١٢٦.

(٢) بحار الأنوار ٩١: ٢٢٥.

تشغلني بما تكفّلتَ لي به، ولا تعذّبني وأنا أستغفرُك، ولا تحرمني وأنا أسألك. اللهمّ ذلِّل نفسي، وعظّم شأنك في نفسي، وألهمني طاعتك والعملَ بما يرضيك، والتجنّب لما يُسخطك، يا أرحم الراحمين»[١].

دعاؤها عليها السلام لقضاء الحوائج

«الحمد لله الذي لا يَنسى مَن ذَكَره، ولا يخيب مَن دعاه، ولا يقطع رجاءَ مَن رجاه» ثم يسأل اللهَ عز وجل ما يريد[٢].

دعاء الزهراء عليها السلام لغفران ذنوب شيعتها

عن أسماء بنت عميس قالت: رأيتها عليها السلام في مرضها جالسة إلى القبلة، رافعة يديها إلى السماء، قائلة: **«إلهي وسيدي أسألك بالذين اصطفيتَهم، وببكاء ولدي في مفارقتي، أن تغفر لعُصاة شيعتي وشيعة ذريتي»**[٣].

دعاء الزهراء عليها السلام في شكواها

أخرج العلامة المجلسي في بحار الأنوار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **«إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستين يوماً ثم مرضت فاشتدّت علتها، فكان من دعائها في شكواها: يا حي يا قيوم! برحمتك أَستغيث فأغثني، اللهم زحزحني عن النار وأدخلني الجنة وألحقني بمحمد صلى الله عليه وآله»**!

---

(١) بحار الأنوار ٩٢: ٤٠٦.

(٢) صحيفة الزهراء عليها السلام جمع الشيخ جواد القيومي: ص١٢٠.

(٣) صحيفة الزهراء عليها السلام: ص ٢٠٩ – ٢١٠.

فكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لها: «**يعافيك الله ويُبقيك**»! فتقول: «**يا أبا الحسن ما أسرع اللحاق بالله**»[(١)]!

رسول الله يعلم الزهراء دعاءً تدعو به عند النوم لدفع ضرر الشياطين والهوام

أخرج السيوطي عن ابن السني، والديلمي عن فاطمة -عليها السلام- بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، أنَّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال لها: «**إذا أخذتِ مضجعك فقولي:**

(الحمد لله الكافي، سبحان الله الأعلى، حسبي الله وكفى، ما شاء الله قضى، سمِع الله لمن دعا، ليس من الله ملجأ ولا وراء الله ملتجأ، توكّلت على ربي وربّكم، ما من دابة إِلَّا هو آخذ بناصيتها إنَّ ربي على صراط مستقيم، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبّره تكبيراً).من يقولها عند منامه ثم ينام وسط الشياطين والهوام فلا تضره»[(٢)].

النبي يعلِّم فاطمة عليها السلام دعاءً لغفران الذنوب

روي عن الزهراء عليها السلام أنّها قالت: «**علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة ليلة الأربعاء، فقال: من صلّى ست ركعات، يقرأ في كل ركعة (الحمد) و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾**[(٣)] **إلى قوله ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[(٤)]**، فإذا فرغ من**

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٧ و٢١٨ /ح ٤٩؛ مستدرك الوسائل - الميرزا النوري ٢: ١٣٤.

(٢) الدر المنثور - جلال الدين السيوطي: ٤ ٢٠٨؛ كنز العمال للمتقي الهندي ١٥: ٥١٣ /ح ٤٢٠٠٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٢٧.

صلاته قال: (جزى الله محمداً ما هو أهله)؛ غفر الله له كل ذنب إلى سبعين سنة، وأعطاه من الثواب ما لا يُحصى»[١].

النبي يعلِّم ابنته دعاءً لنفي الفقر وتيسير الأُمور

روي أنَّ فاطمة عليها السلام زارت النبي صلى الله عليه وآله فقال لها: «ألا أزوّدك»؟ قالت: «نعم». قال: «قولي (اللهمّ ربنا وربّ كل شيء، مُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحبّ والنوى، أعوذ بكَ من شرّ كلّ دابةٍ أنتَ آخذٌ بناصيتها، أنت الأوّلُ فليس قبلَك شيء، وأنت الآخِرُ فليس بعدَك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقَك شيء، وأنت الباطنُ فليس دونَك شيء، صلِّ على محمّد وعلى أهل بيته عليه وعليهم السلام، واقضِ عني الدين، وأغنني من الفقر، ويسِّر لي كلّ الأمر يا أرحم الراحمين)»[٢].

دعاؤها عليها السلام لطلب نزول مائدة من السماء

روي عن ابن عباس في حديث طويل أنَّ النبي صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام فنظر إلى صفار وجهها وتغيّر حدقتيها، فقال لها: «يا بنيّة، ما الذي أراه من صفار وجهك وتغيّر حدقتيك»؟ فقالت: «يا أبه! إنّ لنا ثلاثاً ما طعمنا طعاماً»!... إلى أن قال: ثم وثبت حتى دخلت إلى مخدع لها فصفّت قدميها فصلّت ركعتين، ثم رفعت باطن كفيها إلى السماء وقالت: «إلهي وسيدي هذا محمد نبيك، وهذا علي ابن عمّ نبيك، وهذان الحسن والحسين سبطا نبيك. إلهي أنزل علينا مائدة من السماء كما أنزلتها على بني إسرائيل، أكلوا منها وكفروا بها،

(١) مستدرك الوسائل ٦: ٣٧١؛ بحار الأنوار ٨٧: ٣٠٥.

(٢) مهج الدعوات: ص١٤٢؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٩٢: ٤٠٦ / ح٧.

اللهـمّ أنزلهـا علينا فإنّـا بها مؤمنـون». وفي رواية: «**اللهـم إنَّ فاطمة بنـت نبيك قد أضرّ بهـا الجـوع، وهـذا عـلي بـن أبي طالـب ابن عـم نبيك قـد أضرّ بـه الجـوع، فأنـزل اللهم علينـا مائـدة من السـماء كـما أنزلتها عـلى بني إسرائيـل فكفروا وإنّـا مؤمنـون»**. قال ابن عبـاس: والله مـا اسـتتمت الدعـوة، فإذا هـي بصحفة مـن ورائهـا - الخبر[١].

دعاؤها عليها السلام في شكواها

مصباح الأنوار: عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«**إنّ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّين يوماً، ثمّ مرضت فاشتدّت عليها، فكان من دعائها في شكواها:**

(يا حيّ يا قيّوم، برحمتك أستغيث فأغثني، اللهمّ زحزحني عن النار، وأدخلني الجنّة، وألحقني بأبي محمّد صلى الله عليه وآله). فكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لها: يعافيك الله ويبقيك. فتقول: يا أبا الحسن! ما أسرع اللحاق بالله». - الحديث[٢]، وسنورده بتمامه في الفصل الخامس والعشرين.

أقول: ذكرنا قدراً من أدعية الصديقة عليها السلام تحت عنوان (التعليم النبوي لفاطمة عليها السلام).

(١) صحيفة الزهراء عليها السلام - جمع الشيخ جواد القيومي: ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٧ و ٢١٨ / ح ٤٩.

الدروس المستخلصة

لقد جعل الله تعالى بمنّه وتفضّله وكرمه مفتاحَ العلاقة بين العبد ومولاه بيد العبد!! فأضحى العبد يكفيه أن يرفع يديه إلى خالقه ويستحضر في قرارة نفسه أنَّه عبدٌ فقير محتاج، ويستمطر - بدعاء يلفظه قلبُه قبلَ شفتيه - شآبيب رحمته تعالى وإحسانه، لينهال عليه فيض الرحمة الإلهية من ربّ غنيّ لا تنفد خزائنُه، ولا تزيده كثرة العطاء إلّا جوداً وكرماً! وحسبُه أن يستغني عن خالقه فيُعرض عن دعائه فيعدّ ذلك استكباراً عن عبادته تعالى، ويكون ممّن هدّده جبّار السماوات والأرض أنَّه سيدخل جهنّم داخراً صاغراً ذليلاً.

ويستفاد من الآية الكريمة ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] المقابلة بين الدعاء وبين الاستكبار، لأنَّ الذي لا يدعو ربّه ولا يحسّ بالفاقة إليه ينطوي على استكبار في نفسه ويرى نفسه غنيّاً عن ربّه، مستقلاً عنه تعالى. وهذا الاستكبار لا شكّ سيسوق صاحبه إلى نار جهنّم التي أعدّها الله للمستكبرين عن عبادته. قال تعالى في الحديث القدسيّ «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمت ظهره**»[2].

وقد أوردنا المفاضلة بين كثرة الدعاء وكثرة الصيام، وذكرنا أنَّ كثرة الدعاء أفضل من كثرة الصلاة. وقد كان للزهراء البتول عليها السلام حضور فاعل في مجال الدعاء، فقد أُثر عنها سلام الله عليها أدعية كثيرة كانت تواظب عليها، وأدعية علّمتها لشيعتها.

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) الوافي للفيض الكاشاني ١: ١٦١.

الفصل العشرون

دفاع الزهراء عن أمير المؤمنين عليهما السلام

الزهراء المدافعة

وقفت الزهراء مع أمير المؤمنين عليهما السلام في جهاده منذ اليوم الأول الذي دخلت فيه بيته، وقد أوردنا أنَّها كانت تأخذ سيفه فتغسل الدماء عنه، وأنَّها كانت له نِعم العون على طاعة الله تعالى، كما أوردنا دفاعها عن موقف أمير المؤمنين عليه السلام مع عدد من مشركي مكة يوم فتح مكة لم يدخلوا في جوار النبي صلى الله عليه وآله، وذكرنا أمر معاتبتها أُمَّ هانيء في شكواها لرسول الله من أمير المؤمنين عليه السلام. وقد تصاعد مستوى جهادها ومساندتها لأمير المؤمنين بعد ارتحال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بما يتناسب مع حجم الأخطار التي واجهته عليه السلام.

لم تدّخر الزهراء الطاهرة عليها السلام وسعاً في مساندة أمير المؤمنين ودعمه في قضيّته العادلة، ولم تكن تنظر إلى دفاعها عنه إلا بوصفه تجسيداً حيّاً للدفاع عن مستقبل الإسلام وصيانة للأمَّة من الانحراف والفتنة. كانت الزهراء عليها السلام تدرك أنّ إبعاد أمير المؤمنين عن دوره الطبيعيّ في قيادة المسيرة من شأنه أن يعرّض التجربة الإسلاميّة الفتيّة إلى أعظم الأخطار، كما كانت تعلم أنّ أباها حين أنذر أُمَّته من الفتن التي ستُقبل عليهم بعده كقطع الليل المظلم، لم يتركهم إلى تدبيرهم ولم يكلهم إلى القدر، بل سعى بكلّ إخلاص وأمانة إلى رسم طريق النجاة وسبيل الهداية في كلّ موقف ومنعطف من منعطفات المسيرة الإسلاميّة. حتّى أنَّه صلوات الله عليه لم يفارقه هذا الهاجس في آخر لحظات حياته الشريفة، فسعى وهو يودّع أمَّته إلى كتابة كتاب لها إنْ تمسّكت به لن تضلَّ أبداً. لم تغفل الزهراء عليها السلام عن المعارضة التي كان يبديها البعض تجاه ولاية أمير

المؤمنين عليه السلام. كيف وقد سمعت بأُذنيها كيف يتحيّن البعض الفرص في نقل الأخبار إلى رسول الله عن تصرّفات أمير المؤمنين في الحرب كانوا يأملون أنّها ستُغضب رسولَ الله(١)، كما سمعت البعض يعترض على سدّ أبواب بيوتهم حين شاهدوا استثناء بيت علي وفاطمة عليهما السلام من هذا الأمر، وسمعتْ كيف يطعن البعض في رسول الله ويقولون بأنَّه قد غوى في حبّ ابن عمّه، فتردّ عليهم السماء بآية ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾(٢)، وسمعت الحارث بن النعمان الفهريّ يعترض على رسول الله حين نصب أمير المؤمنين إماماً بعده، فشكّك بأمر رسول الله واستحلفه، ثم طالب السماء أن ترجمه بحجر إنْ كانت ولاية عليّ بأمرٍ من الله تعالى، فرمي بحجر من السماء!(٣)

كانت الزهراء الطاهرة عليها السلام تعلم يقيناً أنّها ستتعرّض إلى الأذى في مساندتها لأمير المؤمنين في محاولة لتصحيح انحراف السقيفة، وكانت تقدّر الأخطار الضخمة التي سيتعرّض لها كلّ من يقف في وجه هذه الجماعة التي تربّعت على منبر رسول الله بالقوّة، فقد كان قادتهم يطالبون بلا مواربة بقتل من يقف في وجوههم، بل بتصفية من لا يبايعهم. ولقد قالوا (اقتلوا سعداً قتله الله)، وقال قائلُهم في سقيفة بني ساعدة (فما ينازعنا في سلطان محمد صلى الله عليه وآله ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدلٍ بباطل أو متجانف لإثم، أو متورّط في الهلَكة، مُحبّ للفتنة)!(٤)

وقفت الزهراء إلى جانب أمير المؤمنين عليهما السلام وآمنت بحقّانيّة قضيّته، وتحرّكت تدور معه على بيوت المهاجرين والأنصار تطلب النصرة، ثم تحرّكت لفضح

---

(١) أنظر على سبيل المثال قصّة إرسال خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلى النبي للشكوى من أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) سورة النجم: الآية ٢.

(٣) أنظر قصة الحارث في تفاسير الطرفين، ذيل قوله تعالى (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ).

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٦؛ تاريخ الطبري ٢: ٤٥٧؛ الاحتجاج للطبرسي ١: ٩٢.

السلطة وبيان جهلها للأحكام الشرعيّة من خلال المطالبة بـ(فدك)، وخطبتْ في مسجد رسول الله خطبتها الناريّة المعروفة، فكشفت عن المؤهلات الفريدة التي يتمتّع بها أمير المؤمنين عليه السلام، وبيّنت بها لا مزيد بعده أنَّ الذين تسلّطوا على الأمر لا يُقاسون بأمير المؤمنين في السبق إلى الإيمان ولا في الجهاد ولا في الفقه بالشريعة، ثمّ أنذرت الناس أنّهم سيحصدون غبّ ما أسّسه أصحابُ السقيفة. ولم تكتفِ الزهراء بذلك، بل كانت تبكي أباها ليلاً ونهاراً وتنشد في رثائه أشعاراً سجّلتها صحائف الدهر كشاهد على عظم المصائب التي واجهتها بضعةُ النبي وحبيبته وريحانته.

مقدمة لا بدّ منها:

أهل البيت عليهم السلام هم أولو الأمر

لقد أوجب الله تعالى في قرآنه الكريم طاعة أولي الأمر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١]، كما أمر تعالى المسلمين بالرجوع إليهم؛ وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير (أولي الأمر) قال: «**نحن أولو الأمر الذين أمر الله بالردّ إلينا**»[٢]. وعنه عليه السلام أنَّ رجلًا قال له: جعلت فداك، إنَّ من عندنا يقولون إنَّ قول الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣] أنهَّم علماء اليهود، فتبسم وقال: «**إذاً والله يدعونهم إلى دينهم، بل نحنُ والله أهلُ الذِكر الذين أمر اللهُ عز وجل بردّ المسألة إلينا**»[٤].

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) مستدرك الوسائل ١٧: ٢٧١.

(٣) سورة النحل: الآية ٤٣؛ سورة الأنبياء: الآية ٧.

(٤) مستدرك الوسائل ١٧: ٢٧٢.

أهل البيت كسفينة نوح من ركبها نجا

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يألو جهداً في دعوة أمَّته إلى التمسّك بولاية أمير المؤمنين وأولاده الأطهار أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويصفهم تارة بأنهم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك؛ وتارة أُخرى بأنَّهم كباب حطة من دخله كان آمناً؛ ويوصي أمَّته بالتمسّك بالثقلين: كتاب الله وعترته أهل بيته، ويخبر بأنَّهما لن يفترقا وأنَّهما سيردان على الحوض معاً. ثم أخذ منهم البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام في واقعة الغدير المشهورة على أنَّه مولاهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى نقل لنا التاريخ أنَّ عمر بن الخطاب هنّأ أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: بخ بخ لك يا بن أبي طالب! أصبحتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!!

إخبار النبي لأمير المؤمنين بأَنَّ الأمَّة ستغدر به

ولقد أخبر النبيُّ صلى الله عليه وآله وصيّه أميرَ المؤمنين عليه السلام أنَّ الأمَّة سرعان ما ستغدر به، وأخبره أنَّه سيعيش ويقتل وهو على ملة رسول الله وسنّته لا يحيد عنها. روى الحاكم النيسابوري في المستدرك عن حيان الأسدي[قال:] سمعت علياً يقول: «**قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الأمَّة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملّتي، وتُقتل على سنتي؛ من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإنَّ هذه ستُخضب من هذا**» يعني لحيته من رأسه. ثم قال الحاكم: [حديث] صحيح(١).

(١) المستدرك ٣: ١٤٢ - ١٤٣.

النبي يقول لأصحابه: «لا أدري ما تُحدثون بعدي!»

وفي المقابل فقد أخبر صلى الله عليه وآله أصحابه أنَّهم سيرتدون بعده، وأنَّهم سيركبون سنن من كان قبلهم حذو النعل بالنعل، حتى أنَّه رفض أن يشهد لأبي بكر كما شهد لشهداء أُحد، وقال له بالحرف الواحد: لا أدري ما تُحدثون بعدي[1]!!

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله رجع قوم عن العهد الذي عاهدوا الله ورسوله عليه وتناسوا بيعتهم يوم الغدير، وأسرعوا إلى سقيفة بني ساعدة فبايعوا لأبي بكر!! يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أولئك القوم: «**حتى إذا قَبض اللهُ رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب وغالَتْهم السبل واتّكلوا عن الولائج ووصلوا غير الرّحم وهجروا السبب الذي أُمِروا بمودّته ونقلوا البناء عن رصِّ أساسه فبنَوْه في غير موضعه...**»[2].

إضعاف أمير المؤمنين عليه السلام هو الغاية من غصب فدك

لم يفُت السلطة الحاكمة أنّ إبعاد (فدك) عن يد فاطمة وعليّ عليهما السلام سيؤدي عاجلاً إلى إضعاف وضعهما الاقتصاديّ، ويستتبع انفضاض أغلب الناس عنهما، لأنّ هذين الاثنين كانا يُنفقان غلاّت فدك على الفقراء والمساكين. وماذا يفعل علي وفاطمة عليهما السلام بفدك وأمثال فدك وهما اللذان عاشا عيش الزهد عن زخارف الدنيا، واكتفيا منها بالقليل الذي يساويهما فيه عامّة الفقراء والمحرومين. أليس أمير المؤمنين

(١) روى مالك في الموطأ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لشهداء أُحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بلى، ولكن لا أدري ما تُحدثون بعدي ! فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: إنّا لكائنون بعدك ؟ الموطأ لمالك ٢: ٤٦١ / ح٣٢؛ (نقلاً عن المناظرات في الإمامة – الشيخ عبد الله الحسن – ص ٥٧١).

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٠.

عليه السلام هو القائل «**وما أصنع بفدكٍ وغير فدك والنفسُ مظانّها في غدٍ جَدَث**»؟!

أخرج السيد حيدر الآملي في الكشكول عن المفضل بن عمر،قال: قال مولاي الصادق عليه السلام: «**لما ولي أبو بكر قال له عمر: إنَّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن علي الخمس والفيء وفدكاً، فإنَّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا علياً رغبة في الدنيا، وإيثاراً ومحاباة عليها، ففعل ذلك وصرف عنهم جميع ذلك**» - الحديث بطوله.[1]

موقف الزهراء من انحراف الأمَّة

ما الذي يتوجّب على الزهراء عليها السلام - وهي هي - أن تفعل إزاء انحراف الأمَّة عن الحقّ، وسلوكها السبيل الذي سيودي بها إلى هاوية الضلالة والفتن؟! هل بوسع الزهراء عليها السلام - وهي بضعة رسول الله - سوى أن تتبّع سبيل أبيها صلى الله عليه وآله الذي يصفه القرآن الكريم بأنَّه كان ﴿دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ و﴿سِرَاجًا مُنِيرًا﴾؟! خاصة وأنَّ مهمة التغيير أمام الانحراف تقع على عاتق المعصوم بالدرجة الأُولى؛ يؤيد ذلك قول سيّد الشهداء الحسين ابن علي عليهما السلام «**وأنا أحقّ مَن غيّر**»[2].

فاطمة تبكي لمظلومية أمير المؤمنين بعدها

بكت الزهراء عليها السلام على مظلوميّة أمير المؤمنين عليه السلام وما سيلقاه بعدها، فأشبهت في ذلك أباها رسول الله صلى الله عليه وآله حين اعتنق أمير المؤمنين وأجهش باكياً، ثم أخبره أنَّه إنَّما يبكي لما سيلقاه أمير المؤمنين بعده من ظلم الأمَّة وجفائها.[3]

---

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري ٧: ٢٩١ / ح٨٢٤٧؛ بحار الأنوار ٢٩: ١٩٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٤، سنة إحدى وستين.

(٣) ورد ذلك في الحديث المشهور بـ(حديث الحدائق السبع)، وقد نقلته مصادر الفريقين.

بكت الزهراء وذرفت الدموع وهي ترى وحدة أمير المؤمنين وغُربته، وأحسّت أنّ وعد رسول الله سيتحقّق قريباً، وأنَّ الركن الثاني الذي كان يستند إليه أمير المؤمنين سينهدم قريباً بعد أن انهدم الأوّل برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روى جابر أنَّ رسول الله قال لعلي عليه السلام قبل موته: «**السلام عليك أبا الريحانتين أوصيك بريحانتيّ من الدنيا، فعن قليل ينهد ركناك عليك**». قال: «**فلما قُبض رسول الله**» قال علي عليه السلام: «**هذا أحد الركنين**»، فلما ماتت فاطمة قال علي عليه السلام: «**هذا الركن الثاني**».(١)

عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال: «**لما حضرت فاطمة الوفاة بكت فقال لها أمير المؤمنين: يا سيدتي ما يبكيك؟ قالت: أبكي لما تلقى بعدي! فقال لها: لا تبكي فوالله إنَّ ذلك لصغير عندي في ذات الله. قال: وأوصته أن لا يؤذن بها الشيخين ففعل**»(٢).

الزهراء عليها السلام تتضامن مع بعلها في موقفه

تضامنت الزهراء مع أمير المؤمنين عليهما السلام في قضيّته العادلة، وتحرّكت معه تدعو الأنصار (ولم تدع المهاجرين الذين حرّكت أغلبهم أطماع الخلافة أو مشاعر الحسد لأمير المؤمنين عليه السلام) وتسألهم النصرة، فكان اعتذار معظمهم بارداً، فقد اعتذروا أنّهم ملتزمون ببيعتهم لأبي بكر، وقالوا بأنَّ زوجها لو سبق إليهم في مسألة البيعة لبايعوه! كأنَّ في الأمر سباقاً على المصالح والأطماع! وتناسى هؤلاء أنّهم سبق أنْ بايعوا أميرَ المؤمنين بالأمس القريب، وبأمر من رسول الله في قضية الغدير المشهورة! فلماذا يفون ببيعتهم لأبي بكر، تلك البيعة التي كانت فلتة كما يصفها من دبّرها، ولا يفون لبيعتهم الشرعية الصحيحة لأمير المؤمنين؟! وقد ردّ أمير المؤمنين عليه السلام

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٣٦ عن مجموعة من المصادر السنية.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ٢١٨.

على هؤلاء المعتذرين بتساؤل «**أفكنت أدَعُ رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟!**»، وردّت عليهم الزهراء بأنَّ أمير المؤمنين صنع ما كان ينبغي أن يصنع، أما هؤلاء فقد صنعوا ما سيحاسبهم عليه الله تعالى يوم القيامة.

قال ابن قتيبة: وخرج علي – عليه السلام – يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: «**يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنَّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به**»، فيقول علي: «**أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه**»؟! فقالت فاطمة: «**ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم**»(١).

ونقل ابن أبي الحديد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري أنَّه أخرج عن أبي جعفر محمد بن علي –عليهما السلام–، أنَّ علياً حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: «**يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به**»، فقال علي: «**أكنت أترك رسول الله ميتاً في بيته لا أُجهّزه، وأخرج إلى الناس أُنازعهم في سلطانه**»!! وقالت فاطمة: «**ما صنع أبو حسن إلَّا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه**»(٢).

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦: ١٣.

خطبة الزهراء عليها السلام

تأمّل في خطبة الزهراء عليها السلام، هل تجد أنَّ الزهراء عليها السلام أنشأتها من أجل فدك وأمثال فدك، أم يتّضح لك من عباراتها وكلماتها الناريّة أنّها تقريع بيّن للصحابة الذين ارتدّوا على أعقابهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأجابوا دعوة الشيطان الذي أطلع رأسه وهتف بهم؟ لقد ذكّرتهم بأيّامهم الخالية في الكفر والاقتتال والتشرذم، وأنَّ الله تعالى أنعم عليهم بأبيها صلى الله عليه وآله فأنار بهَديه ظُلمة أيّامهم، وألّف بحكمته بين قلوبهم، وأنَّ هذا النبي هو أبوها وأخو ابن عمّها علي عليه السلام، وأنَّه صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين علي عليه السلام جاهدا الكفار والمشركين أشدّ الجهاد، بينما كان رجال السلطة الحاليون في بلهنية من العيش وادعين فاكهين، لم يؤثر عنهم جهاد ولا تضحية! فلمّا ارتحل النبي صلى الله عليه وآله تسلل هؤلاء الرجال إلى مواقع السلطة في خلسة من الزمن، فأوردوا المسلمين غير مشربهم، وحرفوهم عن دينهم.

هكذا كانت الزهراء عليها السلام تحاكم المسلمين – ومعهم رجال السلطة – على الانحراف عن الدين القويم، وتوضّح لهم مدى الهوّة التي تردّوا فيها: «**كتاب الله بين أظهركم، أُمورُه ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبةً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً، ومَن يبتغِ غير الإسلام دِيناً فلن يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين**»، وتختم الزهراء كلامها الناري بالحقيقة المرّة: أنّ الطريق الذي سار فيه القوم هو الكفرُ بعينه: (فإن تكفروا أنتم ومَن في الأرض جميعاً فإنَّ الله لغني حميد)! محذّرة إيّاهم من المصير المرعب: «**وأنا ابنة نذير لكم بين يدَي عذاب شديد، فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون**»!

فأين هذا الكلام من المطالبة بفدك؟

روى الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن عبد الله الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السلام، أنَّه لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فدكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لُمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولَها، ما تخرم مِشيتُها مشيةَ رسول الله حتى دخلتْ على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها مُلاءة، فجلست ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء فارتجّ المجلس، ثم أمهلتْ هُنيئة حتى إذا سكن نشيجُ القوم وهدأت فورتُهم افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها فقالت عليها السلام:

«الحمدُ لله على ما أنعم، وله الشكرُ على ما ألهم، والثناء بما قدّم، مِن عُموم نعمٍ ابتدأها، وسُبوغ آلاءٍ أسداها، وتمامِ مِننٍ والاها، جَمَّ عن الإحصاء عددُها، ونأى عن الجزاء أمدُها، وتفاوت عن الإدراك أبدُها؛ وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها، واستحمد إلى الخلايق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها.

وأشهدو أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، كلمةً جعل الإخلاصَ تأويلَها، وضمّن القلوبَ موصولَها، وأنار في الفكر مَعقولَها؛ الممتنع من الأبصار رؤيتُه، ومن الألسن صفتُه، ومن الأوهام كيفيتُه؛ ابتدع الأشياءَ لا مِن شيء كان فيها، وأنشأها بلا احتذاءِ أمثلةٍ امتثلها؛ كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، مِن غير حاجةٍ منه إلى تكوينها، ولا فائدةٍ له في تصويرها، إلاّ تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقُدرته، وتعبُّداً لبريّته، وإعزازاً لدعوته؛ ثم جعل الثوابَ على طاعته، ووضع العقابَ على معصيته، ذِيادةً لعباده عن نقمته، وحِياشةً منه إلى جَنّته.

وأشهد أنَّ أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسلَه، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائقُ بالغيب مَكنونةٌ، وبسَتْر الأهاويل مصونةٌ، وبنهاية العدم مقرونة؛ عِلماً من الله تعالى بمسائل الأُمور، وإحاطةً بحوادث الدهور، ومعرفةً بمواقع المقدور؛ ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمةً على إمضاء حُكمه وإنفاذاً لمقادير حتمه؛ فرأى الأُممَ فِرقاً في أديانها، عُكّفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، مُنكرةً لله مع عرفانها؛ فأنار الله بأبي محمّد ظُلمتها، وكشف عن القلوب بُهَمها، وجلّى عن الأبصار غُممها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغَواية، وبصّرهم عن العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم؛ ثم قبضه اللهُ إليه قبض رأفةٍ واختيار ورغبةٍ وإيثار، فمحمّدٌ عن تعب هذه الدار في راحة، قد حُفّ بالملائكة الأبرار ورضوان الربّ الغفّار ومجاورة الملك الجبّار، صلى الله على أبي نبيّه وأمينه على الوحي وخيرته من الخلق وصفيه والسلام عليه ورحمة الله و بركاته».

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: «أنتم - عبادَ الله - نصب أمره ونهيه، وحملةُ دينه ووحيه، وأُمناءُ الله على أنفسكم، وبُلغاؤه إلى الأُمم، وزعمتم حقّ لكم لله فيكم، وعهد قدّمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتابُ الله الناطق، والقرآنُ الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنةٌ بصائره، منكشفةٌ سرائره، منجليةٌ ظواهره، مغتبطٌ به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتّباعه، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه، به تُنال حُججُ الله المنوّرة وعزائمه المفسّرة ومحارمه المحذّرة وبيّناته الجالية وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة ورُخَصه الموهوبة وشرايعه المكتوبة.

فجعل اللهُ الإيمانَ تطهيراً لكم من الشرك، والصلوةَ تنزيهاً لكم عن الكِبر، والزكوة تزكية للنفس ونَماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل

تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نِظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفُرقة، والجهادَ عزاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمرَ بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العُمر ومنماة للعدد، والقِصاص حقناً للدماء، والوفاءَ بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفيةَ المكائيل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حِجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية؛ فاتقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه إنّما يخشى اللهَ مِن عباده العلماءُ».

ثم قالت: «أيّها الناس اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله، أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً»، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، «فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزيُّ إليه صلى الله عليه وآله، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثَبَجهم، آخذاً بأكظامِهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة،يكسر الأصنام وينكث الهام، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتى تفرّى الليلُ عن صُبحه، وأسفرَ الحقُّ عن مَحضه، ونطقَ زعيمُ الدين، وخرِستْ شقاشقُ الشياطين، وطاح وشيظُ النفاق، وانحلّت عُقَد الكفر والشقاق، وفُهتم بكلمة الإخلاص، في نفر من البيض الخِماص، وكنتم على شفا حفرةٍ من النار، مَذْقةَ الشارِبِ، ونُهزةَ الطامع، وقَبْسةَ العَجْلان، وموطىء الأقدام، تشربون الطَّرْق، وتقتاتون الورق، أذلةً خاسئين تخافون أن يتخطّفكم الناسُ من حولكم، فأنقذكم اللهُ تبارك وتعالى بمحمّد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعد أن مُني ببُهَم الرجال وذؤبان العرب ومَرَدة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو

نَجَم قَرْنٌ للشيطان أو فغرتْ فاغرةٌ من المشركين قذف أخاه في لَهَواتها، فلا ينكفىء حتّى يطأَ صِماخَها بأخمصه، ويُخمِدَ لهبَها بسيفه، مَكدوداً في ذات الله، مُجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّد أولياء الله، مُشمّراً ناصحاً مُجِدّاً كادحاً، وأنتم في بلهينة من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكفّون الأخبار، وتنكُصون عند النِزال، وتفِرّون عند القتال؛ فلمّا اختار اللهُ لنبيّه دارَ أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حَسْكَةُ النفاق، وسمُل جِلبابُ الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خاملُ الأقلّين، وهدر فَنيقُ المبطلين وخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطانُ رأسه من مغرِزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مُستجيبين، وللعزّة فيه ملاحظين، ثم انتهضكم فوجدكم خِفافاً، و أحمشكم فألفاكم غِضاباً، فوَسَمْتُم غيرَ إبلكم، ووردتم غيرَ مشربكم. هذا والعهد قريب، والكَلْمُ رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يُقبر. ابتداراً زعمتم خوفَ الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنم لمحيطةٌ بالكافرين. فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أُمورُه ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبةً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً، ومَن يبتغِ غير الإسلام دِيناً فلن يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين، ثم لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قِيادُها، ثم أخذتم تُورون وَقْدَتها، وتهيجون جمرتَها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهمال سُنن النبي الصفي، تشربون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخَمَرَة والضرّاء، ونصبرُ منكم على مِثل حَزّ المدى و وخز السِنان في الحشا، وأنتم تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومَن أحسن مِن الله حُكماً لقومٍ يوقنون، أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنتُه».

«أيّها المسلمون أأُغلَب على إرثيه؟! يابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترثَ أباك ولا أرثَ أبي؟ لقد جئتَ شيئاً فريّاً. أفعلى عمد تركتم كتابَ الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(١)؟! وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا (عليه السلام) إذ قال: ربّ ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٢)، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(٣)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾(٤)، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(٥) وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصّكم اللهُ بآيةٍ أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون أهل ملّتَين لا يتوارثان، أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مَخطومةً مَرحولة تلقاكَ يوم حشرك، فنِعم الحَكَمُ الله، والزعيم محمد، والوعد القيامة، وعند الساعة ما تخسرون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون مَن يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذابٌ مقيم».

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: «يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول المرء يُحفظ في ولده؟ سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوّة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله؟ فخطبٌ جليل

(١) سورة النمل: الآية ١٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٥ و٦.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٥؛ وسورة الأحزاب: الآية ٦.

(٤) سورة النساء: الآية ١١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

استوسع وهنُه، واستنهرَ فتقُه، وانفتق رتقُه، وأظلمت الأرض لغيبته، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلةُ الكبرى والمصيبةُ العظمى، لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتابُ الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم وفي ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وإلحافاً، ولقبلَه ما حلّ بأنبياء الله ورُسله، حُكمٌ فصل وقضاءٌ حتم، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

أيهاً بني قيلة! أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرأى منّي ومَسمع ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخُبرة، وأنتم ذوو العدد والعُدّة، والأداة والقوّة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوةُ فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تُغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت، قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأُمم، وكافحتم البُهَم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رَحى الإسلام، ودرّ حَلَبُ الأيّام، وخضعتْ ثغرةُ الشرك، وسكنتْ فورةُ الإفك، وخمد نيرانُ الكفر وهدئت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين فأنّى جرتم (حرتم) بعد البيان وأسررتم بعد الإعلان ونكصتم بعد الإقدام وأشركتم بعد الإيمان ألا تقاتلون قوماً نكثوا بعد إيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين! ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوّغتم، فإن تكفروا أنتم ومَن في

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

الأرض جميعاً فإنَّ الله لغني حميد.

ألا وقد قلتُ ما قلت على معرفةٍ منّي بالخذلة التي خامرتكم، والعداوة التي استشعرتها قلوبكم، لكنها فيضة النفس ونفثة الغيض وخور القنا وبثّة الصدر وتقدمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون».

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان فقال: يا بنت رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً، على الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا ابن عمك دون الرجال، آثره على كل حميم، وساعده على كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا كلّ سعيد، ولا يبغضكم إلا كلّ شقي، فأنتم عترة رسول الله الطيبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت - ياخيرة النساء وابنة خيرة الأنبياء - صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدورة عن صدقك، والله ما عدوتُ رأي رسول الله، ولا عملت إلاّ بإذنه، وإنَّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّي أُشهد الله وكفى به شهيداً أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه) وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والصلاح، يقاتل به المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجادلون المردة الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين، لم أتفرد به وحدي، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك، لا تزوى عنك،

ولا تدّخر دونك، وأنت سيدة أمَّة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع مالك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباك؟

فقالت سلام الله عليها: «**سُبحان الله!! ما كان رسول الله عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، ويفقه سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً وناطقاً فصلاً يقول ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[1]، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[2] فبين عز وجل فيما وضع عليه من الأقساط، وشرع من الفرايض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون**».

فقال أبو بكر: صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أُبعد صوابك، ولا أُنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلّدوني ما تقلّدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبدّ ومستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة عليها السلام وقالت: «**معاشر الناس المسرعة إلى القيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟! كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء ما به أشرتم، و شرّ ما منه اعتنقتم، لتجدنّ - واللهِ - محمله ثقيلاً، وغبّه وبيلاً، إذا**

(١) سورة مريم: الآية ٦.

(٢) سورة النمل: الآية ١٦.

كُشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون». ثم عطفت على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقالت:

قـد كـان بـعـدك أنـبـاءٌ وهنبثةٌ — لو كنتَ شاهدها لم تكبر الخطبُ

إنّـا فقدناكَ فقدَ الأرضِ وابلَها — واختلّ قومُك فاشهدْهم وقد نُكبوا

وكـــلّ أهـلٍ لـه قُـربى ومنزلة — عـند الإلـه على الأدنـَين مُقترب

أبدتْ رجالٌ لنا نجوى صدورهمُ — لما مضيتَ وحالت دونَـك الترب

تجهّمتنا رجـــالٌ واسـتـخـفّ بنا — لّمـا فُقدت وكـل الأرض مغتصب

وكـنـتَ بـدراً ونـــوراً يُستضاء به — عليك تنزل من ذي العزّة الكتب

قـد كـان جبريل بـالآيـات يؤنسنا — فقد فُـقـدت فـكـلّ الخـير محتجب

فليتَ قبلك كـان المـوت صادفنا — لّمّا مضيتَ وحالت دونـك الكثب

إنّـــا رُزيـنـا بـهـا لم يُـرزَ ذو شجنٍ — مـن الـبريّـة لا عـجـم ولا عـرب

ثم انكفأت عليها السلام - وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه ويتطلع طلوعها عليه - فلما استقرت بها الدار، قالت لأمير المؤمنين عليه السلام:

«يا بن أبي طالب عليك السلام، اشتملتَ شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحيلة أبي وبلغة ابني، لقد أجهر في خصامي، وألفيته ألدّ في كلامي، حتى حبستني قيلةُ نصرها، والمهاجرةُ وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجتُ كاظمة، وعدتُ راغمة، أضرعتَ خدك يوم أضعت حدّك، افترستَ الذئاب، وافترشت التراب، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً، ولا خيار لي، ليتني مِتّ قبل هنيئتي، ودون زلّتي،

عذيري الله منه عادياً، ومنك حامياً، وَيلاي في كل شارق، ويلاي في كل غارب، مات العمد، ووهن العضُد، شكواي إلى أبي، وعدواي إلى ربي، اللهم أنت أشدّ قوّة وحولاً، وأحد بأساً وتنكيلاً».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا ويل عليك، بل الويل لشانئك، نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيتُ عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البُلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أُعدّ لك أفضل ممّا قطع عنك، فاحتسبي الله**». فقالت: «**حسبي الله، وأمسكتْ**»[(١)].

شرح الخطبة

أورد القاضي النعمان المغربي في كتابه شرح الأخبار شرح خطبة الزهراء عليها السلام فقال:

شرح ما في خطبة فاطمة صلوات الله عليها، جملة ذلك أنَّ معنى كلامها هذا عليها السلام ليس فيما مُنعت من فدك والعوالي خاصة، بل كان ذلك فيما تغلب فيه عليها من ذلك وعلي بعلها والأئمة من بعده بنوها من الإمامة التي جعلها عز وجل فيهم ونص بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فما قدمنا في هذا الكتاب ذكر جمل منه.

وأرادت بذلك صلوات الله عليها ما قد ذكرته في كلامها من إقامة الحجة على الأمَّة، وإبلاغ المعذرة إليهم، وإيضاح الحق والبيان فيما فيها اهتضموه، وتغلب عليهم فيه، واستأثر من حقهم به لئلا يقولوا كما قالوا: أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله سلّموا ذلك طائعين، ولم يكن خروجها لما خرجت له وقالته من ذلك إلا عن إذن علي عليه السلام، إذ لا يجوز أن تخرج من بيتها لمثل هذا المقام، وأن تتكلم على رؤوس الناس بمثل

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ١٣٢ – ١٤٦؛ بحار الأنوار ٢٩: ٢٣٦ – ٢٤٤.

هذا [من] المهاجرين والأنصار.

«**الحشد**»: الجمع إذا دعوا فأتوا لما دعوا له. كان أبو بكر قد علم بمجيء فاطمة عليها السلام إليه، فجمع الناس لئلا يعتابوا عليه رأياً إذ لم يكونوا بحضرته.

وقوله: «**نيطت دونها ودون الناس ملاءة**». نيطت: عُلّقت، يقال منه: ناط الشيء ينوطه: إذا علّقه. يقال منه: نطت القربة إذا علّقتها. والنوط علق الشيء، وهو مصدر ناط، يقول: ناط الشيء ينوطه نوطاً إذا علّقه.

والملاءة: الربطة، وهي مثل الرداء في العرض والطول.

وقوله: «**أجهش القوم بالبكاء**». يقال منه: أجهش نفسي، إذا نهضت إليه وهمّ بالبكاء. قال الطرماح:

أجهش نفسي وقلت ألا لا تبعدوا.

وقوله: «**حتى سكن نشيج القوم**». يقال منه: نشيج الباكي، ينشج إذا غصه البكاء في حلقه ولما ينتحب. ومن ذلك نشيج الحمار، لأنّه صوت في حلقه. ويقال منه: نشجت القدر: إذا غلت، والطعنة إذا سمع خروج الدم منها، صوت في داخلها.

وقولها: «**فإن تعزوه**»: من اعتزى، والاعتزاء: الاتصال في الدعوة، إذا كانت حرب. فكلّ من ادّعى في شعاره أنا فلان بن فلان أو فلان الفلاني فقد اعتزى إليه.

قال نصر بن سيار:

فكيف وأصلي من تميم وفرعها ... إلى أصل فرعي واعتزاي اعتزاؤها

وقولها: «صادعاً بالرسالة».

من قول الله عز وجل ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾. يقال منه: صدع الرجل بالحق إذا تكلم به جهاراً.

وقولها: «**مائلاً عن مدرجة المشركين**». أي عن طرق الباطل الذي هم عليه. والمدرجة: ممر الإنسان على مسلك الطريق. وكذلك مدارج الريح. يقال: ريح دروج، وهي التي تؤثر في الأرض خطوطاً كالطريق.

قال العجاج:

(أمثالها في الراسيات مدرجة)

وقولها: «**ضارباً ثبجهم**».

الثبج: أعلى الكاهل. والكاهل: أصل العنق تعني ضرب رقابهم.

وقولها: «**آخذاً بأكظامهم**».

الكظم مخرج النفس. يقال منه: قد غمّه الشيء فأخذ بكظمه، فما يقدر أن يتنفس فهو مكظوم. وكظيم: أي مكروب.

وقولها: «**يجذّ الهام**».

تقول: يقطع الرؤوس. والجذّ: القطع المستأصل الوحي والكسر للشيء الصلب.

وقولها: «**يكبّ الأصنام**».

تقول: يكفئها على وجوهها. وذلك كسره صلى الله عليه وآله إياها وقلبه لها عن مواضعها التي كانت فيها على الكعبة وغيرها.

وقولها: «**ونطق زعيم الدين**».

الزعيم هاهنا الذي يسود قومه. يقال منه: زعم يزعم زعامة: أي صار لهم زعيماً، ولذلك قيل للكفيل زعيم، كأنَّه ساد من كفل به. وعنت صلوات الله عليها بزعيم الدين: رسول الله صلى الله عليه وآله، تقول: إنَّه نطق بالرسالة وبما أوحاه الله عزوجل إليه من القرآن.

وقولها: «**خرست شقاشق الشياطين**».

الخرس: ذهاب الكلام وذهاب الصوت من الشيء. يقال منه: كتيبة خرساء: إذا لم يسمع لها صوت ولا جلبة، وعلم أخرس: إذا لم يسمع صوت صدى.

والشقاشق: جمع شقشقة، وهي التي يغط بها البعير، وتخرج من شدقه إذا هدر. وإذا نحر لم توجد كذلك، وإنَّما هي لحمة في آخر فيه تنتفخ إذا هاج وتمتد حتى تخرج من حلقه، فإذا سكن انفشّت. والناقة تهدر ولا تغط، لأنَّها لا شقشقة لها تمتد كذلك إذ لا تهيج، فضربت ذلك مثلاً لصولة الكفار وانقطاعها برسول الله صلى الله عليه وآله.

والشياطين جمع الشيطان، على قدر فيعال. يقال منه: تشيطن الرجل، وتشطن: أي صار شيطاناً، وفعل فعله.

وقولها: «**فهتم بكلمة الإخلاص**».

يقال منه فاه الرجل بالكلام: إذا لفظ به، وهو يفوه به شعر، وما فاهوا به ولهم مقيم. ورجل مفوه: قادر على الكلام.

وكلمة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمداً رسول الله.

وقولها: «**مذقة الشارب**»، و«**نهزة الطامع**»، و«**قبسة العجلان**»، و«**موطئ الأقدام**».

المذاق في الشراب: خلط الماء باللبن. تقول مذقته: إذا خلطته مذقاً.

والنهزة: اسم الشيء الذي يتناول ويمكن تناوله كالغنيمة. يقال: انتهزها فقد أمكنتك قبل الفوت.

والقبس: شعلة النار، قال الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1]. يقال للآخذ من ذلك قبس واقتبس إذا أخذ من لهب النار في طعم يعلق به. ومن ذلك يقال: قبست العلم فاقتبسته، واقتبست الرجل ناراً. وأقبسته علماً إذا أعطيته ذلك.

(وموطئ الأقدام): الموضع الذي تطأه. ضربت ذلك صلوات الله عليها مثلاً لما كانوا فيه من الذلة حتى أعزهم الله عز وجل برسوله صلى الله عليه وآله، وأنَّ الناس كانوا يتخطفونهم من حولهم،كما أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه ويطمعون فيهم وينتهزونهم ويطأونهم بالذل والصغار.

وقولها: «**تشربون الطرق**».

والطرق: الماء الذي بالت فيه الدواب قد اصفرّ. تقول: هذا ماء قد طرقته الإبل وهي تطرقه طرقاً، وهو ماء طرق.

قال الشاعر:

وقال الذي يرجو الغلالة وزعوا … عن الماء لا يطرق وهنّ طوارقه

فما زلن حتى صار طرقاً وشبنه … بأصفر تذريه سجالاً أيانقه

وقولها: «**تقتاتون القد**».

---

(١) سورة النمل: الآية ٧.

من القوت. والقدّ: ما يقد من الجلد النيء، ومنه اشتق القديد الذي يقدّ من اللحم وكانوا يأكلون [ذلك] عند المسغبة.

وقولها: «**أذلة خاشعين**».

الذل: الهوان. والخشوع: الخضوع.

وقولها: «**بعد اللتيا والتي**».

واللتيا: تصغير التي، والتي: معرفة التي ولا تقول بها في المعرفة إلا على هذه اللغة، وجعلوا إحدى اللامين تقوية للأُخرى، وجمعها اللاتي، وجمع الجمع اللواتي. وكأنَّهم كنوا بها في قولهم اللتيا والتي عن شدّة أو داهية صغرى وكبرى.

وقولها: «**بعد لفيف ذوايب العرب**».

فاللفيف: ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، يقال منه: جاء القوم بلفهم ولفيفهم. ولف الناس ما يلف من هاهنا وهاهنا كما يلف الإنسان القوم لما يريده من شهادة زور وغير ذلك مما يريد أن يجمعهم إليه من مثل هذا. والذوايب جمع ذؤابة. وذؤابة القوم موضع عزهم وشرفهم، يقال منه: فلان من ذؤابة بني فلان إذا كان من أهل بيت شرفهم وعزهم. والجمع ذوائب، والقياس الذائب، ولكنهم يستثقلون الجمع بين همزتين فلينوا الأُولى منهما.

وقولها: «**كلّما أحشّوا ناراً للحرب أو نجم قرن للضلالة أو فغرت فاغرة للمشركين فاها قذف أخاه [علياً] في لهواتها**».

أحشّوا: أوقدوا. تقول: حششت النار بالحطب. وأنا أحشّها، وهو ضمّك ما تفرق من الحطب إلى النار لتستوقد. قال العجاج:

تـا اللهِ لـولا أن تَحُـشُّ الطُّبَّخُ بيَ الجحيمَ، حيثُ لا مُستصرَخُ

يعني بالطبخ: ملائكة النار الموكلين بالعذاب من فيها، شبّههم بالطباخين الذين يوقدون النار على اللحم ليطبخوه.

«**ونجم قرنٌ للضلالة**»، تقول: ارتفع للضال ونجم قام. يقال للخارج الذي يخرج على السلطان ناجم لقيامه على من يقوم عليه. وقرن الرجل نده في الشجاعة والقوة. ويقال منه: تبارزت الأقران وتواجهوا واقتتلوا.

وفغرت فاغرة فاها. والفغر: فتح الفم. يقال: فغر الرجل فاه: أي فتحه. والفاغرة: التي قد فتحت فمها. ضربت ذلك مثلاً للحرب إذ اشتدت، ومثلت من يقتل فيها بابتلاعها إياهم كأنَّها فغرت فاها: أي فتحته لتأتيهم من يقتل فيها.

«**قذف أخاه [علياً] في لهواتها**». تعني: إنهاض النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام لمبارزة الأقران من المشركين الشجعان.

واللهوات، جمع لهات. واللهات: لحمة مشرفة في أقصى الفم فيما يلي الحلق. ويقال: إنَّها شقشقة البعير ولكل ذي حلق لهاة. والجمع: اللها، واللهوات.

وقولها: «**فلا ينكفئ**»، تقول: لا ينقلب منهزماً إذا بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله لحرب. يقال منه انكفأ القوم إذا انهزموا وانكفأوا.

وقولها: «**حتى يطأ سماكها بأخمصه**».

فالسماك والسمك: المرتفع. قال الله عز وجل ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾[1] ويقال: سنامٌ سامك: أي مرتفع. والسماكان: نجمان مرتفعان. ومن ذلك سمّي الرجل سماكاً،

(١) سورة النازعات: الآية ٢٨.

يريدون به العلو والرفعة. تقول: لا ينثني ولا يرجع في الحرب حتى يطأ أعلى من فيها، فمن يقاتله ويبارزه بأخمصه. والأخمص: ما ارتفع من أسف القدم عن الأرض وهو وسطه. ويقال: وهو خميص القدم.

قال الشاعر:

وكأَنَّ أخمصها بالشوك منتعل

وقولها: «**ويخمد حرّ لهبها بحدّه**».

تعني الحرب شبهتها، فإذا هو قتل المناحبين له فيها أو هزمهم أُخمدوا كحد السيف وحد السنان. واحتد الرجل إذا غضب وحده وغضبه.

وقولها: «**وأنتم في رفاهية**».

يقال منه: رفهه عيش فلان رفاهية، فهو رفيه العيش، أي هو في خير وخفض.

وقولها: «**ظهرت حسكة النفاق**».

من حسك الصدر: وهو حقد العداوة. وتقول إنَّه حسك الصدر على فلان.

وقولها: «**واستهتك جلباب الدين**».

استهتك، استفعل من الهتك، والهتك أن تجذب ثوباً أو ستراً فتقطعه من موضعه، أو تشق طائفة فيبدو لذلك ما وراءه، فلذلك يقال: هتك الله ستره، ورجل مهتوك الستر، متهتّك. ورجل مستهتك لا يبالي أن يهتك ستره عن عورته. ويقال ذلك لكل شيء هتك وأهتك واستهتك.

والجلباب: ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها، فإذا

فعلت ذلك قيل تجلببت، فضربت فاطمة صلوات الله عليها ذلك مثلاً لهتكهم حرمات الدين واستخفافهم بها.

وقولها: «**ونطق كاظم الغاوين**».

فالكظم: السكوت. والكاظم: الساكت. تقول: نطق من كان من الغد، أن قد أسكته رسول الله صلى الله عليه وآله. والغاوون جمع غاوٍ من الغي. والغي مصدر من قولك غوي الغاوي، فهو يغوى غياً. والغيّ: الضلال ضد الهدى.

وقولها: «**نبغ خامل الآفلين**».

يقال: نبغ فلان إذا قال الشعر ولم يكن قاله قبل ذلك. وقيل: إنَّ زياداً قال الشعر بعد أن كبر، فسمّي النابغة لذلك، وقيل: بل سمي بذلك لقوله: (وقد نبغت لهم منّا شؤون)

فمعنى نبغ ها هنا: ظهر اليوم من كان خاملاً من الآفلين.

وقولها: «**وهدر فنيق المبطلين**».

البعير يهدر هديراً وهدراً. والحمامة أيضاً تهدر. والفنيق: الفحل من الإبل. ضربته مثلاً لمن استفحل من المبطلين من الأمَّة فرأس عليها وتناول ما ليس له منها.

وقولها: «**يخطر في عرصاتكم**».

تعني: الفحل من الإبل الذي ضربته مثلاً. والفحل من الإبل يخطر بزينة إذا مشى مختالاً. وكذلك الناقة، وكذلك الإنسان إذا مشى يخطر بيديه كبراً. والعرصات: جمع عرصة. وعرصة الدار: وسطها.

وقولها: «**وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم**».

مغرز الشيء: أصله مثل مغارز الريش، ومغارز الأضلاع.

وقولها: «**ولعزمه متطاولين**».

المتطاول: الشيء المستشرف إليه. قال الشاعر:

تطاولت فاستشرفته فرأيته   فقلت له أأنت عمرو الفوارس

وقولها: «**وأحمشكم فألفاكم غضاباً**».

تقول: أغضبكم فوجدكم كذلك. يقال منه الرجل إذا اشتد غضبه: قد استحمش غضباً.

وقولها: «**فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم**».

مثل ضربته لاغتصابهم الإمامة من أهلها وأخذهم غير حقهم منها.

وقولها: «**هذا والعهد قريب**».

تعني برسول الله صلى الله عليه وآله، وإنَّ ذلك كان منهم بقرب وفاته.

وقولها: «**والكلم رحيب**».

أي واسع. تعني ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله في إمامة علي عليه السلام فما أوجبها وأكدها.

وقولها: «**والجرح لما يندمل**».

تقول يبرأ. واندمال الجرح: برؤه. تعني: موت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقولها: «**أنى تؤفكون**».

تقول: أين تصدّون عن الحق. والأفاك الذي يأفك الناس عن الحق بالكذب. والإفك، تقول: أفك الرجل عن أمر كذا، إذا صرف عنه بالكذب والباطل.

وقولها: «**أبتزّ إرثيه**».

تقول: أُسلب إرثي، تعني ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي استلبته ومنعته. والبز هاهنا الاستلاب. والعرب تقول: مَن عزّ بزّ معناه من غلب سلب. والهاء من أرثيه زائدة وهي تسمى هاء الاستراحة من قول الله عز وجل ﴿**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾(١) وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ**﴾(٢) وهي لغة قريشية.

وقولها: «**لقد جئت شيئاً فرياً**».

والفري هاهنا: الأمر العظيم. والفري أيضاً: الكذب. والفري: القذف.

وقولها: «**فدونكها مخطومة مرحولة**».

تعني ظلامتها مثّلتها بناقة عليها رحلها وخطامها، ضربتها مثلاً لظلامتها التي ارتكبها منها.

وقولها: «**والزعيم محمد**».

فالزعيم: الكفيل. لأنَّ محمداً صلى الله عليه وآله قد تكفّل لمن أطاعه بالجنة. وتكفل لمن بُغي عليه بالنصر والانتصاف ممن بغى عليه وظلمه.

وقولها: «**ما هذه السِنة عن ظلامتي**».

السنة: الوسن. يقال منه: قد وسن الرجل، إذا أخذته سنة النعاس، وقد غلبه وسنه.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٢٩.

(٢) سورة القارعة: الآية ١٠.

قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[(١)]، فالسنة النعاس من غير استشغال نوم.

قال الشاعر:

وسنان أقصده النعاس فرنّقت   في عينه سِنةٌ وليس بنائم

ومعنى قولها «**ما هذه السنة عن ظلامتي**» تعني التغافل عنها. والتهاون بها كما يكون الناعس عن الشيء غافلاً عنه إذا لم ينصروها في ذلك، ولا أعانوها عليه.

وقولها: «**سرعان ما نسيتم، وعجلان ما أحدثتم**». هي كلمات تقولها العرب لسرعان ما صنعت كذا وكذا. تعني أسرع ما صنعته ولوشكان ما خرجت ولعجلان ما جئت. قال الشاعر:

أتخطب فيكم بعد قتل رجالكم   لسرعان هذا والدماء تصبب

قولها: «**فخطب جليل استوسع وهيه**».

فالخطب: الأمر، يقال ما خطبك: أي ما أمرك. ويقال: هذا خطب جليل. وخطب يسير. والجمع خطوب. قال الله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[(٢)].

واستوسع وهيه: أي اتسع ما وهي من أجله، تعني: مصاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وما وهي من أجله من الأمر واتسع وهيه لذلك.

وقولها: «**واستنهر فتقه**» لفقدان راتقه.

يقال منه: رتق الفتق إذا لحمه وأصلحه. تعني فقدان رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٢) سورة الحجر: الآية ٥٧؛ وسورة الذاريات: الآية ٣١.

الذي كان يرتق ما انفتق من الأُمور.

وقولها: «**واكتابت خيرة الله في خلقه**».

تعني بموت رسول الله صلى الله عليه وآله والكآبة من الهمة، والانكسار من الحزن في الوجه خاصة. تقول: كئب الرجل، والكئب كأبة، يوقف الألف، وكآبة بالمد.

وقولها: «**وأكدت الآمال**».

تقول: انقطعت. قال الله عز وجل: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾[1]، أي قطع ما كان يعطيه. وقد قيل: إنَّ المعطي إذا أعطى عطاءً نزراً قليلاً قيل أكدى، والأول أشبه بالمعنى. ويقال: فلان قد بلغ الناس كديته: أي أنَّه كان يعطي ثم أمسك. قالت الخنساء:

فتى الفتيان ما بلغوا كداها

وقولها: «**إيهاً بني قيلة**».

فهو من الدعاء المنسوب، تقول: يا بني قيلة، تعني: الأنصار، وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرء القيس بن مادر بن عبد الله بن الأمرد بن عوف بن نبتة بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهما ابنا قيلة، وهم الأنصار، نسبوا إلى أُمِّهم.

وقولها: «**أهتضم تراث أبي**».

تقول: أُنقص ميراث أبي. ويقال منه: هضمت حقي: أي انتقصته. وهضمت من حقي طائفة: أي تركتها. والهضام: الذي يترك من حقه ويعطي غيره. يقال: قد هضم له

(١) سورة النجم: الآية ٣٤.

من حقه،قال لبيد:

ومقسّمٌ يعطي العشيرة حقّها   ومغذمرٌ لحقوقها هضّامها

والتراث تاؤه واو وهو تركه الميراث. ولا يجمع كما يجمع الميراث. فيقال: تواريث.

وقولها: «**وأنتم نخبة الله التي انتخب لدينه**».

النخبة: الخيرة لما اختير، واستخلص نخبة ونخابة، وهو مصدر النخيب: المختار المستخلص المصطفى اختياراً على غيره. وتنخب: اختار واستخلص.

وقولها: «**فنابذتم العرب وكافحتم الأُمم**».

المنابذة: انتباذ الفريقين للحرب. تقول: نبذت إليه الحرب على سواء: أي نابذناهم الحرب. والنبذ طرحك الشيء، والمنبوذ: ولد الزنا الذي تنبذه أمُّه: أي تطرحه ليخفي أمرها. فكأنَّ المنابذة طرح ما بين الفريقين من الصلح والاتفاق بين بعضهم وبعض.

والمكافحة – في الحرب –: المضاربة تلقاء الوجوه. قال الشاعر:

تكافح لوحات الهواجر بالضحى   مكافحة للمنخرين وللفم

وقولها: «**وخبت نيران الباطل**».

الخبو: سكون لهب النار. وخبت النار: إذا سكنت. وخبت الحرب كذلك وخبت النار تخبو خبواً: إذا طفئت.

وقولها: «**واستوسق نظام الدين**».

تقول: اجتمع وانضم بعضه إلى بعض. والوسق: ضمّك الشيء بعضه إلى بعض. والاتساق: الانضمام والاستواء. ويقال: استوسقت الإبل: إذا اجتمعت وانضمت.

واستوسق النظام كذلك. وهذا مثل ضربته لاجتماع المؤمنين وأُلفتهم على إقامة دين الله عز وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقولها: «**فنكصتم بعد الإقدام**».

النكوص: الإحجام عن الشيء. يقال لمن أراد أمراً ثم رجع عنه: نكص على عقبيه.

وقولها: «**نكثوا أيمانهم**».

نكث اليمين، ونكث العهد والعقد: حله من بعد عقد وإبرام. وكذلك النقض. قال الله عز وجل: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾(١)، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾(٢)، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾(٣). قيل: إنَّ ذلك ضرب مثلًا لامرأة حمقاء كانت تغزل الغزل، ثم تفتله على خلاف ما فتلته إذا غزلته، فينحل ويفسد وذلك النكث. والنكيثة اسم.

وقولها: «**لقد قلت ما قلت على علمٍ مني بالخذلان الذي خامر صدوركم واستفز قلوبكم**».

[خامر صدوركم]: خالطها. يقال منه: خامره الداء: إذا خالط جوفه. وكلما يخمر بالماء يقال: اختمر. إذا خالطه يختمر به من طعم أو ريح لم يكن قبل ذلك فيه. واستفز استفعل: من الإفزاز. والإفزاز: الإفزاع والذعر. ويقال: استفز الرجل حتى أُلقي في الجهل، واستفز حتى أُخرج من داره: بمعنى خوّف وأُفزع حتى فعل ذلك.

(١) سورة الفتح: الآية ١٠.

(٢) سورة النحل: الآية ٩١.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٢.

وقولها: «**لبثّة الصدر وبعثة الغيظ**».

فبثة الصدر: خروج ما في القلب، والحديث به. وأصل البث: تفريق الأشياء. كبث الخيل في الغارة وبث الكلاب للصيد. وخلق الله الخلق وبثهم في الأرض وتقول: أبثه الحديث إبثاثاً، فأنا مبثه. والحديث مبث. تقول عليها السلام: ولكنني بثثت ما في الصدر. والبث أيضاً شدة الحزن. قيل: لأَنَّ صاحبه لا يصير حتى يبثه: أي يشكوه. قال الله عز وجل حكاية عن يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، وقد يكون قولها أيضاً في هذا إنَّها تبث ما في قلبها من الغم بما ذكرته وإن كانت تعلم أنَّ ذلك لا يصرفهم عما هم عليه. وبعثة الغيظ، ما يبعثه: أي يرسله. ويبعث عنه من القول وغيره.

وقولها: «**فدونكموها، فاحتقبوها**».

تعني ظلامتها التي تظلمت إليهم، تقول: احتقبوا إثمها. وأصل الاحتقاب: شد الحقبة من خلف، وكل ما حمل من خلف. تقول: احتقب واستحقب، والإثم كذلك يحتقب. قال الشاعر:

فاليوم فاشرب غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

وقولها: «**دبرة الظهر**».

تعني بثقلها كما يدبر ظهر الدابة الحمل الثقيل.

وقولها: «**موسومة بشنار الأبد**».

العيب والعار يلزم الرجل من فعل يفعله. عار وشنار. وقل ما يقرأون الشنار في العار. وكذلك جاء في هذا الكلام بعد ذكر العار ويجيء مفرداً في الشعر.

قال الشاعر: (ولولا رعيهم سمع الشنار)

فهذا شرح آخر هذه الخطبة التي خطبتها فاطمة عليها السلام[١].

لقد فرض الإسلام على سيدة نساء العالمين عليها السلام أن تحتجب فلا يراها رجل ولا ترى رجلاً معظم حياتها المباركة، لكنها - مع ذلك - كانت حاضرة بقوّة في متن الأحداث الإسلامية المهمة، سواء إلى جانب أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، أو إلى جانب بعلها عليه السلام وصي رسول الله وخليفته في أُمَّته، أو في بيتها إلى جانب ولديها سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام، لكنها في ذلك كله ندر أن ألقت خطبة أو تحدثت بحديث طويل تستبين من خلالهما قابليتها ومهارتها الأدبية، عدا الخطبتين اللتين أُجبرت على إلقائهما بعد غصب حقها في فدك، دفاعاً عن حق أمير المؤمنين وأهل البيت في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ يضاف إليهما مجموعة من الاحتجاجات التي نقلها التاريخ واجهت بها الزهراء عليها السلام السلطة الحاكمة؛ ولعل السبب في ذلك هو أنَّ أهل البيت عليهم السلام يتحدثون - حين يتحدثون - ليبيّنوا حكماً أو يفسّروا آية أو ليرشدوا سائلاً أو ما شابه ذلك من الضرورات التي تقتضي منهم الحديث؛ ولم يكونوا يتحدثون ليُظهروا مهارة أدبية أو ليتباروا في مجال أدبي أو فكري مع غيرهم.

ولقد كانت الزهراء عليها السلام في منطقها وبلاغتها أشبه الناس بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهدت لها بذلك عائشة في قولها: ما كان أحد أشبه حديثاً ولا كلاماً ولا مشية برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة[٢]؛ يضاف إلى ذلك أنها كانت كفواً لأمير المؤمنين عليه السلام أمير البلاغة. وقد نقل العلامة المحقق علي بن عيسى الأربلي

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ٣: ٥٥.

(٢) نظم درر السمطين للزرندي: ص١٧٩.

صاحب كشف الغمة في خطبتها سلام الله عليها في محفل من المهاجرين والأنصار وقال عنها بـ(إنّها من محاسن الخطب وبدايعها عليها مسحة من نور النبوة وفيها عبقة من أرج الرسالة وقد أوردها المؤالف والمخالف).

ملاحظات في خروج الزهراء عليها السلام وإلقائها خطبتها

أقول: لقد نقل التاريخ أنَّ ابنة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله توجّهت إلى المسجد وألقت خطبة في الاحتجاج على أبي بكر. وعلينا أن ننظر لماذا خرجت الزهراء البتول عليها السلام من بيتها؟ وكيف خرجت؟

أما كيفية خروج الزهراء عليها السلام فقد روى الشيخ أبو منصور أحمد ابن علي بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج، عن عبد الله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام أنَّه:

«**لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة**»- إلى آخر كلامه.

ونلحظ الأُمور التالية:

١- إنَّ الزهراء عليها السلام لاثت عليها خمارها؛ والخمار هو المقنعة، سمّي بذلك لأنَّه يخمّر به أي يغطّى. واختمرت المرأة: لبست خمارها وغطّت رأسها. و(لاثت خمارها) أي عصبت به رأسها.

٢- إنَّها عليها السلام اشتملت بجلبابها، والجلباب هو الملحفة والرداء والثوب

الواسع للمرأة. والاشتمال بالشيء جعله شاملاً ومحيطاً بالبدن. والمراد أنَّها عليها السلام غطت رأسها وصدرها أولاً بالمقنعة، ثم لبست ملحفة تغطي جميع بدنها، وهذا كناية عن غاية التستّر، وهي عادة النساء الخفرات إذا أردن الخروج من الدار إلى الخارج تحفظاً عن الرجال الأجانب.(١)

٣- إنَّها عليها السلام أقبلت في لمّة من حفدتها. أي أنَّها أقبلت إلى المسجد في جماعة من أعوانها وخدمها، أو في جماعة من أترابها وأمثالها في السنّ، وذلك أبلغ في التستّر.

٤- إنَّها عليها السلام كانت في مشيتها تطأ ذيولها، أي أنَّ أثوابها التي كانت ترتديها كانت طويلة إلى الحد الذي كانت إذا سارت وطأت أذيال أثوابها، وذلك غاية الاحتشام والتستّر.

٥- إنَّها عليها السلام كانت في مشيتها ما تخرم (أي ما تنقص ولا تعدل عن) مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي مشية مرتبطة في أذهان المسلمين بالقدسيّة.

٦- إنَّها اختارت مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله القريب من دارها لإلقاء خطبتها، ومن الواضح أنَّ باب بيت الزهراء عليها السلام مشرع إلى المسجد، ولم يكن يتوجّب عليها – والحال هذه – إلَّا السير عدّة خطوات للدخول إلى المسجد.

٧- إنَّها عليها السلام دخلت على أبي بكر؛ واستخدام هذا التعبير بدلاً من (وردت على) يشير إلى استعلاء الداخل –وهو الزهراء عليها السلام – على الطرف الآخر.

٨- ومع كل هذا الاحتجاب والتستّر، فقد أبت الزهراء الطاهرة إلَّا أن يناط بينها وبين القوم ملاءة، لتتحدّث من خلف الملاءة.

---

(١) أنظر: اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ص ٣٢٩.

وأما سبب خروج الزهراء عليها السلام فقد تعرضنا له في الفصل الثالث والعشرين، وحسبنا أن نشير في هذه العجالة إلى أنَّ خطبتها عليها السلام كانت موظّفة للدفاع عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته لرسول الله صلى الله عليه وآله، والتنبيه على حقيقة أنَّ المسلمين أخطأوا حظّهم حين استبدلوا أمير المؤمنين عليه السلام بسواه ممن لا يقارن به. كما أنَّ الزهراء عليها السلام لم تتعرّض إلى موضوع فدك إلَّا للدلالة على مخالفة السلطة الحاكمة الصريحة لسنّة رسول الله ولتعاليم القرآن الكريم، وللتذكير بأنَّ مثل هذه السلطة غير جديرة بحكم المجتمع الإسلامي، وأنَّ مثل هذه السلطة إن قُدّر لها الاستمرار في قيادة المسلمين، فعليهم أن ينتظروا منها الويلات.

التذكير ببيعة الغدير

ذكرنا أنَّ (فدك) من المناطق التي أضحت ملكاً خاصّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّه أعطاها للزهراء عليها السلام بأمر من الله تعالى. وقد وظّفت الزهراء عليها السلام قضيّة فدك في تبيين بطلان شرعيّة الحكم القائم، وإثبات حقّانيّة أمير المؤمنين عليه السلام بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله. ونلاحظ أنَّ الزهراء عليها السلام لما مُنعت فدكاً فإنَّها لم تجعل مطالبتها بفدك الموضوع الأساسي لها، يشهد على ذلك اعتذار الأنصار لها بأنَّهم لو سمعوا كلامها لما بايعوا أبا بكر ولما عدلوا ببيعتهم عن أمير المؤمنين عليه السلام، فاحتجّت عليهم بأنَّهم قد بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام عن قريب يوم الغدير، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقام الحجّة عليهم ولم يترك عذراً لمعتذر.

قال الشيخ الصدوق (رحمه الله): إنَّ يوم غدير خم لم يدع لأحد عذراً؛ هكذا قالت سيدة النسوان فاطمة عليها السلام لما مُنعت فدكاً وخاطبت الأنصار، فقالوا: يا بنت

محمد لو سمعنا هذا الكلام منكِ قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعليّ أحداً، فقالت: وهل ترك أبي يوم غدير خُمّ لأحد عذراً[١].

وأخرج المجلسي في بحار الأنوار (في حديث) أنَّ محمود بن لبيد سأل الزهراء عليها السلام: هل نصّ رسول الله قبل وفاته على علي بالإمامة؟ قالت: «**وا عجباً أنسيتم يوم غدير خم**»؟ قال: قد كان ذلك ولكن أخبريني بما أشير إليك، قالت: «**أُشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: عليٌّ خيرُ من أَخَلّفه فيكم، وهو الإمام والخليفة بعدي وسبطاي وتسعةٌ من صلب الحسين عليه السلام أئمة أبرار، لئن اتَّبعتموهم وجدتموهم هادين مهديّن، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة**»[٢].

وقد نقلنا عن ابن الجزري الحديث المسلسل الذي ترويه الفواطم عن حديث غدير خم، فلا نكرر.

الزهراء تهدد القوم إن لم يخلّوا عن أمير المؤمنين

شخّصت الزهراء عليها السلام خطورة الموقف، ولذلك تحركت للدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام بكلّ وجودها، ونعلم يقيناً أنَّ الزهراء عليها السلام كانت تدافع عنه باعتباره الإمام الذي افترض الله تعالى طاعته على عباده، وباعتباره إمام زمانها الذي لولا وجوده لساخت الأرض بأهلها، وباعتباره مصداق سفينة نوح للأمَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. أنظر إلى تهديدها الجادّ الذي لو نفّذته لنزل العذاب، وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله حين صرّح بما لا مزيد بعده بأنَّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها!

(١) الخصال للصدوق: ص١٧٣.

(٢) بحار الأنوار - المجلسي ٣٦: ٣٥٣.

أخرج الطبرسي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه لما استُخرج أمير المؤمنين عليه السلام من منزله خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه، فما بقيت امرأة هاشمية إلَّا خرجت معها، حتى انتهت قريباً من القبر فقالت لهم: «**خلّوا عن ابن عمي، فوالذي بعث محمداً أبي صلى الله عليه وآله بالحق إن لم تخلّوا عنه لأنشرنّ شعري، ولأضعنّ قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسي، ولأصرخنّ إلى الله تبارك وتعالى، فما صالح بأكرم على الله من أبي، ولا الناقة بأكرم مني، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي**». قال سلمان رضي الله عنه: كنت قريباً منها، فرأيتُ - والله - أساس حيطان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله تقلّعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدنوت منها فقلت: يا سيدتي ومولاتي إنَّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا(١).

دور الزهراء في إطلاق سراح أمير المؤمنين عليهما السلام

لولا أنَّ الزهراء عليها السلام لم تتدخّل في الوقت المناسب لربّما تعرّضت حياة أمير المؤمنين عليه السلام للخطر، فلقد هدّدت القوم فاضطروا إلى التراجع. ويكشف الإمام الباقر عليه السلام عن حقيقة رهيبة يُقسم أنَّها كانت ستتحقق، فلو كانت أَمَة الله فاطمة الزهراء عليها السلام قد كشفت شعرها لتنزّل عذاب الاستئصال على القوم، ولماتوا أجمعين! لقد تقلّعت حيطان مسجد الرسول من أساسها وحوّم العذاب على رؤوس القوم الذين أغضبوا الزهراء، ولولا أنَّ القوم أطلقوا سراح أمير المؤمنين عليه السلام لشملهم العذاب، إذ ليست ناقة النبي صالح عليه السلام وفصيلها بأكرم عند الله تعالى من بضعة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله.

(١) الاحتجاج ١: ١١٤؛ مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٣: ١١٨؛ بحار الأنوار ٤٣: ٤٧.

روى الكليني بإسناده عن أبان، عن أبي هاشم قال: لما أُخرج بعلي عليه السلام خرجت فاطمة عليها السلام واضعة قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسها، آخذة بيدي ابنيها، فقالت: «**مالي ومالك يا أبا بكر تريد أن تؤتم ابنيّ وترملني من زوجي؟! والله لولا أن تكون سيئة لنشرت شعري ولصرختُ إلى ربي**»! فقال رجل من القوم: ما تريد إلى هذا؛ ثم أخذتْ بيده فانطلقت به[١].

وروى الكليني بإسناده عن أبان، عن علي بن عبد العزيز، عن عبد الحميد الطائي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**والله لو نشرتْ شعرها ماتوا طرّاً**»[٢].

فاطمة الزهراء وولاية أمير المؤمنين عليهما السلام

حقاً!! لو كان الناس قد تمسّكوا بعترة نبيّهم وحفظوا مودّتهم، فماذا كانت الصورة ستكون؟! أكنّا سنصل إلى ما وصلنا إليه من التفرّق والتشرذم والتمزّق؟! أكانت الأحقاد والضغائن ستشتعل في صدور البعض كما هي عليه اليوم؟! يقول القرآن الكريم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[٣]. ويقول النبي صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الناس لو اجتمعوا على حب علي بن أبي طالب لما خلق اللهُ النار**»[٤]. لكن الأمَّة لم تجتمع على محبته عليه السلام، بل ارتدّ معظمها القهقرى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وتكشف الزهراء عليها السلام في جملة من الأحاديث عن مصير هذه الأمَّة لو كانت قد عرفت لأهل البيت حقّهم المفترض، ولو كانت قد تمسّكت بحبل ولائهم.

(١) الكافي - الشيخ الكليني ٨: ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) الكافي ٨: ٢٣٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٥.

دور الزهراء عليها السلام في بناء الكيان الشيعي

لقد تأسس الكيان الشيعي على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بناءً على سلسلة من الأحاديث النبويّة في فضل عليٍّ عليه السلام وشيعته، وقد أسهمت الزهراء عليها السلام في بناء وتقوية الكيان الشيعي من خلال نقلها مجموعة كبيرة من تلك الأحاديث النبوية الشريفة، ومن خلال مناصرتها العمليّة لأمير المؤمنين عليه السلام ووقوفها إلى جانبه.

أخرج القندوزي عن فاطمة عليها السلام قالت: «**إنَّ أبي صلى الله عليه وآله نظر إلى عليٍّ وقال: هذا وشيعته في الجنة**»[1].

وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ السعيد، كل السعيد، حق السعيد، مَن أحب علياً في حياته وبعد موته**» أخرجه أحمد[2].

وفي معجم الطبراني بإسناده إلى فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله عز وجل باهى بكم وغفر لكم عامة ولعلي خاصة، وإنِّي رسول الله صلى الله عليه وآله إليكم غير هائب لقومي ولا مُحابٍ لقرابتي، هذا جبرئيل يخبرني أنَّ السعيد كل السعيد مَن أحب علياً عليه السلام في حياته وبعد موته، وأنَّ الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد وفاته**»[3].

الزهراء عليها السلام وأحاديث الولاية

تنقل الزهراء في الأحاديث التالية عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث في الدعوة إلى ولاية أمير المؤمنين والأئمة المعصومين من ولده عليهم السلام، سواء تلك التي

(١) ينابيع المودة لذوي القربى ٢: ٣١٤/ الرقم[٩٠٣].

(٢) ذخائر العقبى - أحمد بن عبد الله الطبري ص ٩٢.

(٣) المناقب - الموفق الخوارزمي ص ٧٨ - ٧٩؛ الفصول المهمة في معرفة الأئمة - ابن الصباغ ١: ٥٨٥ - ٥٨٦.

وردت فيها ألفاظ تتضمّن كونه الأليق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله. أو التي وردت فيها عبارات صريحة في كونه وليّ الناس وإمامهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

أخرج الدولابي عن عائشة قالت: حدثتني فاطمة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**زوجك أعلم الناس علماً، وأوّلهم سلماً، وأفضلهم حلماً**»[١].

أقول: إنَّ هذا الحديث يكفي لوحده في الدلالة على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام – دون سواه – هو اللائق لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، بوصفه أعلم الناس، لأنَّ العقل يقضي بضرورة رجوع الجاهل للعالِم، وهذه الحقيقة ينصّ عليها القرآن الكريم في قول إبراهيم عليه السلام لآزر: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾[٢]، وفي قوله ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٣].

وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن الحسن بن عبد الله التميمي قال: حدثني أبي قال: حدثني سيدي علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن أبيه موسى ابن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن أبيه الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال لعلي عليه السلام: «**من كنت وليه فعليٌ وليه، ومن كنت إمامه فعليٌ إمامه**»[٤].

وأخرج ابن عقدة من طريق عروة بن خارجة عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت: سمعت أبي صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه يقول، وقد امتلأت

(١) الذرية الطاهرة النبوية – محمد بن أحمد الدولابي ص ١٤٤.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٣.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٤) عيون أخبار الرضا – الشيخ الصدوق ١: ٦٩.

الحجرة من أصحابه: «**أيها الناس يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإنّي مخلّف فيكم كتاب ربي (عز وجل) وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فقال: هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض فأسألكم ما تخلفوني فيهما**».[1]

وروى الخزاز القمي بإسناده عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سألت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأئمة فقالت: «**كان رسول الله يقول لعلي عليه السلام: يا علي أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيتَ فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنك علي ابن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمّة الحق وألسنة الصدق، منصورٌ مَن نصرهم، مخذولٌ من خذلهم**»[2].

كما وردت روايات عن الزهراء عليها السلام تؤكّد فيها حقيقة أنَّ الأُمَّة لو عملت بوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته، لما تفرّقوا في دينهم شيعاً، ولما طمع فيهم أعداؤهم.

---

(١) ينابيع المودة لذوي القربى – القندوزي ١: ١٢٤/ الرقم ٥٦.

(٢) كفاية الأثر – الخزاز القمي: ص ١٩٥ – ١٩٦.

روى ابن بابويه القمي عن الزهراء عليها السلام قولها: «**أما والله لو تركوا الحق على أهله، واتّبعوا عترة نبيه، لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلفٌ عن سلف، وخلفٌ بعد خلف، حتى يقوم قائمنا، التاسع من ولد الحسين**»[١].

وجوه الناس تنصرف عن عليٍّ بعد وفاة فاطمة عليهما السلام

كانت فاطمة عليها السلام المدافع الأوّل عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقد عرفت له حقّه في الأمر استناداً إلى كونه وصيّ رسول الله، واعتماداً على ما نزل في حقّه من الآيات القرآنية، وما جاء في حقّه من الأحاديث النبويّة، فهو أوّل من آمن، وأول من أسلم، وهو المجاهد الذي شهدت له بدر وأُحد وخيبر وحُنين وغيرهنّ بصولاته على الكفّار، وهو العالم الذي جعله رسول الله منه بمثابة باب مدينة علمه، وهو أقرب الناس من النبي، جعله منه بمنزلة هارون من موسى، إلّا النبوّة فإنَّه كان وصيّاً لا نبياً. وقد عرف بعضُ الصحابة لأمير المؤمنين عليه السلام بعض فضله ما دامت الزهراء المجاهدة إلى جانبه، فلما توفّيت أنكر معظمهم فضله وسابقته، ومالوا إلى سواه، والناسُ بعدُ إلى أمثالهم أميل.

روى الحافظ البيهقي في السنن الكبرى بإسناده عن الزهري، عن عروة، عن عائشة في حديث قالت: كان لعلي -عليه السلام- في الناس وجه في حياة فاطمة، فلما توفّيت فاطمة انصرف وجوه الناس عنه عند ذلك.

قال: ورواه البخاري في الصحيح من وجهين عن معمر، ورواه مسلم، عن إسحاق بن راهويه، وغيره، عن عبد الرزاق[٢].

---

(١) الإمامة والتبصرة - ابن بابويه القمي: ص ١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٣٠٠ (ط حيدر آباد).

وروى الحافظ البخاري في كتابه الموسوم بالصحيح قال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة عن عائشة في حديث: كان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفّيت استنكر عليّ وجوه الناس[1].

الدروس المستخلصة

ساندت الزهراء أميرَ المؤمنين عليهما السلام منذ اليوم الأوّل لزواجهما، وعاضدته في قضيّته العادلة، ليس لكونه زوجها، بل لإيمانها بعدالة قضيّته، ويقينها بعظم الأخطار التي ستتعرّض لها الأمَّة الإسلاميّة نتيجة تخاذلها عن نصرته ومتابعتها لغاصبي حقّه، وقد تصاعد مستوى جهاد الزهراء ومساندتها لأمير المؤمنين بعد ارتحال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بما يتناسب مع حجم الأخطار التي واجهته.

لم تكن الزهراء تنظر إلى دفاعها عن أمير المؤمنين ومناصرتها له في إحقاق حقّه إلاّ بوصفه تجسيداً حيّاً للدفاع عن مستقبل الإسلام وصيانة للأمَّة من الانحراف والفتنة. كانت الزهراء عليها السلام تدرك أنّ إبعاد أمير المؤمنين عن دوره الطبيعيّ في قيادة المسيرة من شأنه أن يعرّض التجربة الإسلاميّة الفتيّة إلى أعظم الأخطار، كما كانت تعلم أنّ أباها حين أنذر أُمّته من الفتن التي ستُقبل عليهم بعده كقطع الليل المظلم، لم يتركهم إلى تدبيرهم ولم يكلهم إلى القدر، بل سعى بكلّ إخلاص وأمانة إلى رسم طريق النجاة وسبيل الهداية في كلّ موقف ومنعطف من منعطفات المسيرة الإسلاميّة من خلال إرشاد الأُمّة إلى وصيّه وخليفته الأمين على الرسالة.

لم تدّخر الزهراء وسعاً في جهادها من خلال الحكمة والموعظة الحسنة، فطافت

(١) صحيح البخاري ٥: ١٣٩ (ط الأميرية بمصر).

على بيوت الأنصار تسألهم النصرة والوفاء بالبيعة التي في رقابهم يومَ الغدير، وألقت خطبتها المشهورة في مسجد أبيها، ففضحت جور المتسلّطين على منبر أبيها، وأظهرت - بما لا مزيد بعده - جهلهم بالشريعة وبالقرآن والأحكام، وإصرارهم على غيّهم في إبعاد الخلافة عن أهلها، وأنذرت الأُمّة من مغبّة الإصرار على السير في خطّ الانحراف. ثمّ لما آيست من استجابة الصحابة، آثرت أن تعتزلهم ولا تشاركهم في أيٍّ من وجوه النشاطات الاجتماعية، وأوصت أمير المؤمنين أن لا يؤذن غاصبي حقّها بموتها، وأن يدفنها ليلاً ويعفي قبرها لئلا يشيّعها أو يصلّي عليها أحد من الذين ظلموها. وبقي قبر الزهراء المجهول صرخة مدويّة في وجوه غاصبي الخلافة لا يسعهم إنكارها ولا كتمانها ولا تبريرها.

قال رسول الله ﷺ

فاطمة بضعة مني

يؤذيني ما يؤذيها

الفصل الحادي والعشرون

جهاد الزهراء عليها السلام

جهاد الزهراء عليها السلام

الجهاد - كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام - باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنّته الوثيقة. وإنَّ أهل الجهاد وأهل العلم كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله هم أقرب الناس من درجة النبوّة.

وحين حرم الإسلام المرأة من فضيلة الجهاد في ساحات القتال في سبيل الله تعالى، فإنَّه لم يحرمها من نيل أجر المجاهدين بأن يمنحها فضائل أُخرى تعدل فضيلة الجهاد، حيث جعل الإسلام - على سبيل المثال لا الحصر - حُسن التبعّل جهاداً للمرأة.

لقد كانت حياة سيدة نساء العالمين عليها السلام ساحة للجهاد في سبيل الله تعالى؛ فقد جاهدت عليها السلام الكفّار مع أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله منذ نعومة أظفارها، وشاركته في معاناة مقاطعة قريش لبني هاشم وحصرهم لهم في شعب أبي طالب، وذاقت معه طعم الجوع والبرد والبلوى في الشعب، ثم تبعت أباها صلى الله عليه وآله إلى المدينة وهاجرت مع الفواطم يقود ركبهن أمير المؤمنين عليه السلام، متحدّين غرور قريش وغطرستها وعنفوانها. وفي المدينة وقفت الزهراء المجاهدة إلى جانب أبيها وبعلها في ساحات القتال مع المشركين تضمّد جراحات أبيها الفاغرة النازفة.

وبعد ارتحال رسول الله صلى اله عليه وآله استمرت الزهراء عليها السلام في جهادها إلى جانب بعلها وصي رسول الله صلى الله عليه وآله تدافع عنه، وتفضح زيف الذين تسللوا إلى مواقع القيادة في غفلة من المسلمين ونصبوا أنفسهم في مقام خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى تعرّض بيتها للهجوم والإحراق لأنَّه كان في نظر السلطة معقل الثورة والمقاومة.

ولم تسكت الزهراء عن حقّها بعد أن هوجم بيتها وأُسقط جنينها واقتيد زوجها بحمائل سيفه وأوشك القوم على قتله، ولم تهادن القوم أو تضعف أمامهم. ينقل الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام أنَّ أُمَّهما الزهراء عليها السلام لما أن كان من أمرهم ما كان - أخذتْ بتلابيب عمر فجذبته إليها ثم قالت: «**أما والله يا بن الخطاب لولا أنّي أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له، لعلمتَ أنّي سأُقسم على الله ثم أجده سريع الإجابة**». وفي هذه الرواية نجد صورة للزهراء المجاهدة عليها السلام وهي تجذب - بقوة الله تعالى - ابن الخطاب وتقول له بأنَّها إنَّما أعرضت عن الدعاء عليهم خوفاً من أن ينزل البلاء على من لا ذنب له!!

جهادها عليها السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله

وقفت الزهراء عليها السلام إلى جانب أبيها المرسل صلى الله عليه وآله في جميع مراحل الدعوة الإسلاميّة، منذ أن كانت صبيّة صغيرة تتصدّى لمشركي قريش، فتنهرهم وتهرع لترفع السلى الذي ألقوه على رسول الله صلى الله عليه وآله في سجوده، ولازمته في شعب أبي طالب حين قاطعته قريش وحصرته مع بني هاشم في ذلك الشعب، وكانت إلى جنبه بعد وفاة خديجة عليها السلام تعتني به في محبّة شديدة، حتى لقّبها صلى الله عليه وآله بلقب (أمُّ أبيها)! وقد نقل لنا التاريخ أنَّ الزهراء عليها السلام خرجت إلى أبيها يوم أُحد مع مجموعة من النساء، وهنّ يحملن الطعام والشراب على ظهورهنّ، فغسلت الدم عن وجهه الشريف، وضمّدت جراحه النازفة حتى رقأ الدم واستمسك.

أخرج المجلسي عن دلائل النبوة، عن عبد الله، قال: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله ساجداً وحوله ناس من قريش، وثمّ سلي بعير. فقالوا: من يأخذ سلي هذا الجزور أو البعير

فيفرقه على ظهره؟ فجاء عقبة بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبي صلّى الله عليه وآله.

وجاءت فاطمة عليها السّلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك. قال عبد الله: فما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله دعا عليهم إلّا يومئذ، فقال: «**اللهم عليك الملأ من قريش؛ اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأُمية بن خلف- أو أُبيّ ابن خلف، وشك شعبة**».

قال عبد الله: ولقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر وأُلقوا في القليب- أو قال: في بئر-، غير أنَّ أُمية بن خلف- أو أُبيّ بن خلف- كان رجلاً بادناً، فقطع قبل أن يبلغ البئر[١].

ولما فرّج الله الكربة وخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب من الشعب، مات أبو طالب الذي كان يمنع وينصر ابن أخيه. ثم لحقت به سيدة نساء قريش خديجة التي كانت وزير صدق لرسول الله صلّى الله عليه وآله على الابتلاء. فملأ الحزن قلب فاطمة عليها السّلام وقلب أبيها وفقد النبي صلّى الله عليه وآله الرعاية والعطف والمنعة والتأييد.

فلما غادر داره، اعترضه سفيه من قريش ونثر على رأسه التراب. فعاد رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى بيته والتراب على رأسه. فقامت إليه ابنته فاطمة عليها السّلام بقدح كبير من ماء، فغسّلت وجهه و يديه وهي تبكي. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**لا تبكي يا بنية، فإنَّ الله مانع أباك**»[٢].

وعن عبد المهيمن، عن أبيه، عن جده، قال: إنِّي لحاضر يوم أُحد، وإنِّي لانظر حين رُمي وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله فجُرح، وإنِّي لأعرف من كان يغسل الدم عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن كان يحمل الماء في المجن. فأبى الكلم أن يرقأ،

---

(١) بحار الأنوار ١٨: ٢١٠ / ح ٢٨، عن دلائل النبوة.

(٢) ملحقات إحقاق الحق ٢٥: ٢٨٩، عن سيدات نساء أهل الجنة.

حتى أحرقت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله حصيراً خلقاً فجعلت رماده عليه فرقأ؛ إنَّ الذي يحمل الماء في المجن لعلي ابن أبي طالب عليه السّلام، وفاطمة عليها السّلام تغسل الدم وتداويه[١].

قال سهل بن سعد: لما كان يوم أُحد وانصرف المشركون عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه، خرج النساء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه يغيثونهم، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله فيمن خرج. فلما لقيت رسول الله صلّى الله عليه وآله اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم. فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار فكمدته حتى لصق بالجرح واستمسك الدم[٢].

قال الواقدي في وقعة أُحد:

... فتأتي فاطمة عليها السّلام أباها وهي تبكي على عمها لدى رسول الله صلّى الله عليه وآله، وجعل رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا بكت بكى، وتحاول تضميد جرح رسول الله صلّى الله عليه وآله وقطع الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف الطاهر، وكان زوجها علي عليه السّلام يصبّ الماء على جرح رسول الله صلّى الله عليه وآله وهي تغسله. ولما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة صوف فأحرقتها حتى صارت رماداً فذرته على الجرح حتى انقطع دمه.

يقول الواقدي- وهو يتحدث عن رجوع النبي صلّى الله عليه وآله من معركة أُحد-: وكنّ جئن أربع عشرة امرأة، منهنّ فاطمة بنت رسول الله عليها السّلام يحملن الطعام

(١) المعجم الكبير للطبراني ٦: ١٢٣ / ح ٥٧١١؛ و٦: ١٣٤/ ح٥٧٧٥.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٦: ١٥٣ / ح ٥٨٢٣.

والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم(١).

وذكر الشيخ المفيد في الإرشاد معركة أُحد وما أبلى فيها أمير المؤمنين عليه السلام في نصرة النبي صلى الله عليه وآله، وقال:

وانصرف النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة، فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء فغسل به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام وقد خضب الدم يده إلى كتفه ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة عليها السلام وقال لها: «**خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم**». وأنشأ يقول:

أفاطمُ هاكِ السيفَ غير ذميم ... فلستُ برعديد ولا بمليم

لعمري لقد أعذرتُ في نصر أحمد ... وطاعةِ ربٍ بالعباد عليم

أميطي دماءَ القوم عنه فإنَّه ... سقى آلَ عبد الدار كأس حميم

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خذيه يا فاطمة، فقد أدّى بعلكِ ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش**»(٢).

المباهلة مع نصارى نجران

آية المباهلة من الآيات النازلة في فضل أهل البيت عليهم السلام، حيث نسبتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فعدّت أمير المؤمنين عليه السلام بمثابة (نفس) رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان عليه السلام أفضل من الأنبياء عليهم السلام كما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أفضلهم(٣)؛ كما عدّت الآية فاطمة عليها السلام مصداقاً لـ(نساء)

---

(١) سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام ١: ٧٥٨، عن المغازي للواقدي.

(٢) الإرشاد – الشيخ المفيد ١: ٨٩ – ٩٠.

(٣) أنظر: روضة المتقين للمجلسي الأول ٥: ٣٤٤.

رسول الله صلى الله عليه وآله، وعدّت الحسنين عليهما السلام بمثابة ابنيه. وقد استشهد الإمام الرضا عليه السلام بهذه الآية في مجلس المأمون العباسي في إثبات نسبة الحسنين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وتحريم الصدقة عليهم.

أخرج الفيض الكاشاني عن الصادق عليه السلام، أنَّ نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان سيدهم الأهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلّوا، فقال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا رسول الله هذا في مسجدك!! فقال: «**دعوهم**»! فلما فرغوا دنوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا له: إلى ما تدعو؟ فقال: «**إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي رسول الله، وأنَّ عيسى عبدٌ مخلوق يأكل ويشرب ويُحدث**»؛ قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال، قل لهم: «**ما تقولون في آدم؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح**»؟ فسألهم النبي (صلى الله عليه وآله)، فقالوا: نعم؛ قال: «**فمن أبوه**»؟ فبهتوا؛ فأنزل الله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ الآية، وقوله ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ إلى قوله ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**فباهلوني، فإن كنتُ صادقاً أُنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً أُنزلت عليَّ**»؛ فقالوا: أنصفت؛ فتواعدوا للمباهلة، فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم السيد والعاقب والأهتم: إن باهلنا بقومه باهلناه فإنَّه ليس نبياً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة فلا نباهله، فإنَّه لا يقدم إلى أهل بيته إلَّا وهو صادق؛ فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) فقال النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: إنَّ هذا ابن عمه ووصيه وختنه علي بن أبي طالب، وهذه بنته فاطمة،

وهذان ابناه الحسن والحسين (صلوات الله عليهم)؛ ففرقوا وقالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله): نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الجزية وانصرفوا.(١)

وروى الفخر الرازي أنَّه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران، ثم إنَّهم أصرّوا على جهلهم، فقال عليه السلام: «**إنَّ الله أمرني إن لم تقبلوا الحجّة أن أباهلكم**»، فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك، فلما رجعوا قالوا للعاقب - وكان ذا رأيهم-: يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: «**والله لقد عرفتم - يا معشر النصارى - أنَّ محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم، والله ما باهل قومٌ نبياً قط فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لكان الاستئصال، فإن أبيتم إلَّا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم**»؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي -عليه السلام- عنه خلفها، وهو يقول: «**إذا دعوت فأمّنوا**»، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنِّي لأرى وُجوهاً لو سألوا الله أن يُزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، ثم قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك، فقال صلوات الله عليه: «**فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما على المسلمين**»، فأبوا، فقال: «**فإنِّي أُناجزكم القتال**»، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردّنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك في كل عام ألفي حلة: ألفاً في صَفَر، وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد؛ فصالحهم على

(١) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ١: ٣٤٤.

ذلك، وقال: «**والذي نفسي بيده، إنَّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله، حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا**»، وروي أنَّه عليه السلام لما خرج في المرط الأسود، فجاء الحسن -عليه السلام- فأدخله، ثم جاء الحسين -عليه السلام- فأدخله ثم فاطمة، ثم علي -عليهما السلام-، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. ثم قال الفخر الرازي: واعلم أنَّ هذه الرواية كالمتّفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث.[2]

الجهاد في العقيدة

تُنبّه الزهراء عليها السلام على حقيقة أنَّ جهاد العقيدة لا يقلّ عن الجهاد في ساحات الوغى، وأنَّ العلماء الكافلين لأيتام آل محمد بعد رحيل أئمتهم سيُحشرون يوم القيامة فتخلع عليهم خلع الكرامة. وقد صرّح قبلها أمير المؤمنين عليه السلام بأنَّ العالِم طبيبٌ دوّار بطبّه، وأشار إلى أنَّ مهمّة العالِم أن يُرشد الجاهل ويخرجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وأنَّ هذا الطبيب (دوّار) بطبّه، لأنَّ بعض المرضى يجهلون أنَّهم مرضى، ولذلك فهم لا يرون ضرورة لمراجعة الطبيب.

قال أبو محمد العسكري عليه السّلام: «**حضرتْ امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السّلام فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها فاطمة عليها السّلام عن ذلك. فثنّت فأجابت، ثم ثلّثت فأجابتها، إلى أن عشرت فأجابت. ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشقّ عليك يابنة رسول الله.**

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٨: ٨٥.

قالت فاطمة عليها السّلام: هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من اكتري يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليّ.

سمعت أبي صلّى الله عليه وآله يقول: إنَّ علماء شيعتنا يحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور. ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد صلّى الله عليه وآله الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم! هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفّلتموهم و نعشتموهم، فأخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا. فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى أنَّ فيهم- يعني في الأيتام- لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم.

ثم إنَّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتمّوا لهم خلعهم وتضعفوها لهم. فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم.

وقالت فاطمة عليها السّلام: يا أمَة الله، إنَّ سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، وما فضل فإنَّه مشوب بالتنغيص والكدر»(١).

بالإسناد، عن أبي محمد عليه السّلام، قال: «قالت فاطمة عليها السّلام وقد اختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة والأُخرى مؤمنة. ففتحتْ على المؤمنة حجّتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحاً شديداً. فقالت فاطمة عليها السّلام: إنَّ

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السّلام: ص ٣٤٠.

فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإنَّ حزن الشيطان ومردته بحزنها أشدّ من حزنها، وإنَّ الله تعالى قال لملائكته: أوجبوا لفاطمة عليها السّلام بما فتحتْ على هذه المسكينة الأسيرة من الجِنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سُنّة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان معدّاً له من الجنان»(١).

فاطمة عليها السلام شديدة على الكفار

تشهد أمُّ هانىء بنت أبي طالب أنَّ أخاها أمير المؤمنين عليه السلام كان شديداً عليها يوم فتح مكّة، لكنّ الزهراء عليها السلام كانت أشدّ عليها من أمير المؤمنين عليه السلام، فقد أنكرتْ عليها أن تؤوي الكفار في بيتها وتُجيرهم وتقف في وجه مثل أمير المؤمنين وتمنعه من قتلهم.

نُقل عن أمِّ هانىء (أُخت أمير المؤمنين عليه السلام) أنّها أجارت يوم فتح مكة حموين لها، فجاء علي عليه السّلام يريد قتلهما. فقصدت أمُّ هانىء رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وكان في قبة بالأبطح بأعلى مكة، فلم تجده، ووجدت فاطمة عليها السّلام. تقول أمُّ هانىء: فهي كانت أشدّ عليّ من علي عليه السّلام، حيث قالت لها مستنكرة: تؤوين الكفار وتجيرينهم وتفعلين وتفعلين؟! فلم يلبث أن جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأخبرته أمُّ هانىء بالأمر، فقال: «**إنّا قد أجرنا من أجرتِ وآمنّا من آمنتِ**»(٢).

وقد أورد الشيخ المفيد القصة بالتفصيل في كتابه الإرشاد، فقال:

وبلغه عليه السلام (يقصد أمير المؤمنين علياً عليه السلام) أنَّ أُخته أمَّ هاني قد آوت

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السّلام ص ٣٤٦؛ بحار الأنوار ٢: ٨ / ح ١٥.

(٢) أنظر: المسند لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ١: ١٥٨ / ح٣٣١ وصحيح مسلم ٥: ٢٣١.

ناساً من بني مخزوم، منهم: الحارث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد عليه السلام نحو دارها مقنعاً بالحديد، فنادى: «**أخرجوا من آويتم**»! قال: فجعلوا يذرقون – والله – كما تذرق الحبارى خوفاً منه. فخرجت أمُّ هانئ – وهي لا تعرفه – فقالت: يا عبد الله، أنا أمُّ هانئ بنت عم رسول الله وأُخت علي بن أبي طالب انصرف عن داري. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أخرجوهم**»، فقالت: والله لأشكونّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنزع المغفر عن رأسه فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته وقالت: فديتُك، حلفتُ لأشكونّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: «**اذهبي فبرّي قسمك فإنَّه بأعلى الوادي**». قالت أمُّ هانئ: فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو في قبّة يغتسل، وفاطمة عليها السلام تستره، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله كلامي قال: «**مرحباً بك يا أمَّ هانئ وأهلاً**»؛ قلت: بأبي أنت وأمّي، أشكو إليك ما لقيتُ من علي اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قد أجرتُ مَن أجرتِ**»؛ فقالت فاطمة عليها السلام: «**إنَّما جئتِ يا أمَّ هانئ تشتكين علياً في أنَّه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله**»! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قد شكر الله لعلي سعيه، وأجرتُ مَن أجارت أمُّ هانئ لمكانها من علي بن أبي طالب**»(١).

الزهراء عليها السلام ترفض طلب أبي سفيان أن تجير بين الناس

وفي موقف آخر يوم فتح مكة، نجد أبا سفيان يلجأ إلى الزهراء عليها السلام ويكلّمها أن تجير بين الناس، ويحاول الإفادة من كونها ابنة رسول الله التي لا يردّ لها طلباً، لكنّ الزهراء أبت أن تجير أحداً أهدر رسول الله دمه؛ فحاول أبو سفيان الإفادة من موقع الحسنين من رسول الله، فرفضت الزهراء ذلك وقالت بأنَّهما صبيّان لا يُجير مثلُهما بين الناس!

(١) الإرشاد – الشيخ المفيد – ج ١ – ص ١٣٧ – ١٣٨.

عن عبد الله بن محمد، عن أبيه، قال: دخل أبو سفيان على فاطمة بنت النبي عليها السّلام، فكلّمها فقال: أجيري بين الناس. فقالت: «**إنَّما أنا امرأة**». قال: إنَّ جوارك جائز، قد أجارت أُختُك أبا العاص بن الربيع فأجار ذلك محمد. قالت فاطمة عليها السّلام: «**ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأبت ذلك عليه**». فقال: مُري أحد بنيك يجير بين الناس. قالت: «**إنَّهما صبيان وليس مثلهما يجير**». فلما أبت عليه أتى علياً عليه السّلام...(١)

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: ولما دخل أبو سفيان المدينة لتجديد العهد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قريش، عندما كان من بني بكر في خزاعة وقتلهم من قتلوا منها، فقصد أبو سفيان ليتلافى الفارط من القوم، وقد خاف من نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله لهم، وأشفق مما حل بهم يوم الفتح. فأتى النبي صلى الله عليه وآله وكلمه في ذلك، فلم يردد عليه جواباً. فقام من عنده، فلقيه أبو بكر فتشبث به وظن أنَّه يوصله إلى بغيته من النبي صلى الله عليه وآله فسأله كلامه له، فقال: ما أنا بفاعل. لعلم أبي بكر بأنَّ سؤاله في ذلك لا يغني شيئاً. فظن أبو سفيان بعمر بن الخطاب ما ظنه بأبي بكر فكلمه في ذلك، فدفعه بغلظة وفظاظة كادت أن تفسد الرأي على النبي صلى الله عليه وآله. فعدل إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له وعنده فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال له: يا علي، إنَّك أمس القوم بي رحماً، وأقربهم مني قرابة، وقد جئتك فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لي إلى رسول الله فيما قصدته. فقال له: «**ويحك – يا أبا سفيان – لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه**»؛ فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنيك أن يجيرا بين الناس، فيكونا سيدي العرب إلى آخر الدهر. فقالت: «**ما**

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٧٩٣.

بلغ بُنياي أن يجيرا بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وآله». فتحير أبو سفيان (وسقط في يده)، ثم أقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أبا الحسن، أرى الأُمور قد التبست علي فانصح لي. فقال له أمير المؤمنين: «**ما أرى شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقُم فأجِر بين الناس ثم الحق بأرضك**»؛ قال: فترى ذلك مُغنياً عني شيئاً؟ قال: «**لا - والله - لا أظن، ولكني لا أجد لك غير ذلك**». فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إنِّي قد أجرتُ بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق[١].

جهادها عليها السلام في حسن التبعل لزوجها

أسقط الإسلام عن المرأة الجهاد الذي أوجبه على الرجال، وعوّض النساء عن الثواب الكبير للمجاهدين بأن جعل جهادهنّ في حسن التبعّل. وإذا كان على الرجال حفظ الثغور وحدود البلاد الإسلاميّة الخارجيّة، فقد توجّب على النساء حفظ محيط العائلة وتأمين الجوّ السالم الذي يأوي إليه المجاهدون بعد عودتهم من جبهات القتال، وقد جعل اللهُ تعالى لهنّ بحُسن التبعّل ومَداراة الزوج ثواباً يعدل ثواب الجهاد وباقي الأعمال التي اختصّ بها الرجال دون النساء.

أخرج ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**الصلاة قربان كل تقيّ، والحجّ جهاد كل ضعيف، ولكل شيء زكاة، وزكاة البدن الصوم، وجهاد المرأة حُسن التبعّل**»[٢].

وروى إسماعيل الأَصبهاني بإسناده عن عمر (في حديث عن رسول الله صلى الله

(١) الإرشاد ١: ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٨١.

عليه وآله)، قال: «... **جئتم تسألوني عن جهاد الضعفاء؟ جهاد الضعفاء الحجّ والعمرة، وجئتم تسألوني عن جهاد المرأة؟ جهاد المرأة حُسن التبعل لزوجها**» - الحديث[1].

أخرج البيهقي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنَّها أتت النبي (صلى الله عليه وآله) وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأُمّي! إنِّي وافدة النساء إليك، واعلم - نفسي لك الفداء - أنَّه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعتْ بمخرجي هذا إلَّا وهي على مثل رأيي، إنّ الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنّا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنّا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم؛ وإنَّكم معاشر الرجال فُضّلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحجّ بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإنّ الرجل منكم إذا خرج حاجّاً أو مُعتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربّينا لكم أموالكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟.

فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: «**هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه**»؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أنَّ امرأة تهتدي إلى مثل هذا! فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله) إليها ثم قال لها: «**انصرفي أيتها المرأة، وأعلِمي مَن خلفك من النساء أنّ حُسن تبعّل إحداكنّ لزوجها وطلبها مرضاته واتّباعها موافقته يعدل ذلك كله**». فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبّر استبشاراً.[2]

أقول: تعرّضنا في المجلّد الأول إلى موضوع جهاد الزهراء عليها السلام في بيتها ومؤازرتها زوجها أمير المؤمنين عليه السلام في تحمّل المصاعب التي واجهها.

(١) دلائل النبوة - إسماعيل الأصبهاني ٢: ٦٥١ - ٦٥٢.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٦: ٤٢١ / ح٨٧٤٣.

جهادها عليها السلام أصحابَ السقيفة

أنكرت الزهراء عليها السلام على جماعة السقيفة أفعالهم، فقد جفوا نبيّهم أشد جفاء بمجرّد أن أغمض عينيه، وتركوا جنازته مسجّاة وهرعوا إلى سقيفة بني ساعدة يتنازعون على السلطة ويستبدّون بالأمر، دون أن يعرفوا لأهل بيت رسول الله حقّهم، وتناسوا أنَّهم بايعوا لأمير المؤمنين في واقعة غدير خم بالأمس القريب وعاهدوه على السمع والطاعة، وزادوا على ذلك بالهجوم على داره وإضرام بابها بالنار وإخراجه ملبّباً يُقاد إلى المسجد كي يبايع!!

روى المفيد عن ابن أبي هلال عن مروان بن عثمان قال: لما بايع الناس أبا بكر دخل علي عليه السلام والزبير والمقداد بيت فاطمة عليها السلام وأبوا أن يخرجوا، فقال عمر بن الخطاب: أضرموا عليهم البيت ناراً! فخرج الزبير ومعه سيفه، فقال أبو بكر: عليكم بالكلب! فقصدوا نحوه، فزلّت قدمه وسقط على الأرض ووقع السيف من يده، فقال أبو بكر: اضربوا به الحجر؛ فضرب به الحجر حتى انكسر، وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام نحو العالية فلقيه ثابت بن قيس بن شماس فقال: ما شأنك يا أبا الحسن؟ فقال: «**أرادوا أن يحرقوا عليّ بيتي! وأبو بكر على المنبر يُبايَع له لا يدفع عن ذلك ولا يُنكر**»، فقال له ثابت: لا تفارق كفّي يدك أبداً حتى أُقتل دونك، فانطلقا جميعاً حتى عادا إلى المدينة، وفاطمة عليها السلام واقفة على بابها، وقد خلت دارها من أحد من القوم، وهي تقول: «**لا عهد لي بقوم أسوء محضراً منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا وصنعتم بنا ما صنعتم ولم تروا لنا حقاً**»[١].

روى المفيد عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال: لما بايع الناس أبا بكر خرجت

(١) أمالي المفيد: ص٤٩؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي٢٨: ٢٣١.

فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فوقفت على بابها وقالت: «**ما رأيتُ كاليوم قط، حضروا أسوء محضر، وتركوا نبيهم صلى الله عليه وآله جنازة بين أظهرنا، واستبدّوا بالأمر دوننا**»(١).

الزهراء تأخذ بتلابيب عمر

لم تجعل المظالم التي واجهتها الزهراء عليها السلام بعد رحيل أبيها، لم تجعلها ترضى أن يُصاب بسببها مَن لم يشترك في ظلمها وأذاها، ولقد هوجم بيتها بقسوة وضراوة، وأُشعلت النار في باب دارها، واقتحمت الدار وجرى على الزهراء ما جرى، مما كنّى عنه الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام بقولهما «**لما أن كان من أمرهم ما كان**»، لكنّها لم تسمح لنفسها أن تدعو على ظالميها بالعذاب، خشية أن ينزل العذاب - وكان سينزل بالتأكيد - فيعمّ الأشرار والأخيار. وقد شابهت الزهراء في صبرها زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، فقد اغتُصب حقّه في الخلافة وهوجم بيته واقتيد مكبلاً ليبايع مَن لأمير المؤمنين عليه حقّ الإمرة والطاعة، وقيل له إِنَّه سيُقتل إن لم يبايع! حتى رفع يده إلى السماء فقال: «**اللهم إنَّ القوم استضعفوني كما استضعفت بنو إسرائيل هارون**»!(٢)

روى الكليني بإسناده عن عبد الله بن محمد الجعفي، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: «**إنَّ فاطمة عليها السلام - لما أن كان من أمرهم ما كان - أخذتْ بتلابيب عمر فجذبته إليها ثم قالت: أما والله - يا بن الخطاب - لولا أنّي أكره أن يصيب البلاء مَن لا ذنب له، لعلمتَ أنّي سأُقسم على الله ثم أجده سريع الإجابة**»(٣).

---

(١) أمالي المفيد: ص٩٥؛ بحار الأنوار: ٢٣٢.

(٢) أنظر: الكافي للكليني ٨: ٣٣.

(٣) الكافي - الشيخ الكليني ١: ٤٦٠.

يا بن أبي قحافة، لقد جئت شيئاً فريّاً، فدونكها مخطومة مرحولة!

بعبارات نارية تفيض نقمة وغضباً خاطبت الزهراء عليها السلام الحاكم الظالم السادر في غيّه، دون أن تأبه به وبسلطانه، أو تتردّد أمام حرّاسه وأعوانه، ولم تخاطبه بألفاظ التعظيم والتبجيل، فقد طغى الخطب وبلغ السيلُ الزبى، فاهت بعبارات هي باللهب والحمم البركانية أشبه منها بالكلمات، تقول فيها:

«أأبتزّ إرث أبي! أبى الله أن ترث – يا بنَ أبي قحافة – أباك ولا أرث أبي، لقد جئتَ شيئاً فريّاً! فدونكها مَخطومةً مَرحولةً تلقاك يوم حشرِك، فنِعم الحكمُ الله، والزعيمُ محمّد، والموعدُ القيامة، وعند الساعةِ يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مستقر وسوف تعلمون مَن يأتيه عذابٌ يُخزيه ويحلّ عليه عذابٌ مُقيم»[1]!

الزهراء تتعاهد قبر سيّد الشهداء حمزة وقبور المجاهدين الشهداء

تألّمت الزهراء عليها السلام وذرفت الدموع لمصابها بعمها سيّد الشهداء حمزة الذي نافح عن رسول الله وأصحابه منذ الأيام الأُولى للإسلام ودافع عنهم في أقسى أيّام الدعوة في مكّة، ثم دافع عن الإسلام في بدر وأُحد، حتى استشهد في وقعة أُحد مغدوراً برمح سدّده إليه وحشيّ، وكانت الزهراء تتعاهد قبر حمزة بالزيارة وتبكي عنده، ثم عملت من تربته السبحة تسبّح بها تسبيحتها المعروفة.

عن محمود بن لبيد قال: لما قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله كانت فاطمة عليها السّلام تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك. فلما كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتها عليها السّلام تبكي هناك، فأمهلتها حتى سكنت. فأتيتها وسلّمت عليها

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٢.

وقلت: يا سيدة النسوان، قد والله قطعت نياط قلبي من بكائك. فقالت: «**يا أبا عمرو، لحقّ لي البكاء، فقد أصبت بخير الآباء رسول الله صلّى الله عليه وآله، واشوقاه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله**»! ثم أنشأت عليها السّلام تقول:

إذا مات يوماً ميّت قلّ ذِكرُه   وذِكرُ أبي مُذ مات والله أكثرُ

-إلى آخر الحديث؛ وقد أوردناه قريباً[١].

عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: سمعته يقول: «**عاشت فاطمة عليها السّلام بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً، لم تر كاشرة ولا ضاحكة؛ تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين؛ الإثنين والخميس، فتقول: هيهنا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله، هيهنا كان المشركون**»[٢].

عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «**كانت فاطمة صلوات الله عليها تزور قبر حمزة وتقوم عليه، وكانت في كل سبت تأتي قبور الشهداء مع نسوة معها فيدعون ويستغفرون**»[٣].

عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «**إنَّ فاطمة عليها السّلام كانت تأتي قبور الشهداء في كل غداة سبت فتأتي قبر حمزة وتترحّم عليه وتستغفر له**»[٤].

الزهراء توصي بحجب ابنة الحاكم الظالم

فضحت الزهراء المجاهدة ظلم المتسلّطين على منبر رسول الله، ودفعت حياتها الغالية في مجال توعية الأمَّة بأبعاد المؤامرة الخطيرة التي تعرّضت لها المسيرة الإسلاميّة، ثم

(١) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السّلام للخزاز: ص ١٩٨.

(٢) الكافي ٣: ٢٢٨ / ح ٣.

(٣) بحار الأنوار ٧٩: ١٦٩ / ح ٣، عن دعائم الإسلام.

(٤) منتهى المطلب، للعلامة الحلي ١: ٤٦٨.

اتّخذت التدابير اللازمة لمنع محاولات التضليل الإعلامي التي قد يقوم بها بعض الذين أسهموا في حرف مسيرة خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله عن مسارها الصحيح، فأوصت أسماء أن لا تدع أحداً يدخل عليها، وأوصت أمير المؤمنين - كما سيأتي - أن يدفنها ليلاً ولا يؤذن بها أحداً من ظالميها. ونلاحظ أنَّ عائشة شكت إلى أبيها من أسماء في محاولة للتأثير عليها وثنيها عن قرارها، وأنّها تذرّعت في محاولتها الدخول بكونها من أزواج النبي، لكن أسماء لم تستجب لأبي بكر وتمسّكت بوصيّة الزهراء عليها السلام.

روى البيهقي أنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: «**يا أسماء إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء؛ إنَّه يطرح على المرأة الثوب فيصفها**». فقالت أسماء: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ألا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة -عليها السلام-: «**ما أحسن هذا وأجمله لا يعرف به الرجال من المرأة! فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي -عليه السلام- ولا تدخلي عليّ أحداً**». فلما توفيت -عليها السلام- جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء: لا تدخلي! فشكت أبا بكر فقالت: إنَّ هذه الخثعمية تحول بيني وبين ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد جعلت لها مثل هودج العروس، فجاء أبو بكر فوقف على الباب وقال: يا أسماء ما حملك أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وآله يدخلن على ابنة النبي صلى الله عليه وآله وجعلت لها مثل هودج العروس؟ فقالت: أمرتني أن لا تدخلي علي أحداً، وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها؛ فقال أبو بكر: فاصنعي ما أمرتك؛ ثم انصرف وغسلها علي -عليه السلام- وأسماء رضي الله عنها[1].

---

(١) السنن الكبرى - البيهقي ٤: ٣٤ - ٣٥، باب ما ورد في النعش للنساء؛ ذخائر العقبى - أحمد بن عبد الله الطبري: ص ٥٣.

الزهراء توصي بأن لا يشهد الشيخان جنازتها

أخرج الفتال النيسابوري في روضة الواعظين قصّة وصيّة الزهراء عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام عند احتضارها، وجاء في آخرها: «... **أوصيك يا بن عم أن تتّخذ لي نعشاً فقد رأيتُ الملائكة صوّروا صورته؛ فقال لها: صفيه لي! فوصفته فاتخذه لها، فأوّل نعش عمل على وجه الأرض ذاك وما رأى أحد قبله ولا عمل أحد. ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقي، فإنَّهم عدوّي وعدوّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تترك أن يصلّي علي أحد منهم ولا من أتباعهم، وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار؛ ثم توفّيت صلوات الله عليها وعلى ابنيها وبعلها وبنيها**»- الحديث[1].

وأخرج المجلسي عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**بدو مرض فاطمة بعد خمسين ليلة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فعلمت أنَّها الوفاة، فاجتمعت لذلك تأمر علياً بأمرها وتوصيه بوصيتها وتعهد إليه عهودها، وأمير المؤمنين عليه السلام يجزع لذلك، ويطيعها في جميع ما تأمره. فقالت: يا أبا الحسن إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلي وحدثني أنّي أول أهله لحوقاً به ولا بد مما لا بد منه، فاصبرْ لأمر الله تعالى وارضَ بقضائه. قال: وأوصته بغسلها وجهازها ودفنها ليلاً ففعل، قال: وأوصته بصدقتها وتركتها. قال: فلما فرغ أمير المؤمنين من دفنها لقيه الرجلان فقالا له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: وصيتُها وعهدُها**»[2].

روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن النوفلي عن ابن البطائني، عن أبيه قال:

---

(١) روضة الواعظين: ص١٥٧؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٩١ - ١٩٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٠١.

سألت أبا عبد الله عليه السلام لأي علّة دُفنت فاطمة عليها السلام بالليل ولم تُدفن بالنهار؟ قال: «**لأنّها أوصت أن لا يصلّي عليها الرجلان الأعرابيان**»(١).

وقال المجلسي بعد أن أخرج الخبر عن علل الشرائع: الأعرابيان: الكافران، لقوله تعالى ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾(٢).

روى الصدوق في الأمالي عن ابن طريف، عن ابن نباتة قال: سُئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن علّة دفنه لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً فقال: «**إنّها كانت ساخطة على قوم كرهتْ حضورهم جنازتها، وحرامٌ على من يتولاهم أن يصلّي على أحد من ولدها**»(٣).

رسول الله يبكي لما سوف تواجهه فاطمة وبعلها وابناها

بكى رسولُ الله صلى الله عليه وآله مراراً لما سيلقاه أهلُ بيته بعده من الظلم والجفاء، مع أنّه أخبر أمّته المرّة تلو المرّة بعظيم قدر أهل بيته عند الله، وبأنَّ مودّتهم هي أجرُ الرسالة التي أخرجهم بها من الظلمات إلى النور. ومع أنّه أوضح بما لا مزيد بعده أنَّ من أحبّ أهل بيته فقد أحبّ رسول الله، ومن أبغضهم فقد أبغضه، ومن حاربهم فقد حاربه، ومن سالمهم فقد سالمه صلى الله عليه وآله. وكان جبرئيل عليه السلام ينزل المرة تلو المرة فيُخبر النبي عمّا سيُصنع بأهل بيته بعد ارتحاله، ولذلك فقد بكى النبي صلى الله عليه وآله لمظلوميّة أمير المؤمنين عليه السلام، وبكى صلى الله عليه وآله لما سيلحق بابنته الحبيبة بعده، وبكى لما سيراه أهل بيته، وبكى لمظلوميّة الحسن والحسين عليهما السلام.

---

(١) علل الشرائع ١: ١٨٥، الباب ١٤٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) أمالي الصدوق: ص٧٥٥، المجلس ٧٦؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢٠٩.

روى ابن قولويه في كامل الزيارة عن علي بن الحسين (عليهما السلام)، عن عمته زينب، عن أمِّ أيمن وعن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، في حديث طويل: «**إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام، فعملت له حريرة - إلى أن قال - فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [نظراً] عرفنا منه السرور في وجهه ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً، ثم وجّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه يدعو، ثم خرّ ساجداً وهو ينشج، فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثم رفع رأسه، وذكر سبب البكاء، وأنَّ جبرئيل أخبره بما يجري عليهم بعده من المصائب**»... الخبر[١].

روى الشيخ الصدوق في الأمالي عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:

«**بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذا التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟**

فقال: أبكي مما يصنع بكم بعدي. فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدها، وطعنة الحسن في الفخذ، والسم الذي يسقى، وقتل الحسين. قال: فبكى أهل البيت جميعاً، فقلت: يا رسول الله، ما خلقنا ربنا إلا للبلاء! قال: أبشر يا علي، فإنَّ الله عز وجل قد عهد إلي أنَّه لا يحبك إلَّا مؤمن، ولا يبغضك إلَّا منافق»[٢].

(١) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري ٥: ١٥٣. وقد ألحق محقق (كامل الزيارة) هذه الرواية في هامش الكتاب ص ٤٤٤ وقال عنها (زيادة في النسخ، نقلناها كما وجدناها).

(٢) الأمالي - الشيخ الصدوق: ص ١٩٧؛ كفاية الأثر: ٣.

وأخرج العلامة المجلسي أنَّه دخل النبي صلى الله عليه وآله يوماً إلى فاطمة عليها السلام فهيأت له طعاماً من تمر وقرص وسمن، فاجتمعوا على الأكل هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فلما أكلوا سجد رسول الله صلى الله عليه وآله وأطال سجوده، ثم بكى ثم ضحك ثم جلس؛ وكان أجرأهم في الكلام علي عليه السلام فقال: «**يا رسول الله رأينا منك اليوم ما لم نره قبل ذلك**»! فقال صلى الله عليه وآله: «**إنِّي لما أكلت معكم فرحت وسررت بسلامتكم واجتماعكم فسجدت لله تعالى شكراً**». فهبط جبرئيل عليه السلام يقول: «**سجدت شكراً لفرحك بأهلك**»؟ فقلت: «**نعم**». فقال: «**ألا أُخبرك بما يجري عليهم بعدك**»؟ فقلت: «**بلى يا أخي يا جبرئيل**». فقال: «**أما ابنتك فهي أول أهلك لحاقاً بك بعد أن تظلم ويؤخذ حقها وتمنع إرثها ويظلم بعلها ويكسر ضلعها؛ وأما ابن عمك فيظلم ويمنع حقه ويقتل، وأما الحسن فإنَّه يظلم ويمنع حقه ويقتل بالسم، وأما الحسين فإنَّه يظلم ويمنع حقه وتقتل عترته وتطؤه الخيول وينهب رحله وتسبى نساؤه وذراريه ويدفن مرملاً بدمه ويدفنه الغرباء**». فبكيت وقلت: «**وهل يزوره أحد**»؟ قال: «**يزوره الغرباء**». قلت: «**فما لمن زاره من الثواب**»؟ قال: «**يكتب له ثواب ألف حجة وألف عمرة كلها معك**»، فضحكت[1].

وعن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنَّه قال: «لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله غشي عليه، فبكت فاطمة صلوات الله عليها فأفاق وهي تقول: من لنا بعدك يا رسول الله؟ فقال: أنتم المستضعفون بعدي والله»[2].

---

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٩٨ – ص ٤٤.

(٢) دعائم الإسلام – القاضي النعمان المغربي ١: ٢٢٥.

الاعتداء على فاطمة انتهاك لحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله

لماذا يؤكد رسول الله صلى الله عليه وآله - كلّ هذا التأكيد - على أنَّ من يظلم ابنته فاطمة بعده ملعونٌ لو شفع فيه كل نبيّ وملَك، ما أخرجه اللهُ من النار؟! لماذا يقول عنها بأنَّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها؟! إنَّنا نعلم يقيناً أنّ من حارب فاطمة قد حارب أباها رسول الله في حقيقة الأمر، لأنَّ فاطمة مثّلت أباها في الوقوف بوجه غاصبي الخلافة الذين تنكّروا لبيعة الغدير، وتنكّروا لوصايا رسول الله المكررة في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام. جسّدت الزهراء المجاهدة شخصيّة أبيها في هداية الأمَّة إلى سبيل فلاحها ورُشدها، فكانت حُرمتها حُرمة رسول الله.

أخرج المجلسي أنَّه مما احتجّ به الحسن عليه السلام على معاوية وأصحابه أنَّه قال لمغيرة ابن شعبة: «**أنتَ ضربت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أدميتها وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومخالفة منك لأمره وانتهاكاً لحرمته**»، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله [لها]: «**أنتِ سيدة نساء أهل الجنة؟! والله مصيرُكَ إلى النار**»[1].

وروي عن الصادق عليه السّلام قال: «**قال جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله: ملعونٌ ملعون مَن يظلم بعدي فاطمة عليها السّلام ابنتي، ويغصبها حقّها ويقتلها**».

ثم قال: «**يا فاطمة أبشري، فلك عند الله مقام محمود تَشفَعين فيه لمحبيك وشيعتك فتُشفّعين. يا فاطمة، لو أنَّ كلّ نبيّ بعثه الله وكّل ملك قرّبه الله شَفَعوا في مبغض لك غاصب لك، ما أخرجه الله من النار أبداً**»[2].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣ : ١٩٧.

(٢) العدد القوية: ص ٢٢٥ / ح ١٨، ١٩.

دروس من جهاد الزهراء عليها السلام

أبرزت الزهراء عليها السلام للجهاد وجهاً آخر غير الوجه المتعارف الذي يوحي بمبارزة الأبطال ومجالدة الأقران في ساحة الحرب، وكان جهادها مما يعزّ نظيره في حياة النساء. أظهرت الزهراء عليها السلام الوجه الآخر للجهاد، ذلك الوجه الهادىء الذي يتجسّد بالاحتجاج العقلانيّ والسكوت الغاضب والإعراض والمقاطعة. وكانت الزهراء عليها السلام تعلم يقيناً أنَّ عليها دفع ضريبة جهادها، وتعلم أنَّها ربّما ستتعرّض للأذى، وأنّ ظالميها قد يتجاسرون على مقامها السامي ومنزلتها العالية، وقد ينجرّ الأمر بهم إلى مهاجمة دارها، وقد يصل الأمر بها إلى التضحية بحياتها في هذا المسير، لكنّها سارت في هذا الجهاد إلى آخره دون أن تندم لحظة واحدة، بل كان يقينها بصواب موقفها راسخاً رسوخ الجبال، بل أشدّ رسوخاً.

وكانت الزهراء المجاهدة سلام الله عليها تعلم أنّ من الجهاد ما لا يُثمر بسرعة، وأنَّها قد لا تقطف ثمار حركتها الجهادية في حياتها، وأنّ بذور نهضتها واعتراضها وإعراضها ومقاطعتها ستنبت في أفئدة نشّاد العدل والحقّ وتثمر ولو بعد سنوات، أو بعد قرون، لكنها تصدّت وجاهدت ولم تتلكّأ في جهادها ما دام في بدنها عرقٌ ينبض.

كانت الزهراء عليها السلام تجاهد في مصاف أمير المؤمنين ورفقته أحياناً، وبمفردها أُحياناً أخرى، وكانت تحاجج ظالميها وتناقشهم وتستدل على صواب موقفها وبطلان مواقفهم بآيات القرآن الكريم وبأحاديث النبي صلى الله عليه وآله، وكانت تستخدم أحياناً الاستدلالات المنطقية، وكان الخصم يُذعن لحججها ويعترف بخطأ مواقفه، بل كان يبكي أحياناً، لكنه كان يصرّ على باطله. وشاهدنا الزهراء المفجوعة بأبيها، المكسورة

الضلع، تتسامى على جراحها وتقف في المسجد فتحاكم ظالميها وتناقشهم وتقيم الحجج عليهم، وشاهدنا الزهراء المفجوعة تخطب في المسجد وتقول لأبي بكر بقوّة وصلابة «**فدونكها مخطومة مرحولة تلقاكَ يوم حشرك، فنِعم الحَكَمُ الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكل نبأ مستقرّ وسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخزيه ويحلّ عليه عذابٌ مُقيم**».

في الوقت الذي شاهدنا معظم رجال الصحابة يتحرّجون حتّى عن إبداء وجهات نظرهم، فضلًا عن مواجهة النظام القائم ومقارعته.[1]

(١) أنظر: فاطمة برترين بانوي إسلام (بالفارسية)، للدكتور علي قائمي، ص٩٤ ٩٥.

الفصل الثاني والعشرون

فاطمة الزهراء عليها السلام مصداق آيات القرآن

فاطمة الزهراء عليها السلام مصداق آيات القرآن

طهّر ربُّ العزّة نبيه الكريم وأهل بيته المعصومين من كلّ رجس ودنس، ورفع قدْرهم وجعلهم في بيوت أذن اللهُ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمُه، وجعلنا صلاتنا عليهم طيباً لخلقنا وطهارةً لأنفسنا. أهل البيت عليهم السلام هم أبواب رحمته تعالى ومعادن حكمته، كما أنّهم واسطة الفيض بين الخالق تعالى وبين عباده. وكان من الطبيعيّ أن ينزل القرآنُ في بيوتهم، وأن يكونوا المخاطب الحقيقيّ للقرآن الكريم والمصاديق الواضحة للمكارم والتقى والفضائل فيه، وأن يكون لهم كرائم القرآن ومحاسنه، وأن يكونوا المفسّر الحقيقيّ لآيات القرآن.

ونرى أنَّ البضعة الطاهرة سلام الله عليها التي فُطم الناس عن معرفتها قد كانت أحد المصاديق البارزة لكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها خاصّة أو باعتبارها من أهل البيت عليهم السلام، وقد بلغت تلك الآيات – كما أحصاها البعض – حدود (٢٥٨) آية.

بل إنّك إذا أمعنت النظر في أكثر معاني القرآن وجدت أوصاف فاطمة عليها السلام، فتلك المستورة الكبرى والمرأة الكاملة كانت في أعلى وأتمّ درجة من درجات العبوديّة والكمال، وكلّ صفة من الصفات الممدوحة التي سجّلت في القرآن لكلّ واحد من العباد الصالحين والمقرّبين، ولكلّ نبيّ من الأنبياء والمرسلين كانت في تلك المخدّرة بمستوى عين الكمال، وكانت هي مجموعة جامعة لتلك الصفات العديمة المثال[١].

كما أنّنا لو تأمّلنا حقّ التأمّل في الآيات القرآنيّة الكريمة التي نزلت في بعض النساء

---

(١) الخصائص الفاطمية للخطيب الكجوري ٢: ٤٠١.

المؤمنات اللاتي ذكرهنّ القرآن الكريم باعتبارهنّ القدوة في الإيمان والتقوى، لوجدنا أنّ الأوصاف الواردة في تلكم النساء قد وردت في سيّدتهنّ الزهراء عليها السلام على نحوٍ أتمّ وأكمل، لأنّ بضعة خاتم الرسل وأفضلهم هي سيّدة نساء أهل الجنّة أجمعين، لا ترقى إلى درجاتها أيّ واحدة منهنّ.

الزهراء عليها السلام مصداق آية (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)

تحدثت روايات أهل البيت عليهم السلام عن أنَّ (معرفة) الزهراء فاطمة عليها السلام التي فُطم الخلق عن معرفتها، هي مفتاح (إدراك) ليلة القدر، تلك الليلة العظيمة التي أنزل الله تعالى فيها القرآن، والتي تنزّل الملائكةُ والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر، والتي يُفرق فيها من كلّ أمر حكيم.

جاء في تفسير فرات الكوفي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1] «**الليلة: فاطمة، والقدر: الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سميت فاطمة لأنّ الخلق فُطموا عن معرفتها**».[2]

الزهراء عليها السلام مصداق آية (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)

من خلال استقراء حياة فاطمة عليها السلام قبل وبعد وفاتها يتبيّن لكلّ ذي عينين أنّها هي الخير الكثير الذي ورد فيه قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[3]، ولقد انطبقت عليها هذه المعاني لكثرة بركتها على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى أهل بيته وعلى

---

(١) سورة القدر: الآية ١.

(٢) تفسير فرات: ص٥٨١.

(٣) سورة الكوثر: الآية ١.

شيعة أمير المؤمنين، فأي بركة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مثل فاطمة التي على معرفتها دارت القرون الأُولى! وأي بركة أكبر وأفضل من بركة فاطمة سلام الله عليها على الشيعة وخاصة في هذه الحياة الدنيا، حيث كانت الوعاء الأكبر للإمامة التي جسّدت أفضل مصاديق الولاية الكبرى!

وأي بركة أفضل منها عندما تأتي يوم القيامة وتخلّص شيعتها ومحبيها من عذاب النار.[1]

وقد ذهب عدة من أصحابنا إلى أنَّ آية الكوثر نزلت في فاطمة عليها السلام، منهم العلامة الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع قال: «**هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهر ذلك في نسله من ولد فاطمة عليها السلام**».

وقد ذهب الفخر الرازي إلى هذا الرأي بقوله: الكوثر أولاده (صلى الله عليه وآله) لأنَّ هذه السورة نزلت رداً على من عابه بعدم الأولاد، فالمعنى أنَّه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت! ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أُمية في الدنيا أحد يعبأ به[2].

وجاء في مناقب ابن شهر آشوب أنَّه لما توفي إبراهيم ابن النبي هجاه عمرو بن العاص وسمّاه الأبتر، فنزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وهو مبالغة في الكثرة، يعني كثرة أولاده[3].

(١) الأسرار الفاطمية للمسعودي: ص٣٩٩.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦: ١١٨ ط دار الفكر.

(٣) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٢: ٤١.

الزهراء عليها السلام مصداق آية (ويُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّه)

تحدثنا في الفصل التاسع عن قصّة إيثار الزهراء وبعلها وابنيها، وعن أنَّ سورة (هل أتى) نزلت في شأنهم صلوات الله وسلامه عليهم، فلا نكرّر.

أخرج السيوطي في الدر المنثور، في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّه مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[1] في سورة ﴿هَلْ أَتى﴾.

قال: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة بنت رسول اللهَّ صلى اللهَّ عليه (وآله) وسلم[2].

الزهراء عليها السلام مصداق آية (يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

ذكرنا في الفصل التاسع قصّة إيثار الزهراء وبعلها، وكيف آثرا ضيفهما على نفسيهما وعلى صبيتهما، وعن نزول ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[3] في حقهما عليهما السلام.

جاء في تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان وعلي بن حرب الطائي ومجاهد عن أبي هريرة، أنَّه جاء رجل إلى رسول الله فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله إلى أزواجه فقلن: ما عندنا إلَّا الماء، فقال صلى الله عليه وآله: «**من لهذا الرجل الليلة**»؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا يا رسول الله**»، وأتى فاطمة وسألها: «**ما عندك يا بنت رسول الله**»؟ فقالت: «**ما عندنا إلَّا قوت الصبية لكنَّا نؤثر به ضيفنا**»، فقال علي: «**يا بنت محمد نوّمي**

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزآبادي ١: ٢٥٦.

(٣) سورة الحشر: الآية ٩.

الصبية وأطفئي المصباح، وجعلا يمضغان بألسنتهما»، فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله، فلما أصبح صلى مع النبي، فلمّا سلّم النبي من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين وبكى بكاءً شديداً وقال: «**يا أمير المؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة**»، اقرأ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي مجاعة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال الحميري:

وقائل للنبي إنّي غريب	**جايع قد أتيتكم مُستجيرا**
فبكى المصطفى وقال غريبٌ	**لا يكن للغريب عندي ذكورا**
مَن يضيف الغريب؟ قال عليٌ	**أنا للضيف فانطلق مأجورا**
ابنة العم هل من الزاد شيءٌ	**فأجابت: أراه شيئاً يسيرا**
كف برّ قال: اصنعيه فإنَّ	**الله قد يجعل القليل كثيرا**
ثم أطفي المصباح كي لا يراني	**فأخلي طعامه موفورا**
جاهد يلمظ الأصابع والضيف	**يراه إلى الطعام مشيرا**
عجبت منكمُ ملائكة الله	**وأرضيتم اللطيف الخبيرا**
ولهم قال (يؤثرون على	**أنفسهم) قال ذاك (فضلاً كبيرا)[1]**

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١: ٣٤٨.

الزهراء عليها السلام مصداق آية (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)

أخرج ابن المغازلي عن أبي سعيد الخدري فى قوله عزوجلّ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، قال: عليّ وفاطمة، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾قال: محمّد، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾، قال: الحسن والحسين[١].

وأخرج البحراني في تفسير البرهان عن الكليني في رواية يحيى بن سعيد العطار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾، قال: «**علي وفاطمة (عليهما السلام) بحران من العلم عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه**»، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾: «**الحسن والحسين عليهما السلام**».[٢]

وأخرج المجلسي عن أبي ذر الغفاري، في قوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، قال: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وفاطمة عليهما السلام، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾: الحسن والحسين عليهما السلام، فمن رأى مثل هؤلاء الأربعة؟ لا يحبّهم إلاّ مؤمن، ولا يُبغضهم إلا كافر، فكونوا مؤمنين بحبّهم، ولا تكونوا كفّاراً ببغض أهل البيت فتلقوا في النار[٣].

وأخرج الشبلنجي عن أنس بن مالك فى قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، قال: عليّ وفاطمة عليهما السلام، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾، قال: الحسن والحسين عليهما السلام. ثم قال الشبلنجي: رواه صاحب كتاب الدرر[٤].

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب، لابن المغازلي: ص٢٩٤ / ح٣٦٩.

(٢) تفسير البرهان ٢: ٢٦٥.

(٣) بحار الأنوار ٢٤: ٩٧.

(٤) نور الأبصار للشبلنجي: ص١١٠.

الزهراء عليها السلام مصداق آية (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ)

الآية الشريفة لها مصداق واحد هو النبي وأهل بيته عليهم السلام، ولقد استجاب الله تعالى دعاء نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله، فوهب له من زوجته خديجة عليها السلام فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام، ووهب له من ذريّته فاطمة ابنين هما الحسن والحسين عليهما السلام، سمّاهما الله تعالى من فوق عرشه بابني رسول الله في آية المباهلة المعروفة، وكان الحسنان يناديان النبي بـ(يا أبه) ما دام حياً، ثم وهب تعالى للنبي صلى الله عليه وآله قرّة أعين هما الحسنان عليهما السلام. وقد ورد أنَّ الإمام الصادق عليه السلام سمع رجلاً يطوف بالبيت وهو يقول:... ربّ اجعلني من الذين يقولون ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «**لقد سألتَ ربك شططاً، سألته أن يجعلك إماماً للمتقين مُفترَض الطاعة**»، ثم بيّن عليه السلام أنَّ الآية إنّما نزلت فيهم أهل البيت[1].

روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2]، قال النبي صلى الله عليه وآله، قلت: «**يا جبرئيل مَن**» ﴿أزواجنا﴾؟ قال: «**خديجة**». وقال: مَن ﴿ذريّاتنا﴾؟ قال: «**فاطمة**»؛ و﴿قرّة أعين﴾؟ قال: «**الحسن والحسين**». قال: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؟ قال: «**علي عليه السلام**».[3]

وأخرج ابن شهر آشوب عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

(١) انظر: دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ١: ٢٥.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(٣) شواهد التنزيل ١: ٥٣٩.

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾[١] الآية، قال: نزلت هذه الآية والله خاصة في أمير المؤمنين عليه السلام. قال: كان أكثر دعائه يقول: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾، يعني فاطمة، ﴿وذريّاتنا﴾، يعني الحسن والحسين، ﴿قرّة أعين﴾، قال أمير المؤمنين: والله ما سألت ربي ولداً نضير الوجه، ولا سألت ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربي وُلداً مطيعين لله خائفين وجلين منه، حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرت به عيني[٢].

الزهراء عليها السلام مصداق آية (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)

لما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وآله المدينة أتته الأنصار فقالوا: يا رسول الله، إنَّ الله جلّ ذِكره قد أحسن إلينا وشرّفنا بك وبنزولك بين ظهرانينا، فقد فرّح الله صديقنا وكبت عدوّنا، وقد يأتيك وفود فلا تجد ما تعطيهم، فيشمت بك العدوّ، فنحبّ أن تأخذ ثُلث أموالنا، حتى إذا قدم عليك وفد مكة وجدتَ ما تعطيهم، فلم يردّ رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم شيئاً وكان ينتظر ما يأتيه من ربه، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ولم يقبل أموالهم – الحديث وقد نقلنا مورد الحاجة[٣].

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس قال: لمّا نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٤]، قالوا: يا رسول الله ومن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «**علي وفاطمة وابناهما**».[٥]

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٥٢؛ بحار الأنوار ٢٤: ١٣٣.

(٣) انظر: الكافي للكليني ١: ٢٩٥/ ح٣.

(٤) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٥) المعجم الكبير للطبراني ٣: ٤٧ / ح٢٦٤١.

وأخرج المجلسي عن الثعلبي بإسناده عن أبي الديلم قال: لما جيء بعلي بن الحسين عليهما السلام فأُقيم على درج مسجد دمشق قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «**أقرأت القرآن؟**» قال: نعم، قال: «**قرأت الـ(حم)؟**» قال: قرأت القرآن ولم أقرأ الـ(حم). قال، قرأتَ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾؟ قال: أنتم هم؟ قال: «**نعم**»، ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام: «**أفقرأت في بني إسرائيل**»: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[1]، قال: وإنَّكم القرابة التي أمر الله أن يؤتى حقه؟ قال: «**نعم**»[2].

الزهراء عليها السلام مصداق آية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ)

ورد في الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وآله زار أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام صبيحة يوم العرس، وقال: «**السلام عليكم، أدخل رحمكم الله**»؟ ففتحت أسماء بنت عميس الباب، وكانا نائمين تحت كساء، فقال: «**على حالكما**»! فأدخل رجليه بين أرجلهما، فأخبر اللهُ عن أورادهما ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية[3].

روي أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «**اللهم إنَّهما أحب خلقك إلي، فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً، وإنِّي أُعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم**». وروي أنَّه دعا لها فقال: «**أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً**». وروي أنَّه قال: «**مرحباً ببحرَين يلتقيان، ونجمَين يقترنان**»، ثم خرج إلى الباب يقول: «**طهّركما وطهّر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما**».

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

(٢) بحار الأنوار ٢٣: ٢٥٢ / ح٤٦.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ١١٧.

وباتت عندهما أسماء بنت عميس أُسبوعاً بوصية خديجة إليها فدعا لها النبي صلى الله عليه وآله في دنياها وآخرتها، ثم أتاها في صبيحتهما وقال: «**السلام عليكم، أدخل رحمكم الله**»؟ ففتحت أسماء الباب وكانا نائمين تحت كساء، فقال: «**على حالكما**»، فأدخل رجليه بين أرجلهما، فأخبر الله عن أورادهما ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[1] الآية، فسأل علياً: «**كيف وجدت أهلك**»؟ قال: «**نِعم العون على طاعة الله**»، وسأل فاطمة فقالت: «**خير بعل**»، فقال: «**اللهم اجمع شملهما، وألّف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك**»، ثم أمر بخروج أسماء وقال: «**جزاك الله خيراً**»، ثم خلا بها بإشارة الرسول صلى الله عليه وآله.[2]

قال الكجوري: لما حلّت الزهرة الزهراء في الحجرة العلويّة المرتضويّة حلول إجلال وعظمة، قام أمير المؤمنين - حسب الاستحباب الشرعيّ - فغسل أقدام فاطمة الطاهرة بيده المباركة، ولغسل رجل العروس ليلة الزفاف حِكم عديدة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فلمّا كانت تلك الليلة قامت فاطمة إلى السراج فأطفئته لشدّة حيائها**»، قالت أسماء: فأضاء البيت وسطع النور فيه من جمالها (عليها السلام) ونورها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فلمّا وقعت عيني عليها في المرّة الأُولى ملأت قلبي هيبتها، وكأنّني رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت تلك المخدّرة أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) خلقاً وسمتاً، وكانت مشيتها ما تخرم مشية أبيها صلى الله عليه وآله**». ثمّ استأذن أمير المؤمنين من فاطمة الزهراء عليها السلام ليقوم إلى

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٣٢؛ بحار الأنوار ٤٣: ١١٧.

الصلاة والذكر والدعاء شكراً لله على نعمته، فأذنت له، فلمّا قام إلى الصلاة قامت هي أيضاً عليها السلام اقتداءً به عليه السلام، وهكذا كانا يحييان الليل تلك الليلة وما بعدها من الليالي حتّى نزلت فيه الآية الكريمة ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، ومنهم من قال: «**إنّها نزلت في ليلة الزفاف خاصة**».[١]

الزهراء عليها السلام مصداق آية (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)

أخرج فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره عن ابن عباس، قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**لما نزلت الخطيئة بآدم وأُخرج من الجنة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ادعُ ربك. فقال: حبيبي جبرئيل ما أدعو؟ قال: قل ربي أسألك بحق الخمسة الذين تخرجهم من صُلبي آخر الزمان إلّا ما تُبتَ عليَّ ورحمتني.**

فقال له آدم عليه السلام: يا جبرئيل سمّهم لي. قال: قل ربي أسألك بحق محمد نبيك وبحق علي وصي نبيك وبحق فاطمة بنت نبيك، وبحق الحسن والحسين سبطي نبيك، إلّا ما تبت عليَّ ورحمتني. فدعا بهن آدم فتاب الله عليه. وذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٢]. وما من عبد مكروب يخلص النيّة ويدعو بهن إلّا استجاب الله له».[٣]

وأخرج القاضي النعمان عن صفوان الجمّال، قال: دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وهو يقرأ هذه الآية: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ

---

(١) الخصائص الفاطمية للكجوري ٢: ٣٤٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص٨٥.

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، ثم التفت إلي. فقال: «يا صفوان إنَّ الله تعالى ألهم آدم عليه السلام أن يرمي بطرفه نحو العرش، فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبّحون الله ويقدّسونه».

فقال آدم: «يا رب من هؤلاء»؟ قال: «يا آدم صفوتي من خلقي لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، خلقت الجنة لهم ولمن والاهم، والنار لمن عاداهم. لو أَنَّ عبداً من عبادي أتى بذنوب كالجبال الرواسي ثم توسّل إليّ بحقّ هؤلاء لعفوت له».

فلما أن وقع آدم في الخطيئة قال: «يا رب بحق هؤلاء الأشباح اغفر لي، فأوحى الله عز وجل إليه: إنَّك توسلت إليَّ بصفوتي وقد عفوت لك. قال آدم: يا رب بالمغفرة التي غفرت إلا أخبرتَني من هم. فأوحى الله إليه: يا آدم هؤلاء خمسة من ولدك، لعظيم حقّهم عندي اشتققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العلي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، وأنا الإحسان فهذا الحسين»[1].

الزهراء عليها السلام مصداق آية (الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)

تعني الآية أنَّ المؤمنين الكاملين في الإيمان - أي النبي وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما - الذين اتبعتهم ذريتهم في كمال الإيمان، ألحقنا بهم ذرياتهم في وجوب الطاعة، وما نقصنا الذرية من الحجة التي أقمناها على وجوب اتّباع الآباء شيئاً. فالمراد بالعمل إقامة الحجة على وجوب الطاعة وهو من عمل الله، أو عمل النبي الذي هو من الآباء[2].

أخرج المجلسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم

(١) شرح الأخبار ٣: ٧ / ح٩٢٣.

(٢) شرح الأخبار ٣: ٧ / ح٩٢٣.

بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيءٍ»، قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ «النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والذرية الأئمة الأوصياء»، ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ «ولم تنقص ذريتهم من الجهة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عليٍّ وحجتهم واحدة وطاعتهم واحدة»(١).

أخرج الحاكم الحسكاني عن ابن عمر قال: كنا إذا عددنا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله قلنا أبو بكر وعمر وعثمان، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن، فعلي ما هو؟ قال: علي من أهل بيت لا يُقاس به أحد، هو مع رسول الله صلى الله عليه وآله في درجته، إنَّ الله يقول ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ففاطمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله في درجته وعليٌّ معهما(٢).

وقال العلامة حسام الدين المردي الحنفي من أعلام المائة في (آل محمد صلى الله عليه وآله)(٣)؛ قال: إنَّ الله تعالى يقول ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(٤). ففاطمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله في درجته وعليٌّ معهما.(٥)

وأخرج المجلسي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، قال: نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام(٦).

---

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٣٥٧.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٢٥٦.

(٣) ص ١٨٣؛ والنسخة مصورة من مكتبة المحقق السيّد الأشكوري.

(٤) سورة الطور: الآية ٢١.

(٥) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي النجفي ٢٠: ٤١.

(٦) بحار الأنوار ٢٥: ٢٤١.

الزهراء عليها السلام مصداق آية (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا)

آية المباهلة من الآيات الواردة في مقامات أهل البيت عليهم السلام، وقد نزلت في قصّة مباهلة النبي صلى الله عليه وآله مع نصارى نجران، وقد سمّى الله تعالى أميرَ المؤمنين علياً عليه السلام بأنَّه (نفس النبي)، وسمّى الحسنين عليهما السلام بأنَّهما (ولدا النبي)، وسمّى فاطمة عليها السلام بأنَّها مصداق لــ(نساء النبي).

أخرج القاضي النعمان عن عبد الله بن عباس، أنَّه قال: قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم السيد والعاقب وأبو حارث - وهو عبد المسيح بن ثوبان أسقف نجران - وهم يومئذ سادة أهل نجران.

فقالوا: يا محمد لم تذكر صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى ابن مريم، تزعم أنَّه عبد الله؟ قال: أجل، هو عبد الله. قالوا: فأرنا فيمن خلقه الله عبداً مثله فيما رأيت وسمعت، فأعرض نبي الله صلى الله عليه وآله عنهم، ونزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الآية، فقال لهم ذلك، فقالوا: أما إنَّه ليس كما تقول؛ فقال لهم: فإنَّ الله عز وجل يقول: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. قالوا: نلاعنك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم وقد أخذ بيد عليٍّ عليه السلام ومعهما فاطمة والحسن والحسين. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**هؤلاء أبناؤنا ونساؤنا وأنفسنا**». فهمّوا أن يلاعنوه، ثم إنَّ السيد قال لأبي الحارث [والعاقب]: ما

تصنعون بملاعنة هذا؟ إن كان كاذباً لم نصنع بملاعنته شيئاً، وإن كان صادقاً لنهلكنّ، فصالحوا على الجزية. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله، «**والذي نفسي بيده، لو لاعنوني ما حال عليهم الحول وبحضرتهم منهم بشر، ولأهلك الله الظالمين**».(١)

وروى فرات في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾(٢) [قال:]: «**الحسن والحسين**» ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ قال: «**فاطمة**»؛ ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ قال: «**علي عليه السلام**».(٣)

الزهراء عليها السلام مصداق آية (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ)

أذن اللهُ تعالى لبيت فاطمة وعليّ عليهما السلام أن يُرفع، لأنَّه من البيوت التي يُسبّح له فيها ساكنوها بالغدوّ والآصال. هذا البيت الذي كان جبرئيل الأمين يقف أمامه خاضعاً يستأذن للدخول، فلا يدخل حتّى يؤذن له.

وهذا البيت هو الذي أكرمه الله تعالى فأمر نبيه الكريم أن يترك بابه مشرعة إلى المسجد، بينما أمره بسدّ كل أبواب الصحابة، فتذمّر البعض - ومنهم العباس عمّ النبي - حتى قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**ما أنا سددتُ أبوابكم وفتحت باب عليٍّ، ولكنَّ الله فتح باب عليٍّ وسدّ أبوابكم**»(٤).

أخرج الحاكم عن أبي برزة قال: قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان ٢: ٢٣٩ - ٢٤١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٣) تفسير فرات: ص٨٦.

(٤) أنظر: مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١١٤ - ١١٥؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢: ٤٣٢؛ مناقب الخوارزمي: ص٣١٥/ ح٣١٤.

اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[(١)]، قال: «**هي بيوت النبي صلى الله عليه وآله**». قيل: يا رسول الله أبيت علي وفاطمة منها؟ قال: «**من أفضلها**».[(٢)]

وأخرج المجلسي عن أنس بن مالك وعن بريدة قالا:

قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، فقام إليه رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: «**بيوت الأنبياء**»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، قال: «**نعم من أفضلها**»[(٣)].

وروى الكليني عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى قتادة بن دعامة البصري أبا جعفر عليه السلام فقال عليه السلام له: «**أنت فقيه أهل البصرة**»؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «**ويحك يا قتادة! الله عز وجل خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حُججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوّام بأمره، نُجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلّة عن يمين عرشه**». قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلستُ بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدّامك، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «**أتدري أين أنت؟ بين يدَي**» ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾، «**فأنت ثم ونحن أولئك**»، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين[(٤)].

---

(١) سورة النور: الآية ٣٦.

(٢) شواهد التنزيل ١: ٥٣٢.

(٣) بحار الأنوار ٢٣» ٣٢٥ عن كنز جامع الفوائد؛ و٢٣: ٣٣٢ عن تفسير الثعلبي.

(٤) الكافي ٦: ٢٥٦ - ٢٥٧/ح١.

الزهراء عليها السلام مصداق آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

آية التطهير خاصة بأهل البيت عليهم السلام، وهي تنصّ على عصمتهم وطهارتهم، كما أنَّها توجب على المسلمين متابعتهم وطاعتهم. ولما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة وعليٍّ عليهما السّلام تسعة أشهر عند كلّ صلاة فيقول: «**الصلاة رحمكم الله**» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ - الآية[١].

روى أحمد بإسناده عن أمِّ سلمة - رضي الله عنها - أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه، فقال لها: «**ادعي زوجك وابنيك**». قالت: فجاء عليٌّ والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبري. قالت: وأنا أُصلّي في الحجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢]. قالت: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**». قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «**إنَّك إلى خير، إنَّكِ إلى خير**»[٣].

وأخرج المجلسي عن تفسير الثعلبي في تأويل هذه الآية بإسناده إلى جعفر ابن أبي طالب الطيار قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة من السماء قال:

(١) الوافي للكاشاني ٧: ١٦؛ بحار الأنوار ١٦: ٢٠٣.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) مسند أحمد ٦: ٢٩٢.

«**من يدعو**»؟ - مرّتين- قالت زينب: أنا يا رسول الله، فقال: «**ادعي لي علياً وفاطمة والحسن والحسين**»، قال: فجعل حسناً عن يمينه، وحسيناً عن شماله، وعلياً وفاطمة تجاهه ثم غشّاهم كساء خيبرياً، ثم قال: «**اللهم إنَّ لكل نبي أهلاً، وهؤلاء أهل بيتي**»، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فقالت زينب: يا رسول الله ألا أدخل معكم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مكانك فإنَّك إلى خير إن شاء الله**»[1].

الزهراء عليها السلام مصداق آية (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ)

أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن سلام الخثعمي قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله، قول الله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[2] قال: «**يا سلام، الشجرة محمد، والفرع عليٌّ أمير المؤمنين، والثمر الحسن والحسين! والغصن فاطمة، وشعب ذلك الغصن الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام، والورق شيعتنا ومحبونا أهل البيت، فإذا مات من شيعتنا رجل تناثر من الشجرة ورقة، وإذا ولد لمحبينا مولود اخضر مكان تلك الورقة ورقة**».

فقلت: يا بن رسول الله قول الله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[3] ما يعني؟ قال: «**يعني الأئمة**»[4].

---

(١) بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٣.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٤.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

(٤) شواهد التنزيل ١: ٤٠٦.

وأخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعليٌّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة»**.(١)

وأخرج المجلسي عن الطبرسي في التفسير، عن ابن عباس قال: قال جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله:

«أنت الشجرة، وعليٌّ غصنها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها»(٢).

الزهراء عليها السلام مصداق آية (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى)

أخرج المجلسي عن عمّار بن ياسر في تفسير قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللهِ وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(٣)، قال: فالذكر عليٌّ، والأنثى فاطمة عليهما السلام(٤).

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٣: ١٦٠.

(٢) بحار الأنوار ٢٤: ١٣٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ٣٢.

الزهراء عليها السلام مصداق آية (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)

عن الصادق عليه السلام قال: «سُئل النبي صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿طوبى لهم وحُسن مآب﴾[1] قال: نزلت في علي بن أبي طالب، وطوبى شجرة أصلها في دار علي في الجنة، وليس من الجنة شيء إلا وهو فيها. وعن ابن عباس: وفي دار كل مؤمن منها غصن»[2].

وعن الحاكم الحسكاني بالإسناد عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «سئل النبي صلى الله عليه وآله عن طوبى، فقال: شجرة في الجنة، أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة، ثم سألوه عنها ثانية فقال: شجرة أصلها في دار عليٍّ وفرعها على أهل الجنة، فقيل له في ذلك، فقال: إِنَّ داري ودار عليٍّ غداً واحدة».

وفي تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فأنكرت ذلك عائشة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عائشة، إنِّي لما أُسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلت، فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبّلتها قطّ إِلاّ وجدت رائحة طوبى منها»[3].

وأخرج ابن شهر آشوب عن أُمِّ أيمن، قالت، قال النبي صلى الله عليه وآله: «ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة (عليها السلام)، فجعلها في منزل عليٍّ». قال الحميري:

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٩.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢.

(٣) بحار الأنوار ٨: ١٢٠، عن تفسير القمي.

وكــفــاه بـــأنّ طـوبـى لــه في داره أصلُـهـا بـــدار الخـلـودِ

أيــكــةٌ كــلّ مــنــزل لـسـعـيـدٍ فيه غصنٌ منها برغم الحسودِ

تــتــدلّى عـلـيـه مـنـهـا ثـمـارٌ من جنى لِينة وطلحٍ نضيدِ[1]

الزهراء عليها السلام مصداق آية (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ)

الذكر: رسول الله صلى الله عليه وآله. قال تعالى ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا﴾[2] قال الإمام الرضا عليه السلام: «**الذكر رسول الله، ونحن أهله**»[3]. والذكر: «**القرآن الكريم، قال تعالى**» ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[4]. «**وأهل الذكر هم النبي وأهلُ بيته عليهم السلام، أمرنا الله تعالى بالرجوع إليهم وسؤالهم**».

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[5] قال: هو محمد وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، والله ما سمّي المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأمير المؤمنين[6].

وأخرج الصفار عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، قال: «**نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون**»[7].

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢.

(٢) سورة الطلاق: الآيتان ١٠ و١١ ؛ وانظر تفسير الآية في كمال الدين للصدوق: ص٦٤٠، الباب الرابع والخمسون.

(٣) تحف العقول للحراني: ص٤٣٥.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩.

(٥) سورة النحل: الآية ٤٣؛ وسورة الأنبياء: الآية ٧.

(٦) الطرائف لابن طاووس: ص٩٤.

(٧) بصائر الدرجات: ص٦٠ / ح٩.

وأخرج أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له: إنَّ مَن عندنا يزعمون أنَّ قول الله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم اليهود والنصارى؛ قال: «**إذاً يدعونهم إلى دينهم**»، ثم أشار بيده إلى صدره فقال: «**نحنُ أهل الذكر، ونحن المسؤولون**»[١].

الزهراء عليها السلام مصداق آية (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ)

أَكرم الله تعالى أهل البيت عليهم السلام عن أخذ الصدقة، وجعل لهم - عوضاً منها - سهم ذوي القربى؛ حيث يُقسم الخُمس المذكور في قوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٢] على ستة أقسام: سهم لله تعالى، وسهم للرسول صلى الله عليه وآله، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل. فالذي لله فلرسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله أحق به فهو له، والذي للرسول هو لذوي القربى والحجة في زمانه، فالنصف له خاصة[٣]. وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام (في حديث) أنّه قال: «**نحن والله عنى بذوي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه، ولم يجعل لنا في الصدقة نصيباً، أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس**»[٤].

روى العياشي عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «**لما نزلت ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[٥] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل قد عرفتُ المسكين، فمن ذوي**

(١) بصائر الدرجات: ص٦٠ / ح٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٣) مختلف الشيعة ٣: ٣٢٨.

(٤) الاحتجاج للطبرسي ١: ٣٩٣.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

القربى؟ قال: هم أقاربك؛ فدعى حسناً وحسيناً وفاطمة، فقال: إنَّ ربي أمرني أن أُعطيكم ممّا أفاء عليّ، قال: أعطيتكم فدكاً».(١)

وأخرج المجلسي عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة – عليها السلام – وأعطاها فدكاً(٢).

الزهراء عليها السلام مصداق آية (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)

كان رسول الله صلى الله عليه وآله منصباً لنفسه (أي مُتعباً لها) بعد البشرى له بالجنّة من ربّه، فقال عزّ وجل ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٣) فكان يأمر بها أهله، ويصبر عليها نفسه(٤).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قال الناس: يا رسول الله، كيف نقي أنفسنا وأهلينا؟ قال: «**اعملوا الخير، وذكّروا به أهليكم فأدّبوهم على طاعة الله**». ثم قال أبو عبد الله: «**ألا ترى أنَّ الله يقول لنبيه**» ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، وقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾(٥) و(٦)!

---

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٨٧.

(٢) بحار الأنوار ٢٩: ١١١ / ح٤.

(٣) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٤) الكافي للكليني ٥: ٣٧ / ح١.

(٥) سورة مريم: الآيتان ٥٤ و٥٥.

(٦) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ١: ٨٢.

روى الحاكم الحسكانيّ عن أبي الحمراء خادم النبي (صلى الله عليه وآله): لما نزلت هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1]،كان النبي(صلى الله عليه وآله) يأتي باب علي وفاطمة عند كل صلاة فيقول: «**الصلاة رحمكم الله**»، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[2].

وأخرج الشيخ الصدوق في الأمالي حديثاً في احتجاج الإمام الرضا عليه السلام على المأمون العباسي، جاء فيه قوله عليه السلام:

«**... وأما الثانية عشرة: فقول الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، فخصّنا الله بهذه الخصوصية، أن أمرنا مع الأمَّة بإقامة الصلاة، ثم خصّنا من دون الأمَّة، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجيء إلى باب علي وفاطمة بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة خمس مرات، فيقول: الصلاة رحمكم الله. وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها، وخصنا من دون جميع أهل بيته**»[3].

---

(١) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٢) شواهد التنزيل ١: ٤٩٧ / ح٥٢٦.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٦٢٦، المجلس ٧٩.

الزهراء عليها السلام مصداق آية (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)

نزلت آيات سورة الإنسان المباركة في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين في قصة صيامهم ثلاثة أيام وتصدّقهم بطعام إفطارهم في تلك الأيام الثلاثة على مسكين ويتيم وأسير، آثروهم على أنفسهم وبقوا جياعاً لم يذوقوا إلّا الماء طيلة أيام صيامهم الثلاثة، وقد أوردنا قصة نزول الآيات في ما تقدّم.

قال السيد شرف الدين في تأويل الآيات الظاهرة: روى الخاص والعام أنَّ الآيات في هذه السورة وهي قوله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[1] نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة. وهو المروي عن ابن عباس وغيره.[2]

---

(١) سورة الإنسان: الآيات ٥ – ٢٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٧٤٩؛ بحار الأنوار ٦٦: ٢٧٠.

فاطمة

سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

الفصل
الثالث والعشرون

فاطمة الزهراء عليها السلام
رمز مقاومة الباطل

الزهراء عليها السلام رمز مقاومة الباطل

كيف ننظر إلى تحرك الزهراء فاطمة عليها السلام ومواجهتها المتصاعدة لنظام الحكم القائم بعد السقيفة مع تصاعد مظلوميّتها ومظلومية بعلها أمير المؤمنين عليهما السلام؟! وقبل ذلك نسأل: لماذا تعرّضت السلطةُ لفاطمة عليها السلام وهاجمت بيتها ثم صادرت (فدك) منها ثم حرمتها من سهم ذوي القربى؟! هل كان في حسبان السلطة الحاكمة مدى الخسائر المعنوية التي ستلحق بها في حركتها المتصاعدة تلك؟ وهل كان هناك مبرّر كافٍ لكل هذه الأعمال التي قام بها الخليفة يومذاك؟! ألم يعلم الخليفة ورهطه بمقام الزهراء عليها السلام في نفوس المهاجرين والأنصار؟ ألم يعلموا أنّها سيدة نساء العالمين وحبيبة رسول رب العالمين وروحه التي بين جنبيه؟ ألم يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنها ما يصعب حصرُه من الآيات والأحاديث؛ كنزول آية التطهير في شأنها وشأن أبيها وبعلها وابنيها، وقول النبي صلى الله عليه وآله في حقّها بأنَّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها، وقوله: «فاطمة بضعة منّي، فمن آذاها فقد آذاني...» وكثير لا نريد استقصاؤه في هذه العجالة؟؟

لقد أحسّ أبو بكر (كما نصّ ابن قتيبة في الإمامة والسياسة) أنَّ مجموعة مهمة تخلّفت عن بيعته يوم السقيفة، وأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام على رأس تلك المجموعة، وأدرك أبو بكر أنَّ الأمر لن يستقيم له أبداً طالما بقيت هذه المجموعة بلا بيعة له، بل أدرك أنَّ الوقت ربّما لن يكون في صالحه، خصوصاً أنَّ الذين لم يبايعوا كانوا يدعون إلى تنصيب مَن استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم ونصبه عليهم ولياً، وقوّى

هذا الإدراك معرفةُ أبي بكر أنَّ الزهراء عليها السلام كانت تدور مع بعلها على بيوت المهاجرين والأنصار تدعوهم إلى الوفاء ببيعتهم لأمير المؤمنين عليه السلام!

كان همّ السلطة الشاغل هو توطيد دعائم الحكم الجديد، والقضاء على كل معارضة؛ فما هي هموم الزهراء عليها السلام؟ هل كانت عليها السلام في معارضتها لنظام الحكم القائم تنطلق من منطلقات شخصية تهدف إلى تحقيق مكاسب فردية؟ حاشاها ذلك، فهي الطاهرة المطهّرة التي يرضا الله تعالى لرضاها، وهي الزاهدة في الدنيا المؤثرة على نفسها ولو كان بها خصاصة، بشهادة القرآن الكريم. لقد شاهدت الزهراء عليها السلام بأمِّ عينيها كيف انحرفت الأمَّة عمّا خطط لها الرسول الأكرم بأمر من الله عز وجلّ، ورأت كيف تناست الأمَّة بيعتها لأمير المؤمنين عليه السلام في الأمس القريب، ومدّت أيديها مبايعةً من لا يُقارن بعليٍّ عليه السلام في أي فضيلة من فضائله؛ وعرفت يقيناً أنَّ الأمَّة ستواجه الضلال والغي في اختيارها الخاطىء، وأنّها ستحصد قريباً وبال انتكاستها وانحرافها؛ وكان عليها - وهي بضعة الرسول - أن تقف إلى جانب وصيّ رسول الله: أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام وتناصره في مقارعته للظلم والانحراف اليوم كما وقفت بالأمس إلى جانب أبيها صلى الله عليه وآله فقارعت معه رؤوس الكفر والنفاق.

ماذا يُنتظر من بضعة الرسول أن تفعل حين تشاهد أنَّ (مَن يهدي إلى الحق) قد أُقصي بحركة ماكرة عن موقعه وحقّه في قيادة المسيرة، وأنَّ ﴿مَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾[1] قد أضحى بين عشيّة وضحاها ربّانَ هذه السفينة المنكوبة التي أخبر أبوها صلى الله عليه وآله أنّها ستواجه تيّارات الفتن المتلاطمة بعد حين؟! لقد شاهدت الزهراء عليها السلام بعين البصيرة النتائج التي ستتمخّض عنها السقيفة المشؤومة، وأنذرت

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.

الأمَّة بأنَّها ستحتلب ملء الإناء دماً عبيطاً، وستواجه هرجاً شاملاً. لقد رأت الطاهرةُ المعصومة عليها السلام الانحراف وهو يتعمّق في مسيرة الأمَّة وينخر في جسدها وكيانها، وشاهدت ببصيرتها الخارجيَّ اللعين ابن ملجم وهو ينقضّ بسيفه على رأس خاتم الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام فيحرم الأمَّة من الأمل الحقيقي في تصحيح المسيرة؛ ورأت ابنها الحسن المجتبى يُخذل من قبل الأمَّة ويُغتال بالسم، وشاهدت رأس ابنها الحسين سيد الشهداء عليه السلام يُطاف به على رأس رمح طويل وتُداس جثته الشريفة بحوافر الخيول!!

هل يتوجّب على الزهراء عليها السلام وريثة رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته السكوت والرضوخ والمهادنة؟!

ومن هذا المنطلق نجد الزهراء عليها السلام تتصدى للهجوم على دارها، وتخاطب المهاجمين مذكّرة إيّاهم بلغة التقريع والتوبيخ بأنَّهم تركوا جنازة نبيّهم لم يدفنوها وبادروا إلى سقيفتهم المشؤومة حتى دون أن يستأمروا ولاة الأمر وأحق الناس به بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد كُذّبت الزهراء الطاهرة عليها السلام التي شهدت لها السماء بالطهارة في آية التطهير، كُذّبت في دعواها (في قضية فدك) أمام مرأى من المسلمين ومسمع، ولمّا جاءت بشهود على دعواها إتماماً للحجة على القوم، طعنوا في أمير المؤمنين عليه السلام الذي بايعوه بالأمس القريب وبخبخوا له، طعنوا في شهادة مَن زكّاه ربّ العزّة وشهد بأنّه (نفس الرسول) في آية المباهلة، ومَن قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله «**عليٌّ مع الحق والحق مع عليٍّ**» وقالوا بأنَّه يجرّ النار إلى قرصه، وطعنوا في شهادة الحسنين عليهما السلام مع أنَّ جدهما صلى الله عليه وآله سمّاهما بـ«**سيدي شباب أهل الجنّة**»، وطعنوا في شهادة

أمِّ أيمن مع أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله شهد لها بالجنّة. ولو كان القوم يعترفون للزهراء بأدنى مقام وحُرمة لما هاجموا دارها قبل ذلك وأحرقوها؛ ولو كانوا لم يُنكروا حقّانية أمير المؤمنين عليه السلام لّما هاجموا داره وأخرجوه ملبباً بحمائل سيفه واقتادوه إلى المسجد وهددوه بالقتل إن لم يبايع!

ولقد فعلت الزهراء عليها السلام في حركتها ما كان سيفعله رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان حياً وحاضراً، ولا عجب ولا جدال في ذلك، لأنَّها بضعة منه، ولأنَّ فعلها فعله كما بيّن صلى الله عليه وآله في قضية أبي لبابة المشهورة. وعلينا أن نعرف أنَّ الزهراء عليها السلام أكملت الحجّة على كل مسلم حين تحركت وقاومت واستنكرت، وأنَّه لا عذر لأحد يوم القيامة لم يوالِ فاطمة الزهراء عليها السلام ويبرأ ممن تبرأت منه.

انظر الدقّة في التحرك! لقد تحرّكت الزهراء عليها السلام في مسيرة جهادية رائعة، فقد تصدّت للهجوم على دارها وحافظت على الوجود المقدس لإمام زمانها أمير المؤمنين عليه السلام من جهة، وفضحت همجية السلطة وعدم اعترافها بأي حرمة لرسول الله وأهل بيته من جهة ثانية؛ ثم خرجت خلف أمير المؤمنين عليه السلام ومنعت القوم بحركتها من قتله أو إجباره على البيعة، ثم إنَّها خرجت إلى المسجد فخطبت خطبتها المشهورة وفضحت زيف السلطة الحاكمة وعدم شرعيّتها لتولي منصب خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله بالقهر والقوّة، وشرحت للحاضرين من المهاجرين والأنصار عظم الخطيئة التي ارتكبوها عندما بايعوا (ولو في غفلة منهم) أُناساً لا يقاسون بخليفة رسول الله الحقيقي: أمير المؤمنين عليه السلام في الجهاد والإيمان والعلم والعمل والحلم والقُرب من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وحذرتهم أنَّهم سيجنون وشيكاً عاقبة خطيئتهم، وأنَّ الأجيال المقبلة ستجني ثمار الحنظل الذي زرعه لهم أسلافهم.

ثم تابعت الزهراء عليها السلام حركتها فدارت مع بعلها على بيوت المهاجرين والأنصار في حركة تصحيحية للانحراف، عسى أن تتمكّن من إنقاذ الأمَّة من الهاوية التي أشرفت على السقوط والتردي فيها، لكنَّها جوبهت بأعذار باردة، مثل قولهم: (قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به)؛ فلمّا شاهدت الانحراف مستحكماً في النفوس، قاطعت القوم وكرهتهم وبيّنت لنسائهم - لما قدمن لعيادتها - بأنَّ أزواجهن باعوا آخرتهم بدنياهم، وأنَّهم أخطأوا حظّهم وضيّعوا إيمانهم.

لم تتوقّف الزهراء المجاهدة عليها السلام عن جهادها، بل سلبت عليها السلام كلّ غطاء شرعي من السلطة الحاكمة قد تحاول التستّر به مستقبلاً، فاعتزلت القوم وهجرتهم وجلست في بيتها غاضبة، فأراد الرجلان تلطيف الأمر والتظاهر بأنّهما استرضياها، فاستأذنا من أمير المؤمنين عليه السلام في عيادتها وألحّا عليه في ذلك، فأخبرها أمير المؤمنين بالأمر، فقالت «**البيت بيتُك، والحرّة أمَتك**»، فلما دخلا عليها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها فلم تردّ عليهما السلام، فحاولا الاعتذار منها، لكنَّها بادرت إلى سؤالهما في حركة ذكية قطعتْ بها عليهما سبيل الاعتذار. سألتهما عمّا إذا كانا قد سمعا أباها رسول الله صلى الله عليه وآله يقول «**فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني**»؟ فلمّا أذعنا بأنَّهما سمعا ذلك من رسول الله، ردّت الزهراء عليها السلام في حزم: «**فإنّي أُشهد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيتُ النبي لأشكونّكما إليه**». وبهذا الموقف حسمت الزهراء عليها السلام الموقف تماماً، فقد أظهرت للجميع عدم شرعية السلطة الحاكمة، وقد تناقل القوم موضوع مقاطعة الزهراء عليها السلام للشيخين، حتى أنَّ البخاري نقله في صحيحه.

ولم تقف الزهراء عليها السلام عند هذا الحدّ، فقد أوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن لا يحضر جنازتها أحد من القوم الذين ظلموها (ومن ضمنهم أولئك الذين خذلوها ولم ينصروها)، وأوصته أن يشيع جنازتها ليلاً ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها. وبهذه الحركة أوصدت الزهراء عليها السلام الباب إلى الأبد في وجه ظالميها (وفي طليعتهم الخليفة) وأفشلت أي مخطط محتمل لهم، سواء في استغلال تشييع جنازتها أو الصلاة عليها أو البكاء عليها أو زيارة قبرها للتظاهر بأنَّهم كانوا على وفاق معها. وبقيت الحقيقة الناصعة التي لا مراء فيها ساطعة كالشمس في رابعة النهار: أنَّ الزهراء عليها السلام خاطبت الرجلين بأنَّها ستشكوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّها قالت بأنَّها ستدعو عليهما في كل صلاة تصلّيها، وأنَّها ماتت وهي غاضبة وواجدة عليهما! ويصبح من أوضح الواضحات استنتاج أنَّ الله تعالى غاضب على من غضبتْ عليه الزهراء، وأنَّ من غضب الله عليه فقد هوى!!

وتبقى الزهراء عليها السلام رمزاً في مقاومة الباطل والتصدّي للانحراف، وتبقى مَعلَماً شاخصاً يهتدي بنهجه دعاةُ الحق وأنصارُ الهدى؛ ويبقى قبرُها المجهول صرخة مدويّة في وجه الظلم والطغيان، ومناراً للثائرين على صروح الغيّ والشقاق والعصيان.

الزهراء عليها السلام تتصدى للهجوم الظالم على بيتها

لم تختبىء الزهراء عليها السلام حين أتى القوم لاقتحام دارها مهدّدين بإحراقها على من فيها إن لم يخرج إليهم أميرُ المؤمنين ومن معه ليبايعوا بالإجبار، ولم تهلع حين سمعت بالحطب يكدس على باب بيتها، بل وقفتْ وخاطبت المهاجمين بأنَّها لا تعهد قوماً أسوأ منهم محضراً، فقد تركوا جنازة الرسول الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور مسجّاة

وبادروا إلى السقيفة المشؤومة ليغصبوا حقّ أهل البيت عليهم السلام، وهاهم يهجمون على دار بضعة الرسول وحبيبته أعنف هجوم وأشدّه وحشيّة صارخين: (لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها)!!

ولمّا عاد القوم مصرّين على اقتحام الدار، صاحتْ ريحانةُ رسول الله بأعلى صوتها شاكية إلى أبيها «**يا أبة يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة!**»، فانصرف بعض القوم، لكنّ البعض الآخر أصرّوا واستكبروا استكباراً، وكان منهم ما ينصدع لذِكره الصخرُ الأصمّ!

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: إنَّ أبا بكر تفقد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفسُ عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها! فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة، فقال: وإنْ! فخرجوا وبايعوا إلّا علياً، فإنَّه زعم أنَّه قال: حلفتُ أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن؛ فوقفت فاطمة -عليها السلام- على بابها فقالت: «**لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقاً**»! فأتى عمر إلى أبي بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادعُ لي علياً! قال: فذهب إلى علي، فقال له: «**ما حاجتك**»؟ فقال: يدعوك خليفةُ رسول الله، فقال علي: «**لسريع ما كذبتم على رسول الله**»! فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة! فقال أبو بكر لقنفذ: عُد إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدّى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: «**سبحان الله، لقد ادّعى ما ليس له**»! فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة،

فبكى أبوبكر طويلاً، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقّوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «**يا أبة يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة**»! فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: «**إن أنا لم أفعل فمه**»؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك، فقال: «**إذاً تقتلون عبدَ الله وأخا رسوله**»، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: «**لا أُكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه**». فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبكي وينادي: «**يا بن أُمّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**»- الحديث[1].

وينقل البلاذري أنَّ الزهراء عليها السلام استفهمت مستنكرة ممّن جاء النار ليحرق الباب التي كان جبرئيل الأمين يقف أمامها خاضعاً مستأذناً «**يا بن الخطاب، أتراك محرقاً عليّ بابي؟**»، وجاء الردّ صريحاً قوياً لا مجال فيه للبس ولا تأويل (نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوكِ)!! حتّى أنّه استكثر على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدعوه بالرسالة كما أمر اللهُ تعالى في قرآنه!! ولقد فعلها بالأمس القريب حين قال عنه صلى الله عليه وآله (إنّ الرجل ليهجر!)، لكأنّ القرآن على غيرهم نزل وسواهم خاطب، حين قال ﴿**لَا تَجْعَلُوا** دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[2]!

وروى البلاذري عن سليمان التيمي وعبد الله بن عون أنّهما قالا: إنّ أبا بكر أرسل إلى عليٍّ عليه السلام يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة عليها

(١) الإمامة السياسة ١: ١٩.

(٢) سورة النور: الآية ٦٣.

السلام على الباب. فقالت فاطمة عليها السلام: «**يا بن الخطاب، أتراك محرقاً عليَّ بابي**»؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك[1].

لماذا خرجت الزهراء عليها السلام خلف الباب

لماذا خرجت الزهراء عليها السلام خلف الباب مع وجود أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام في البيت؟

قد يتساءل البعض هذا التساؤل وتخفى عليه الحكمة في خروج الزهراء عليها السلام، وقد يجعل البعض الآخر من هذا التساؤل الاستنكاري أساساً للطعن في مدى صحة الأخبار التي نقلت مظلومية الزهراء فاطمة عليها السلام على أيدي المهاجمين الذين اقتحموا بيتها وروّعوها ولم يرعوا حرمتها، ثم خرجوا يقتادون زوجها أمير المؤمنين عليه السلام ملبباً بحمائل سيفه لإجباره على البيعة لأبي بكر.

وسنتعرض للإجابة عن هذا التساؤل على ثلاثة مستويات:

الأول: إنَّ فاطمة عليها السلام معصومة قطعاً، نصّت على ذلك آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقد اتفق علماء الفريقين على أنَّ فاطمة عليها السلام من أبرز مصاديق هذه الآية الكريمة، ومع أنَّهم اختلفوا بعض الاختلاف في المصاديق الأُخرى، لكنَّ أحداً لم يشكّك في أنَّ الزهراء فاطمة عليها السلام من أبرز مصاديق المخاطَبين بهذه الآية؛ كما وردت أحاديث كثيرة بلغت حدّ التواتر أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال «**فاطمة بضعة منّي**»، وأنَّه صلى الله عليه وآله قال: «**إنّ الله يرضى لرضا فاطمة، ويغضب لغضبها**».

(١) أنساب الأشراف ٢: ٢٦٨، دار الفكر بيروت.

أما قوله صلى الله عليه وآله «**فاطمة بضعة مني**»، فقد رواه البخاري في موضعين من كتابه، ورواه مسلم النيسابوري في كتابيهما الموسومين بالصحيحين(١).

وقد ذهب كثير من العلماء المحققين - ومنهم التقي السبكي والجلال السيوطي والبدر الزركشي والتقي المقريزي والبلقيني والسهيلي - إلى أنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أفضل نساء الدنيا حتى مريم ابنة عمران، لأنَّها بضعة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ولن يعدل ببضعة رسول الله أحداً، وذهب الآلوسي في تفسيره إلى أنَّ فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات، من حيث إنَّها بضعة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم.

وأما قول النبي صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة، ويغضب لغضبها**»؛ فقد روى الحافظ الطبراني في المعجم الكبير، والشيباني في الآحاد والمثاني بإسناده عن عليٍّ، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لفاطمة: ثم إنَّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**»(٢).

ومَن أذهب الله تعالى عنها الرجس وطهّرها تطهيراً، ومَن يرضى الله تعالى لرضاها ويغضب لغضبها لا بد أن تكون معصومة قطعاً؛ ولذلك عبّر عنها أشرف الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله بأنَّها بضعة منه، وقال عنها أكابر علماء الفريقين بأنَّها أفضل نساء العالمين حتى مريم بنت عمران.

ومَن كان معصوماً كان فِعلُه حُجةً، ومن كان فعله حجة لا يُسأل لِمَ فعل كذا؟ بل

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٠١، و٢١٩. رواه بإسناده عن المسور بن مخرمة، أنَّ رسول الله صلى الله عليه [وآله]وسلم قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني». وصحيح مسلم ٧: ١٤١، رواه بإسناده عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله]وسلم: إنَّما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها.

(٢) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠١ / ح١٠٠١ الآحاد والمثاني ٥: ٣٦٣ / ح٢٩٥٩.

يستدلّ بفعله على أنَّ الصواب هو عين ما فعله، لأنَّ قول المعصوم وفعله وتقريره حجة. شأن الزهراء عليها السلام في ذلك شأن بعلها أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يُسأل لم سمح لزوجته أن تخرج لمخاطبة القوم مع أنَّه عليه السلام كان حاضراً في الدار؛ حيث جعل رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ميزاناً للحق، فقال صلى الله عليه وآله «**اللهمّ أدر الحق معه حيث دار**»؛ وشأن الزهراء عليها السلام شأن ولدها الحسين عليه السلام الذي خرج وأخرج معه عياله، فلما سئل عن خروجه قال: «**شاء الله أن يراني قتيلاً**»، ولما سئل عن إخراجه عياله معه، قال: «**شاء الله أن يراهنّ سبايا**». يقصد عليه السلام أنَّ هدف حفظ الدين لا يتحقق إلَّا باستشهاده عليه السلام وسبي عياله؛ ثم يقول عليه السلام: «**رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين**». ولقد شاء الله تعالى لنبيّه يحيى أن يُقتل ويُهدى رأسه لبغي كمن بغايا بني إسرائيل؛ بينما اقتضت مشيئته عز وجل أن ينجي نبيه عيسى من أيدي اليهود الذين أرادوا قتله، ورفعه إليه لينزل في آخر الزمان مع المهدي المنتظر عليه السلام.

لقد ذكرنا قول الإمام الحسين عليه السلام «**رضا الله رضانا أهل البيت**»، وإنَّ أهل البيت عليهم السلام راضون بما يرضى به الله تعالى لهم، وهذا هو شأن أولياء الله وأحبائه. ألم تصبر مريم عليها السلام وتفوّض أمرها إلى الله عز وجل حين اقتضت مشيئته أن تحمل بعيسى دون أن يمسّها بشر، ليكون وليدها آية للناس؟! ألم ينقل لنا القرآن الكريم أنَّها خرجت بحملها وانتبذت به مكاناً شرقياً بعيداً عن قومها، فلما وضعته ونظرت إليه قالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾[1]!

ألم ينقل لنا القرآن الكريم أنَّها واجهت سخرية قومها وطعنهم في شرفها وتقريعهم

(١) سورة مريم:الآية ٢٣.

لها بوليدها الذي أنكروه، فقالوا لها ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾(١)! لقد صبرت مريم عليها السلام أمام إرادة الرب الحكيم حين تعلّقت مشيئته بأن تواجه ما واجهت، على الرغم من معاناتها وتحمّلها الأذى؛ وصبرت آسية بنت مزاحم حين تعلقت المشيئة الإلهية أن تعيش - وهي المؤمنة - في بيت فرعون الذي ادعى الربوبية ونازع الله تعالى رداء كبريائه، فلما علم فرعون بإيمان زوجته عذبها وأوتدها في الشمس الحارقة، فلم يزدها العذاب إلّا إصراراً على إيمانها، حتى قالت ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾(٢). وصبرت الزهراء عليها السلام حين اقتضت مشيئة الرب الحكيم أن تتصدّى لمن غصبوا حق زوجها وأقصوه عن موقعه الطبيعي في قيادة الأمّة حسب وصية النبي صلى الله عليه وآله، وحين توجّب عليها تعرية الحكم القائم من الغطاء الشرعي الذي حاول التستر به، وبيان أحقية عليٍّ عليه السلام للخلافة باعتباره وصي رسول الله صلى الله عليه وآله.

المستوى الثاني: إنَّنا عرفنا أنَّ الزهراء المعصومة عليها السلام التي يرضى الله تعالى لرضاها ويغضب لغضبها لا تفعل برضاها شيئاً إلّا كان لله تعالى فيه رضا. وعرفنا كذلك أنَّ الزهراء عليها السلام أعرف من غيرها، بل هي التي علّمت الصحابة أنَّ المرأة أدنى ما تكون من ربها حين تكون في قعر دارها لا ترى رجلاً ولا يراها رجل؛ وعرفنا أنَّها عليها السلام احتجبت من الأعمى الذي دخل عليها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا بد - والحال هذه - أن يكون هناك حكمة مهمة وغاية جليلة من خروج الزهراء فاطمة عليها السلام خلف الباب ومخاطبتها القوم. وعلينا أن نتساءل عن تلك الحكمة

(١) سورة مريم: الآية ٢٨.

(٢) سورة التحريم:الآية ١١.

والغاية التي دفعت الزهراء عليها السلام للتخلي عن هذه القاعدة والتصدي لمواجهة القوم الذين قصدوا دارها لإجبار زوجها على البيعة، بحيث إنَّها – وهي التي يرضى الله تعالى لرضاها – رضيت أن تتعرض لما تعرضت له من تعدٍّ وعدوان وإحراق للباب وإسقاط للجنين... وصفته بأنَّ من المصائب التي لو صبّت على الأيام المشرقة المشمسة لغدت مظلمة تحاكي في ظلمتها الليل البهيم!!!

المستوى الثالث: إنَّ خروج الزهراء عليها السلام والمظلومية التي أصابتها قد رسّخت مظلومية أمير المؤمنين عليه السلام وحقّانية حركته إلى أبد الدهر، فلقد جسّد تحرك الزهراء عليها السلام صرخة مدوية في وجه الحكم الجائر، وأزاح الستار عن الغطاء الشرعي الذي حاول التستر به من خلال التسمّي باسم خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، مع أنَّهم يُجمعون أنَّ رسول الله مات ولم يستخلف!!

لقد نقل الفريقان بما لا مزيد بعده عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال «**من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية**»؛ ونقلوا في الصحيحين وسواهما من الصحاح والمسانيد الحديثية المعتبرة أنَّ فاطمة عليها السلام ماتت وهي واجدة عليهما (أي على الشيخين)؛ فهل يقول أحد من القوم إنَّ الصادقة المطهرة التي شهد لها الله تعالى بالتطهير من الرجس، وشهد لها حتى خصومها بأنَّه لم يكن أصدق منها إلَّا الذي ولدها هل يقولون بأنَّها ادّعت ما ليس لها فيه حقّ، وأنَّها غضبت من دون حق (مع أنَّ الله تعالى يغضب لغضبها) فهجرت أبا بكر وماتت وهي غاضبة عليه وعلى صاحبه، ولذلك فإنَّها (على تقدير أنَّ أبا بكر كان إمام زمانها) ماتت ميتة جاهلية؟!

إنَّ الناس قد يغفلون أو يتغافلون أو يتغافل عليهم، ومثال ذلك أنَّ جيش معاوية كانوا يقاتلون أمير المؤمنين علياً عليه السلام الذي وردت في حقه مئات من الأحاديث

النبوية تصفه بأنَّه مع الحق والحق معه، وأنَّه مع القرآن والقرآن معه وأنَّه من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى، وأنَّه أَولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أولى منهم بأنفسهم وسوى ذلك من الفضائل؛ ومع ذلك فإنَّهم لم يلتفتوا إلى حقّانية أمير المؤمنين عليه السلام وضلال خصمه معاوية إلَّا حين استشهد عمار بن ياسر على أيديهم، فضجوا وحدثت بينهم هزة كبيرة، وقال بعضهم لبعض: لقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حق عمار «**تقتله الفئة الباغية**»، فنحن إذاً الباغون! ولولا أنَّ معاوية تدارك الموقف وسخر من عقولهم لارتدّ منهم طائفة كبيرة؛ فقد قال لهم معاوية بأنَّ علياً عليه السلام هو الذي قتل عماراً لأنَّه ألقاه أمام سيوفهم التي من شأنها القطع، فالذي قتل عماراً هو علي!!

لقد واجهت الزهراء عليها السلام القوم الذين توجهوا إلى بيتها لإجبار زوجها على البيعة التي يعترف من بادر إليها بأنَّها كانت فلتة، ثم يؤكد على المسلمين بقتل من يعود لمثلها! واجهت الزهراء عليها السلام القوم من وراء الباب و(نادت بأعلى صوتها: «**يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة**»؟!

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تتفطر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع. فقال: «**إن أنا لم أفعل فمه**»؟

قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلَّا هو نضرب عنقك. قال: «**إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله**»، قال عمر: أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟

فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبكي وينادي: «**يا بن أمّ، إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**».[١]

وأورد البلاذري في أنساب الأشراف، عن المدائني عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي وأبي عون، بأنَّ أبا بكر أرسل إلى عليٍّ يريد البيعة، فلم يبايع فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقته فاطمة على الباب فقالت فاطمة: «**يا بن الخطاب أتراك محرقاً عليَّ بابي**»؟ قال: نعم، وذلك أقوى في ما جاء به أبوك، وجاء علي فبايع... الخبر[٢].

وأورد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قصة ذهاب أبي بكر وعمر إلى دار فاطمة عليها السلام بعد أن كلّما أمير المؤمنين علياً عليه السلام في ذلك فأدخلهما عليها... (حتى يصل إلى قوله): فقالت: «**أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه [وآله]وسلم تعرفانه وتفعلان به**»؟ قالا: نعم. فقالت: «**نشدتكما الله! ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومَن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني**»؟! قالا: نعم؛ سمعناه من رسول الله صلى الله عليه [وآله]وسلم. قالت: «**فإنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه**»[٣].

لقد أكدت الزهراء فاطمة عليها السلام أنّها ساخطة على الرجلين، وأنَّ من أسخطها فقد أسخط رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ من أسخط رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أسخط الله تعالى بنص القرآن الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٢ – ١٤.

(٢) أنساب الأشراف ١: ٥٨٦.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١٩ – ٢٠.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[1].

(أفدنا في هذه الملاحظات من محاضرة لسماحة الشيخ محمد السند في هذا الخصوص)

الزهراء عليها السلام تفضح عدم شرعية السلطة الحاكمة

لم تخفَ الحكمةُ في مطالبة الزهراء عليها السلام بفدك على مَن أُوتي البصيرة، فقد فهم منها الكثيرون أنّها (مشروع تحرّك سلميّ لإسقاط السلطة الحاكمة وفضح عدم شرعيّتها)، وماذا ستفعل الزهراء وزجها بفدك وأمثال فدك، وهما اللذان أنفقا كلّ ما عندهما على الفقراء واليتامى؟! يقول أميرُ المؤمنين عليه السلام لمّا سُئل عن فدك «**وما أصنعُ بفدك وغير فدك، والنفس مظانّها في غدٍ جَدَث؟!**»[2].

قال ابن أبي الحديد: سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم. قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدكاً وهي عنده صادقة؟!

فتبسّم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته؛ قال: لو أعطاها اليوم فدكاً بمجرد دعواها، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار بشيءٍ، لأنّه يكون قد سجّل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعي[3].

وقال ابن أبي الحديد: وقال لي علوي في الحلة يعرف بعلي بن مهنأ ذكي ذو فضائل: ما تظن قَصْد أبي بكر وعمر بمنع فاطمة فدكاً؟ قلت: ما قصدا؟ قال:

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ٤٧٤.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٨٤.

أرادا ألا يظهرا لعلي - وقد اغتصباه الخلافة - رقّة وليناً وخذلاناً ولا يرى عندهما خوراً، فأتبعا القرح بالقرح[1].

الزهراء عليها السلام تخرج خلف بعلها المُقاد إلى المسجد

لم تترك الزهراء عليها السلام - وهي في تلك الحال المؤلمة - زوجها أمير المؤمنين عليه السلام وحيداً، فقد لحقت به حين أُخرج ملبّباً، وهدّدت أبا بكر أنّها - إن لم يكفّوا عن عليٍّ - ستنشر شعرَها وتأتي قبر أبيها فتصيح إلى ربّها بظلامتها! لقد هدّدت التي يرضى اللهُ لرضاها ويغضب لغضبها القومَ إن لم يتركوا أمير المؤمنين وشأنه، فقد كانت تعلم يقيناً أنَّ حياة حجّة الله في أرضه كانت مهدّدة يومذاك، وكانت تعلم يقيناً أنَّ الأرض لا تبقى لحظة دون حجّة وإلَّا خُسف بها. ولذلك تدخّلت من أجل حماية أمير المؤمنين من جهة، ورحمة بالمجتمع الإسلامي، بل بالمجتمع البشري.

نقل العياشي في تفسيره عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه، عن جده قصة الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، إلى أن وصل إلى قوله:

ثم دخلوا فأخرجوا علياً عليه السلام ملبباً، فخرجت فاطمة عليها السلام فقالت: **«يا أبا بكر أتريد أن ترملني من زوجي؟ والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعري، ولأشقنّ جيبي، ولآتينّ قبر أبي، ولأصيحنّ إلى ربي»**! فأخذت بيد الحسن والحسين (عليهما السلام) وخرجت تريد قبر النبي صلى الله عليه وآله. فقال عليٌّ عليه السلام لسلمان: **«أدرك ابنة محمد، فإنّي أرى جنبتي المدينة تكفئان. والله إن نشرت شعرها وشقت جيبها وأتت قبر أبيها وصاحت إلى ربها، لا يناظر بالمدينة أن يُخسف بها [وبمن فيها]»**! فأدركها

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٣٦.

سلمان رضي الله عنه فقال: يا بنت محمد إنَّ الله إنَّما بعث أباك رحمة، فارجعي! فقالت: يا سلمان يريدون قتل علي، ما علي صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي فأنشر شعري، وأشق جيبي، وأصيح إلى ربي، فقال سلمان: إنِّي أخاف أن يُخسف بالمدينة، وعلي بعثني إليك يأمرك أن ترجعي له إلى بيتك وتنصرفي، فقالت: «**إذاً أرجع وأصبر وأسمع له وأُطيع**» - الحديث(١).

فضح التخلّف العلمي والأخلاقي للسلطة القائمة

جاء في القرآن الكريم بأجلى بيان أنَّ حجر أزواج النبي مِلك لرسول الله صلى الله عليه وآله، وصرّح عنها القرآن بأنَّها (بيوت النبي)، وجاءت السلطة الحاكمة بعد رسول الله فزعمت أنَّ النبي قال بأنَّه لا يورث، ثم حضرت الأوّل الوفاة فأرسل إلى عائشة يستأذنها أن يُدفن في (حجرتها)، فأذنت له، ثم أرسل الثاني يستأذن كصاحبه فأذنت له!! يقول ابن أبي الحديد في غرف أزواج النبي: (والقول عندي مشتبه في أمر حجر الأزواج، هل كانت على ملك رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفّي، أم ملكها نساؤه؟ والذي تنطق به التواريخ أنَّه لما خرج من قباء ودخل المدينة وسكن منزل أبي أيوب اختطّ المسجد واختط حُجر نسائه وبناته، وهذا يدل على أنَّه كان المالك للمواضع، وأما خروجها عن مِلكه إلى الأزواج والبنات فممّا لم أقف عليه)(٢).

أقول: لقد اشتبه الأمرُ على ابن أبي الحديد كما يقول، ولو أنَّه أنكر علمه بأنَّها صارت في ملك الأزواج والبنات؛ ولو أنَّ ابن أبي الحديد نظر في كتاب الله تعالى، لوجده يقول ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾(٣)، فقد عبرّ عن البيوت بأنهَّا بيوت النبي

(١) تفسير العياشي ٢: ٦٧؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٢٨: ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٧: ٢١٧.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

صلى الله عليه وآله وليس بيوت أزواجه.

أخرج ابن أبي الحديد عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: «**أنت ورثتَ رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله**»؟ قال: بل أهله، قالت: «**فما بال سهم رسول الله صلى الله عليه وآله**»؟ قال: إنِّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنَّ الله إذا أطعم نبيه طعمة ثم قبضه، جعله للذي يقوم بعده**» فوليت أنا بعده، على أن أردّه على المسلمين؛ قالت: «**أنت وما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم**»!

ثم قال ابن أبي الحديد: قلت: في هذا الحديث عجب، لأنَّها قالت له: «**أنت ورثتَ رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله**»؟ قال: بل أهلُه، وهذا تصريح بأنَّه صلى الله عليه وآله موروث يرثه أهله، وهو خلاف قوله: «**لا نورث**»[1].

وأخرج ابن أبي الحديد عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، أنَّ فاطمة طلبت فدكاً من أبي بكر، فقال: إنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنَّ النبي لا يورث**»، مَن كان النبي يعوله فأنا أعوله، ومن كان النبي صلى الله عليه وآله ينفق عليه فأنا أُنفق عليه. فقالت: «**يا أبا بكر، أيرثك بناتُك ولا يرث رسولَ الله صلى الله عليه وآله بناتُه**»؟ فقال: هو ذاك[2].

وأخرج الشيخ الطوسي في أماليه حديثاً عن كتاب لأبي غانم الأعرج، عن عائشة بنت طلحة، أنَّها دخلت على فاطمة عليها السلام فرأتها باكية، فقالت لها: بأبي أنت وأمِّي ما الذي يبكيك؟ فقالت لها: «**أسائلتي عن هنة حلق بها الطائر، وحفي بها السائر، ورفعت إلى السماء أثراً، ورزئت في الأرض خبراً: إنَّ قحيف تيم وأحيول عدي جاريا أبا الحسن**

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٩.

في السباق، حتى إذا تفريا بالخناق أسرّا له الشنآن، وطوياه الإعلان، فلما خبا نور الدين وقُبض النبي الأمين نطقا بفورهما، ونفثا بسورهما، وأدلا بفدك، فياهاكم من ملك ملك، إنَّها عطية الرب الأعلى للنجي الأوفى، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي، وإنَّها لبعلم الله وشهادة أمينه، فإن انتزعا مني البلغة ومنعاني اللمظة، فأحتسبها يوم الحشر زُلفة، وليجدنّها آكلوها ساعرة حميم في لظى جحيم»(١).

تأليب الناس ضدّ السلطة الحاكمة

لم تترك الزهراء فاطمة أميرَ المؤمنين عليهما السلام في جهاده وحيداً، فقد ساندته ووقفت إلى جانبه، حتى أنَّها ضحّت بحياتها الشريفة دفاعاً عن الإمامة. وكانت تدور مع أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً حين تهدأ عيون السلطة وينقطع السابلة عن الطريق، مراعاة للحجاب والستر، ورعاية للتقيّة، وكانت الزهراء تسأل الأنصار أن ينصروا أمير المؤمنين، وكانت الإجابات والاعتذارات باردة، والتبريرات سمجة غير مقنعة، فقد اعتذروا بأنَّهم سبق أن بايعوا أبا بكر، متناسين ومتغافلين عن أنَّهم بايعوا أمير المؤمنين بالأمس القريب في واقعة الغدير المشهورة. وكانت الزهراء عليها السلام تعلّق على اعتذارات الأنصار بأنَّهم صنعوا ما سيسألهم اللهُ تعالى عنه ويُحاسبهم عليه!

قال ابن قتيبة: وخرج علي – عليه السلام – يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنَّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي –عليه السلام–: «**أفكنتُ أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه،**

---

(١) بحار الأنوار – ٢٩: ١٨٢ – ١٩٠.

وأخرج أُنازع الناس سلطانه»؟! فقالت فاطمة: «ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»(١).

بكاء الزهراء عليها السلام وفضح خطة ماكرة

لقد بكت الحوراء الإنسية عليها السلام وذرفت الدموع سخاناً في مصابها بأبيها صلى الله عليه وآله، وكان طعامها الزفرة والأنين والحسرة والحنين؛ فهل دفعها في ذلك كله مصابها الجلل بمفارقة حبيب الله وخيرته من خلقه فحسب، أم زاد في أساها وحسرتها وأنينها إقصاء بعلها عن حقه الطبيعي كوصيّ لرسول الله صلى الله عليه وآله، إذ كان منه بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؟ أم زاد شجوها وألمها أمر آخر لم يفطن إليه سواها وسوى بعلها وابنيها دون عامة الناس؟! لقد شاهدت أمُّ أبيها عليها السلام بأمِّ عينيها حركات مريبة من بعض الصحابة تنبىء عن خطة ماكرة تستهدف سلب القدسية عن مقام النبوة الشامخ لأبيها صلوات الله عليه وآله، من أجل صرف الناس عن محبّته ومتابعته؛ فقد رأت رأي العين أحدهم يشكك بأبيها - وهو في ساعاته الأخيرة - فيحول بينه وبين كتابة عهده للأمَّة التي أراد لها أن لا تختلف ولا تضلّ بعد وفاته إلى يوم القيامة، ثم يتّهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأقسى ما يمكن أن يتّهم به أبناء عاقّون أباهم المشفق الرحيم الذي يريد لهم خير الدنيا والآخرة، قال: (إنَّ الرجل ليهجر)!! حتى أنَّه لم يُسمّه برسول الله، ولا بالنبي!! ورأت الزهراء عليها السلام أبيها صلى الله عليه وآله لمّا حيل بينه وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، يقول: قوموا من عندي!! ثم يرحل الرسول الأكرم عن دار الدنيا و الألم يعتصر قلبه المبارك على أمَّته التي ستواجه بعده الفتن المقبلة كقطع الليل المظلم.

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٩.

ثم رأت الزهراء عليها السلام - وهي في أوج المصاب بأبيها - أحدهم يقوم بعد صاحبه ليقول قولاً عجيباً: (من كان يعبد محمداً - هكذا بلا تعظيم ولا احترام- فإنَّ محمداً قد مات)!! فما الذي يعنيه ذلك؟! أكان أحد من الصحابة يعبد رسول الله صلى الله عليه وآله، ليقوم هذا القائل فينهاه ويقول له أن يكفّ عن هذه العبادة غير المرضيّة، لأنَّ مَن كان يُعبد - من دون الله - قد مات!! يقول «**ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت**»!!

إنَّ محبّة رسول الله صلى الله عليه وآله والتعلّق به (التي تستتبع اتباعه والسير على نهجه واقتفاء سنّته) كانت في نظر هؤلاء البعض بمثابة عبادة له صلى الله عليه وآله؛ ولذلك سعى هؤلاء إلى الحد من هذه المحبة والاحترام والتقديس من خلال التقليل من شأن الرسول الأكرم الذي شهد له جبار السماوات والأرض أنَّه ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]؛ فاتهّموه بأنَّه يهجر، شأنه في ذلك شأن البشر العادي الذي يعرض له المرض فيهذي ويقول ما لا يعي!! ثم زادوا على ذلك فعدّوا تقديس النبي والتعلّق به عبادة له صلى الله عليه وآله. وقالوا بأنَّه إذا كان ثمة أحد يعبد هذا الرجل، فها هو أمامكم قد مات وانتفى الداعي لعبادته.

كان على أمِّ أبيها عليها السلام - في مقابل هذه الخطة الماكرة - أن تلفت الأمَّة إلى عظم مقام النبوّة وإلى فداحة الخسارة التي مني بها المسلمون بفقدانهم خاتم الأنبياء والرسل صلى الله عليه وآله، الذي منّ الله عليهم به فبعثه منقذاً لهم من الجهالة والضلالة، وقائداً إلى البركة والرضوان. كان بكاء الصدّيقة عليها السلام المتواصل وأنينها الذي لا يفتر يستلفت أنظار الصحابة إلى عظم الفاجعة التي ألّمت - ليس بالزهراء عليها السلام فحسب - بل بالمجتمع الإسلامي كله، وكان بكاؤها وأنينها - وهي بضعة الرسول التي

(١) سورة النجم:الآيتان ٣ و٤.

عدّ صلى الله عليه وآله فعلها فعله - معبّراً عن مزيد المحبّة والتعلّق لشخص الرسول صلى الله عليه وآله، وهي سنّة شرعتها الزهراء عليها السلام للأجيال وأبطلت بها كيد أصحاب السقيفة ومكرهم.

(أفدنا في هذا العنوان من محاضرة لسماحة الشيخ محمد السند)

الحسنان عليهما السلام على خط أمِّهما المقاوم

شهد الإمامُ الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ أنّه تربّى في حِجر الزهراء الطيّب الطاهر، وأنَّ ذلك الحجر يأبى له الذلّة أو أن يؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. ونرى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يأتي إلى أبي بكر وهو يتكلّم على منبر رسول الله فيأمره بالنزول عن منبر أبيه رسول الله، وتذكر رواية أُخرى بأنَّه أمره بأن يصعد على منبر أبيه أبي قحافة، ونجد أبا بكر يتلعثم ولا يجد ما يعتذر به إلا أن يقول بأنَّ أباه أبا قحافة لم يكن له منبر!! وتتكرّر الحادثة مع الإمام الحسين عليه السلام فنراه يغضب حين يسمع عمر بن الخطاب يصف نفسه على منبر رسول الله بأنَّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهي الصفة التي وصف بها رسول الله أمير المؤمنين عليه السلام حين خاطب المهاجرين والأنصار بقوله «**ألست أولى منكم بأنفسكم**»؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال: «**فمن كنتُ مولاه فهذ عليٌّ مولاه**» أي من كنتُ أولى منه بنفسه، فهذا عليٌّ أولى منه بنفسه، ثم نجد الإمام الحسين - وهو صبي صغير - يخاطب عمر ويصفه بالكذّاب ويأمره بالنزول عن منبر أبيه رسول الله!

أخرج ابن شهر آشوب في المناقب عن أسامة بن زيد، قال: جاء الحسن ابن عليٍّ عليهما السلام إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**انزل عن مجلس**

أبي»! قال: صدقتَ إنَّه مجلس أبيك؛ ثم أجلسه في حجره وبكى، فقال علي عليه السلام: «**والله ما كان هذا عن أمري**»، فقال: صدقتك والله ما اتهمتك[١].

وأخرج ابن أبي الحديد عن الشعبي، قال: قام الحسن بن عليٍّ عليه السلام إلى أبى بكر وهو يخطب على المنبر فقال له: «**انزل عن منبر أبي**»، فقال، أبو بكر: صدقت، والله إنَّه لمنبر أبيك لا منبر أبي. فبعث علي إلى أبي بكر: «**إنَّه غلام حدث، وإنَّا لم نأمره**». فقال أبو بكر: صدقت، إنَّا لم نتّهمك[٢].

وروى محمد بن سليمان الكوفي عن عبيد بن حنين، عن حسين بن علي قال: رأيت عمر بن الخطاب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت [له]: «**انزل عن منبر أبي إلى منبر أبيك**»!! فقال: إنِّي لم يكن لأبي منبر؟ قال: فأجلسني في حجره فلما نزل انطلق بي إلى منزله فقال: من علّمك هذا؟ فقلت: «**لم يعلمنيه أحد**»[٣].

وأخرج الطبرسي في الاحتجاج أنَّ عمر بن الخطاب كان يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر في خطبته أنَّه أَولى بالمؤمنين من أنفسهم. فقال له الحسين عليه السلام من ناحية المسجد: «**انزل أيها الكذاب عن منبر أبي رسول الله صلى الله عليه وآله، لا منبر أبيك**». فقال له عمر: فمنبر أبيك لعمري يا حسين! لا منبر أبي، من علّمك هذا؟ أبوك علي بن أبي طالب؟ فقال له الحسين: «**إن أُطع أبي فيما أمرني فلعمري إنَّه لهاد وأنا مهتد به، وله في رقاب الناس البيعة على عقد رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بها جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى لا ينكرها أحد إلَّا جاحد بالكتاب، قد عرفها**

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٠١؛ بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٢٨: ٢٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ٦: ٤٢ – ٤٣.

(٣) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي ٢: ٢٥٦ / ح٧٢٢.

الناس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم، وويل للمنكرين حقنا أهل البيت عليهم السلام، ماذا يلقاهم به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من إدامة الغضب وشدة العذاب»؟!(١)

روى الطوسي عن زيد بن علي، عن أبيه عليه السلام، أنَّ الحسين بن علي (عليهما السلام) أتى عمر بن الخطاب وهو على المنبر يوم الجمعة، فقال له: «**انزل عن منبر أبي**»! فبكى عمر، ثم قال: صدقت يا بني، منبر أبيك لا منبر أبي. فقال علي عليه السلام: «**ما هو والله عن رأيي**». قال: صدقت والله ما اتهمتك يا أبا الحسن(٢).

وأخرج ابن شهر آشوب عن الخطيب أنَّ الحسين عليه السلام قال لعمر: «**انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك**»، فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، قال عليه السلام: فأخذني وأجلسني معه ثم سألني: من علّمك هذا؟ فقلت: «**والله ما علّمني أحد**»(٣).

الزهراء توصي: لا يحضرا تشييع جنازتي

أخرج الفتال النيسابوري في روضة الواعظين: مرضت فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت صلوات الله عليها، فلما نُعيت إليها نفسُها دعت أمَّ أيمن وأسماء بنت عميس ووجّهت خلف علي وأحضرته، فقالت: «**يا بن عم إنَّه قد نُعيت إلي نفسي، وإنَّني لا أرى ما بي إلَّا أنَّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي**». قال لها علي عليه السلام: «**أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله**»!... (ثم إنَّ الزهراء عليها السلام أوصت بوصاياها ثم قالت): «**أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقي، فإنَّهم عدوي وعدو رسول**

---

(١) الاحتجاج ٢: ١٣؛ بحار الأنوار ٣٠: ٤٧.

(٢) الأمالي - الشيخ الطوسي - ص ٧٠٣/ ح١٥٠٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٣: ٢٠١.

الله صلى الله عليه وآله، ولا تترك أن يصلي عليَّ أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار» - الحديث بطوله[1]؛ وقد أوردناه آنفاً.

وروى الصدوق عن ابن نباتة، قال: سُئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن علّة دفنه لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً، فقال: «**إنَّها كانت ساخطة على قوم كرهتْ حضورهم جنازتها، وحرامٌ على من يتولّاهم أن يصلّي على أحد من ولدها**»[2].

الزهراء توصي: لا تصلّي عليّ أمَّةٌ نقضتْ عهد الله

روي أنَّها توفيت عليها السلام بعد غسلها وتكفينها وحنوطها، لأنَّها طاهرة لا دنس فيها، وأنَّها أكرم على الله تعالى أن يتولى ذلك منها غيرها، وإنَّه لم يحضرها إلاَّ أمير المؤمنين والحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم وفضة جاريتها وأسماء بنت عميس، وأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أخرجها ومعه الحسن والحسين في الليل وصلوا عليها، ولم يعلم بها أحد، ولا حضروا وفاتها ولا صلى عليها أحد من ساير الناس غيرهم، لأنَّها عليها السلام أوصت بذلك، وقالت: «**لا تصلّ عليَّ أمَّة نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وظلموني حقي، وأخذوا إرثي، وخرقوا صحيفتي التي كتبها لي أبي بملك فدك، وكذّبوا شهودي وهم - والله - جبرئيل وميكائيل وأمير المؤمنين عليه السلام وأمّ أيمن، وطفتُ عليهم في بيوتهم وأمير المؤمنين عليه السلام يحملني ومعي الحسن والحسين ليلاً ونهاراً إلى منازلهم أُذكّرهم بالله وبرسوله ألاّ تظلمونا ولا تغصبونا حقنا الذي جعله الله لنا، فيجيبونا ليلاً ويقعدون عن نصرتنا**

(١) روضة الواعظين: ص١٥١، مجلس في ذكر وفاة فاطمة الزهراء؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٩١ - ١٩٣.
(٢) أمالي الصدوق: ص٦٥٧؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢٠٩.

نهاراً، ثم يُنفذون إلى دارنا قنفذاً ومعه عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ليُخرجوا ابن عمي علياً إلى سقيفة بني ساعدة لبيعتهم الخاسرة، فلا يخرج إليهم متشاغلاً بما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وآله وبأزواجه وبتأليف القرآن وقضاء ثمانين ألف درهم وصّاه بقضائها عنه عداة وديناً، فجمعوا الحطب الجزل على بابنا وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفتُ بعضادة الباب وناشدتهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنا وينصرونا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ - مولى أبي بكر - فضرب به عضدي فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله فردّه عليَّ وأنا حامل، فسقطتُ لوجهي والنار تسعر وتسفع وجهي، فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أُذني، وجاءني المخاض فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم، فهذه أمّة تصلّي عليَّ؟! وقد تبرأ الله ورسوله منهم، وتبرأت منهم».

فعمل أمير المؤمنين عليه السلام بوصيتها ولم يعلم أحداً بها، فصنع في البقيع ليلة دُفنت فاطمة عليها السلام أربعين قبراً جديداً[(١)]. وسيأتي في الفصل الأخير قدر الذين صلّوا على فاطمة عليها السلام ومنزلتهم عند الله تعالى.

إمّا البراءة من فاطمة عليها السلام أو البراءة من أعدائها

لا يمكن الجمع بين النقيضين، ولا يمكن للمسلم أن يؤمن بالله تعالى ثم يتولّى الطاغوت الذي أُمر أن يكفر به. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال (في حديث): «**أوثق عُرى الإيمان الحبّ في الله والبُغض في الله، وتوالي أولياء الله والتبرّي من أعداء الله**»[(٢)]. وقد روي في هذا الشأن أنّه قال رجل لعلي عليه السلام: أحبّكَ وأتولّ

---

(١) بحار الأنوار ٣٠: ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٢) الكافي، للكليني ٢: ١٢٦ /ح٦.

عثمان فقال له: «**الآن أنت أعور، فإمّا أن تعمى، وإما أن تبصر**»[١].

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن سدير قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعي سلمة بن كهيل وجماعة، وعند أبي جعفر عليه السلام أخوه زيد بن علي عليه السلام فقالوا لأبي جعفر عليه السلام: نتولى علياً وحسناً وحسيناً ونتبرأ من أعدائهم! قال: «**نعم**». قالوا: نتولى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم! قال: فالتفت إليهم زيد بن علي قال لهم: «**أتتبرؤن من فاطمة؟! بترتم أمرنا بتركم الله، فيومئذ سموا البترية**»[٢].

أقول: نورد فيما يلي احتجاجات الزهراء عليها السلام - وهي جزء من مقاومتها واعتراضها على النظام الحاكم - بصورة مستقلة.

احتجاج الزهراء عليها السلام على أبي بكر

غصب فدك من قِبل أبي بكر وصاحبه قضيّة مدروسة، فقد كان الهدف من نزع فدك من يد أمير المؤمنين عليه السلام هو إضعافه من الناحية الاقتصاديّة في تلك المرحلة الحاسمة؛ ونلاحظ في الحديث الذي رواه علماء العامّة أنَّ الاثنين يشتركان في المفاضات وفي اتّخاذ القرار، كما نلاحظ أنّهما لما شاهدا إصرار أمير المؤمنين عليه السلام على أنّه أحقّ بما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله لم يحتجّا عليه بحديث «**إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث**»، وإنّما قالا بصراحة أنّهما سيقاتلان على هذا الأمر، وأنَّ دون استرجاع ذلك الحقّ حزّ الرقاب بالمناشير!!

روى الطبراني عن عمر قال: لما قُبض رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم جئت

(١) الصوارم المهرقة للشهيد نور الله التستري: ص ٢٤٨.

(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ص ٢٣٦، الرقم ٤٢٩.

أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم؟ قال: «**نحن أحق الناس برسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم**». قال فقلت: والذي بخيبر؟

قال: «**والذي بخيبر**». قلت: والذي بفدك؟ قال: «**والذي بفدك**»؛ فقلت: أما والله حتى تحزّوا رقابنا بالمناشير فلا[1].

نلاحظ أنَّ الحديث القادم يبدأ بعبارة (لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة)، أي أنَّ خطبة الزهراء المشهورة حصلت لما انتهت المفاوضات بين الطرفين، و(أجمع) أبو بكر رأيه على (غصب) فدك من مالكها المتصرّف فيها (أي الزهراء عليها السلام)، وبلغت الأمور مرحلة المواجهة الحاسمة، تقدّمت الزهراء عليها السلام فاحتجّت على أبي بكر وصاحبه بخطبتها المشهورة.

قال أبو الفضل بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور: ذكرت لأبي الحسين زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فدك وقلت له: إنَّ هؤلاء يزعمون أنَّه مصنوع، وأنَّه من كلام أبي العيناء (الخبر من سوق البلاغة على الكلام) فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أبناءهم، وقد حدثني أبي عن جدي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية، ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء، وقد حدث به الحسن بن علوان عن عطية العوفي أنَّه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه. ثم قال أبو الحسين: «**وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة يتحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت**»؟!! ثم ذكر الحديث، قال: لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فدكاً وبلغ ذلك فاطمة عليها

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٥: ٢٨٨؛ مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ٤٠.

السلام، لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمّة من حفدتها تطأ ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء وارتج المجلس، فأمهلت حتى سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها فقالت:

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، فبلغ النذارة صادعاً بالرسالة، مائلاً على مدرجة المشركين، ضارباً لثبجهم، آخذاً بكظمهم، يهشم الأصنام، وينكث الهام، حتى هزم الجمع وولّوا الدبر، وتفرى (وأوضح) الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلّة خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعد ما مني ببهم الرجال وذؤبان العرب (ومردة أهل الكتاب)، كلما حشوا ناراً للحرب أطفأها، ونجم قرن للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحده، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، وأنتم في بلهنية وادعون آمنون؛ حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت خلّة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم، فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم

فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، بداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإنَّ جهنم لمحيطة بالكافرين. فهيهات منكم! وأنّى بكم! وأنّى تؤفكون! وهذا كتاب الله بين أظهركم، وزواجره بيّنة وشواهده لائحة وأوامره واضحة. أرغبة عنه تدبرون، أم بغيره تحكمون؟! بئس للظالمين بدلاً، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. ثم لم تريثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، تشربون حسواً، وتسرون في ارتغاء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا؟! أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون! ويهاً معشر المهاجرين! أَأُبتزّ إرث أبي؟! أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فريّاً! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون».

ثم انحرفت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وهي تقول:

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومُك فاشهدهم ولا تغب

قال: فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم[1].

ما لك ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا؟

تحدثنا في الفصل الحادي والعشرين عن تدرّج الزهراء في مستوى المواجهة بعد غصب الخلافة وغصب فدك، ونتحدّث في هذا المجال عن جملة من احتجاجات الزهراء عليها

(١) بلاغات النساء: ص ١٢.

السلام. حيث نجد الزهراء عليها السلام تسأل أبا بكر «**مَن يرثك إذا متّ؟**»، ويعلم كلّ مسلم بالضرورة أنَّه إذا مات، فإنَّ أهله – وليس سواهم – هم الذين يرثونه! ويجيب أبو بكر (أهلي وولدي). وعادت الزهراء تسأل: «**فما لك ورثتَ رسول الله دوننا؟**»

كيـف انقلـب الميـزان في حال تركة رسـول الله، فصرت ترثـه دون أهلـه وولده؟ أيّ قرابـة لـك مع رسـول الله أباحت لك الاسـتيلاء على إرثـه فصرت تحجـب أهله وولده عـن ذلك الإرث؟

أنكر أبو بكر في بادىء الأمر أن يكون قد ورث من رسول الله داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضّة، ثم تذرع بكون ما صادره (طعمة) أطعمه إيّاها الله!! ثم قال بأنَّ ما أخذه سيكون للمسلمين بعده إذا مات!! ونلاحظ في الحديث المقبل الذي رواه أبو يعلى أنَّ أبا بكر قال بأنَّه رأى أن يردّ ما أخذه على المسلمين!!

روى ابن شبة عن أبي صالح، عن أمِّ هانئ: أنَّ فاطمة -عليها السلام- قالت لأبي بكر: «**مَن يرثك إذا متَّ**»؟ قال: ولدي وأهلي. قالت: «**فما لك ترث رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا**»؟ قال: يا بنت رسول الله، ما ورثت أباك داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضة.

قالت: «**بلى، سهم الله الذي جعله لنا، وصافيتنا التي بفدك**». فقال أبو بكر: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إنّما هي طعمة أطعمنا الله، فإذا متّ كانت بين المسلمين[1].

أنت وما سمعته من رسول الله!!

تسأل الزهراء عليها السلام أبا بكر «**أنت ورثت رسول الله أم أهله؟**» فيرد في ارتباك: (لا، بل أهله)، ناسياً أنَّه كان للتو يزعم أنَّ رسول الله لا يورّث!! ويتذرّع الخليفة بحديث

(١) تاريخ المدينة ١: ١٩٦.

(الطُعمة)، وبطبيعة الحال فإنَّ هذا الحديث والحديث الآخر «**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث**» لم يسمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله أهلُه الأقربون، بل لم يسمعها أحد من الصحابة، اللهمّ إلاّ أبو بكر وجماعته الذين لا يتعدّون في أحسن الأحوال أصابع اليد الواحدة. لم يكن بإمكان أبي بكر إلا الاستمرار في هذا الطريق الذي اختطّه لنفسه، لأنَّه لو أذعن للحقّ وأعاد (فدكاً) للزهراء عليها السلام، فلربّما تدرّجت الزهراء في مطالبتها، فطالبت بالحقّ الكبير المغتصب، وهو خلافة أمير المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وآله في قيادة الأمَّة بموجب كونه وصيّه ووارثه الذي أخذ له البيعة من الأمَّة في واقعة الغدير المشهورة، وقد نقلنا قريباً كلام الفارقي أُستاذ ابن أبي الحديد المعتزلي: (لو أعطاها اليوم فدكاً بمجرد دعواها، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار بشيءٍ، لأنَّه يكون قد سجّل على نفسه بأنَّها صادقة فيما تدّعي)[(١)].

روى أبو يعلى عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: أرسلت فاطمة إلى أبي بكر فقالت: «**أنت ورثتَ رسول الله أم أهله**»؟ قال: لا، بل أهله، قالت: «**فما بال سهم رسول الله صلى الله عليه وآله**»؟ قال: إنِّي سمعته يقول: إنَّ الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه إليه جعله للذي يقوم بعد، فرأيت أنا بعده أن أردّه على المسلمين. قالت: «**أنتَ وما سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وآله**»[(٢)]!

أقول: نقل ابن أبي الحديد هذه الرواية، ثم أبدى تعجّبه من جواب أبي بكر (بل أهلُه)، لأنَّه سبق له أن زعم أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لا يورّث! ونلاحظ أنَّ الأسئلة المتنوّعة المتلاحقة من الزهراء عليها السلام جعلت أبا بكر ينسى ما زعم أنَّه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله من حديث «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث...**».

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٨٤.

(٢) مسند أبي يعلى ١: ٤٠/ ح٣٧.

أرأيت إنْ متَّ اليوم مَن كان يرثك؟

وقد وردت رواية أُخرى في هذا الشأن، نلاحظ فيها أنَّ الزهراء لم تخاطب أبا بكر بالخلافة ولو على مستوى الإنكار، بل خاطبته تارة باسمه المجرّد (يا أبا بكر)، وتارة بلفظ (يا بن أبي قحافة)، في تكذيب واضح منها لزعمه أنَّه خليفة رسول الله، فلمّا أصرّ أبو بكر على دعواه، أعلنت مقاطعتها له بقولها «**ما أنا بسائلتكَ بعد مجلسي هذا**».

روى ابن شبة بإسناده عن أبي صالح مولى أمِّ هانئ عن فاطمة -عليها السلام-، قالت: «**دخلت على أبي بكر بعد ما استخلف. فقلت: يا أبا بكر، أرأيتَ إن متَّ اليوم مَن كان يرثك**»؟ قال: ولدي وأهلي. قلت: «**فلِم ترثُ رسول الله صلى الله عليه وآله دون ولده وأهله**»؟ قال: ما فعلتُ [يا] بنت رسول الله صلى الله عليه وآله! قلت: «**بلى، عمدتَ إلى فدك وكانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وآله فأخذتها، وعمدتَ إلى ما أُنزل من السماء فرفعته منا**». قال: [يا] بنت رسول الله لم أفعل، حدثني رسول الله أنَّ الله تبارك وتعالى يُطعم النبي الطعمة ما كان حياً، فإذا قبضه الله رُفعتْ، قلت: «**أنت و[ما سمعتَه من] رسول الله أعلم، ما أنا بسائلتكَ بعد مجلسي هذا**»[1].

ألم تسمعا رسول الله يقول: ... من أسخط فاطمة فقد أسخطني؟

حاول أبو بكر وصاحبه تلطيف الأجواء لما بلغهما أنَّ الزهراء عليها السلام قد ثقلت، وسعيا في تحسين صورتيهما أمام الرأي العام يومذاك، فاستأذنا فاطمة عليها السلام فلم تأذن لهما، فطرقا باب أمير المؤمنين عليه السلام واستأذناه في أن يسلّما على الزهراء عسى أن يسترضياها، فأخبرها أمير المؤمنين بطلب الرجلين، فقالت له «**البيتُ بيتُك، والحرّة**

(١) تاريخ المدينة ١: ٢١٠.

زوجتك، **افعل ما تشاء**»، ثم سدّت قناعها وحوّلت وجهها إلى الحائط، فدخلا وسلّما عليها فلم تردّ، وفي عدم ردّ السلام - وردُّه على المسلم واجب- رسالة واضحة لكلّ لبيب! ثم تكلّم أبو بكر فأقسم أنَّ قرابة الرسول أحبّ إليه من قرابته، وأنَّه.. وأنَّه.. لكنّه سمع رسول الله يقول «**لا نورّث، ما تركناه صدقة**»! ولم تعلّق الزهراء عليها السلام على كلامه بأدنى تعليق، لكنّها سألتهما عن حديث آخر قاله رسول الله أيعرفانه ويفعلان به؟ قالا: نعم، فحدثتهما بحديث «...**من أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني**»، فشهدا بأنّهما سمعاه من رسول الله. وجاءت عبارة الزهراء الأخيرة كالسيف الفصل: «**فإنِّي أُشهد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه**»!

أورد أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري هجوم القوم على بيت فاطمة عليها السلام وجمعهم الحطب لإحراقها على من فيها، حتى يصل إلى قوله: قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإنَّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه فأدخلهما علي عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها فلم ترد. فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إلي من قرابتي، وإنَّك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددتُ يوم مات أبوك أنِّي متُّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنع حقك وميراثك من رسول الله؟ إلا أنِّي سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة، فقالت: «**أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به**»؟ قالا: نعم، فقالت: «**نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضى فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى**

فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني»؟ قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: «**فإنِّي أُشهد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه**»[١].

احتجاج الزهراء عليها السلام على النساء

كشفت الزهراء عليها السلام النقاب عن البعض ممّن يتسمّين بلقب أمَّهات المؤمنين، لأنَّ مجرّد كونهنّ نساء رسول الله لا ينفعهنّ ما لم يتّقين الله تعالى كما تنصّ الآية الشريفة (٣٢) من سورة الأحزاب، بل نجد القرآن يهدد نساء النبي أنَّ من يأتي منهنّ بفاحشة مبيّنة يُضاعف لها العذاب ضعفين[٢]، كما نجد امرأتي نبيّين من أنبياء الله هما نوح ولوط عليهما السلام قد خانتاهما ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[٣].

وها هي سيّدة نساء أهل الجنّة تصرّح بأنَّها مسرورة لفراق بعض نساء النبي ممّن لم يحفظن لها الحقّ، ولم يرعين لها الذمّة، ولم يعرفن لها حُرمة. وقد أشارت الزهراء عليها السلام إشارة قد تكشف عن هويّة تلكم النساء، في قولها بأنَّها لا تريد أن تفتح لهنّ مجال التقوّل عليها بعد وفاتها، ليقلن فيها كما كنّ يقلن في أمِّها. ولم ينقل لنا التاريخ أحداً نبز أمَّ المؤمنين خديجة عليها السلام، اللهم إلا ابنة أبي بكر التي غارت حين سمعت رسول الله يذكرها، فقالت له بأنَّها (عجوز من عجائز حمراء الشدقين، قد أبدلك اللهُ خيراً منها)، فغضبت رسول الله صلى الله عليه وآله من كلامها[٤]!!

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١: ٢٠.

(٢) انظر الآية (٣٠) من سورة الأحزاب.

(٣) سورة التحريم: الآية ١٠.

(٤) انظر على سبيل المثال: مسند أحمد ٦: ١٥٠؛ الاستيعاب ٤: ١٨٢٤.

قال اليعقوبي: وكان بعض نساء رسول الله صلّى الله عليه وآله أتينها في مرضها فقلن: يا بنت رسول الله! صيّري لنا في حضور غسلك حظاً! قالت: «**أتردن تقلن فيّ كما قلتنّ في أمّي؟ لا حاجة لي في حضوركن**».

ودخل إليها في مرضها نساء رسول الله صلّى الله عليه وآله وغيرهن من نساء قريش، فقلن: كيف أنت؟

قالت: «**أجدني والله كارهة لدنياكن، مسرورة لفراقكن، ألقى الله ورسوله صلّى الله عليه وآله بحسرات منكن؛ فما حُفظ لي الحق، ولا رُعيت مني الذمّة، ولا قُبلت الوصية، ولا عُرفت الحرمة**»[١].

احتجاج الزهراء عليها السلام في مسجد رسول الله

تجيء بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مسجده، فتتوجّه إلى سارية المسجد فتخاطب أباها المرسل وتخبره أنَّه قد حصلت بعده دواهٍ وأمور عظيمة شديدة، وتُعلمه أنَّ قومه اختلّوا بعده. فهل كانت الزهراء عليها السلام تخاطب أباها وحده بهذه الأبيات، أم أنّها أرادت أيضاً أن توصل صرختها إلى من ألقى السمع ولم يُسدل عليه التعصّبُ ستارَه البغيض؟!

روى الكافي عن محمد بن المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**جاءت فاطمة عليها السلام إلى سارية في المسجد وهي تقول وتخاطب النبي صلى الله عليه وآله**»:

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة[٢] لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخطب

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١١٥.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٥: ٢٧٧): الهنبثة واحدة الهنابث، وهي الأُمور الشداد المختلفة.

إنا فقدناكَ فقْدَ الأرض وابلها واختلّ قومُك فاشهدهم ولا تغب(١)

احتجاج الزهراء عليها السلام على أحد الصحابة

لم تتوانَ الزهراء عليها السلام - مع شديد حزنها على أبيها - أن تُقيم الحجّة على أحد الصحابة حين سألها فيما إذا نصّ رسول الله قبل وفاته على أمير المؤمنين بالإمامة؟ فسألته مستنكرةً: «**واعجباً! أنسيتم يوم الغدير**»؟! فأقرّ أنَّ ذلك حصل بالفعل، ثم أعاد سؤاله، فأشهدت الزهراءُ اللهَ تعالى أنّها سمعت رسول الله يوصي بعليّ بأنّه الإمام والخليفة بعده، وأنّه وأبناءه الأحد عشر أئمّة أبرار هادون مهديون.

عن محمود بن لبيد قال: لما قُبض رسول الله صلّى الله عليه وآله كانت فاطمة عليها السّلام تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك. فلما كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتها عليها السّلام تبكي هناك، فأمهلتها حتى سكنت. فأتيتها وسلّمت عليها وقلت: يا سيدة النسوان، قد والله قطّعت نياط قلبي من بكائك. فقالت: «**يا أبا عمرو، لحقّ لي البكاء، فقد أُصبت بخير الآباء رسول الله صلّى الله عليه وآله، واشوقاه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله**»! ثم أنشأت عليها السّلام تقول:

إذا مات يوماً ميّت قلّ ذِكرُه وذِكر أبي مُذ مات - والله - أكثرُ

قلت: يا سيدتي، إنّي سائلك عن مسألة تتلجلج في صدري. قالت: «**سَل**». قلت: هل نصّ رسول الله قبل وفاته على علي بالإمامة؟ قالت: «**واعجباً! أنسيتم يوم غدير خم**»؟! قلت: قد كان ذلك، ولكن أخبريني بما أُشير إليك. قالت: «**أُشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: عليٌّ خير من أخلّفه فيكم، وهو الإمام والخليفة بعدي، وسبطاي وتسعة من صلب**

(١) الكافي ٨: ٣٧٦؛ بحار الأنوار ٤٣: ١٩٥ - ١٩٦.

الحسين أئمة أبرار. لئن اتّبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين، ولئن خالفتموهم ليكونّ الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة»!- الحديث[١].

بكاء الزهراء عليها السلام على أبيها صلى الله عليه وآله

قال الصادق عليه السلام: «**أمّا فاطمة فبكت على رسول الله حتى تأذى أهل المدينة. فقالوا لها: آذيتنا بكثرة بكائك، إمّا أن تبكي بالليل وإمّا أن تبكي بالنهار، وكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي**»[٢].

وروى الشيخ الطوسي بسند معتبر عن ابن عباس أنّه قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة بكى حتى بلّت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: «**أبكي لذرّيتي وما تصنع بهم شرار أمّتي من بعدي، كأنّي بفاطمة بنتي وقد ظُلمت من بعدي وهي تنادي يا أبتاه فلا يُعينها أحد من أمّتي**».

فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تبكي يا بنية**»، فقالت: «**لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ولكني أبكي لفراقك يا رسول الله**»، فقال لها: «**أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي، فإنّك أوّل من يلحق بي من أهل بيتي**»[٣].

وروى الشيخ الصدوق في الخصال بإسناده عن محمد بن سهل البحراني يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: «**البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد**

---

(١) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السّلام للخزاز ص ١٩٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٣: ١٠٤.

(٣) أمالي الطوسي ١: ١٨٨، المجلس السادس؛ بحار الأنوار ٤٣: ١٥٦، عن أمالي الطوسي.

صلى الله عليه وآله وعلي بن الحسين عليه السلام؛ فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية؛ وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره وحتى قيل له تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين؛ وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له: إما أن تبكي الليل وتسكت بالنهار، وإما أن تبكي النهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحدة منهما؛ وأما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك! فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف؛ وأما علي بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، ما وُضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جُعلت فداك يا بن رسول الله، إنِّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين؛ قال: إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إنِّي ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة»[1].

أورد العلامة المجلسي حديثاً طويلاً في وداع الحسنين مع أمِّهما الزهراء فاطمة عليهم جميعاً سلام الله تعالى، على لسان جاريتهم فضة، جاء فيه تفصيل حزنها على أبيها وشكوى شيوخ المدينة من بكائها الدائم، حتى يصل إلى قوله:

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فلما رأته سكنت هنيئة له، فقال لها: **«يا بنت رسول الله – صلى الله عليه وآله – إنَّ شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكي أباك ليلاً وإما نهاراً»**. فقالت: **«يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله»**، فقال لها علي

(١) الخصال للشيخ الصدوق ١: ٢٧٢/ ح١٥، باب الخمسة.

عليه السلام: «**افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك**». ثم إنَّه بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة يسمى بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين (عليهما السلام) أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها وساقها بين يديه إلى منزلها. ولم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد موت أبيها سبعة وعشرون يوماً، واعتلّت العلة التي توفّيت فيها - الحديث[1].

أقول: مرت تواً روايات زيارة الزهراء عليها السلام لقبر عمّها الحمزة وبكائها عنده.

لماذا بكت الزهراء عليها السلام كلَّ هذا البكاء؟

لماذا بكت الزهراء عليها السلام على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله بمثل هذه الشدة والكثرة؟! لقد بكت ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله وصبّت الدموع غزاراً على أبيها وأنّت وناحت، حتى تأذى لبكائها أهل المدينة فناشدوا أمير المؤمنين عليه السلام أن يكلّمها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فلما كلّمها عليه السلام قالت: «**يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله**»، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: «**افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك**»!

يقول الشيخ محمد السند في كتابه (الوراثة الاصطفائية لفاطمة الزهراء عليها السلام):

(وهذا السلوك منها عليها السلام يسترعي الانتباه والوقوف عنده، بعدما شهد لها القرآن بالطهارة من الزلل والخطأ، فما هو الأمر وراء هذا السلوك، وما هي غاياته وأسبابه؟ وما الذي يؤسّسه من منهاج للأمَّة؟

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٧٤ - ١٧٩.

فإنَّه يقال: إنَّ شخصية الرسول صلى الله عليه وآله بما اتّصفت به من مقام لا يمكن أن تشهده البشرية من بعده، كما لم تشهده من قبله، فمن ثَمّ عظّم مصاب فقده - كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام في بيان هذه الحقيقة - أنَّ الخلائق لم [ولن] يُصابوا بمثل مصاب رسول الله صلى الله عليه وآله، أي بمثل الخسارة التي مُنيت بها الأمَّة بفقد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فاستشعار عظم مصابه يرشد [إلى] ويعرّف عظم مقامه صلى الله عليه وآله، أي أنَّه يكوّن معرفة صحيحة وسديدة بموقعية الرسول والرسالة والنبي والنبوّة؛ كما أنَّ العكس - أي قلّة البكاء والجزع - يفضي ويُنبيء عن انحطاط المعرفة بمقام النبي صلى الله عليه وآله... فإنَّه كلما اشتدّ التعلّق والمحبّة اشتدّ الاتّباع والتسليم والانقياد له؛ وعلى العكس إذا قلّ التعلّق وضعفت المحبّة فإنَّه يستعصي الاتّباع ويمتنع الانقياد الكامل والتسليم له صلى الله عليه وآله، فإنَّ المحبّة هي الصراط الأطوع للطاعة والاتّباع... فإنَّ ما فعلته عليها السلام تربية للجيل الأوّل من الأمَّة وللأجيال اللاحقة على تأكيد التعلّق برسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يقم بهذه السنّة غيرُها، وما سنّته هو ما أكّد عليه القرآن الكريم، فإنَّ فلاح هذه الأمَّة وصلاحها وسدادها [هو] بتوثيق محبّتها لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّ المحبّ لمن أحبّ مطيع، وكلما فترت وضعفت محبّة هذه الأمَّة لنبيّها كلما ابتعدت عن التأسّي برسولها.

وهذا الذي نهجته عليها السلام كان في قبال شعار آخر رُفع يوم السقيفة ينادي بمقولة (من كان يعبد محمّداً فإنّ محمداً قد مات)، فإنَّ مقصود رافعي هذا الشعار هو الإنكار على شدّة تعلّق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ هذا الولاء مِن الناس يصفه أصحابُ هذا الشعار بأنَّه عبادة للنبي صلى الله عليه وآله، وإلاّ فلم يحدّثنا التاريخ أنَّ

أحداً من المسلمين كان قد صلّى أو صام لرسول الله صلى الله عليه وآله أو قال بأُلوهيّته؛ ومرادهم من جعل موت النبي صلى الله عليه وآله غاية [ونهاية] لعبادته هو أنَّهم يجعلون وفاته صلى الله عليه وآله نهاية لهذا الولاء ولهذه الدرجة من التعلّق والذوبان والطاعة).

ثم ذكر الشيخ السند أمثلة من نهج أصحاب الشعار المذكور في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد وفاته، كقولهم (إنَّ الرجل ليهجر)، وكمنعهم التحديث عن رسول الله، وكقولهم: من كان عنده شيء منه (أي من أحاديث النبي) فليمحُه؛ وكمنع عمر بن الخطاب بعض الصحابة من السفر خارج المدينة لئلاّ يحدّثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

فاطمة عليها السلام داعية الحق والعاملة بالحقّ

(فاطمة الطاهرة عليها السلام أُسوة العدل، لأنَّها داعية الحق والعاملة بالحقّ، والثابتة على الحقّ. فاطمة عليها السلام هي العادلة في القول، لأنَّ العدل أساس ثبات النظم الاجتماعي، والضمان الأكيد لبقاء الأمَّة، كما إنَّها عليها السلام العادلة في الفعل والعمل، لأنَّها ساوت بينها وبين خادمتها فضة فقاسمتها عمل البيت سواء. فاطمة عليها السلام داعية العدل والحق، فقد تصدّت للظلم حتى دفعت حياتها الغالية ثمناً لصمودها في مقارعة الباطل، وأوصت أن لا يشهد أحد الظالمين جنازتها ولا يصلي عليها. أرادت فاطمة عليها السلام أن لا تُستغلّ جنازتها من قِبل أحد الظالمين في تثبيت دعائم حكمه الظالم. كما إنها عليها السلام استخدمت مسألة (فدك) في مهاجمة الظالمين وفضح خططهم وكشف زيفهم، ودعت الناس – في المقابل – إلى نصرة الحق واتباع العدل)[2].

(١) انظر: الوراثة الاصطفائية لفاطمة الزهراء عليها السلام للشيخ محمد السند: ص٣٧٣ – ٣٧٧.

(٢) فاطمة برترين بانوي إسلام، الدكتور علي قائمي (بالفارسية): ص٩٣.

أساليب النهي عن المنكر في سيرة الزهراء عليها السلام

١- الاستدلال بالآيات القرآنيّة:

استدلّت أمّ أبيها عليها السلام بقوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(١) وبقوله تعالى ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٢) لبيان حقيقة أنّ الأنبياء يرثون ويورثون، وأنّ أباها رسول الله ليس بدعاً من الرسل، ثم اختتمت استدلالها بتساؤل عن الأمر الذي يمنع هؤلاء عن الإذعان لحُكم القرآن، أهو عدم تدبّرهم في آيات القرآن، أم أنّ قلوبهم مختومة ومقفلة: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٣)؟

٢- الاستدلالات العقليّة:

ومن أمثلتها أنّ الزهراء عليها السلام خاطبت أبا بكر بقولها: «**مَن يرثك؟**»، قال: (أهلي وولدي) فتساءلت: «**فما لي لا أرث أبي؟**»

٣- السكوت والاعتزال:

عملاً بمقولة إبراهيم عليه السلام التي يحكيها عنه القرآن الكريم حيث خاطب قومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾(٤)، ونجد في رواية عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال لأحد أصحابه: «ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون، وما يدخل علينا به الأذى، أن تأتوه فتؤنّبوه وتعذلوه وتقولوا له قولاً بليغاً»؟! قلت: جُعلت فداك، إذاً لا يقبلون منّا، قال: «اهجروهم واجتنبوا مجالستهم»(٥).

(١) سورة النمل:الآية ١٦.

(٢) سورة مريم:الآية ٦.

(٣) سورة محمد:الآية ٢٤.

(٤) سورة مريم:الآية ٤٨.

(٥) الكافي ٨: ١٦٢ / ح ١٦٩.

قالت الزهراء لأبي بكر: «والله لا أُكلّمك أبداً، والله لأدعونّ اللهَ عليك في كلّ صلاة»؛ وقالت للرجلين لمّا جاءآ يسترضيانها: «والله لا أُكلّمكما من رأسي حتى ألقى ربي فأشكونّكما إليه بما صنعتما بي وارتكبتما مني»؛ وأوصت أمير المؤمنين عليه السلام بأن يدفنها سرّاً ولا يدع أحداً من ظالميها يشترك في تشييعها ولا في الصلاة عليها، فقالت له «أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الّذين ظلموني وأخذوا حقّي فإنّهم عدوّي وعدوّ رسول الله، ولا تترك أن يصلّي عليّ أحد منهم ولا من أتباعهم وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار».

٤- التوبيخ والإنذار:

فقد قالت الزهراء عليها السلام موبّخةً الأنصار: «**أيهاً بني قيلة أأُهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون؟!**»

ووبّختهم بقولها: «**أنّى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهمّوا بإخراج الرسول، وهم بدؤوكم أول مرة، أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**».

ثمّ إنّها أنذرتهم بقولها: «**فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظَلموا أيّ مُنقلب ينقلبون، وأنا ابنةُ نذيرٍ لكم بين يدَي عذابٍ شديد، فاعملوا إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون**».

الدروس المستخلصة من مقاومة الزهراء عليها السلام للباطل:

أمر الله تعالى المؤمنين في كتابه الكريم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1].

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «**مَن ترك إنكار المنكر بقلبه ولسانه فهو ميت بين الأحياء**»؛ وقول الصادق عليه السّلام في خبر عبد الأعلى مولى آل سام:

وروي أنَّ رجلاً من المسلمين جلس يبكي وهو يقول: أنا عجزت عن نفسي وكُلّفت أهلي! فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**حسبُك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك**».

وفي خبر أبي بصير عن الصادق عليه السّلام: كيف نقي أهلنا؟ قال عليه السّلام: «**تأمرونهم وتنهونهم**».

وفي خبره الآخر عنه عليه السّلام أيضاً: قلت: كيف أقيهم؟ قال: «**تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عما نهاهم الله، فإن أطاعوك فقد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك**».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

الفصل
الرابع والعشرون

درجات الزهراء عليها السلام
ومنزلتها

درجات الزهراء عليها السلام ومنزلتها

قال الخطيب الكجوري (ره) في كتابه الخصائص الفاطمية:

سبحانك اللهمّ يا فاطر السماوات العلى، وفالق الحبّ والنوى، أنت الذي فطرتَ اسماً من اسمك، واشتققتَ نوراً من نورك، فوهبت اسمك بنورك، حتى يكون هو المظهر لظهورك،... وناديتَ في الملأ الأعلى: أنا الفاطر وهي فاطمة، وبنورها ظهر الوجود من الفاتحة إلى الخاتمة، فاسمُها اسمُك، ونورُها نورُك، وظهورُها ظهورُك، ولا إلهَ غيرُك، وكلّ كمال ظِلّ كمالك، وكلّ وجود ظلّ وجودك. فلمّا فطرتَها فطمتَها عن الكدورات البشرية، واختصصتها بالخصائص الفاطمية، وهذّبتها مفطومةً عن الرعونات العنصرية، ونزّهتها عن جميع النقائص، مجموعةً من الخصائل المرضيّة، بحيث عجز ما سواها عن إداركها، وفُطم الناس عن كُنه معرفتها، فدعاها الأملاك في الأفلاك: بـ(النوريّة السماويّة) وبـ(فاطمة المنصورة) بعد ما أظهرتَ نورها زاهراً، وصوّرتها بأحسن صورة، تعالى جلالُك وتلألأ جمالك، وتجلّيت بها في سبحات الجبروت، وتحلّيتها بصفاتك في سترات الملكوت، فسبحان من تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، فلا تزال تتقلّب بين يدَي الجلال والجمال، ولم تزل تتنزّل من مبدأ الكمال إلى منتهى الكمال. فكفّلها العقلَ الأوّل، وزكّاها بالعلم والعمل، واحتضنها في كلاءته، واختصّها بكفالته، وربّتها يد الرحمة، وغذتها ثدي العصمة، وأوحى إليها ما أوحى إليه، وآتاها ما أوتي من قُربه لديه – فأُشهد الله أنّها حبيبة الحقّ وربيبة الربّ، وأنّ محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أباها – مع النبوّة وعظيم الزُّلفة – يفتخر بهذه الأُبوّة، ويُباهي بأنّ هذه الثمرة من تلك الشجرة، كما أنّ الواحد من العشرة، وأنّ عليّاً بعلها علا اسمُه بها، وهو يقول في وحدته معها:

وبنتُ محمّد سكني وعُرسي مَنوط لحمُها بدمي ولحمي[(١)]

فيالله من ﴿شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[(٢)]، المغروسة في الحرم من كرم، فشمخت أغصانُها، وسمت أفنانُها، واخضرّت أوراقها، وأينعت ثمارها، فأظلّت الورى، وأحاطت بما في الثرى. فيالله من أصل زكيّ وفرع سمي، نمى ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ﴾[(٣)]. وهي في البداية نقطة الوحدة، وفي النهاية كوثر الكثرة، فصدرت منها المعارف والحكم - لأنّها أمُّ الكتاب، وعلّمها ربّها من العلوم ما لم تعلم، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[(٤)]، وإنّها الجنّة التي ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[(٥)]، والنحلة التي اتّخذت لها ﴿بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[(٦)]، فعمّ الورى نفعُها، وجعلها ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾[(٧)]، فهي النعمة التامّة، والرحمة العامّة، وعَيبة المعرفة،ووعاء المشيّة، أخت النبوّة، وعصمة المروّة، الصحيفة المتلوّة، والمرأة المجلوّة، دليل الهداية، وزميل الولاية، نور السماوات السبع، وزين الفواطم التسعة، الكريمة الجليلة، والسماء الظليلة، والعين الغزيرة، والروضة المطيرة، والأمانة المعروضة، والمودّة المفروضة، والساعة المستجابة، والبضاعة المرجوّة، والطاهرة المطهّرة، والممتحَنة الصابرة، والليلة المباركة، والقدر التي خير من ألف شهر، باب الإيمان، ووسيلة الرضوان، أمّ الكتاب، وفَصل الخطاب، صدف الفخار، وغُرّة

---

(١) في المصدر (وإن فاطمة)، وقد صحّحناه من باقي المصادر.

(٢) سورة إبراهيم: مقطع من الآية ٢٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٤) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

(٦) سورة النحل: الآية ٦٨.

(٧) سورة النور:الآية ٣٦.

شمس النهار، صاحب القبّة الحمراء في حضيرة القدس، وتفّاحة الخلد، والمصباح المنير في مشكاة الوجود، والزجاجة المضيئة في عالمي الغيب والشهود، ووليدة الإسلام، والمعصومة من الآثام، قرار القلب، وقدوة الربّ، وشرف الأمّ، والشريفة من الأب، خاصّة الرسول، والحَصان البتول، بضعة المصطفى، وزوجة المرتضى، ولن تشذّ عن رسول الله لُحمته لأنّها شجنته ومهجته وروحه وحقيقته ونفسه وكريمته، عين الحياة، وسفينة النجاة، وذريعة الهداة، وشفيعة العصاة، خامسة أصحاب الكساء، وإحدى الكُبَر، زهرة الزهراء بين الشمس والقمر، التي بِرُّها خير العمل، والأعمال منه تقبل، أَمَة الله الزكيّة، وآنية الله النقيّة، ونفس الله القائمة في حقيقة العلويّة، أمّ القرى الإمكانيّة، والقوّة القاهرة في قوى الإنسانيّة، سماء الكواكب الدريّة من الأئمّة المهديّة، والرجال الإلهيّة، ثمال الشيعة الإثني عشريّة، ورجاء الفرقة الإماميّة، المكّيّة المدنيّة، والحجازيّة التّهاميّة، والهاشميّة القرشيّة، قرّة العين، وإحدى المخلّفتين، أمُّ السِبطين، وأكبر حُجج الله على الخافقين، ريحانة سِدرة المنتهى، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، وستر الله المرخى، والسيّدة العظمى، ومريم الكبرى، والصلاة الوسطى، والإنسيّة الحوراء، التي بمعرفتها دارت القرونُ الأُولى. وكيف أُحصي ثناؤها، وإنّ فضائلها لا تُحصى، وفواضلها لا تُقضى!! البتول العذراء، والحرّة البيضاء، أمُّ أبيها وسيّدة شيعتها وبنيها، ملِكة الأنبياء، الصدّيقة فاطمة الزهراء.

[و] نِعم ما قيل:

خجلاً من نور بهجتها	تتوارى الشمس في الأُفقِ
وحياءً من شمائلها	يتغطّى الغصن في الورق

انتهى كلام الخطيب الكجوري[١].

وقال السيد جعفر مرتضى العاملي في الحديث عن مقام الزهراء فاطمة عليها السلام:

روى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: أنَّه قال: «.. **ولقد كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله تعالى، من الجن والإنس، والطير، والوحوش، والأنبياء والملائكة**».

وعن أبي جعفر الثاني عليه السلام: «**إنَّ الله لم يزل متفرّداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة [سلام الله عليهم أجمعين] فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، الخ**»..

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**لولا أنَّ الله تعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن لفاطمة كفؤ على وجه الأرض آدم فمن دونه**».

وهناك روايات تضمّنت بيان كونها هي ورسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسنان عليهم السلام قد خلقوا قبل الخلق، وأنَّه لولاهم لم يخلق الله الجنة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا الإنس ولا الجن. وثمة أحاديث أُخرى بمضامين مختلفة تبين بعض فضلهم وكرامتهم صلوات الله وسلامه عليهم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله في حديث: «**على ساق العرش مكتوب: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله**».

ثم هناك حديث الكساء الذي تضمن: «**أنَّه لولا فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها لم يخلق الله سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا.. ولا..**» وإلخ.. وللحديث مصادر كثيرة جمعت في كتاب آية التطهير.

---

(١) الخصائص الفاطمية ١: ٢٧ – ٣١، الديباجة.

وأعتقد أنَّ في هذه الأحاديث الشريفة دلالات وافية بمقامها الشريف صلوات الله وسلامه عليها وعلى الأئمة الطاهرين.

والخلاصة في هذه الأخبار: أنّها تضمّنت أنَّ طاعتها مفروضة حتى على الأنبياء. وتضمّنت أيضاً: أنَّ طاعتها مفروضة على جميع الأشياء.

وتضمّنت كذلك: أنَّ لا كفؤ لها سوى عليٍّ، فليس لجميع الأنبياء منزلتها، ولا مقامها. حتى نوح، وحتى إبراهيم الخليل شيخ الأنبياء وأفضل الرسل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله. فمقامها أعظم، وأسمى)؛ انتهى كلام السيد جعفر مرتضى[1].

وقال الشيخ السند في (مقامات فاطمة الزهراء) تحت عنوان (فاطمة عليها السلام فوق مقام الأبرار):

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[2] وصفٌ لحال الأبرار الذين نعموا برضوان الله تعالى وكرامته وبيان لمقامهم، وأظهر مصاديق هذا المقام الكريم أنّهم يشربون كأساً صفته ممزوج بكافور.

ثم تنتقل الآية إلى وصف هذه العين التي هي شراب المقربين، وهي عين يتولى أمرها عباد الله إذ يفجّرونها تفجيراً، فمن هم هؤلاء الذين يتولون تفجير هذه العين وأمرها، ومن ثَمّ يسقون منها الأبرار؟

(١) مختصر مفيد للسيد جعفر مرتضى العاملي ١: ١١٤ – ١١٥.

(٢) سورة الإنسان: الآيات ٥ – ٩.

إنَّ الآية تكفّلت ببيان هؤلاء المتولين لأمر هذه العين وهم عباد الله الذين صفاتهم:

١ - يوفون بالنذر.

٢ - يخافون يوم القيامة الذي يكون شرّه مستطيراً مهولاً.

٣ - يُطعمون المسكين واليتيم والأسير لله تعالى عطاءً خالصاً لا يرجون من غيره جزاءً ولا شكوراً.

فمَن هؤلاء إذن؟

اتّفق الفريقان أنَّها نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام). فقد أورد الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بأربع وعشرين طريقاً أنَّها نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)؛ وخلاصة القصة أنّهم (عليهم السلام) نذروا إن عوفي الحسنان أن يصوموا لله تعالى ثلاثاً، فلمّا عوفيا وفوا بنذرهم، فجاءهم في اليوم الأول مسكين فأعطوه طعامهم، وسألهم في اليوم الثاني يتيم فأعطوه طعامهم، ووقف ببابهم أسير فأعطوه طعامهم، فباتوا ثلاثاً طاوين، فأنزل الله بهم هذه الآيات، فثبتت صفة عباد الله الذين يفجرون هذه العين لهم (عليهم السلام).

فإذن هم الذين يفجرون عين الكافور ويفيضون منها على الأبرار ليمتزج شرابهم بقليل من العين، أي أنَّها واسطة فيض على الأبرار ولهم القيمومة التامة على ذلك، وهذا يطابق قيمومتهم على الأبرار وأنّهم المقرّبون في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1].

فشهادة كتاب الأبرار من قبل المقربين دليل على قيمومة المقربين على الأبرار

(١) سورة المطففين: الآيات ١٨ - ٢١.

وشهادتهم عليهم، فالمقربون هم الشهداء على كتاب الأبرار أي أعمالهم، ولذلك ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة (أنتم الصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء..) وفي موضع آخر من الزيارة (شهداء على خلقه وأعلاماً لعباده) هذه هي شهادة المقربين وهيمنتهم على الأبرار، والمقرّبون هؤلاء هم السابقون الذين وصفتهم الآية بقوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[١] مع أنَّ سورة الدهر لم تزل في سياقات وصف المقربين وهم الذين يوفون بالنذر ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[٢] هذا حال المقربين، ويطابق هذا الوصف لعباد الله وارتفاع مقامهم عن الأبرار ما في سورة المطففين من قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[٣] فهذه الآيات تشير أيضاً إلى أنَّ المقربين واسطة فيض للأبرار، وهم الذين

---

(١) سورة الواقعة: الآية ١٠.

(٢) سورة الانسان: الآيات ٧ – ١٨.

(٣) سورة المطففين: الآيات ١٨ – ٢٨.

يمزجون شراب الأبرار بشيء من التسنيم، ولأنَّهم وسطاء فيض فهم يشهدون أعمال الأبرار، وهذا يتطابق مع ما تقدم من أنَّ المطهرين في هذا الشرع المقدس، المعصومون يمسون الكتاب في اللوح المحفوظ المكنون الذي يستطر فيه كل غائبة، ومنها أعمال العباد، فالمطهر هو المقرّب، وهم عباد الله الذين يسقون الأبرار من عين يفجرونها تفجيراً، وهذه العين هي عين الكافور، وهي عين فوق مقام الأبرار، والسلسبيل الذي هو مصدر المقربين والعين التي يسقون منها هي رسول الله صلى الله عليه وآله إذ هو القيّم على المقربين الذين هم أهل البيت (عليهم السلام) وهو مصدرهم.

فتلخص إذنَّ أن الأبرار يُسقون كأساً ممزوجة بالكافور، والمقربون هم مصدر الأبرار، والسلسبيل مصدر المقربين التي يسقون ويُسقوْنَ منها، على أنَّ السقاية من العين وتفجيرها، تعني أنَّ المقرّبين هم واسطة إفاضة على الأبرار، الذين يفيضون بالنور والعلم والحكمة والهداية على الأبرار، وهؤلاء المقرّبون وهم علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) يُفاض عليهم من عين السلسبيل بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله فعلومهم وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله كما في الروايات الواردة عنهم، مما يعني أنَّ المقربين هم في مقام الحجية والقيمومة المهيمنة على الخلق إذ قيمومتهم تصدر من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ينص على حجيتهم وإمامتهم بأمر الله تعالى.

وبذلك يتّضح مقام فاطمة عليها السلام وكونها إحدى وسائط الإفاضة على الخلق النابعة من مصدر إلهي يمثله رسول الله صلى الله عليه وآله، وظهر أنّها شاهدة لله على الخلق، وأنّها هادية لهم، وأنّها من الراسخين في العلم الذين يمسّون الكتاب المكنون في اللوح المحفوظ، فهي من الذين أوتوا العلم وأُثبت في صدورهم، وأنّها ممّن يُعرض عليها

أعمال العباد؛ انتهى كلام الشيخ السند[١].

وقال الشيخ السند في موضع آخر: (فمباهلة النبي صلى الله عليه وآله بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين يعني احتجاجه على النصارى بهؤلاء الذين هم الحجة على صدق دعوة النبي وبعثته. كما أنّ المباهلة تعني بحسب ماهيتها أنَّ النبي صلى الله عليه وآله جعل هؤلاء المتباهل بهم شركاء في دعوته، مما يعني أنَّ مسؤولية الدعوة تقع على عاتقهم كذلك بحجيتهم ومقامهم، مشيرة إلى وجود تعاضد وتقاسم بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله كما يفيد ذلك حديث المنزلة الذي رواه الفريقان عن سعد بن أبي وقاص، أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعليٍّ: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنّه لا نبي بعدي**»، فمنزلته عليه السلام بمنزلة هارون وصفٌ لحجيته ومشاركته في دعوته كما شارك هارون موسى في دعوته، فهذه المقاسمة والمشاركة في المنزلة دليل حجيته عليه السلام، كما أنَّ مشاركة عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) في المباهلة مع النبي صلى الله عليه وآله دليل حجيتهم ومشاركتهم معه (عليهم السلام) في تبليغ صدق بعثته صلى الله عليه وآله، هذا ما تبينه آية المباهلة من مقام فاطمة عليها السلام وحجيتها كذلك.

فهذه مقامات يمكن متابعتها في اصطلاحات القرآن تفسّر مقام الزهراء عليها السلام وأنَّها بنص القرآن حجة من حجج الله تعالى في مصاف الأنبياء والرسل. وما روي عن أبي جعفر عليه السلام في حجية فاطمة عليها السلام قوله: «**ولقد كانت فاطمة عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش، والأنبياء والملائكة**». فتحصّل أنَّ مؤدى آية المباهلة هو بنصب الله تعالى فاطمة عليها السلام حجّة على حقانية الإسلام ونبوّة نبيّه وشريعته، لاحتجاجه تعالى بها على النصارى وأهل

(١) مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والسنة للشيخ محمد السند: ص ٧٤ - ٧٨.

الكتاب، فلم يحصر تعالى الحجّية على الدين بالنبي صلى الله عليه وآله، بل جعل الخمسة كلهم حجّة على دينه، ومقتضى هذا الاحتجاج منه تعالى أنَّ متابعة عليٍّ وفاطمة والحسنين (عليهم السلام) للنبي صلى الله عليه وآله وتصديقهم به هو بنفسه دليل على صدق النبي صلى الله عليه وآله ورسالته، نظير قوله تعالى ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[(١)]، حيث جعل شهادة مَن عنده علم الكتاب دليلًا على صدق النبي صلى الله عليه وآله من سنخ شهادة معجزة القرآن التي هي شهادة الله لنبيّه والآية من سورة الرعد المكية نزولاً النازلة في عليٍّ، حيث لم يسلم من أهل الكتاب في مكة أحد، بل لا يخفى على اللبيب الفطن أنَّ من عنده علم الكتاب شامل للمطهرين في شريعة الإسلام وهم أصحاب آية التطهير، لأنَّهم هم الذين يمسّون الكتاب المكنون كما أشارت إليه سورة الواقعة وتقدم مفصلاً، فمنه يُعلم أنَّ قوله تعالى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ مفادها هو مفاد آية المباهلة في كونها حجة على بعثة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا المعنى هو الذي يشير إليه ما رواه الواقدي أنَّ علياً عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وآله كالعصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى.

ففي مقام الاحتجاج على أهل الأديان لم يأمر الله تعالى نبيّه بدعوة زوجاته أمَّهات المؤمنين ولا أحد من الصحابة ولا سائر بني هاشم، ولا يخفى أنَّ تعيين الخمسة (عليهم السلام) للمباهلة لم يكن موكولاً للنبي صلى الله عليه وآله، بل بأمر من الله وتعيين وتنصيص من الله في قرآنه النازل، وإنْ كان النبي صلى الله عليه وآله مأموراً بدعوتهم للمباهلة؛ انتهى كلام الشيخ السند[(٢)].

---

(١) سورة الرعد:الآية ٤٣.

(٢) مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والسنة: ص٨٣ – ٨٥.

أن اللّه يحبّ فاطمة وبعلها وابنيها ومَن يحبّهم

سجد النبي صلى الله عليه وآله لربّه الودود شكراً كلّما أبلغه جبرئيل الأمين عن محبّة الله تعالى لابنته فاطمة ولبعل فاطمة ولابنَي فاطمة ولمحبّهم. ويجسّد السجود أكمل درجات الخضوع والتذلّل أمام مقام الخالق عز وجلّ، وإنَّ أقربَ ما يكون العبدُ إلى ربّه وهو ساجد. وإنَّ شُكر العبد المؤمن للنعمة يستدعي زيادتها، ذلك وعدٌ إلهيّ لا يتخلّف أبداً ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، فما بالك بسجود سيّد المرسَلين صلى الله عليه وآله شكراً لله على نعمائه لأهل بيته عليهم السلام!

أخرج ابن شهر آشوب عن صاحب المحاضرات عن أبي هريرة، أنَّه سجد رسول الله بخمس سجدات بلا ركوع، فقلنا له في ذلك، فقال: «**أتاني جبرئيل فقال: إنَّ الله يحب علياً، فسجدت، فرفعت رأسي فقال: إنَّ الله يحب الحسن، فسجدت، فرفعت رأسي فقال: إنَّ الله يحب الحسين، فسجدت، ورفعت رأسي ثم قال: إنَّ الله يحب فاطمة، فسجدت، ثم قال: إنَّ الله يحب من أحبهم، فسجدت**»[2].

الجنة تشتاق إلى فاطمة عليها السلام

الجنّة والنار من خلق الله تعالى، وقد ورد في القرآن الكريم أوصاف للجنّة والنار، منها أنَّ جهنّم حين يُلقى فيها الكفّار فإنّها ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[3]، وأنهَّا تُسئل (هل امتلأتِ) فتقول (هل من مزيد)؛ كما ورد في الحديث أنَّ الجنّة تشتاق إلى فاطمة وبعلها وابنيها في خفقة أبوابها واضطراب ريح السدرة فيها، وأنَّ في الجنّة نهراً يقال له (خير)

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب – ابن شهر آشوب ٣: ١٠٧.

(٣) سورة الملك: الآية ٨.

مخرجه من الكوثر، والكوثر مخرجه من ساق العرش، عليه منازل الأصفياء وشيعتهم. إن في الجنة نهراً يقال له (جعفر)، على شاطئه الأيمن درّة بيضاء فيها ألف قصر، في كل قصر ألف قصر لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله[1].

أخرج ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لما أُسري بي إلى السماء وانتهيت إلى سدرة المنتهى...**» (ثم يصف الجنّة ونعيمها حتى يصل إلى قوله):

«**إنّ الورقة منها تظلّ الدنيا، وعلى كلّ ورقة ملك يسبّح الله، يخرج من أفواههم الدرّ والياقوت، تبصر اللؤلؤ مقدار خمسمائة عام، وما يسقط من ذلك الدرّ والياقوت يخزنونه ملائكة موكّلون به، يلقونه في بحر من نور، يخرجون كلّ ليلة جمعة إلى سدرة المنتهى، فلمّا نظروا إليّ رحّبوا بي وقالوا: يا محمّد! مرحباً بك.**

فسمعت اضطراب ريح السدرة، وخفقة أبواب الجنان قد اهتزّت فرحاً لمحبّيك، فسمعت الجنان تنادي: وا شوقاه إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام»[2].

أوّل من يدخل الجنة فاطمة عليها السلام

مما أنعم الله به على الزهراء عليها السلام أنَّها أول من يدخل الجنّة، كما في الحديث التالي من كتاب الفردوس، وأنّ بعلها أمير المؤمنين أول من يدخل الجنة من الرجال، حتى أنَّه ليدخل الجنة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ورد في الحديث أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام سأل رسولَ الله صلى الله عليه وآله عن سرّ دخوله الجنّة قبله، فأجابه

(١) انظر: الوافي للكاشاني ٢٥: ٦٨٦ / ح٢٥٨١٨ و٢٤٨٢٠.

(٢) قرب الإسناد: ص١٠١؛ بحار الأنوار ٣٧: ٣٧ / ح ٦.

صلى الله عليه وآله: «**أوَ لستَ حاملَ لوائي**»؟! كما روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمِّ سلمة في حديث: «**يا أمَّ سلمة، اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، حامل لوائي في الدنيا، وحامل لوائي غداً في القيامة**»(١).

من كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أوّل شخص يدخل الجنة فاطمة، مثلها في هذه الأمَّة مثل مريم بنت عمران في بني إسرائيل**»(٢).

إنَّ فاطمة تُدخل الجنة ذريتها وشيعتها وشيعة ذريتها ومحبيهم

تجازي الصدّيقة الطاهرة يوم القيامة ذريتها وشيعتها وشيعة ذريّتها ومحبوهم عن محضهم المودّة للعترة الطاهرة التي أمر الله تعالى المسلمين أن يرعوها حقّ رعايتها، في قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(٣)! وقد ورد في الحديث «**إنَّ الزهراء عليها السلام تلتقط شيعتها ومحبّيها كما يلتقط الطيرُ الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء**»(٤).

روى أهل البيت عليهم السلام أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «**إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنة مدلجة الجنبين، خطامها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمراوان، عليها قبة من نور يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله،**

(١) الأمالي للصدوق: ص٤٦٤، المجلس الستون / ح٦٢٠ / ١٠.

(٢) بحار الأنوار ٣٧: ٧٠؛ كنز العمال ١٢: ١١٠ / ح٣٤٢٣٤.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٤) الخصائص الفاطمية، للكجوري ١: ٣١٦.

على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركناً،كل ركن مرصع بالدر والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدري في أُفق السماء وعن يمينها سبعون ألف ملك وعن شمالها سبعون ألف ملك وجبرئيل آخذ بخطام الناقة ينادي بأعلى صوته: غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة. قال: فتسير، يعني فاطمة، حتى تحاذي عرش ربها وترجع نفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسيدي احكم بيني وبين من ظلمني؛ احكم بيني وبين من قتل ولدي، فإذا النداء من قِبل الله: يا حبيبتي وابنة حبيبي سليني تعطي، واستشفعي تشفعي، فوعزّتي وجلالي لا جازني ظلمُ ظالم! فتقول: إلهي وسيدي، ذريتي وشيعتي وشيعة ذريتي ومحبو ذريتي، فإذا النداء من قِبل الله: أين ذرية فاطمة وشيعتها ومحبوها ومحبو ذريتها؟ فيقومون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة، فتقدمهم فاطمة كلّهم حتى تُدخلهم الجنة».

وفي خبر آخر: «تُحشر فاطمة وتُخلع عليها الحلل وهي آخذة بقميص الحسين ملطخ بالدم وقد تعلّقت بقائم العرش تقول: ربّي الحكم بيني وبين قاتل ولدي الحسين، فيؤخذ لها بحقها»[1].

فاطمة عليها السلام تكفل أطفال المؤمنين في الجنّة

طوبى للمؤمنين! فإنّ لهم كافلاً لأطفالهم في الجنّة هو أرحم بهم من والديهم وأهليهم. وإذا كان الله تعالى قد جعل لإبراهيم ابن نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله مرضعاً في الجنّة، فإنّه جعل لأولاد المؤمنين الذين أحبّوا أهل البيت عليهم السلام في دار الدنيا كافلاً يكفلهم في الجنّة ويغذوهم حتّى يلحق بهم والداه أو أحدهما، وما ذلك الكافل العطوف الرحيم إلّا الزهراء المرضيّة عليها السلام.

(١) مناقب آل أبي طالب – ابن شهر آشوب ٣: ١٠٧ – ١٠٨.

روى الشيخ الصدوق في التوحيد عن أبي زكريا، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«إذا مات طفل من أطفال المؤمنين نادى منادٍ في ملكوت السماوات والأرض: ألا إنَّ فلان بن فلان قد مات! فإن كان مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين دُفع إليه يغذوه، وإلَّا دُفع إلى فاطمة عليها السلام تغذوه حتى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته فتدفعه إليه»(١).

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **«إنَّ أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عليها السلام»**؛ قوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(٢)، قال: **«يهُدون إلى آبائهم يوم القيامة»**(٣).

فاطمة عليها السلام هي مشكاة نور الله تعالى

روى الفقيه ابن المغازليّ في المناقب، في قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾(٤)، بإسناده عن عليٍّ بن جعفر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ:

﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾. قال: **«المشكاة: فاطمة عليها السلام، والمصباح: الحسن والحسين عليهما السلام»**.

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال: **«كانت فاطمة عليها السلام كوكباً درّيّاً من نساء العالمين»**

(١) التوحيد: ص٣٩٤؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٥: ٢٩٣.

(٢) سورة الطور: الآية ٢١.

(٣) بحار الأنوار ٥: ٢٨٩.

(٤) سورة النور: الآية ٣٥.

﴿يوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ «الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام»

﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ «لا يهوديّة ولا نصرانيّة».

﴿يَكادُ زَيْتُها يُضيءُ﴾، قال: **«يكاد العلم ينطق منها»**.

﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نورٌ على نُورٍ﴾ قال: **«إمام بعد إمام»**.

﴿يَهْدي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ قال: **«يهدي الله عزّ وجلّ لولايتنا من يشاء»**(١).

وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي عن أنس بن مالك حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، جاء فيه: «... **لـما أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري، ونوري خير من نور العرش. ثم فتق نور أخي علي بن أبي طالب - عليه السلام - فخلق منه نور الملائكة، فنور الملائكة من نور علي، فنور علي أفضل من الملائكة. ثم فتق نور ابنتي فاطمة فخلق منه نور السماوات والأرض، فنور ابنتي فاطمة أفضل من نور السماوات والأرض. ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فنور ولدي الحسن أفضل من الشمس والقمر. ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين، فنور ولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين**»(٢) - الحديث وقد نقلنا منه موضع الشاهد.

قال المازندراني في شرح حديث الكافي: قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فاطمة عليها السلام، أي صفة نوره كصفة مشكاة. قال الفرّاء: المشكاة: الكوَّة الّتي ليست بنافذة، وقيل: هي أُنبوبة في وسط القنديل يوضع فيها المصباح وهو السراج والفتيلة

(١) المناقب لابن المغازلي: ص٢٩٣ / ح٣٦٨؛ بحار الأنوار ٣٦: ٣٦٣ / ح ٤١.

(٢) مدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني ٣: ٢٢١ - ٢٢٤ عن مصباح الأنوار.

المشتعلة، والمراد بها هنا فاطمة عليها السلام، لأنّها محلٌّ لنور الأئمة، والأئمّة نور وسراج لأنَّ الطالبين للهداية المتّبعين لأثرهم، يستضيئون بنور هدايتهم وضياء علومهم إلى الطريق الأرشد، كما يهتدي السالكون في الظلمة بالنور والسراج[١].

الزهراء عليها السلام ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً

الزهراء عليها السلام هي أحد مصاديق آية التطهير، والتطهير وإذهاب الرجس عن المخلوق يعني أنَّه معصوم لا يُتصوّر حصول المعصية منه. وقد زعم بعض النواصب من أمثال عكرمة أنَّ آية التطهير نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وآله، وقد أوردنا رد زيد الشهيد في هذا الشأن.

أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢]، قال: «**نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله و عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وذلك في بيت أُمِّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ ألبسهم كساءً له خيبريّاً ودخل معهم فيه، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي الّذين وعدتني فيهم ما وعدتني. اللهمّ أذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**».

فنزلت هذه الآية، فقالت أُمِّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «**أبشري يا أُمِّ سلمة! فإنّك إلى خير**».

---

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني ٥: ١٨١.

(٢) سورة الأحزاب:الآية ٣٣.

قال أبو الجارود: وقال زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام: إنّ جهّالاً من النّاس يزعمون إنّما أراد الله بهذه الآية أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد كذبوا وأثموا، وأيم الله لو عني بها أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله لقال: (ليُذهب عنكنّ الرجس ويطهّركنّ تطهيراً)، ولكان الكلام مؤنثاً، كما قال: ﴿وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى في بُيوتِكُنَّ﴾[١] ﴿ولا تبرّجن﴾[٢] و﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ﴾[٣]. ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾[٤]؛ فإنّ الله أمره أن يخصّ أهله دون النّاس، ليعلم النّاس أنّ لأهل محمّد صلى الله عليه وآله عند الله منزلة خاصّة ليست للنّاس، إذ أمرهم مع النّاس عامّة ثمّ أمرهم خاصّة.

فلمّا أنزل الله تعالى هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء كلّ يوم عند صلاة الفجر حتّى يأتي باب عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فيقول: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**». فيقول عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: «**وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته**».

ثمّ يأخذ بعضادتي الباب ويقول: الصلاة الصلاة يرحمكم الله ﴿إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾[٥]. فلم يزل يفعل ذلك كلّ يوم إذا شهد المدينة حتّى فارق الدنيا.

وقال أبو الحمراء خادم النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا شهدته يفعل ذلك[٦].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

(٤) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٥) سورة النور: الآية ٣٥.

(٦) تفسير القمي ٢: ١٩٣؛ بحار الأنوار ٣٥: ٢٠٦ و ٢٠٧ / ح ٢، عن تفسير القمّي.

وروى الشيخ الطوسي عن عبد الله بن معين -مولى أُمِّ سلمة- عن أُمِّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله أَنَّها قالت:

نزلت هذه الآية في بيتها ﴿إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾، أمر في رسول الله صلى الله عليه وآله أن أُرسل إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فلمّا أتوه اعتنق علياً عليه السلام بيمينه، والحسن عليه السلام بشماله، والحسين عليه السلام على بطنه، وفاطمة عليها السلام عند رجليه.

ثمّ قال: «**اللهمّ هؤلاء أهلي وعترتي فأَذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**»، قالها ثلاث مرّات. قلت: فأنا يا رسول الله؟ فقال: «**إنّك على خير إن شاء الله**»[1].

وروى الشيخ الطوسي عن الحارث، عن عليٍّ عليه السلام قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتينا كلّ غداة فيقول: الصلاة رحمكم الله الصلاة** ﴿إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾»[2].

فاطمة عليها السلام من الذين أنعم الله عليهم

نلهج في صلاتنا اليومية أن يهدينا الله تعالى صراطه المستقيم، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم. فمن هم هؤلاء (الذين أنعم اللهُ عليهم)؟! إنّهم (غير المغضوب عليهم ولا الضالّين)! ولقد صرّح رسولُ الله صلى الله عليه وآله مرّات وكرّات «**إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة، ويغضب لغضبها**»، وقال عن بضعته الطاهرة المطهّرة «**فاطمة بضعة مني، من أغضبها فقد أغضبني**»، وإنّ كتاب الله تعالى صريحٌ في أنَّ من أغضب رسول الله وآذاه،

(١) أمالي الطوسي: ص٢٦٤؛ بحار الأنوار ٣٥: ٢٠٩/ ح٧، عن أمالي الطوسي.

(٢) أمالي الطوسي: ص٨٩، المجلس الثالث؛ أمالي المفيد: ص٣١٨.

فإنَّ الله تعالى يلعنه في الدنيا والآخرة. ونقرأ في كتب صحاح العامّة أنَّ أبا بكر أغضب الزهراء عليها السلام فهجرته وقاطعته حتّى ماتت، بل إنّها أوصت أن لا يحضر هو وصاحبه جنازتها ولا يصلّيا عليها!

روى الشيخ الطوسي في كتاب (مصباح الأنوار) بإسناده عن أنس قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الأيّام صلاة الفجر ثمّ أقبل علينا بوجهه الكريم فقلت له: يا رسول الله! أرأيت أن تفسّر لنا قوله تعالى: ﴿فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً﴾[١]، فقال صلى الله عليه وآله و سلم: «**أمّا النبيّون فأنا، وأمّا الصدّيقون فأخي عليّ عليه السلام، وأمّا الشهداء فعمّي حمزة، وأمّا الصالحون فابنتي فاطمة وأولادها الحسن والحسين عليهم السلام**»، الخبر[٢].

مكتوب على باب الجنة: فاطمة أَمَة الله

روى الشيخ الصدوق عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أدخلت الجنة فرأيت على بابها مكتوباً بالذهب: لا إله إلّا الله، محمد حبيب الله، عليٌّ ولي الله، فاطمة أَمَة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضيهم لعنة الله**»[٣].

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٤: ٣١/ح ٢؛ عن مصباح الأنوار.

(٣) الخصال: ص٣٦٤، باب الستة (ست كلمات مكتوبة على باب الجنة)؛ بحار الأنوار ٢٧: ٣/ح ٦، عن الخصال.

فاطمة عليها السلام من العالين في سرادق العرش

أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام، فسجد الملائكة أجمعون إلَّا إبليس عصى ربّه واستكبر فلم يسجد لآدم عليه السلام، فسأله الله تعالى عن علّة امتناعه عن السجود: هل هو استكبار منه، أم أنَّه كان من (العالين) غير المأمورين بالسجود، وهم رسول الله وأهل بيته الأطهار.

روى الصدوق بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله! أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[١]، فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله عز و جل آدم بألفي عام.**

فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم أجمعون إلَّا إبليس، فإنَّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي: من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش. فنحن باب الله الذي يؤتى منه، وبنا يهتدي المهتدون، فمن أحبنا أحبه الله وأسكنه جنته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبنا إلَّا من طاب مولده»[٢].

---

(١) سورة ص:الآية ٧٥.

(٢) فضائل الشيعة: ص٧؛بحار الأنوار ١١: ١٤٢ / ح ٩؛ و ١٥: ٢١ / ح ٣٤ عن الشيخ الصدوق.

فاطمة عليها السلام من أهل الذكر

ورد الأمر في القرآن الكريم ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمونَ﴾[(١)]، وتخبّط أغلب المفسّرين في تفسير المراد بـ(أهل الذكر) الذين أمر اللهُ تعالى بالرجوع إليهم وسؤالهم، حتى وصل الأمر إلى أن نقرأ في بعض التفاسير العاميّة بأنَّ المراد بهم أهل الكتاب[(٢)]!! وقد روى الكليني عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنَّ من عندنا يزعمون أنَّ قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ أنَّهم اليهود والنصارى، قال: إذاً يدعونكم إلى دينهم! قال: - قال بيده إلى صدره- نحنُ أهل الذكر ونحن المسؤولون**»[(٣)].

وروى الحافظ محمّد بن مؤمن الشيرازي في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمونَ﴾[(٤)] بإسناده إلى ابن عبّاس قال: (أهل الذكر) يعني أهل بيت محمّد عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، أهل العقل والعلم والبيان، هم أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة لهذا[(٥)].

وروى الكليني عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿وَإِنَّهُ

---

(١) النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧.

(٢) انظر: تفسير جامع البيان للطبري ١٤: ١٤٤، قال: فاسألوا أهل الذكر وهم الذين قد قرأوا الكتب من قبلهم: التوراة والإنجيل، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده. روي عن مجاهد: (فاسألوا أهل الذكر) قال: أهل التوراة؛ المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٣: ٣٩٥، قال: قال تعالى (فاسألوا)، و(أهل الذكر) هنا اليهود والنصارى قاله ابن عباس ومجاهد والحسن؛ تفسير الفخر الرازي ٢٠: ٣٦، ذكر عدّة وجوه، منها: قال ابن عباس: يريد أهل التوراة، والذكر هو التوراة.

(٣) الكافي - الشيخ الكليني ١: ٢١٢ /ح٧.

(٤) سورة النحل: الآية ٤٣؛ سورة الأنبياء: الآية ٧.

(٥) بحار الأنوار ٣٦: ١٦٧ / ح ١٥٢، عن الطرائف.

لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[١]، فرسول الله صلى الله عليه وآله الذكر، وأهل بيته عليهم السلام المسؤولون، وهم أهل الذكر[٢].

صحفة طعام سماوية في بيت الزهراء عليها السلام

أكرم الله تعالى بضعة أشرف الأنبياء والمرسلين: الزهراء الطاهرة بأن جعلها سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنزل عليها المرّة تلو المرّة طعاماً سماوياً كما كان ينزل على مريم ابنة عمران عليها السلام من قبل. روى ابن جرير في المسترشد عن أبي سعيد الخدري، [قال:] إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) أصابه الجوع حتى أجهده، فقال: لعلي «**هلمّ بنا إلى منزلك، وعليٌّ (عليه السلام) وأهله وعياله في مثل معناه**»! قال علي (عليه السلام): «**فاستحييت أن أُخبره الخبر، فملت معه، فلما رأته فاطمة (عليها السلام) دخلت البيت، ودعت ربها، وابتهلت إليه، وتقربت إلى الله عز وجل بأبيها في ابتهالها، فإذا بقصعة من ثريد تفور، فأخرجتها وقدمتها إلى أبيها (صلى الله عليه وآله) فنظر إليها [علي] نظراً منكراً، فقال: أنى لك هذا، فقالت: هو من عند الله، فأجابه النبي عنها، فلما فرغ النبي (صلى الله عليه وآله) من الأكل، قال: الحمد لله الذي جعلكما مثل مريم وزكريا**» ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[٣] و[٤].

روى الكليني بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: يا فاطمة قومي فأخرجي تلك الصحفة! فقامت**

(١) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني ١: ٢١١ /ح٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٤) المسترشد لابن جرير الطبري الشيعي: ص ٢٨٧ / ح١٠٠.

فأخرجت صحفة فيها ثريد وعراق يفور، فأكل النبي صلى الله عليه وآله وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين ثلاثة عشر يوماً، ثم إنَّ أمَّ أيمن رأت الحسين معه شيء فقالت له: من أين لك هذا؟ قال: إنَّا لنأكله منذ أيام، فأتت أمُّ أيمن فاطمة فقالت: يا فاطمة إذا كان عند أمِّ أيمن شيءٌ فإنَّما هو لفاطمة وولدها، وإذا كان عند فاطمة شيءٌ فليس لأمِّ أيمن منه شيءٌ؟! فأخرجت لها منه، فأكلت منه أمُّ أيمن ونفدت الصحفة، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: أما لولا أنَّك أطعمتها لأكلت منها أنت وذريتك إلى أن تقوم الساعة»، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «والصحفة عندنا يخرج بها قائمنا عليه السلام في زمانه»[(١)].

وأخرج البحراني عن ثاقب المناقب: عن زينب بنت عليٍّ عليهما السلام قالت:

صلى أبي مع رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر، ثم أقبل على علي عليه السلام وقال: «هل عندكم طعام؟ لم آكل منذ ثلاثة أيام [طعاماً]». قال: «امضِ بنا إلى فاطمة، فدخلا عليها وهي تلتوي من الجوع وابناها معها»، فقال: «يا فاطمة فداك أبوك هل عندك شيء»؟ فاستحيت وقالت: «نعم»، وقامت وصلّت، ثم سمعت حساً فالتفتت فإذا بصحفة ملأى ثريداً ولحماً، فاحتملتها وجاءت بها ووضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فجمع علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وجعل علي يطيل النظر إلى فاطمة ويتعجب ويقول: «خرجتُ من عندها وليس عندها طعام، فمن أين هذا»! ثم أقبل عليها، فقال: «يا ابنة رسول الله أنى لك هذا»؟ قالت: «هو من عند الله إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب»، فضحك النبي صلى الله عليه وآله وقال: «الحمد لله الذي جعل في أهلي نظير زكريا عليه السلام ومريم إذ قال» [لها] (أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب).[(٢)]

---

(١) الكافي – الشيخ الكليني ١: ٤٦٠ / ح٧.

(٢) مدينة المعاجز للبحراني ١: ٣٣٣.

الويل لمن شكّ في فضل فاطمة

تعجب عائشة وتفزع حين ترى الزهراء عليها السلام تحرّك القدر بإصبعها وهو على النار يغلي، واستعظمتْ ذلك هي وأبوها واتّفقا على كتمانه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر بأنَّ من نسل الزهراء من تُطيعه النار والشمس والقمر والنجوم والجبال، وتسلّم إليه الأرض كنوزها! فأيّ الأمرين أدعى للعجب! ثم حذّر صلى الله عليه وآله الشاكّين بقوله «**الويل لمن شكّ في فضل فاطمة!**».

عن حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، عن أنس، قال: سألني الحجاج بن يوسف عن حديث عائشة، وحديث القدر التي رأت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تحركها بيدها، قلت: نعم، أصلح الله الأَمير، دخلت عائشة على فاطمة عليها السلام وهي تعمل للحسن والحسين عليهما السلام حريرة بدقيق ولبن وشحم في قدر، والقدر على النار يغلي، وفاطمة (صلوات الله عليها) تحرك ما في القدر بإصبعها، والقدر على النار يقبق، فخرجت عائشة فزعة مذعورة حتى دخلت على أبيها، فقالت: يا أبه، إنِّي رأيت من فاطمة الزهراء أمراً عجيباً، رأيتها وهي تعمل في القدر، والقدر على النار يغلي، وهي تحرك ما في القدر بيدها! فقال لها: يا بنية، اكتمي، فإنَّ هذا أمر عظيم، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله [ذلك]، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إنَّ الناس يستعظمون ويستكثرون ما رأوا من القِدر والنار، والذي بعثني بالرسالة واصطفاني بالنبوّة، لقد حرّم الله تعالى النار على لحم فاطمة ودمها وشعرها وعصبها، وفطم من النار ذريتها وشيعتها، إنَّ مِن نسل فاطمة مَن تطيعه النارُ والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبال، وتضرب الجنُّ بين يديه بالسيف، وتوافي إليه الأنبياءُ بعهودها، وتسلّم إليه الأرضُ كنوزها، وتنزل عليه من السماء بركات ما فيها، الويل لمن شكّ في فضل فاطمة، لعن الله من يُبغض بعلها ولم يرض**

بإمامة ولدها، إنَّ لفاطمة يوم القيامة موقفاً، ولشيعتها موقفاً، وإنَّ فاطمة تُدعى فتلبي، وتَشفع فتُشفّع على رغم كل راغم»(١).

نور وجه فاطمة عليها السلام كالشمس الضاحية يوم القيامة

نور الزهراء عليها السلام اشتقّه الله من نوره، وهو نور شاهده آدم أبو البشر يوم كان في الجنّة فدهش وتحيّر، وستطلع الزهراء عليها السلام في أرض القيامة مع بعلها وابنيها ومعهم جعفر الطيار وحمزة سيّد الشهداء ووجوههم كالشمس الضاحية مستبشرة بثواب الله تعالى ورضاه.

أخرج الحاكم الحسكاني عن أنس بن مالك، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾(٢) قال: «**يا أنس هي وجوهنا بني عبد المطلب أنا وعلي وحمزة وجعفر والحسن والحسين وفاطمة، نخرج من قبورنا ونور وجوهنا كالشمس الضاحية يوم القيامة**»، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ يعني مشرقة بالنور في أرض القيامة ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ فرحانة برضاء الله عنا، ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ بثواب الله الذي وعدنا(٣).

وروى الخوارزمي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لما خلق الله تعالى آدم وحواء تبخترا بالجنة وقالا: ما خلق الله خلقاً أحسن منا، فبينا هما كذلك إذا هما بصورة جارية لم ير الرآءون أحسن منها، لها نور شعشعاني يكاد يطفئ الأبصار، على رأسها تاج وفي أُذنيها قرطان، فقالا: يا رب ما هذه الجارية؟ قال: صورة فاطمة بنت محمد سيد ولدك، فقالا:**

---

(١) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ص ٢٩٣.

(٢) سورة عبس: الآية ٣٨.

(٣) شواهد التنزيل ٢: ٤٢٢.

ما هذا التاج على رأسها؟ قال: هذا بعلها علي بن أبي طالب. فقالا: ما هذان القرطان؟ قال ابناها الحسن والحسين، وُجد ذلك في غامض علمي قبل أن أخلقكما بألفي عام»(١).

الزهراء عليها السلام أُمُّ الأبرار الطاهرين

قدّر الخالق الحكيم لهذه الأُمَّة أن يتكفّل بهدايتها بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر إماماً عدد نقباء بني إسرائيل، أوّلهم أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم الأئمة الأبرار الأطهار من ولد الزهراء عليها السلام. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفتخر بالزهراء (الكوثر) التي منّ الله تعالى بها عليه ردّاً على كفّار قريش الذين قالوا بأنَّه (أبتر) لا عقب له. فقدّر الله تعالى لنسل الزهراء عليها السلام أن ينتشر في بقاع الأرض بأعداد لا يُحصيها إلّا الله، وأن يكون لهم الذِكر الجميل والمنزلة العالية؛ بينما قدّر تعالى للكفّار المستهزئين أن ينقرض نسلهم في الدنيا ويخمل ذِكرُهم فيها.

أخرج المجلسي عن ابن عبّاس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: أنّه استدعى يوماً ماء وعنده أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فشرب النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ ناوله الحسن عليه السلام فشرب، فقال له النبي صلى الله عليه آله وسلم: «**هنيئاً مريئاً يا أبا محمّد**»! ثمّ ناوله الحسين عليه السلام، فشرب، ثمّ قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «**هنيئاً مريئاً**». ثمّ ناوله الزهراء عليها السلام، فشربت فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: «**هنيئاً مريئاً يا أُمَّ الأبرار الطاهرين**»! ثمّ ناوله علياً عليه السلام.

قال: فلمّا شرب سجد النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا رفع رأسه فقال له بعض أزواجه: يا رسول الله! شربت ثمّ ناولت الماء للحسن عليه السلام، فلمّا شرب قلت له: هنيئاً مريئاً،

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٦٥.

ثمّ ناولته الحسين عليه السلام فشرب فقلت له كذلك، ثمّ ناولته فاطمة عليها السلام، فلمّا شربت قلت لها ما قلت للحسن والحسين عليهما السلام، ثمّ ناولته علياً عليه السلام فلمّا شرب سجدت، فما ذاك؟ فقال لها: «**إنّي لما شربت الماء، قال لي جبرئيل والملائكة معه: هنيئاً مريئاً يا رسول الله! ولما شرب الحسن عليه السلام قالوا له كذلك، ولما شرب الحسين عليه السلام وفاطمة عليها السلام قال جبرئيل والملائكة: هنيئاً مريئاً، فقلت كما قالوا. ولما شرب أمير المؤمنين عليه السلام قال الله له: هنيئاً مريئاً يا وليّي وحجّتي على خلقي، فسجدت لله شكراً على ما أنعم الله عليَّ في أهل بيتي**»(١).

فاطمة عليها السلام أَمَة الله وصفوته

اصطفى الله تعالى من الأوّلين آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، واصطفى من الآخرين رسولَه محمداً وعترته وكتب أسماءهم على باب جنّته، وجعلهم صفوته من خلقه، وأمناءه في بلاده، بهم يُثيب، وبهم يُعاقب.

أخرج السيد ابن طاووس عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**رأيت ليلة أُسري بي إلى السّماء الرابعة ديكاً من زبرجدة بيضاء وعيناه ياقوتتان حمراوان، ورجلاه من الزبرجد الأخضر، وهو ينادي: لا إله الاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وليّ الله، فاطمة وولدها الحسن والحسين صفوة الله، يا غافلين اذكروا الله، على مُبغضهم لعنة الله**»(٢).

وروى ابن شاذان القمّي عن عبد الله بن عباس قال حدثنا رسول الله قال لما عرج

---

(١) بحار الأنوار ٧٣: ٥٧ / ح ١، عن مشارق الأنوار.

(٢) اليقين للسيد ابن طاووس: ٣٩٢، بحار الأنوار ٣٧: ٤٧ / ح ٢٤.

بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً «**لا إله إلَّا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، والحسن والحسين سبطا رسول الله، وفاطمة الزهراء صفوة الله، وعلى ناكرهم وباغضهم لعنة الله تعالى**»[١].

وروى الصدوق عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أدخلت الجنة فرأيت على بابها مكتوباً بالذهب: لا إله إلَّا الله، محمد حبيب الله، عليٌّ ولي الله، فاطمة أَمَة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضيهم لعنة الله**»[٢].

فاطمة الزهراء عليها السلام من الأوّابين

(الأوّاب) صفة تعني (المطيع لله تعالى)، وتعني (التوّاب الكثير الرجوع إلى الله تعالى)؛ وقد مدح اللهُ تعالى بهذه الصفة نبيّه سليمان عليه السلام الذي كان أوّاباً في سرّائه ورخائه فقال ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٣]، ومدح بها نبيه أيّوب عليه السلام الذي كان أوّاباً في محنته وضرّائه، فقال عنه ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٤]. فامتدح تعالى هذين النبيين اللذين كانا لسيّدهما في السّراء والضّراء على الحال التي يرضاها منهما[٥]. ونجد أنَّ صفة صلاة الزهراء عليها السلام هي صلاة الأوابين المطيعين التوّابين الذين يحرصون في حالي السرّاء والضرّاء على رضا الربّ تعالى.

روى محمد بن مسعود العياشي في كتابه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي

---

(١) الفضائل لابن شاذان: ص ٨٣.

(٢) الخصال للصدوق: ص ٣٢٤ (ست كلمات مكتوبة على باب الجنّة).

(٣) سورة ص: الآية ٣٠.

(٤) سورة ص: الآية ٤٤.

(٥) سورة ص: الآية ٤٤.

عبد الله عليه السلام قال: «**من صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين مرة (قل هو الله أحد) كانت صلاة فاطمة عليها السلام، وهي صلاة الأوّابين**»[١].

فاطمة عليها السلام من الصادقين الذين أمر الله باتباعهم

أمرنا الله تعالى بتقواه، وأن نكون مع (الصادقين)، وهم محمد وأهل بيته. و(الصدّيق) - كما يقول الجوهري - هو الملازم للصدق، الدائم عليه، الذي صدّق فعلُه قولَه. و(الصدّيق الأكبر) هو أمير المؤمنين عليه السلام كما سيأتي على لسانه الشريف، وهو أفضل الصدّيقين بشهادة الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله. والزهراء عليها السلام هي أجلى مصاديق أهل البيت عليهم السلام الذين أمر الله بالكون معهم، وهي كفء أمير المؤمنين عليه السلام الصدّيق الأكبر، كما أنَّها الصدّيقة الكبرى، وقد تحدثنا في هذا الشأن بالتفصيل في الفصل الرابع عشر.

روى القاضي النعمان في شرح الأخبار عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، أنَّه قال في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٢]، قال: «**نحن الصادقون ما حملناه إليكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعنه تبارك اسمه**»[٣].

وأخرج ابن شهر آشوب عن تفسير أبي يوسف عن ابن عمر قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله﴾ قال: أمر الله الصحابة أن يخافوا الله. ثمّ قال: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾ يعني مع محمّد وأهل بيته عليهم السلام[٤].

---

(١) مختلف الشيعة - العلامة الحلي ٢: ٣٥٤، عن العياشي.

(٢) سورة التوبة:الآية ١١٩.

(٣) شرح الأخبار ٢: ٥٠٦.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٢٨٨؛ بحار الأنوار ٢٤: ٣٣/ ح ٨.

وأخرج المجلسي عن جماعة بإسنادهم، عن جابر بن عبد الله الأنصاري في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. قال: مع محمّد وأهل بيته عليهم السلام[1].

وأخرج السيد ابن طاووس عن الثعلبي في تفسيره بإسناده عن عباد بن عبد الله، قال: سمعتُ عليّاً يقول:

«أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلّا كذّاب مفترٍ، صلّيتُ قبل الناس بسبع سنين»[2].

وأخرج الخوارزمي في المناقب عن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين، وحزبيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم[3].

فاطمة عليها السلام من الأبرار

ورد في القرآن الكريم سورة كاملة (وهي سورة هل أتى) تتحدّث عن الأبرار الذين هم فاطمة وبعلها وبنوها، وتصف النعيم الذي أعدّه الله تعالى لهم جزاء إيثارهم وإطعامهم طعام إفطارهم مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وبقوا ثلاثاً طاوين لم يذوقوا إلّا الماء القراح. وهناك آيات أُخرى تتحدث عن هؤلاء الأبرار، رواها محمّد بن الحسن بن إبراهيم معنعناً، عن جعفر عليه السلام قال: «**نزلت الآيات:** ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ **إلى قوله:** ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾[4] **- وهي خمس آيات- في النبيّ صلى الله**

(١) بحار الأنوار ٢٤: ٣٣/ ح ٩، عن تفسير أبي يوسف.

(٢) الطرائف لابن طاووس: ص٢٠.

(٣) المناقب للخوارزمي: ص ٣١٠/ ح٣٠٧.

(٤) سورة المطففين: الآيات ١٨ - ٢٢.

عليه وآله وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام»[١].

وفي تفسير أبي صالح، أنَّ ابن عبّاس قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر عليهم السلام وفضلهم فيها باهر[٢].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ **«هو رسول الله وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام»**[٣].

فاطمة عليها السلام من أصحاب الأعراف

الأعراف كما يقول الإمام الصادق عليه السلام - وقد سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ - فقال: **«سورٌ بين الجنّة والنّار قائم عليه محمّد وعليّ والحسن والحسين وفاطمة وخديجة عليهم السلام فينادون: أين محبّونا؟ أين شيعتنا؟ فيقبلون إليهم، فيعرفونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، وذلك قوله تعالى»**: ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ **«فيأخذون بأيديهم، فيجوزون بهم على الصراط، ويُدخلونهم الجنّة»**[٤].

وروى محمّد بن الفضل بن جعفر بن الفضل العبّاسي معنعناً، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾[٥]. قال: النبيّ صلى الله عليه وآله وعليُّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام على سور بين الجنّة

---

(١) تفسير فرات: ص٥٤٤؛ بحار الأنوار ٣٦: ١٤٥ / ح ١١٥، عن تفسير فرات.

(٢) بحار الأنوار ٣٩: ٢٢٤.

(٣) بحار الأنوار ٢٤: ٣ / ح ١٠.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: ص٥٣؛ بحار الأنوار ٢٤: ٢٥٥.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٤٦.

والنّار، يعرفون المحبّين لهم ببياض الوجوه، والمبغضين لهم بسواد الوجوه[١].

وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام معنى آخر للأعراف سوى المعنى الأوّل، وهو أنّهم (قومٌ علت درجتُهم كالأنبياء والشهداء وخيار المؤمنين)[٢]، حيث روى الكليني عن مقرن قال، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم)؟ فقال: «**نحن على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذي لا يُعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنة إلَّا مَن عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلَّا من أنكرنا وأنكرناه**» - الحديث[٣].

الزهراء عليها السلام وقصة فدك

أقول: عرفنا إيثار الزهراء فاطمة عليها السلام، تلك التي آثرت على نفسها وولديها وزوجها، فأعطت طعام إفطارهم مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً! ورأينا أمَّ أبيها تقطع العقد من عنقها وتؤثر به أعرابياً جائعاً، ورأيناها تؤثر على نفسها حتى ثوب زفافها في ليلة زفافها! لكنَّ التاريخ الذي حدثنا بعض مآثر هذه السيدة الجليلة لم يذكر شيئاً عن يسر حال أو ثراء مرّت به حياتها القصيرة المبتورة!! أو لم يعطها والدها فدكاً بأمر الله تعالى؟!! أو لم تكن فدك ذات عائدات ضخمة أغرت السلطة بمصادرتها حال رحيل خاتم الأنبياء عن دار الدنيا؟! ليس الزهد أن تعرض عن الدنيا وأنت فقير، بل هو في أبدع صوره وتجلياته أن تعرض عنها وأنت ميسور، وأن تبات جائعاً وتؤثر

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ص١٤٤؛ بحار الأنوار ٢٤: ٢٥٥/ ح١٨، عن تفسير فرات.

(٢) انظر: مجمع البحرين للطريحي ٥: ٩٣، كتاب الفاء، باب ما أوّله العين (عرف).

(٣) الكافي للكليني ١: ١٨٤ / ح٩، باب معرفة الإمام والرد إليه.

أخاك الفقير على طعامك، ولو كان طعام إفطار بعد نهار شاق طويل. فما هي قصة فدك؟

روى محمد بن سليمان الكوفي عن أبي مريم الأنصاري وأبان بن تغلب: عن جعفر بن محمد قال: «**لما نزلت هذه الآية**»: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[1] قال: «**دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدكاً**». قال أبان بن تغلب: قلت لجعفر بن محمد: من رسول الله أعطاها؟ قال: «**بل الله أعطاها**»[2].

وروى العياشي عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله أعطى فاطمة فدكاً قال: «**كان وقفها، فأنزل الله**: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ **فأعطاها رسول الله حقها**»، قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاها؟ قال: «**بل الله أعطاها**»[3].

وروى العياشي عن عبد الرحمن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لما أنزل الله** ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ﴾ **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل قد عرفت المسكين فمن ذوي القربى؟ قال: هم أقاربك، فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة، فقال: «إنَّ ربي أمرني أن أُعطيكم مما أفاء عليّ، قال: أَعطيتكم فدكاً**»[4].

رأي فاسد للعقاد في مطالبة الزهراء عليها السلام بفدك

أورد الأُستاذ عباس محمود العقّاد في كتابه (فاطمة والفاطميون) رأياً فاسداً في الخصومة التي دارت بين سيدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام وبين أبي بكر الأول حول قضية فدك، فقد كان خلاصة حكمه في النزاع قوله: (والحديث في مسألة فدك هو كذلك من الأحاديث التي لا تنتهي إلى مقطع للقول متفق عليه، غير أنَّ الصدق فيه: لا

(١) سورة الإسراء:الآية ٢٦.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام – محمد بن سليمان الكوفي ٢: ٢٠٢.

(٣) تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي ٢: ٢٨٧.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢٨٧.

مراء أنَّ الزهراء أجل من أن تطلب ما ليس لها بحق، وأنَّ الصدّيق أجل من أن يسلبها حقها الذي تقوم به البينة عليه... وإنَّما هو الحرج في ذمة الحكم بلغ أقصاه بهذه القضية بين هؤلاء الخصوم الصادقين المصدّقين).

وقد ناقش السيد الشهيد محمد باقر الصدر كلام العقّاد وفنّده في كتابه (فدك في التاريخ) ومن جملة كلامه (ره): ونلاحظ أيضاً أنَّه (يقصد العقاد) بعد أن جعل مسألة فدك من الأحاديث التي لا تنتهي إلى مقطع للقول متفق عليه، رأى أنَّ فيها حقيقتين لا مراء فيهما ولا جدال: (إحداهما) أنَّ الصديقة أرفع من أن تنالها تهمة بكذب. و(الأُخرى) أنَّ الصديق أجل من أن يسلبها حقها الذي تثبته البينة. فإذا لم يكن في صحة موقف الخليفة واتفاقه مع القانون جدال، ففيم الجدال الذي لا قرار له؟! ولم لا تنتهي مسألة فدك إلى مقطع للقول متفق عليه؟!... فإذا كانت الزهراء أرفع من كل تهمة فما حاجتها إلى البيّنة؟ وهل تمنع التشريعات القضائية في الإسلام عن أن يحكم العالم استناداً إلى علمه؟ وإذا كانت تمنع عن ذلك فهل معنى هذا أن يجوز في عرف الدين سلب الشيء من المالك؟... إنَّ تزكية موقف -أبا بكر- والصديقة معاً أمر غير ممكن، لأَنَّ الأمر في منازعتهما لو كان مقتصراً على مطالبة الزهراء بفدك وامتناع -أبا بكر- عن تسليمها له لعدم وجود مستمسك شرعي يحكم بواسطته لها بما تدعيه، وانتهاء المطالبة إلى هذا الحد، لوسعنا أن نقول إنَّ الزهراء طلبت حقها في الأمر والواقع نفسه، وإنَّ -أبا بكر- لما امتنع عن تسليمه لها لعدم تهيؤ المدرك الشرعي الذي تثبت به الدعوى تركت مطالبتها، لأنَّها عرفت أنَّها لا تستحق فدكاً بحسب النظام القضائي وسنن الشرع، ولكننا نعلم أنَّ الخصومة بينهما أخذت أشكالاً مختلفة حتى بلغت مبلغ الاتهام الصريح من الزهراء وأقسمت على المقاطعة. وإذن فنحن بين اثنتين: إحداهما أن نعترف بأنَّ الزهراء قد ادّعت

بإصرار ما ليس لها بحق في عرف القضاء الإسلامي والنظام الشرعي وإن كان ملكها في واقع الأمر، والأُخرى أن نلقي التبعة على الخليفة ونقول إنَّه قد منعها حقها الذي كان يجب عليه أن يعطيها إياه أو يحكم لها بذلك على فرق علمي بين التعبيرين يتضح في بعض الفصول الآتية، فتنزيه الزهراء عن أن تطلب طلباً لا ترضى به حدود الشرع، والارتفاع بالخليفة عن أن يمنعها حقها الذي تسخو به عليها تلك الحدود لا يجتمعان إلا إذا توافق النقيضان) انتهى كلامه قدّس سره(١).

وقال الدكتور التيجاني في رد كلام العقاد الآنف الذكر: (... لقد ابتلينا بعلماء يقولون ما لا يفقهون ويؤمنون بالشيء ونقيضه في الوقت نفسه، والحال يؤكد أنَّ فاطمة ادعت وأبا بكر رفض دعواها، فإما أن تكون كاذبة (والعياذ بالله) حاشاها، أو أن يكون أبو بكر ظالماً لها، وليس هناك حل ثالث للقضية كما يريدها بعض علمائنا. وإذا امتنع بالأدلة العقلية والنقلية أن تكون سيدة النساء كاذبة لما ثبت عن أبيها رسول الله قوله: «**فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني**»، ومن البديهي أنَّ الذي يكذب لا يستحق مثل هذا النص من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، فالحديث بذاته دال على عصمتها من الكذب وغيره من الفواحش، كما أنَّ آية التطهير دالة هي الأُخرى على عصمتها وقد نزلت فيها وفي بعلها وابنيها بشهادة عائشة نفسها، فلم يبق إذن إلّا أن يعترف العقلاء بأنَّها ظُلمت، فليس تكذيبها في دعواها إلّا أمراً ميسوراً لمن استباح حرقها إن لم يخرج المتخلفون في بيتها لبيعتهم. ولكلّ هذا تراها - سلام الله عليها - لم تأذن لهما في الدخول عليها عندما استأذنها أبو بكر وعمر، ولمّا أدخلهما علي أدارت بوجهها إلى الحائط وما رضيت أن تنظر إليهما) انتهى كلامه(٢).

---

(١) انظر: فدك في التاريخ: ص٥٣ - ٥٧.

(٢) انظر: ثم اهتديت للتيجاني: ص ١٣٧ - ١٣٨.

الزهراء عليها السلام تشفع لشيعتها ومحبّيها ومحبّي ذريّتها

هل كانت مجرّد صدفة أن تكون سيدة نساء العالمين في هذه الدنيا مجهولة القدْر، ومجهولة القبر؟! أليس عجيباً أن تجهل الأمَّة قدر هذه المرأة الجليلة التي من عرف قدرها فقد أدرك ليلة القدر كما يقول أهل البيت عليهم السلام؟! وفي المقابل نجد احتفاء الربّ الجليل بهذه البضعة الطاهرة من نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله، بحيث يجمع الأنبياء والمرسلين يوم القيامة ومعهم نساء أهل الجنّة من أمثال خديجة ومريم وآسية وأمّ موسى، ثم ينادي المنادي (يا أهل الجمع طأطؤوا الرؤوس وغضّوا الأبصار، فإنَّ هذه فاطمة تسير إلى الجنة)، فتسير بأبي هي وأمّي حتى تقف عند باب الجنّة، فيأتيها النداء من الربّ الجليل عن سبب وقوفها، فتقول «**يا رب أحببت أن يُعرف قدري في مثل هذا اليوم**»، فيقول لها الله: «**يا بنت حبيبي ارجعي فانظري مَن كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خُذي بيده فأدخليه الجنة**»، وتتوالى العطايا والمواهب على الزهراء ومحبّيها، بحيث يدخل الجنّة محبّوها ومحبّو محبّيها، ولا يبقى يومذاك في الناس إلَّا شاكٌّ أو كافر أو منافق، ويومذاك يتمنّى الذين أنكروا قدْر الزهراء في الدنيا أن يعودوا إليها كرّة ثانية ليؤمنوا بالله ويبرّوا العترة، كي تشفع لهم الزهراء أو يشفع لهم محبّو الزهراء! وهيهات هيهات!!

روى فرات بن إبراهيم في تفسيره عن سهل بن أحمد الدينوري عن الصادق عليه السلام قال: قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جُعلت فداك يا بن رسول الله حدّثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة، إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك، قال أبوجعفر عليه السلام: «**حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نُصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: يا محمد اخطب! فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها، ثم**

يُنصب للأوصياء منابر من نور وينصب لوصيّي علي بن أبي طالب في أوساطهم منبر من نور فيكون منبره أعلى منابرهم، ثم يقول الله: يا علي اخطب! فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها، ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لابنيّ وسِبطيّ وريحانتيّ أيام حياتي منبر من نور، ثم يقال لهما: اخطبا! فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلها، ثم ينادي المنادي وهو جبرئيل عليه السلام: أين فاطمة بنت محمد؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أمُّ كلثوم أمُّ يحيى ابن زكريا؟ فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟ فيقول محمد وعلي والحسن والحسين: لله الواحد القهار، فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع إنِّي قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطؤوا الرؤوس وغضّوا الأبصار، فإنَّ هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنة مدبحة الجنبين، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عليها رحل من المرجان، فتُناخ بين يديها فتركبها، فيبعث الله مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك ليسيروا عن يسارها، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرتُ بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب أحببت أن يُعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري مَن كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خُذي بيده فأدخليه الجنة».

قال أبو جعفر عليه السلام: «والله يا جابر إنَّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطيرُ الحب الجيد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يُلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفّعت فيكم

فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا ربّ أحببنا أن يُعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غِيبة في حب فاطمة فخذوا بيده وأدخلوه الجنة»!

قال أبو جعفر عليه السلام: «والله لا يبقى في الناس إلّا شاكّ أو كافر أو منافق؛ فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى»: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾(١) فيقولون: فلو أنَّ لنا كرّة فنكون من المؤمنين؛ قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(٢)﴾(٣).

وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن عبد الله بن مسكان عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كُتب بين عيني كل رجل (مؤمن) أو (كافر)، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محباً، فتقول: إلهي وسيدي، سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولاّني وتولى ذريتي من النار، ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عز وجل: صدقتِ يا فاطمة، إنّي سمّيتك فاطمة وفطمت بك مَن أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاّهم من النار، ووعدي الحق وأنا لا أُخلف الميعاد، وإنّما أمرتُ بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأُشفّعك، وليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي، فمن قرأتِ بين عينيه مؤمناً فخُذي بيده وأدخليه الجنة»(٤).

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٠٠. سورة الأنعام: الآية ٢٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٢٨.

(٣) تفسير فرات: ص٢٩٩ / ح٤٠٣ – ١٣؛ بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٨: ٥١ – ٥٢، عن تفسير فرات.

(٤) علل الشرائع – الشيخ الصدوق ١: ١٧٩؛ بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ١٤ – ١٥.

الزهراء عليها السلام تشفع لزوّار ولدها الحسين عليه السلام

حزنت ريحانةُ رسول الله عليها السلام أيّما حزن، وذرفت الدموع الغزيرة لما أخبرها أبوها المرسل صلى الله عليه وآله عن شهادة فلذة كبدها الحسين عليه السلام بذلك النحو الفجيع، وزاد حزنها أنَّ ولدها الحسين سيُقتل في زمن خالٍ منها ومن جدّه المصطفى وأبيه المرتضى، وتساءلت في تفجّع عمّن سيُقيم لولدها العزاء يومذاك، فأخبرها رسول الله صلى الله عليه وآله أن الشيعة سيُقيمون العزاء ويجدّدونه عاماً بعد عام ويبكون على مصاب الحسين، فيبكي رجالُ الشيعة على مصاب الحسين وأهل بيته، وتبكي نساء الشيعة لمظلومية النساء المسبيّات من أهل البيت عليهم السلام. ثم أخبر رسولُ الله بضعته أنَّه سيشفع يوم القيامة للرجال الباكين على مصاب الحسين، وتشفع بضعته الطاهرة للنساء الباكيات على مصاب الحسين المظلوم.

أخرج العلامة المجلسي عن ابن قولويه في كامل الزيارات أنَّه لما أخبر النبي صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاءً شديداً، وقالت:

«يا أبت متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خالٍ مني ومنك ومن علي، فاشتد بكاؤها وقالت: يا أبت فمن يبكي عليه، ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟ فقال النبي: يا فاطمة إنَّ نساء أمّتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة؛ فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة. يا فاطمة! كل عين باكية يوم القيامة، إلّا عين بكت على مصاب الحسين فإنَّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة». (١)

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٣، عن كامل الزيارات.

شفاعة الزهراء عليها السلام يوم القيامة للنساء المؤمنات

روى الشيخ الصدوق في الأمالي حديثاً عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، جاء فيه قوله صلى الله عليه وآله:

«... وكأنِّي انظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلتْ يوم القيامة على نجيب من نور، عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملَك، تقود مؤمنات أمَّتي إلى الجنة، فأيما امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجّت بيت الله الحرام، وزكّت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علياً بعدي، دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة، وإنَّها لسيدة نساء العالمين».[1]

من صلّى على فاطمة غفر الله له وألحقه برسول الله في الجنّة

روى المجلسي عن عليٍّ عليه السلام، عن فاطمة عليها السلام قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يا فاطمة! من صلّى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنّة»[2].

من سلّم على فاطمة ثلاثة أيام وجبت له الجنة

محمد بن الحسن بإسناده عن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه، عن جده قال: **«دخلت على فاطمة عليها السلام فبدأتني بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة. قالت: أخبرني أبي - وهو ذا - أنَّه من سلّم عليه وعلي ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة، قلت لها: في**

(١) أمالي الصدوق: ص ٥٧٤، المجلس ٧٢.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٥٥، مستدرك الوسائل ١٠: ٢١١.

حياته وحياتك؟ قالت: نعم وبعد موتنا»[١].

الطواف عن فاطمة وأولادها الأئمة عليهم السلام أفضل الأعمال

روى الكليني في الكافي بإسناده عن موسى بن القاسم قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: قد أردت أن أطوف عنك وعن أبيك فقيل لي: «**إنَّ الأوصياء لا يطاف عنهم**»، فقال لي: «**بل طف ما أمكنك فإنَّه جائز**». ثم قلت له بعد ذلك بثلاث سنين: إنِّي كنت استأذنتك في الطواف عنك وعن أبيك فأذنت لي في ذلك، فطفت عنكما ما شاء الله، ثم وقع في قلبي شيء فعملت به. قال: «**وما هو**»؟ قلت: طفت يوماً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ثلاث مرات: «**صلى الله على رسول الله**»، ثم اليوم الثاني عن أمير المؤمنين، ثم طفت اليوم الثالث عن الحسن عليهما السلام، والرابع عن الحسين عليه السلام،والخامس عن علي بن الحسين عليهما السلام،والسادس عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، واليوم السابع عن جعفر بن محمد عليهما السلام، واليوم الثامن عن أبيك موسى عليه السلام، واليوم التاسع عن أبيك علي عليه السلام، واليوم العاشر عنك يا سيدي وهؤلاء الذين أدين الله بولايتهم! فقال: «**إذن - والله- تدين بالدين الذي لا يقبل من العباد غيره**». قلت: وربما طفت عن أُمِّك فاطمة عليها السلام، وربما لم أطف، فقال: «**استكثر من هذا فإنَّه أفضل ما أنت عامله إن شاء الله**»[٢].

الصلاة في بيت فاطمة أفضل من الصلاة في الروضة

روى الكليني في الكافي بإسناده عن جميل بن دراج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة عليها السلام مثل الصلاة في الروضة؟ قال: «**وأفضل**»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي ١٤: ٣٦٧/ باب استحباب زيارة فاطمة عليها السلام وموضع قبرها.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني ٤: ٣١٤.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني ٤: ٥٥٦.

على محبّ الزهراء أن يسعدها بالبكاء على ولدها الحسين

أوردنا للتوّ رواية جاء فيها أنَّ الزهراء وأباها المصطفى سيشفعان يوم القيامة للباكين على الحسين عليه السلام المظلوم المقتول بكربلاء، ونلاحظ في هذا الشأن أنَّ هناك طائفة كبيرة من الروايات المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تحثّ الشيعة والموالين على إقامة العزاء على الحسين سيّد شباب أهل الجنّة، وأن يكونوا ممـن يسعد فاطمة الزهراء عليها السلام في البكاء على ثمرة فؤادها الحسين المظلوم عليه السلام.

روى ابن قولويه بإسناده عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أحدّثه، فدخل عليه ابنه فقال له: **«مرحباً، وضمّه وقبّله، وقال: حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاءُ النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء. ثم بكى وقال: يا أبا بصير إذا نظرتُ إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أُتي إلى أبيهم وإليهم.**

يا أبا بصير إنَّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنم زفرة لولا أنَّ الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض، فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة. وإنَّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكّل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين، يبكونه لبكائها، ويدعون الله ويتضرعون إليه، ويتضرع أهل العرش

ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أنَّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض، وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها».

قلت: جعلت فداك إنَّ هذا الأمر عظيم، قال: «**غيره أعظم منه ما لم تسمعه، ثم قال لي: يا أبا بصير أما تحبّ أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام؟! فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق، وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم، وأصبحت صائماً وجلاً حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت، وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة**»[(١)].

الله تعالى يُباهي بزوّار الحسين ابن فاطمة عليهما السلام

يكفي زائر الحسين عليه السلام الذين يزورونه شوقاً إليه وإلى أمِّه الزهراء المظلومة عليها السلام، يكفيهم من الفخر والكرامة أن يعلموا أنَّ الله تعالى جبّار السماوات والأرض يُباهي بهؤلاء الزائرين ملائكته المقرّبين وحملة عرشه، ويُقسم بعزّته وجلاله وعظمته - وما أعظمه من قسم - أنَّه سيوجب لزوّار الحسين كرامته، وأنَّه سيُدخلهم جنّته التي أعدّها لخاصّة أوليائه وأنبيائه ورسله! فما أعظم مقام زائر الحسين ابن بنت رسول الله عليه السلام!

وروى ابن قولويه بإسناده عن ذريح المحاربي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما ألقى من قومي ومن بني إذا أنا أخبرتهم بما في إتيان قبر الحسين عليه السلام من الخير! إنَّهم يكذبوني ويقولون: إنَّك تكذب على جعفر بن محمد! قال:

---

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ص ١٦٩ - ١٧١.

«يا ذريح دع الناس يذهبون حيث شاؤوا، والله إنَّ الله ليباهي بزائر الحسين والوافد يفده الملائكة المقربون وحملة عرشه، حتى أنَّه ليقول لهم: أما ترون زوار قبر الحسين أتوه شوقاً إليه وإلى فاطمة بنت رسول الله، أما وعزّتي وجلالي وعظمتي لأوجبنّ لهم كرامتي، ولأُدخلنهم جنتي التي أعددتها لأوليائي ولأنبيائي ورسلي»[1].

السماء تسد الأبواب الشارعة إلَّا باب بيت فاطمة عليها السلام

بيت فاطمة وعليٍّ عليهما السلام بيتٌ وصفه الله تعالى في كتابه بأنَّه من البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، وهو بيتٌ تهبط عليه الملائكةُ بكرة وعشيّاً، وبيتٌ يقف رسول الله على بابه طيلة شهور تسعة فيقرأ آية التطهير ويناديهم للصلاة.

فلا عجب أن ينزل الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله أن يسدّ أبواب البيوت الشارعة إلى المسجد إلَّا باب عليٍّ وفاطمة، لكنَّ العجب أن لا يعرف البعض قدّر هذا البيت، فيتوسّل إلى النبي أن يسمح له أن يترك خوخة مفتوحة إلى المسجد، فأبى رسول الله ذلك، وتذمّر البعض من سدّ أبوابهم وترك باب عليٍّ، مع أنَّهم أكبر عمراً من عليٍّ عليه السلام، حتى أنَّ العبّاس بن عبد المطلب عاتب النبي أنَّه أغلق باب بيته وترك باب أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بصريح العبارة: **«ما أنا فتحت بابه ولا سددت أبوابكم، بل الله فتح بابه وسد أبوابكم»**[2] وفي رواية الهيثمي عن أحمد **«أما بعد فإنِّي أمرتْ بسدّ هذه الأبواب إلا باب عليّ، فقال فيه قائلُكم؛ وإنِّي والله ما سددتُ شيئاً ولا فتحتُه، ولكني أُمرت بشيء فاتبعته»**[3].

---

(١) كامل الزيارات: ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٢) كنز العمال، للمتقي الهندي ٥: ٧٢٦.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١١٤، وقال: رواه أحمد.

أخرج المجلسي عن الكليني بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام: إذ استأذن عليه رجل فأذن له (ثمّ ساق الحديث إلى أن ذكر) فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّه صلى الله عليه وآله: «**أن طهّر مسجدك وأَخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل ومُر بسدّ أبواب كلّ من كان له في مسجدك باب إلاّ باب عليّ ومسكن فاطمة عليهما السلام، ولا يمرّنّ فيه جنب ولا يرقد فيه غريب**».

قال: «**فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بسدّ أبوابهم إِلاّ باب عليّ عليه السلام، وأقرّ مسكن فاطمة صلى الله عليها على حاله. ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أن يتّخذ للمسلمين سقيفة، فعملت لهم وهي الصفّة**»[١].

السماء تأمر النبي أن يباهل النصارى بفاطمة وبعلها وابنيها

أمر اللهُ تعالى نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله أن يباهل نصارى نجران لّما حاجّوا النبي صلى الله عليه وآله في عيسى عليه السلام ورفضوا قول النبي فيه إنَّه عبدٌ مخلوق اصطفاه الله، فدعاهم النبي إلى المباهلة بأمر الله، وأخرج معه علياً وفاطمة وابنيهما، فلمّا شاهدهم النصارى خافوا من المباهلة وعلموا أنَّ العذاب سيحلّ بهم لو باهلوا، فأذعنوا لدفع الجزية. وقد جعل الله تعالى أمير المؤمنين وفاطمة وابنيهما حجّةً لنبيّه وبرهاناً على دينه![٢]

أخرج محب الدين الطبري عن أبي سعيد [قال:] لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**». أخرجه مسلم والترمذي[٣].

---

(١) الكافي ٥: ٣٤٠؛ بحار الأنوار ٢٢: ١١٧ / ح ٨٩، عن الكافي.

(٢) انظر: الإرشاد للشيخ المفيد ١: ١٦٧.

(٣) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري: ص ٢٥.

فاطمة عن يمين العرش قبل خلق آدم

خلق الله تعالى نبيّه الكريم ومعه أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قبل أن يخلق آدم أبا البشر عليه السلام، فجعلهم أنواراً بعرشه مُحدقين، وشقّ لهم أسماء من أسمائه، وجعلهم صفوته من خلقه. وهذه الأنوار هي التي شاهدها آدم عليه السلام وأُلهم أن يتوسّل إلى الله تعالى بها ليغفر له خطيئته.

أخرج المجلسي عن قصص الأنبياء بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا خمسة أشباح فقال: يا رب هل خلقت قبلي من البشر أحداً؟ قال: لا. قال عليه السلام: فمن هؤلاء الذين أرى أسماءهم؟ فقال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الجن ولا الإنس، هؤلاء خمسة شققت لهم اسماً من أسمائي، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا الأعلى وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا ذو الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت على نفسي أنَّه لا يأتيني أحد وفي قلبه مثقال حبة من خردل من محبة أحدهم إلَّا أدخلته جنتي، وآليت بعزتي أنَّه لا يأتيني أحد وفي قلبه مثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلَّا أدخلته ناري، يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي، بهم أُنجي من أُنجي، وبهم أهلك من أهلك»[١].

روى الخطيب الخوارزمي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٢٧: ٥.

«لما عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أَمَة الله، على مبغضهم لعنة الله»(١).

الله تعالى يعهد إلى آدم كلمات في الزهراء

روي عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ «**كلمات في محمد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم، كذا نزلت على محمد صلى الله عليه وآله**»(٢).

آدم يتوسل إلى الله بفاطمة وبعلها وابنيها

أخرج الحاكم الحسكاني عن ابن النجار، عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: «**سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليَّ؛ فتاب عليه**»(٣).

وأخرج الحاكم الحسكاني عن الديلمي عن علي [عليه السلام] قال: «**سألت النبي صلى الله عليه وآله عن قول الله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾(٤) فقال: إنَّ الله أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بميسان، والحية بإصبهان وكان للحية قوائم كقوائم البعير - ومكث آدم بالهند باكياً على خطيئته حتى بعث الله إليه جبرئيل وقال: يا آدم ألم أخلقك بيدي، ألم أنفخ فيك من روحي، ألم أُسجد لك ملائكتي، ألم أُزوجك حواء**

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٣٠٢/ ح٢٩٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٠٢.

(٣) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ١٠١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٧.

أمَتي، قال: بلى. قال فما هذا البكاء، قال: وما يمنعني من البكاء وقد أُخرجت من جوار الرحمن. قال: فعليك بهؤلاء الكلمات فإنَّ الله قابل توبتك وغافر ذنبك، قل: اللهم إنِّي أسالك بحق محمد وآل محمد، سبحانك لا إله إلَّا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليَّ [إنَّك] أنت التواب الرحيم. اللهم إنِّي أسالك بحق محمد وآل محمد، عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليَّ [إنَّك] أنت التواب الرحيم. فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم»[١].

وروى ابن المغازلي بإسناده سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: «**سأله بحق محمد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين إلَّا تبت عليَّ! فتاب عليه**»[٢].

موسى الكليم يعجب من فضل فاطمة وأبيها وبعلها وابنيها

بكى الكليمُ والخضرُ عليهما السلام لـمّا تحدّثا عن البلاء الذي سيصيب آل محمد عليهم السلام، وذرفا الدموع سخاناً، وبكى الأنبياء عليهم السلام حين عرفوا ما سيجري على الحسين ريحانة الزهراء في أرض كربلاء. ولقد ابتُلي آدم عليه السلام فلم يجد اللهُ له عزماً، وابتلي موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، فلم يطق صبراً، مع أنَّ الخضر أخبره أنَّه لن يتمكّن من الصبر، ومع أنَّه اشترط عليه الصبر وعدم الاعتراض حتى يفسّر الخضر له حكمة أعماله.

لكنَّنا نقرأ في زيارة الزهراء الصابرة عليها السلام «**يا ممتحنة، امتحنك اللهُ الذي خلقكِ قبل أن يخلقكِ، فوجدك لما امتحنك صابرة**»[٣].

---

(١) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ١٠١؛ ورواه السيوطي في تفسير الآية الكريمة من الدر المنثور ١: ٦٠.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٦٣ / ح ٨٩.

(٣) مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي: ص ٧١١.

أخرج المجلسي عن الصدوق بإسناده عن أبي بصير، عن أحدهما صلوات الله عليهما قال:

«لما كان من أمر موسى الذي كان أعطى مكتلاً فيه حوت مالح، فقيل له: هذا يدلك على صاحبك عند عين لا يصيب منها شيء إلا حيي. فانطلقا حتى بلغا الصخرة وجاوزا، ثم قال لفتاه: آتنا غداءنا. فقال: [إنَّ] الحوت اتخذ في البحر سرباً، فاقتصا الأثر حتى أتيا صاحبهما في جزيرة في كساء جالساً، فسلم عليه، وأجاب وتعجب وهو بأرض ليس بها سلام. فقال: من أنت؟ قال: موسى.

فقال: ابن عمران الذى كلّمه الله؟ قال: نعم. قال: فما جاء بك؟ قال: أتيتك على أن تعلّمني. قال: إنِّي وكّلت بأمر لا تطيقه، فحدّثه عن آل محمد عليهم السلام وعن بلائهم وعما يصيبهم حتى اشتد بكاؤهما، وذكر له فضل محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وما أُعطوا وما ابتلوا به، فجعل يقول: يا ليتني من أمّة محمد صلى الله عليه وآله»[1].

ما ساوى الله قط امرأة برجل إلا تسويته فاطمة بعليٍّ عليهما السلام

الزهراء عليها السلام هي سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي من أهل البيت الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنهم: «**نحن أهلُ بيتٍ لا يُقاس بنا أحد**»! ولذلك لا نعجب إذا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يستثني الزهراء عليها السلام من أمر تفضيل الرجال على النساء، لأنَّ جميع شؤون أهل البيت عليهم السلام لا يُقاس بها أحد سواهم. وقد روى الكليني أنّه دخلت امرأة على أبي عبد الله عليه السلام فقالت: أصلحك الله إنِّي امرأة متبتلة، فقال: «**وما التبتّل عندك**»؟ قالت: لا أتزوّج، قال: «**ولـمِ**»؟ قالت: ألتمس بذلك الفضل، فقال: «**انصرفي، فلو كان ذلك فضلاً لكانت**

(١) بحار الأنوار ٢٦: ٢٨٣ / ح ٤٠، عن قصص الأنبياء.

فاطمة عليها السلام أحق به منك، إنَّه ليس أحد يسبقها إلى الفضل»[(١)].

جاء في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام أنَّه: أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت: ما بال المرأتين برجل في الشهادة والميراث؟ فقال: «**لأنَّكن ناقصات الدين و العقل**».

قالت: يا رسول الله! وما نقصان ديننا؟ قال: «**إنَّ إحداكن تقعد نصف دهرها لا تصلي، وإنَّكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشرة، تمكث إحداكن عند الرجل عشر سنين فصاعداً يحسن إليها وينعم عليها إذا ضاقت يده يوماً أو خاصمها قالت له: ما رأيت منك خيراً قط. ومن لم تكن من النساء هذا خلقها فالذي يصيبها من هذا النقصان محنة عليها، لتصبر فيعظم الله ثوابها، فأبشري**».

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما من رجل ردي إلَّا والمرأة (الرديّة) أردى منه، ولا من امرأة صالحة إلا والرجل (الصالح) أفضل منها، وما ساوى الله قط امرأة برجل إلَّا ما كان من تسوية الله فاطمة بعليٍّ عليهما السلام وإلحاقها به، وهي امرأة تفضل نساء العالمين**»[(٢)].

النبي يوصي بالتمسك بعليٍّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام

لم يترك رسول الله صلى الله عليه وآله مناسبة إلَّا ودعا فيها أصحابَه إلى التمسّك بعترته وأهل بيته، فهو تارة يشبّههم بسفينة نوح، وأُخرى بباب حطّة. ونجده صلى الله عليه وآله يشبّه أهل بيته بنجوم السماء التي جعلها الله تعالى مصدر نور لعباده ليسيروا على هديها،

(١) الكافي للكليني ٥: ٥٠٩ / باب كراهة أن تتبتّل النساء.

(٢) تفسير الإمام العسكري: ص٦٥٩؛ بحار الأنوار ١٠٣: ٢٥٩ /ح ١١؛ وفي لفظ بحار الأنوار (وإلحاقها به وهي امرأة تفضل رجال العالمين).

وجعل تلك النجوم متعاقبة كلّما غاب منها نجم طلع نجم. فإذا غابت الشمس وحُجبت توجّب على الناس الاستضاءة بنور القمر، وكذلك فإنَّ على الناس إن غاب عنهم شخصُ رسول الله أن يستضيئوا بهدي وصيّه ووارثه وباب مدينة عِلمه أمير المؤمنين عليه السلام، ومن بعد أمير المؤمنين أولاده الأئمة الهداة المعصومون عليهم السلام.

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن محمد بن صدقة العنبري، قال: حدثنا موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي (عليهم السلام)، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً صلاة الفجر، ثم انفتل وأقبل علينا يحدثنا، فقال: «**أيها الناس، من فقد الشمس فليتمسّك بالقمر، ومن فقد القمر فليتمسّك بالفرقدين**». قال: فقمت أنا وأبو أيوب الأنصاري ومعنا أنس بن مالك، فقلنا: يا رسول الله، من الشمس؟ قال: «**أنا**»، فإذا هو صلى الله عليه وآله ضرب لنا مثلاً، فقال: «**إنَّ الله (تعالى) خلقنا وجعلنا بمنزلة نجوم السماء، كلما غاب نجم طلع نجم، فأنا الشمس، فإذا ذهب بي فتمسكوا بالقمر**».

قلنا: فمن القمر؟ قال: «**أخي ووصيي ووزيري وقاضي ديني وأبو ولدي وخليفتي في أهلي علي بن أبي طالب**».

قلنا: فمن الفرقدان؟ قال: «**الحسن والحسين**». ثم مكث ملياً وقال: «**فاطمة هي الزهرة، وعترتي أهل بيتي هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفترقان حتى يردا علَيَّ الحوض**»[1].

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥١٦ - ٥١٧؛ بحار الأنوار ٢٤: ٧٥ / ح١١.

فاطمة عليها السلام المصداق الأجلى للثقل الأصغر

هما ثقلان أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله أمَّته بالتمسّك بهما، كتاب الله تعالى وعترة رسول الله وأهل بيته عليهم السلام؛ وأخبر عنهما أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. ومن هنا نعرف مدى خطأ من قال (حسبُنا كتاب الله) مُستغنياً عن الثقل الآخر الذي هو عدل القرآن الكريم. لا افتراق ولا انفكاك بين القرآن والعترة، وعلى المسلمين أن يتمسّكوا بكليهما، أو أن يُعرضوا عن كليهما، لأنَّ افتراقهما غير ممكن ولا متصوَّر!

روى أحمد بإسناده عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «**إنِّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[١].

وروى الحاكم بإسناده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم، قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحاتٍ فقُممن فقال: «**كأنِّي قد دُعيت فأجبت. إنِّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنَّهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**». ثم قال: «**إنَّ الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد عليٍّ –عليه السلام– فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**» – وذكر الحديث بطوله. ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله[٢].

---

(١) مسند أحمد – الإمام أحمد بن حنبل ٣: ١٤.

(٢) المستدرك – الحاكم النيسابوري ٣: ١٠٩.

فاطمة وبعلها وبنوها عليهم السلام كسفينة نوح من ركبها نجا

جاء أمرُ الله وفار التنور وجاء الطوفان، ولم يكن لأحد من عاصم يعصمه من أمر الله إلاّ سفينة نوح، وجاء الذين آمنوا إلى نوح عليه السلام فقال ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾(١)، وسارت السفينة تجري بهم في موج كالجبال، حتّى قُضي الأمر وغاض الماء واستوت على الجوديّ بأمر الله؛ أمّا الذين لم يؤمنوا وعوّلوا على جبل يأوون إليه، فكانوا من المُغرقين الهالكين.

وصف رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته بـ(سفينة نوح)، ثم أوضح مصير من لحق بهم وآمن بهم، ومصير من يتخلّف عنهم وينهج غير نهجهم، فقال «**من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق**». أيها المسلمون! من تمسّك بأهل البيت وركب في سفينتهم نجا، ومن تخلّف عنهم غرق وهلك!

روى الطبراني بإسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «**مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق؛ ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنّمَا قاتل مع الدجال**»(٢).

وروى الطبراني بإسناده عن حنش بن المعتمر قال: رأيت أبا ذر أخذ بعضادتي باب الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: «**مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك، ومثل باب حطة في بني إسرائيل**»(٣).

---

(١) سورة هود: الآية ٤١.

(٢) المعجم الكبير – الطبراني ٣: ٤٥/ ح٢٦٣٦.

(٣) المعجم الكبير – الطبراني ٣: ٤٦/ ح٢٦٣٧.

روى الطبراني بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «**مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق**»(١).

الزهراء عليها السلام في درجة الوسيلة مع أبيها وبعلها وابنيها

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بابتغاء الوسيلة إليه، في قوله عزّ من قائل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾(٢). وقد قصّ لنا القرآن أنَّ بني يعقوب عليه السلام ظلموا أنفسهم حين أرادوا قتل يوسف، ففزعوا إلى أبيهم وجعلوه وسيلة بينهم وبين الله تعالى، فقالوا ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾(٣)؛ وأخبرنا أنَّ بني إسرائيل فزعوا إلى كليم الله موسى عليه السلام فقالوا ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾(٤)؛ وقد أمرنا الله تعالى أن نفزع إليه ونتوسّل بنبيّنا الكريم ونجعله وسيلة للشفاعة، فقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾(٥). وقد جاء عن أهل البيت عليهم السلام أنَّ (الوسيلة) هي درجة محمد وأهل بيته عليهم السلام يوم القيامة، يسكنون فيها.

أخرج المتقي الهندي عن ابن مردويه، عن علي عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «**في الجنة درجة تدعى الوسيلة، فإذا سألتموا الله فسلوا لي الوسيلة**»، قالوا: يا رسول الله! مَن

---

(١) المعجم الكبير – الطبراني ٣: ٤٦/ ح٢٦٣٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ٩٧.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٣٤.

(٥) سورة النساء: الآية ٦٤.

يسكن معك فيها؟ قال: «**علي وفاطمة والحسن والحسين**»[١].

وأخرج ابن كثير عن ابن أبي حاتم بطريقه عن مولى سالم بن ثوبان، قال: سمعت علي بن أبي طالب ينادي على منبر الكوفة: «**يا أيها الناس إنَّ في الجنة لؤلؤتين إحداهما بيضاء والأُخرى صفراء، أما الصفراء فإنَّها إلى بطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غرفة، كل بيت منها ثلاثة أميال، وغرفها وأبوابها وأسرّتها وسكّانها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلّى الله عليه وآله وأهل بيته، والصفراء فيها مثل ذلك هي لإبراهيم عليه السلام وأهل بيته**»[٢].

النبي يمر على باب بيت فاطمة كل صباح فيدعوهم للصلاة ويتلو آية التطهير

هل يحتاج أهلُ البيت الذي هو من أشرف البيوت التي أذن اللهُ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمُه إلى أحد يوقظهم للصلاة؟! هل يحتاج الذين قال اللهُ تعالى إنَّه قد أذهب الرجس عنهم وطهّرهم تطهيراً إلى أن يُنبّههم أحد إلى وقت الصلاة؟! هل يحتاج الذين شهد الله تعالى عنهم أنَّهم كانوا في أحلك الساعات خلال هجرتهم من مكة إلى المدينة يذكرون اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم إلى أن يوقظهم أحد لذكر الله تعالى[٣]؟! بلى وقف النبي صلى الله عليه وآله طوال تسعة أشهر على باب فاطمة وعلي يقول «**الصلاة رحمكم الله**» ثم يقرأ آية التطهير، وقد فعل ذلك من أجل أن يترسّخ في أذهان الناس مدى قدسيّة هذا البيت وحُرمته عند الله ومنزلة أصحابه لديه تعالى! فهل من مُدّكر!!

روى عبد بن حميد بن نصر بإسناده عن أبي الحمراء قال: صحبت رسول الله صلى الله

---

(١) كنز العمال ١٣: ٦٣٩ / ح٣٧٦١٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢: ٥٦.

(٣) انظر على سبيل المثال كتاب الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٤٧١، نهاية المجلس ١٦.

عليه وآله تسعة أشهر، فكان إذا أصبح [أتى] باب عليٍّ وفاطمة وهو يقول: «[**الصلاة**] **يرحمكم الله**» ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

وأخرج الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ﴾كان يجيء نبي الله صلى الله عليه وآله إلى باب عليٍّ صلاة الغداة ثمانية أشهر، ثم يقول: «**الصلاة رحمكم الله**» ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

وروى الطبراني بإسناده عن أنس بن مالك، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمر ببيت فاطمة -عليها السلام- ستة أشهر إذا خرج من صلاة الفجر يقول: «**يا أهل البيت الصلاة**» ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3].

من أحب الزهراء عليها السلام فهو مع النبي في الجنة

في هذا الحديث الشريف يُذكّر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بمنزلة الزهراء عليها السلام، فهو يجعل (محبّة الزهراء) شرطاً وحيداً إن توفّر لدى أحد، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الجنّة! ثم يؤكّد صلى الله عليه وآله في الفقرات التالية أنَّ من ترضى عنه الزهراء فإنَّه صلى الله عليه وآله سيرضى عنه، وإنَّ الله تعالى سيرضى عنه، وفي المقابل فإنَّ من غضبت عليه الزهراء فإنَّ الله ورسوله سيغضبان عليه. وقد سبق له صلى الله عليه وآله أن قال - كما نقله العامة والخاصة -: «**إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة، ويغضب لغضبها**»!

(١) مسند عبد بن حميد: ص١٧٣.

(٢) شواهد التنزيل ٢: ٤٦.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٣: ٥٦/ ح٢٦٧١.

إنَّ الزهراء عليها السلام طاهرة مطهّرة معصومة، وهي لا ترضى عن أحد ما لم يكن مؤمناً مستكمل الإيمان محبّاً لله ورسوله وأهل بيت الرسول، ولا تغضب على أحد ما لم يكن ذلك الشخص ضالاً محارباً لله ورسوله، ينصب العداوة لله ورسوله وأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله.

أخرج الخوارزمي عن سلمان، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«**يا سلمان! من أحب فاطمة ابنتي فهو معي في الجنة؛ ومن أبغضها فهو في النار. يا سلمان! حبّ فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة؛ فمن رضيتْ عنه ابنتي فاطمة رضيتُ عنه، ومن رضيتُ عنه رضي الله عنه؛ ومن غضبت عليه ابنتي فاطمة غضبتُ عليه، ومن غضبتُ عليه غضب الله عليه. يا سلمان! ويلٌ لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين علياً، وويلٌ لمن يظلم ذريتها وشيعتها**»(١).

خلو سورة (هل أتى) من ذكر الحور العين إكراماً للزهراء

أكرم الله تعالى أمَّ المؤمنين خديجة عليها السلام بأنّها كانت الزوجة الوحيدة لنبيّه الكريم ما دامت على قيد الحياة، فلمّا ارتحلت إلى الرفيق الأعلى أذن الله تعالى لنبيّه أن يتزوّج عدّة نساء في آن واحد. وكان الأمر على هذه الشاكلة أيضاً بالنسبة للزهراء عليها السلام، فقد جعلها الله تعالى زوجة وحليلة لأمير المؤمنين عليه السلام، لم يتزوّج عليها ما دامت على قيد الحياة. ويكشف أحد العلماء عن أنَّ الله تعالى أكرم الزهراء عليها السلام في سورة (هل أتى) التي نزلت في شأن صوم الزهراء وأمير المؤمنين وابنيهما عليهم السلام

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٥٩.

وإعطائهم إفطارهم ثلاث ليال متتالية لمسكين ويتيم وأسير لوجه الله تعالى، ولم يفطروا إلّا على الماء القراح، أكرمها تعالى بأنَّ تلك السورة تحدّثت عن نعيم الجنّة بأنواعه، إلّا الحور العين فإنَّ السورة خلت من ذكرهنّ إكراماً للزهراء عليها السلام!

أخرج ابن شهر آشوب في المناقب أنَّه سُئل عالم فقيل له: إنَّ الله تعالى قد أنزل ﴿**هل أتى**﴾ في أهل البيت وليس شيء من نعيم الجنة إلّا وذُكر فيه إلّا الحور العين! قال: ذلك إجلالاً لفاطمة عليها السلام[1].

توسّل أبي طالب ومعه قريش بالفاطمية البيضاء

أبو طالب مؤمن قريش عليه السلام، الذي نصر رسول الله صلى الله عليه وآله بكلّ وجوده وقوّته، فلمّا توفّي نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله يأمره بالهجرة إلى المدينة، وأوحى إليه «**اخرج منها فقد مات ناصرُك**»[2]! أبو طالب الذي كان يقف في وجه مشركي قريش الطغاة ليقول في عنفوان:

كذبتم وبيتِ الله نبزي محمّداً	ولمّا نُطاعن دونه ونُناضلْ
ونُسلِمه حتّى نُصرّع دونه	ونغفل عن أبنائنا والحلائل[3]

الذي كان من الإيمان بمنزلة مؤمن آل فرعون آتاه اللهُ أجره مرتين[4]. لكنّ ذنبه الوحيد - وحاشاه من الذنوب - أنَّه أبو أمير المؤمنين عليه السلام الذي وتر في سبيل الله صناديد العرب،وقتل أبطالهم، وناوش ذؤبانهم، فأودع قلوبهم أحقاداً بدرية وخيبرية وحُنينيّة.

---

(١) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٣: ١٠٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩؛ ينابيع المودّة للقندوزي ١: ٤٥٥، الباب ٥١.

(٣) الأمالي للشيخ المفيد: ص٣٠٤؛ بحار الأنوار ٣٥: ١٦٥.

(٤) بحار الأنوار ٣٥: ١١١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٧٠.

فلمّا لم يجدوا فيه مهمزاً ولا مغمزاً، طعنوا في أبيه الذي كان كمؤمن آل فرعون، وقالوا بأنّه لم يتفوّه بالشهادتين، وحاشاه! مع وجود أدلّة دامغة على إيمانه، منها أنَّ النبي صلى الله عليه وآله أقرّه على زوجته فاطمة بنت أسد ولم يفرّق بينهما، بينما فرّق بين المسلمين وأزواجهم من الكفّار. وفي الحديث الذي نحن بصدده نجد أبا طالب يتوسّل إلى الله تعالى بالمحمّدية البيضاء، وبالعلويّة العالية، وبالفاطمية البيضاء، أن يكشف ما حلّ بتهامة!

أخرج الفتال النيسابوري في روضة الواعظين، أنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ميلاد أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: «**آه آه لقد سألتني عن خير مولود ولد بعدي على سنّة المسيح عليه السلام، إنَّ الله تبارك وتعالى خلقني وعلياً من نور واحد قبل أن خلق الخلق بخمسمائة ألف عام، فكنا نسبّح الله ونقدّسه، فلما خلق الله تعالى آدم قذف بنا في صلبه، واستقررت أنا في جنبه الأيمن وعليٌّ في الأيسر، ثم نقلنا من صلبه في الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الطيبة، فلم نزل كذلك حتى أطلعني الله تبارك وتعالى من ظهر طاهر وهو عبد الله بن عبد المطلب فاستودعني خير رحم وهي آمنة، ثم أطلع الله تبارك وتعالى علياً من ظهر طاهر وهو أبو طالب واستودعه خير رحم وهي فاطمة بنت أسد**». ثم نقل رسول الله صلى الله عليه وآله قصة حمل فاطمة بنت أسد بأمير المؤمنين؛ إلى أن يصل إلى قوله:

«**وارتجت الأرض وزلزلت بهم أياماً حتى لقيت قريش من ذلك شدة وفزعوا وقالوا: قوموا بآلهتكم إلى ذروة أبي قبيس حتى نسألهم أن يسكنوا ما نزل بكم وحلَّ بساحتكم، فلما اجتمعوا على ذروة جبل أبي قبيس فجعل يرتج ارتجاجاً حتى تدكدكت بهم صمُّ الصخور وتناثرت، وتساقطت الآلهة على وجهها، فلما بصروا بذلك قالوا: لا طاقة لنا بما حلَّ بنا، فصعد أبو طالب الجبل وهو غير مكترث بما هم فيه، فقال: أيها الناس إنَّ**

الله تبارك وتعالى قد أحدث في هذه الليلة حادثة، وخلق فيها خلقاً، إن لم تطيعوه ولم تقروا بولايته وتشهدوا بإمامته لم يسكن ما بكم ولا يكون لكم بتهامة مسكن، فقالوا: يا أبا طالب إنّا نقول بمقالتك، فبكى أبو طالب ورفع يده إلى الله عزَّ وجلَّ وقال: (إلهي وسيدي أسألك بالمحمدية المحمودة، وبالعلوية العالية، وبالفاطمية البيضاء، إلّا تفضلتَ على تهامة بالرأفة والرحمة) فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد كانت العرب تكتب هذه الكلمات فتدعو بها عند شدائدها في الجاهلية وهي لا تعلمها ولا تعرف حقيقتها»[(١)].

فاطمة الغصن المورق للشجرة النبوية الوارفة

اقتضت مشيئة الحكيم الخبير أن يكون نسل رسول الله صلى الله عليه وآله من وُلد الزهراء عليها السلام، وقد اختارها الله تعالى لتكون الردّ الحاسم على من عيّر النبيَّ صلى الله عليه وآله بأنَّه أبتر لا ذريّة له، فأنزل الله تعالى أنَّه قد أعطى رسولَه الكوثر، ومنّ عليه بالزهراء الطاهرة عليها السلام، وجعلها أمّاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وجعل البركة والكثرة فيهم بحيث انتشروا في أرجاء البسيطة. ونجد أنَّ أهل البيت عليهم السلام يعبّرون عن الزهراء عليها السلام بأنّها (الغصن) من الدوحة النبويّة الوارفة التي يصفها الله تعالى بأنَّ أصلها ثابت وفرعها في السماء!

روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن سلام الخثعمي، قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن عليٍّ عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله، قول الله تعالى ﴿أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ﴾؛ قال: «**يا سلام! الشجرة محمد، والفرع عليٌّ أمير المؤمنين، والثمر الحسن والحسين، والغصن فاطمة، والورق شيعتنا ومحبونا أهل البيت**»؛ الحديث[(٢)].

---

(١) روضة الواعظين: ص٧٧؛ بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٣٥: ١٠ – ١٢.

(٢) شواهد التنزيل ١: ٤٠٦/ ح٤٢٨.

وروى الحافظ الكنجي الشافعي بإسناده عن أبي أمامة الباهلي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخلقني وعلياً من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليٌّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجى، ومن زاغ عنها هوى**»... ثم تلا: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً الاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[1].

من عرف فاطمة عليها السلام حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر

إنّ الزهراء عليها السلام - كما يقول أهل البيت عليهم السلام - هي المجهولة قدْراً، وهي التي فُطم الخلائق عن معرفتها، فمن عرفها حقّ معرفتها، فقد أدرك ليلة القدر. ونجد - مع بالغ الأسى - أنَّ الزهراء عليها السلام قد عاشت مظلومة مقهورة، وأنَّها رحلت عن هذه الدنيا حزينة باكية لم ترقأ دمعتها، وأنَّها مُنعتْ عن البكاء على أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله، بذريعة أنَّ بكاءها كان يؤذي بعض مشايخ قريش، فبنى لها أمير المؤمنين عليه السلام (بيت الأحزان)، فكانت تخرج إليه. أليس مِمّا يثير الحسرة أن تعيش مثل الزهراء حياة قصيرة مبتورة، وأن توصي أن لا يشترك في تشييعها أحدٌ من الذين ظلموها، فلا يشترك في تشييعها إلَّا نفر قليل لا يتجاوزون أصابع اليد؟ ألا يعني ذلك أنَّ معظم أفراد الأُمَّة كانوا مساهمين ومشاركين في ظلم الزهراء عليها السلام؟! سواء بصورة مباشرة في العدوان على بيتها أو غصب حقّها أو الاعتداء على مقام بعلها أمير المؤمنين عليه السلام، أو من خلال الخذلان وعدم النصرة، مع أنَّ من الثابت أنَّها عليها السلام دارت على بيوت الأنصار ثلاثة أيام تسألهم النصرة، فكانت أعذارهم باردة لا تقنع أحداً! هل يوجد جهل لقدر الزهراء عليها السلام أكبر ممّا صدر من ظالميها

(١) كفاية الطالب ص٣١٧، الباب٨٧.

وخاذليها؟! فما أعظمكِ وما أجلّ قدرك يا مولاتنا الزهراء!! توسّل بكِ آدم عليه السلام فتاب اللهُ عليه، وأمر اللهُ تعالى نبيّه أن يباهل بك وبزوجك وابنيك النصارى، فأبوا أن يباهلوا وخافوا وعرفوا أنَّ العذاب سيقع بهم لا محالة إن هم باهلوكم! فما أشدّها من حسرة!! أن يعرف رهبان النصارى من قدركِ ما جهله كثير من أفراد هذه الأمَّة!

روى فرات الكوفي في تفسيره عن محمد بن القاسم بن عبيد معنعناً، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال في قوله تعالى﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: **«الليلة فاطمة، والقدر الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر؛ وإنَّما سميت فاطمة لأنَّ الخلق فُطموا عن معرفتها»**.

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ **«يعني خير من ألف مؤمن، وهي أمُّ المؤمنين»** ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ **«والملائكة المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد صلى الله عليه وآله، وروح القدس هي فاطمة عليها السلام»** ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ **«يعني حتى يخرج القائم عليه السلام»**[1].

وأخرج المجلسي عن محمّد بن جمهور، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يُفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدّر الله فيها؟

قال: **«لا توصف قدرة الله»** إلاّ أنّه قال: ﴿فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، **«فكيف يكون حكيماً إلاّ ما فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه، لأنّه يحدّث ما يشاء»**.

وأمّا قوله: ﴿لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ **«يعني فاطمة عليها السلام»**.

---

(١) تفسير فرات الكوفي – فرات بن إبراهيم الكوفي ص ٥٨١ – ٥٨٢.

وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها﴾، «**والملائكة في هذا الموضع: المؤمنون الّذين يملكون علم آل محمّد عليهم السلام**»، ﴿وَالرُّوحُ﴾؛ «**روح القدس، وهو في فاطمة عليها السلام**» ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ﴾ يقول: «**من كلّ أمر مسلّمة**»﴿حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ «**يعني حتّى يقوم القائم عليه السلام**»(١).

لماذا حازت الزهراء عليها السلام هذه المنزلة؟

أشهر السنة إثنا عشر شهراً، لكنّ الأشهر الحُرم هي أربعة فقط جعل الله تعالى لها حُرمة خاصّة وحرّم فيها القتال. وليالي السنة كثيرة، لكنَّ ليلة القدر تمتاز عن باقي الليالي بأنَّها خيرٌ من ألف شهر. وفي خصوص الزهراء عليها السلام نجد أنَّ البعض يتساءل عن السبب الذي فاقت لأجله الزهراء عليها السلام باقي بنات رسول الله، مع أنَّها أصغرهنّ عمراً، فيأتي الجواب أنَّ تعليل ذلك هو إخلاص نيّتها الذي عرفه منها خالقها تعالى، وفي موضع آخر نجد الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله يحدّثنا بأنَّ الله تعالى ملأ قلب الزهراء وجوارحها إيماناً ويقيناً. سأل بزلُ الهروي الحسينَ بن روح (ره) فقال: كم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: أربع، فقال: أيتهن أفضل؟ فقال: فاطمة. قال: ولم صارت أفضل وكانت أصغرهن سناً وأقلهن صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لخصلتين خصّها الله بهما: أنَّها ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله، ونسل رسول الله صلى الله عليه وآله منها، ولم يخصّها بذلك إلَّا بفضل إخلاص عرفه من نيّتها(٢).

وأخرج المجلسي عن سيدة النساء صلوات الله عليها قالت: «**من أصعد إلى الله خالص عبادته، أهبط الله عزَّ وجلَّ إليه أفضل مصلحته**»(٣).

---

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٩٧ / ح ٧٠.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ٣٧.

(٣) بحار الأنوار ٦٧: ٢٤٩ – ٢٥٠.

وأخرج المجلسي عن الراوندي، أنَّه روي أنَّ أبا ذر قال: بعثني رسول الله صلّى الله عليه وآله أدعو علياً عليه السّلام! فأتيت بيته فناديته فلم يجبني أحد، والرحى تطحن وليس معها أحد؛ [فذكرت ذلك لرسول الله فـــ] قال: «**إنَّ ابنتي فاطمة عليها السّلام ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً ويقيناً، وإنَّ الله علم ضعفها فأعانها على دهرها وكفاها. أما علمتَ أنَّ لله ملائكةً موكّلين بمعونة آل محمد عليهم السّلام؟**»(١)

التصديق بالزهراء سبيل كسب طهارة الولاية

التصديق بالزهراء عليها السلام – وهي الطاهرة المطهرة المعصومة التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها – يعني التصديق والإذعان بكلِّ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله من التنزيل، وبكلّ ما بيّنه وصيُّه وخليفته أمير المؤمنين عليه السلام من التأويل. والتمسّك الحقيقي بولاية أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم (وهو الخط الذي ضحّت الزهراء عليها السلام بحياتها الشريفة من أجله) يعني حيازة الطهارة في العقيدة والعمل.

أخرج الحر العاملي في وسائل الشيعة عن إبراهيم بن محمد بن عيسى العريضي، قال: حدثنا أبو جعفر عليه السلام ذات يوم قال: «**إذا صرت إلى قبر جدتك عليها السلام فقل: يا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة، وزعمنا أنّا لك أولياء ومصدّقون وصابرون لكلّ ما أتانا به أبوك صلى الله عليه وآله وأتى به وصيُّه، فإنَّا نسألك إن كنا صدّقناك إلَّا ألحقتنا بتصديقنا لهما لنبشّر أنفسنا بأنَّا قد طَهُرنا بولايتك**»(٢).

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢٩ / ح ٤٣، عن الخرائج.

(٢) وسائل الشيعة (ط. آل البيت) – الحر العاملي ١٤: ٣٦٧ – ٣٦٨.

قال رسول الله ﷺ

فاطمة بضعة مني

يؤذيني ما يؤذيها

الفصل
الخامس والعشرون

الحوراء الإنسية عليها السلام
تودع الدنيا

استرجاع النور الإلهيّ

لقد جادت الرحمة الإلهيّة على أمَّة خاتم الرسل بهذه المخلوقة الفريدة التي جسّدت أنفس جوهرة وجوديّة أُنثى وطأت هذه البسيطة، وجعلتها سيّدة لجميع نساء العالمين وقُدوة لهن، بل كانت قدوة لكلّ أجيال البشرية اللاحقة. لكنّ بضعة سيّد الأنبياء والرسل – شأنها شأن النِعم الإلهيّة – لم تجد في دنياها غالباً إلاّ الإعراض والجفاء، ولم تلمس إلاّ الهجران والغدر، وشاءت السماء استرجاع هذه النعمة الكبيرة قبل أن تستوفي الحدّ الأدنى من العمر الطبيعيّ المقدّر لأمثالها.

شاءت المشيئة الإلهيّة استرجاع هذا النور الذي زيّن العرش، بعد أن خلعتْ عليه رداءً بشرياً وأهبطته إلى عالمنا. ولطالما نبّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى حقيقة أنَّ ريحانته (فاطمة) ليست كباقي النساء، وأنَّها خُلقت (حوراء إنسيّة)، وأنَّ نطفة بضعته الزهراء عليها السلام انعقدت من فاكهة تناولها من ثمار الجنّة في معراجه. ومن سنن الله تعالى في خلقه أنَّه إذا أنعم عليهم نعمة فلم يؤدّوا حقّ شكرها، سلبها منهم. وهكذا استرجعت السماء هذا النور الفذّ، وحُرمت الأرض من وجود مبارك فُطم أهلُها عن معرفة كُنهه، والناسُ بعدُ أعداءُ ما جهلوا.

ودارت حياة هذه المخلوقة الفريدة بين ظلم كفّار قريش وعنادهم في محاربة خاتم الرسل، وبين ظلم من انضمّ في الظاهر إلى المسيرة الإسلاميّة وبقي في الباطن على رواسبه الجاهليّة. لكنّ ظلم هؤلاء المسلمين كان أشدّ مضاضة في النفس وأقوى إيلاماً من ظلم أولئك الكفّار. وشاهدنا صوراً مروّعة من الظلم الذي تعرّضت له ريحانة الرسول، من

الهجوم على دارها التي طالما وقف جبرئيل أمينُ الوحي عند أعتاب بابها مستأذناً، ومن اقتياد زوجها خاتم الأوصياء ملبباً بحمائل سيفه ليُجبر على البيعة، ودعْ عنك حديث الباب والمسمار!

ارتحلت ريحانةُ الرسول وخلّفت في قلب أمير المؤمنين حزناً لا ينقضي، وجرحاً لا يندمل؛ وأنّى لفقد الزهراء أن يمحوه كرّ الأيام والأعوام! وأنّى لحزن أمير المؤمنين وكمده السرمديّ أن يتصرّما، فلقد اختُلست الزهراء من بيته، واستُرجعت الوديعةُ التي أودعها إيّاه خاتم الرسل، لكنّها استُرجعت محمرّة العين، مكسورة الضلع، فواهاً لكِ يا دنيا!

وداع رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام

نجد رسول الله صلى الله عليه وآله في الرواية المقبلة يودّع ابنته الحبيبة ويخبرها أنَّه مفارقها عمّا قريب، فتسأله في لهفة الواله أين ستلقاه يوم القيامة، فيخبرها أنَّها تلقاه عند الحساب، وتعود الزهراء تسأل في وجل أين ستلقاه إن هي لم تلقه عند الحساب؟ فيجيبها بأنَّها ستلقاه عند الشفاعة لأمَّته، وتسأل الزهراء من جديد: فإن لم ألقك عند الشفاعة لأمَّتك؟ فأجابها في حنوٍّ: عند الصراط، ثمّ طمأنها بعلامات أُخرى، منها أنَّ جبرئيل سيكون عن يمينه، وميكائيل عن يساره، والملائكة خلفه وقدّامه يدعون أن يسلّم الله أمَّة محمد من النار؛ وحينذاك فقط تسأل الزهراء عليها السلام أباها المرسل عن أمِّها أين مكانها يوم القيامة!

روى الشيخ الصدوق في الأمالي عن ابن عباس قال: لما مرض رسول الله صلّى الله عليه وآله وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر فقال له: فداك أبي وأمّي يا رسول الله صلّى الله عليه وآله، من يغسلك منّا إذا كان ذلك منك؟ قال: «**ذاك عليُّ بن أبي طالب، لأنَّه**

لا يهمّ بعضو من أعضائي إلّا أعانته الملائكة على ذلك». (– الحديث بطوله، وجاء فيه):

ثم قال عليه السّلام: «ادع لي حبيبة قلبي وقرة عيني فاطمة تجيء». فجاءت فاطمة عليها السّلام وهي تقول: «نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء؛ يا أبتاه، ألا تكلّمني كلمة؟ فإنّي انظر إليك وأراك مفارق الدنيا، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً».

فقال لها: «يا بنية، إنّي مفارقك، فسلام عليك مني». قالت: «يا أبتاه، فأين الملتقى يوم القيامة؟» قال: «عند الحساب». قالت: «فإن لم ألقك عند الحساب؟» قال: «عند الشفاعة لأمّتي».

قالت: فإن لم ألقك عند الشفاعة لأمّتك؟» قال: «عند الصراط، جبرئيل عن يميني وميكائيل عن يساري، والملائكة من خلفي وقدامي ينادون: ربّ سلّم أمّة محمد من النار ويسّر عليهم الحساب».

قالت فاطمة عليها السّلام: «فأين والدتي خديجة؟» قال: «في قصر له أربعة أبواب إلى الجنة». ثم أغمي على رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فدخل بلال وهو يقول: الصلاة رحمك الله. فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وصلّى بالناس وخفّف الصلاة. ثم قال: «ادعوا لي عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد». فجاء، فوضع عليه السّلام يده على عاتق عليٍّ والأُخرى على أُسامة، ثم قال: «انطلقا بي إلى فاطمة»! فجاء به حتى وضع رأسه في حجرها. فإذا الحسن والحسين عليهما السّلام يبكيان ويصطرخان وهما يقولان: «أنفسنا لنفسك الفداء، ووجوهنا لوجهك الوقاء». فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من هذان يا علي»؟ قال: «هذان ابناك الحسن والحسين»، فعانقهما وقبّلهما، وكان الحسن عليه السّلام أشدَّ بكاءً. فقال له: «كفّ يا

حسن، فقد شققتَ على رسول الله»- الحديث، وقد نقلنا منه موضع الشاهد[١].

وروى جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت فاطمة عليها السّلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو في سكرات الموت، فانكبّت عليه تبكي. ففتح عينه وأفاق، ثم قال: «**يا بنية، أنت المظلومة بعدي وأنت المستضعفة بعدي؛ فمن آذاك فقد آذاني، ومن غاظك فقد غاظني، ومن سرّك فقد سرّني، ومن برّك فقد برّني، ومن جفاك فقد جفاني، ومن وصلك فقد وصلني، ومن قطعك فقد قطعني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنَّك مني وأنا منك، وأنت بضعة مني وروحي التي بين جنبيّ. ثم قال: إلى الله أشكو ظالميك من أمَّتي**».

ثم دخل الحسن والحسين عليهما السّلام فانكبّا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وهما يبكيان ويقولان: «**أنفسنا لنفسك الفداء يا رسول الله**». فذهب عليٌّ عليه السلام لينحّيهما عنه، فرفع رأسه إليه ثم قال: «**دعهما يا أخي يشمّاني وأشمّهما ويتزوّدان مني وأتزوّد منهما، فإنَّهما مقتولان بعدي ظلماً وعدواناً، فلعنة الله على من يقتلهما**». ثم قال: «**يا علي، أنت المظلوم بعدي وأنا خصم لمن أنت خصمه يوم القيامة**»[٢].

وعن عبد الله بن العباس، قال: لما حضرت رسول الله صلّى الله عليه وآله الوفاة بكى حتى بلّت دموعه لحيته. فقيل: يا رسول الله! ما يبكيك؟ فقال: «**أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمَّتي من بعدي؛ كأنِّي بفاطمة عليها السّلام بنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي: يا أبتاه يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمَّتي**».

فسمعت ذلك فاطمة عليها السّلام فبكت. فقال لها رسول الله صلّى الله عليه

---

(١) أمالي الصدوق ص ٧٣٦ / ح ١٠٠٤ / ٦ المجلس الثاني والتسعون.

(٢) كشف الغمة ٢: ٥٨؛ بحار الأنوار ٢٨: ٧٦ / ح ٣٥.

وآلـه: «**لا تبكـي يـا بنية**». فقالت: «**لسـت أبكـي لما يصنع بي مـن بعـدك، و لكني أبكي لفراقـك يـا رسـول الله**». فقـال: «**أبشري يـا بنت محمـد بسرعـة اللحـاق بي، فإنَّك أول مـن يلحق بي مـن أهل بيتـي**»(١).

وروى الخزّاز القمّي عن أبي ذر الغفاري رحمة الله عليه: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه، فقال: «**يا أبا ذر ايتني بابنتي فاطمة**». قال: فقمت ودخلت عليها وقلت: يا سيّدة النسوان أجيبي أباك. قال: «**فلبست جلبابها وخرجت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله انكبّت عليه وبكت وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها وضمّها إليه**»، ثم قال: «**يا فاطمة لا تبكي فداك أبوك، فأنتِ أوّل من تلحقين بي مظلومة مغصوبة، وسوف يظهر بعدي حسيكة النفاق وسمل حلباب الدين، وأنت أول من يرد علي الحوض**». قالت: «**يا أبه أين ألقاك**»؟ قال: «**تلقيني عند الحوض وأنا أسقي شيعتك ومحبيك وأطرد أعداءك ومبغضيك**». قالت: «**يا رسول الله فإن لم ألقك عند الحوض؟ قال تلقيني عند الميزان**». قالت: «**يا أبه وإن لم ألقك عند الميزان**»؟ قال: «**تلقيني عند الصراط وأنا أقول: اللهم سلم شيعة علي**». قال أبو ذر: فسكن قلبها، ثم التفت إلي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**يا أبا ذر إنَّها بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني، ألا إنَّها سيدة نساء العالمين، وبعلها سيد الوصيين، وابنيها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإنَّهم إمامان إن قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما، وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهدي هذه الأمَّة**». قال: قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟ قال: «**عدد نقباء بني إسرائيل**»(٢).

---

(١) الأمالي للطوسي ١: ١٩١.

(٢) كفاية الأثر – الخزاز القمي: ص ٣٦ – ٣٨.

وروى جعفر بن قولويه في كامل الزيارة بإسناده عن علي بن الحسين (عليهما السلام)، عن عمته زينب، عن أمِّ أيمن وعن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، في حديث طويل: «**إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، زار منزل فاطمة عليها السلام، فعملت له حريرة - إلى أن قال- فلما فرغ من غسل يده، مسح وجهه، ثم نظر إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، [نظراً] عرفنا منه السرور في وجهه ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً، ثم وجّه وجهه نحو القبلة، وبسط يديه يدعو، ثم خرّ ساجداً وهو ينشج، فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثم رفع رأسه، وذكر سبب البكاء، وأنَّ جبرئيل أخبره بما يجري عليهم بعده من المصائب**» - الخبر[1].

رسول الله يبشّر فاطمة بقرب لحاقها به

تُبشّر الزهراء عليها السلام بالموت، وأنَّها لن تمكث بعد أبيها إلَّا يسيراً، فتضحك وتفرح، فاللحاق بأبيها المصطفى غاية أُمنيات الزهراء، خاصة بعد أن أخبرها أبوها بما سيجري عليها وعلى بعلها وأبنائها من بعده، وبعد أن شاهدت أباها المرسل يذرف الدموع سخاناً لما سيلحق بذريته بعدهُ من شرار أمَّته.

روى الصدوق في قصص الأنبياء، عن عباية، عن ابن عباس قال:

دخلت فاطمة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مرضه الذي توفي فيه، قال: «**نعيت إلي نفسي، فبكت فاطمة، فقال لها: لا تبكي فإنَّك لا تمكثين من بعدي إلَّا اثنين وسبعين يوماً ونصف يوم حتى تلحقي بي، ولا تلحقي بي حتى تتحفي بثمار الجنة**»، فضحكت فاطمة عليها السلام[2].

---

(١) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري ٥: ١٥٣، كامل الزيارات: هامش ص ٤٤٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ١٥٦، عن قصص الأنبياء للصدوق.

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي عن عكرمة، عن عبد الله بن العباس قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: «**أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمّتي من بعدي، كأنّي بفاطمة بنتي وقد ظُلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي،**» فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تبكي يا بنية، فقالت: لست أبكي لما يصنع بي من بعدك، ولكني أبكي لفراقك يا رسول الله،**» فقال لها: «**أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي، فإنّك أول من يلحق بي من أهل بيتي**»[1].

وداع أمير المؤمنين لفاطمة عليهما السلام

لا أشدّ على النفس من فراق الأحبّة، فما الذي كان يعتمل في قلب أمير المؤمنين عليه السلام يوم ودّعته الزهراء وودعها؟! لقد كفكف دموع عينيه، لكنّ قلبه الكسير ظلّ يعول إعوال الثكلى. أحرى بالقلب الكبير أن لا يشكو همّه إلّا إلى خالقه! وأجدر بالرجال من أمثال أمير المؤمنين – وليس مثله رجل – أن يداروا عواطفهم عن أنظار الشامتين، وهم يومذاك كثيرون. فلنُصغِ إلى كلماته عليه السلام التي انسابت من قلبه الواله على شفتيه حين نفض يديه من تراب قبر الزهراء عليها السلام «**واهاً واهاً!! والصبر أيمن وأجمل! ولولا غلبة المستولين، لجعلتُ المقام واللبث لزاماً معكوفاً، ولأعولتُ إعوال الثكلى على جليل الرزية**».

أخرج الفتال النيسابوري في روضة الواعظين حديثاً في وفاة الزهراء عليها السلام جاء فيه أنّها عليها السلام قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: «**أوصيك يا بن عمّ أن تتّخذ**

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٥٦، عن أمالي الشيخ الطوسي.

لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته،» فقال لها: «**صفيه لي،**» فوصفته فاتخذه لها، فأوّل نعش عُمل على وجه الأرض ذاك وما رأى أحد قبله ولا عمل أحد. ثم قالت: «**أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقي، فإنّهم عدوي وعدو رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تترك أن يصلي عليَّ أحد منهم ولا من أتباعهم، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار!**» ثم توفيت صلوات الله عليها وعلى ابنَيها وبعلها وبنيها. فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخوا صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهن وهن يقلن: يا سيدتاه! يا بنت رسول الله! وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى عليٍّ عليه السلام وهو جالس والحسن والحسين (عليهما السلام) بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما. وخرجت أمُّ كلثوم وعليها برقعة وتجر ذيلها متجللة برداء عليها تسحبها وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً - الحديث بطوله(1).

وروى الكليني في الكافي عن علي بن محمد الهرمزاني، عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام قال: «**لما قُبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين عليه السلام سراً وعفا على موضع قبرها، ثم قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: السلام عليك يا رسول الله عني! والسلام عليك عن ابنتك، وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك. قلّ - يا رسول الله - عن صفيّتك صبري، وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلّدي، إلّا أنَّ في التأسّي لي بسنّتك في فرقتك موضع تعزّ، فلقد وسّدتُك في ملحودة قبرك، وفاضت نفسك بين نحري وصدري. بلى! وفي كتاب الله لي أنعم القبول، إنّا لله وإنا إليه راجعون، قد استُرجعت الوديعة، وأُخذت الرهينة،**

---

(1) روضة الواعظين: ص١٥١؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٩١ - ١٩٣.

وأُخلست[١] الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله! أمَّا حزني فسرمد، وأمَّا ليلي فمسهّد، وهمّ لا يبرح من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهمّ مهيج، سرعان ما فرّق بيننا، وإلى الله أشكو. وستنبئك ابنتك بتظافر أمَّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً، وستقول ويحكمُ الله وهو خير الحاكمين. والسلام عليكما سلام مودّع، لا قالٍ ولا سئم، فإن أنصرفْ فلا عن ملالة، وإن أُقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين. واهاً واهاً والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين، لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية. فبعين الله تدفن ابنتك سراً، وتهضم حقها، ويمنع إرثها!؟ ولم يتباعد العهد، ولم يخلق منك الذِكر، وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء، صلى الله عليك، وعليها السلام والرضوان»[٢].

زفرات أمير المؤمنين على فاطمة عليهما السلام

في جوف الليل دفن أمير المؤمنين فاطمة عليهما السلام، ولم يتلقّ التعازي من أحد. لم يكن إلى جنب الفاقد من يسلّيه - وأنّى له السلوان - فلا عجب إنْ هاج به الحزن فبثّ القبر الغضّ زفراته متمنّياً الموت سريعاً!

روى الصدوق في أماليه عن عبد الله بن عبد الرحمن الهمداني، عن أبيه قال: لما دفن علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة عليها السلام قام على شفير القبر، وذلك في جوف الليل لأنَّه كان دفنها ليلاً، ثم أنشأ يقول:

---

(١) جاء في كتب اللغة: خلست الشيء واختلسته خلساً: اختطفته بسرعة على غفلة.

(٢) الكافي ١: ٤٥٩، باب مولد الزهراء فاطمة عليها السلام؛ بحار الأنوار ٤٣: ١٩٣ - ١٩٤.

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الذي دون الممات قليلُ

وإنّ افتقادي واحداً بعد واحد ... دليلٌ على أن لا يدوم خليل

ستعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل(١)

وأخرج المجلسي عن الحاكم أنَّ فاطمة لمّا ماتت أنشأ عليٌّ:

نفسي على زفراتها محبوسةٌ ... يا ليتها خرجتْ مع الزفراتِ

لا خير بعدكِ في الحياة وإنّما ... أخشى مخافة أن تطول حياتي(٢)

الحسنان يبكيان لفقدان الزهراء فاطمة عليهم سلام الله

أورد العلامة المجلسي حديثاً طويلاً في وداع الحسنين مع أمِّهما الزهراء فاطمة عليهم جميعاً سلام الله تعالى، على لسان جاريتهم فضة، جاء فيه تفصيل حزنها على أبيها وشكوى شيوخ المدينة من بكائها الدائم، حتى يصل إلى قوله:

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فلما رأته سكنت هنيئة له، فقال لها: «**يا بنت رسول الله – صلى الله عليه وآله – إنَّ شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إمَّا أن تبكين أباك ليلاً وإمَّا نهاراً**». فقالت: «**يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله**»، فقال لها عليٌّ عليه السلام: «**افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك**». ثم إنَّه بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة يسمى بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين (عليهما

(١) أمالي الصدوق: ص٥٨٠، المجلس ٧٤؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٣.

السلام) أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها وساقها بين يديه إلى منزلها. ولم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد موت أبيها سبعة وعشرون يوماً، واعتلت العلة التي توفيت فيها، فبقيت إلى يوم الأربعين، وقد صلى أمير المؤمنين عليه السلام صلاة الظهر وأقبل يريد المنزل إذا استقبلته الجواري باكيات حزينات، فقال لهن: «**ما الخبر ومالي أراكن متغيرات الوجوه والصور؟**» فقلن: يا أمير المؤمنين أدرك ابنة عمك الزهراء عليها السلام، وما نظنك تدركها. فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً حتى دخل عليها، وإذا بها ملقاة على فراشها وهو من قباطي مصر وهي تقبض يميناً وتمد شمالاً، فألقى الرداء عن عاتقه والعمامة عن رأسه، وحل أزراره، وأقبل حتى أخذ رأسها وتركه في حجره، وناداها: «**يا زهراء**»! فلم تكلّمه، فناداها: «**يا بنت محمد المصطفى**»! فلم تكلّمه، فناداها: «**يا بنت من حمل الزكاة في طرف ردائه وبذلها على الفقراء**»! فلم تكلّمه، فناداها: «**يا ابنة من صلى بالملائكة في السماء مثنى مثنى**»! فلم تكلّمه، فناداها: «**يا فاطمة كلميني فأنا ابن عمك علي بن أبي طالب**». قال: ففتحت عينيها في وجهه ونظرت إليه وبكت وبكى وقال: «**ما الذي تجدينه فأنا ابن عمك علي بن أبي طالب**». فقالت: «**يا بن العم إنِّي أجد الموت الذي لا بد منه ولا محيص عنه، وأنا أعلم أنَّك بعدي لا تصبر على قلة التزويج، فإن أنت تزوجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة. يا أبا الحسن ولا تصح في وجوههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنَّهما بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقدان أمَّهما، فالويل لأمَّة تقتلهما وتبغضهما**» ثم أنشأت تقول:

ابكني إن بكيتَ يا خير هادي ... وأسبل الدمع فهو يوم الفراق

يا قرين البتول أوصيك بالنسل ... فقد أصبحا حليف اشتياق

ابكني وابـك لليتامى ولا تنسَ قـتـيـل الـعــدى بـطـفّ الـعـراق

فـارقـوا فأصبحوا يتامى حيارى يحـلـف الله فـهـو يــوم الـفـراق

قالت: فقال لها عليٌّ عليه السلام: «من أين لك يا بنت رسول الله هذا الخبر، والوحي قد انقطع عنا»؟ فقالت: «يا أبا الحسن رقدت الساعة فرأيت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله في قصر من الدر الأبيض، فلما رآني قال: هلمّي إلي يا بنية فإنِّي إليك مشتاق، فقلت:والله إنِّي لأشدّ شوقاً منك إلى لقائك، فقال: أنتِ الليلة عندي! وهو الصادق لما وعد، والموفي لما عاهد. فإذا أنت قرأتَ (يس) فاعلم أنِّي قد قضيت نحبي، فغسّلني ولا تكشف عني فإنِّي طاهرة مطهرة، وليصلِّ عليَّ معك من أهلي الأدنى فالأدنى ومن رزق أجري، وادفنّي ليلاً في قبري، بهذا أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله».

فقال عليٌّ عليه السلام: «والله لقد أخذتُ في أمرها وغسلتها في قميصها ولم أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة، ثم حنطتها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله وكفنتها وأدرجتها في أكفانها، فلما هممتُ أن أعقد الرداء ناديت: يا أُمَّ كلثوم! يا زينب! يا سكينة! يا فضة! يا حسن! يا حسين! هلمّوا تزودوا من أُمِّكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة. فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهما يناديان: وا حسرتا لا تنطفئ أبداً من فقْد جدنا محمد المصطفى وأمِّنا فاطمة الزهراء! يا أمَّ الحسن! يا أمَّ الحسين! إذا لقيتِ جدّنا محمداً المصطفى فأَقرئيه منا السلام وقولي له إنَّا قد بقينا بعده يتيمين في دار الدنيا. فقال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: إنِّي أُشهد الله أنَّها قد حنّت وأنّت ومدّت يديها وضمّتهما إلى صدرها ملياً، وإذا بهاتف من السماء ينادي يا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبكيا – والله – ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب» – الحديث[1].

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ١٧٤ – ١٧٩.

الوصية المكتوبة للزهراء عليها السلام

أمر الله تعالى بالوصيّة، وأمر بها نبيه الكريم صلى الله عليه وآله، وقال عنها: «**ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن يبيت ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده**». وقد كشف الإمام الباقر عليه السلام لأبي بصير عن وصية الزهراء المكتوبة، فنقلها لأجيال الشيعة. ونلاحظ أنَّ الزهراء عليها السلام أوصت بحوائطها السبعة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام على ترتيب الإمامة، وأشهدت على وصيّتها المقداد والزبير. أما وصاياها الأُخرى وعهودها فسنتحدث عنها قريباً.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**الوصية حقّ على كل مسلم؛ وأوصت فاطمة عليها السلام إلى أمير المؤمنين وبعده إلى ولديها الحسن والحسين عليهما السلام**»[(١)].

روى أبو بصير عن أبي جعفر الباقر – عليه السلام – قال: «**ألا أُحدّثك بوصية فاطمة عليها السلام**»؟ قلت: بلى، فأخرج حُقّاً أو سفطاً فأخرج منه كتاباً فقرأ: «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد، أوصت بحوائطها السبعة العواف والدلال والبرقة والميثب والحسنى والصافية ومال أمِّ إبراهيم إلى عليِّ بن أبي طالب – عليه السلام –، فإن مضى عليٌّ فإلى الحسن، فإن مضى الحسن فإلى الحسين، فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدي. شهد اللهُ على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام، وكتب عليٌّ ابن أبي طالب – عليه السلام**»[(٢)].

---

(١) تذكرة الفقهاء (الطبعة القديمة) – العلامة الحلي ٢: ٥١٤.

(٢) مختلف الشيعة – العلامة الحلي ٦: ٣٠٣؛ كشف الغمة ٢: ١٢٢؛ بحار الأنوار ٤٣: ١٨٥ / ح ١٨، عن كشف الغمّة.

وصية الزهراء وعهودها إلى أمير المؤمنين عليهما السلام

أوصت الزهراء عليها السلام أميرَ المؤمنين عليه السلام - وقد علمتْ ثقل مصيبة فقدها على نفسه الطاهرة - بالصبر لأمر الله تعالى، ثم أوصته بدفنها ليلاً كي لا يشترك في تشييعها والصلاة عليها أحد من الذين ظلموها، ولكي تبقى مظلوميّتها حيّة إلى يوم القيامة. ثم أوصت أمير المؤمنين بالزواج من أمامة ابنة أُختها زينب كي تكون لولديها الحسنين بمثابة الأُمّ.

لم تغفل الزهراء عليها السلام - وهي المصداق الأعلى للمرأة الكاملة - حال احتضارها عن زوجها وأطفالها، ولا بُدَّ أَنَّها فكّرت في من سيقوم بعدها على تدبير شؤون بيتها من بعدها، فأوصت أمير المؤمنين عليه السلام بالزواج بعدها، لكنها أوصته بالزواج من امرأة تتحنّن على أطفالها الصغار، فمثل الحسنين وزينب سيكون عسيراً عليهم أن تأتي امرأة غريبة تحلّ محلّ أمّهم الراحلة في بيتهم. ونجد أمير المؤمنين عليه السلام يمتثل لوصيّة الزهراء عليها السلام، فيصرّح بأنّ زواجه من أمامة كان من ضمن الأشياء التي لم يجد إلى تركهنّ سبيلاً، شأنه شأن وصايا النبي صلى الله عليه وآله له بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين!

عن حسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**بدو مرض فاطمة بعد خمسين ليلة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فعلمت أنَّها الوفاة، فاجتمعت لذلك تأمر علياً بأمرها وتوصيه بوصيتها وتعهد إليه عهودها، وأمير المؤمنين عليه السلام يجزع لذلك، ويطيعها في جميع ما تأمره. فقالت: يا أبا الحسن إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليَّ وحدثني أنّي أوّل أهله لحوقاً به، ولا بدَّ مما لا بدَّ منه، فاصبر**

لأمر الله تعالى وارضَ بقضائه. قال: وأوصته بغسلها وجهازها ودفنها ليلاً ففعل، قال: وأوصته بصدقتها وتركتها. قال: فلما فرغ أمير المؤمنين من دفنها لقيه الرجلان فقالا له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: وصيّتها وعهدها»[١].

وأخرج سليم بن قيس عن ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«أشياء لم أجد إلى تركهن سبيلاً لأنَّ القرآن بها أُنزل على قلب محمد صلى الله عليه وآله: قتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، الذي أوصاني وعهد إليَّ خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله بقتالهم، وتزويج أمامة بنت زينب أوصتني بها فاطمة عليها السلام»**[٢].

مصباح الأنوار: عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنّ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّين يوماً، ثمّ مرضت فاشتدّت عليها، فكان من دعائها في شكواها:

يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث فأغثني، اللهمّ زحزحني عن النار، وأدخلني الجنّة، وألحقني بأبي محمّد صلى الله عليه وآله. فكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لها: يعافيك الله ويبقيك. فتقول: يا أبا الحسن! ما أسرع اللحاق بالله. وأوصت بصدقتها ومتاع البيت، وأوصته أن يتزوّج أمامة بنت أبي العاص. وقالت: بنت أُختي وتحنّن على ولدي». قال: «ودفنها ليلاً»[٣].

وروى الطبري في الدلائل عن أبي جريح، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن فاطمة عليها السلام، أنّها أوصت لأزواج النبيّ صلى الله عليه وآله لكلّ واحدة منهنّ باثنتي

---

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ٢٠١.

(٢) سليم بن قيس: ص ٣٩٢؛ بحار الأنوار ٢٨: ٣٠٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٧ و ٢١٨ /ح ٤٩.

عشرة أوقيّة، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لأمامة بنت أبي العاص بشيء(١).

وروي عن عبد الله بن حسن، عن زيد بن عليّ أنّ فاطمة عليها السلام تصدّقت بمالها على بني هاشم وبني عبدالمطّلب. وأنّ علياً عليه السلام تصدّق عليهم، وأدخل معهم غيرهم(٢).

وصية فاطمة عليها السّلام في رقعة عند رأسها بعد موتها:

أورد ابن عباس حديثاً عن وفاة الزهراء قال فيه: لما توفّيت (عليها السلام) شقت أسماء جيبها وخرجت، فتلقاها الحسن والحسين فقالا: «**أين أمُّنا**»؟ فسكتت فدخلا البيت فإذا هي ممتدة، فحرّكها الحسين فإذا هي ميتة، فقال: «**يا أخاه آجركَ الله في الوالدة**»، وخرجا يناديان: «**يا محمداه يا أحمداه، اليوم جُدّد لنا موتك إذ ماتت أمُّنا**». ثم أخبرا علياً وهو في المسجد فغشي عليه حتى رُشّ عليه الماء، ثم أفاق فحملهما حتى أدخلهما بيت فاطمة وعند رأسها أسماء تبكي وتقول: وا يتامى محمد، كنا نتعزّى بفاطمة بعد موت جدكما، فبمن نتعزّى بعدها؟! فكشف علي عن وجهها فإذا برقعة عند رأسها، فنظر فيها فإذا فيها: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ الجنة حق والنار حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور.**

يا علي، أنا فاطمة بنت محمد، زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة. أنت أولى بي من غيري، حنّطني وغسّلني وكفّني بالليل، وصلِّ عليَّ وادفنّي بالليل ولا تُعلم أحداً؛ وأستودعك الله وأقرأ على ولديَّ السلام إلى يوم القيامة»(٣).

---

(١) دلائل الإمامة: ص١٣٠، وصية فاطمة؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢١٨ / ح ٥٠.

(٢) دلائل الإمامة ص ٤٢.؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢١٨، والعوالم: ١١: ٥٣٤ و ٣٥٣.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٤ / ح ٤٤.

خير العمل بر فاطمة عليها السلام

هل كانت صدفة أن يعمد عمر بن الخطاب إلى فقرة مهمة من فقرات الأذان فيحذفها، بدعوى أنَّ معناها الحثّ على (الصلاة) التي هي خير العمل، وأنَّ المسلمين ربّما تقاعسوا عن الجهاد إذا فكّروا أنَّهم يقومون بخير الأعمال، وأنَّهم إذا تركوا الجهاد فلن يضرّهم ذلك كثيراً ما داموا قد تمسّكوا بخير العمل. روى الصدوق في كتاب العلل بسنده عن ابن أبي عمير أنَّه سأل أبا الحسن (عليه السلام) عن (حي على خير العمل) لِمَ تُركت من الأذان؟ فقال: «**تريد العلة الظاهرة أو الباطنة**»؟ قلت: أُريدهما جميعاً. فقال: «**أمّا العلة الظاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد اتّكالاً على الصلاة، وأمّا الباطنة فإنَّ خير العمل الولاية، فأراد مَن أمر بترك (حي على خير العمل) من الأذان أن لا يقع حث عليها ودعاء إليها**»[(١)]. أراد عمر بن الخطاب إذاً ترك الحثّ على التمسّك بالولاية، وترك الحثّ على برّ الزهراء وولدها الأطهار عليهم السلام.

روي عن أبي الحسن عليه السلام في تفسير (حيّ على خير العمل) أنَّ تفسيرها الباطن الولاية، وعن أبي جعفر عليه السلام أنَّه برّ فاطمة ووُلدها عليهم السلام، وتركها العامة ظاهراً وباطناً[(٢)].

وروى الصدوق في معاني الأخبار عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «**أتدري ما تفسير (حيّ على خير العمل)؟**» قال الراوي قلت: لا. قال: «**دعاك إلى البرّ، أتدري برّ مَن؟**» قلت لا. قال: «**إلى برّ فاطمة وولدها عليهم السلام**».[(٣)]

---

(١) الحدائق الناضرة ٧: ٤٣٨، عن العلل، علّة حذف (حيّ على خير العمل من الأذان).

(٢) روضة المتقين للمجلسي الأول ٢: ٢٣٨.

(٣) معاني الأخبار: ص ٤٢ / ح٣، باب معنى حروف الأذان والإقامة.

أخرج ابن شهر آشوب عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سئل عن معنى (حي على خير العمل) فقال: «**خير العمل برّ فاطمة**»[١].

الحسين بن حكم بإسناده عن أبي الجارود، قال: قال زيد بن عليّ عليه السلام وقرأ الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[٢]. قال: حفظهما الله بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاح؛ فنحن أحقّ بالمودّة؛ أبونا رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدّتنا خديجة عليها السلام، وأُمُّنا فاطمة الزهراء عليها السلام، وأبونا أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام[٣].

إنَّ الله تعالى وهب الحسين لفاطمة وجعل الأئمة من ولده

قدّر الله تعالى للحسين عليه السلام أن يكون مصباحَ الهُدى وسفينة النجاة لأُمَّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وأن يكون دمه الطاهر شُعلةً وهّاجة تنير الدرب الذي أرادت العُصبة الأُمويّة أن تغرقه في ظلمات الدجل والتحريف.وإنّ المتأمّل لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله «**حسينٌ مني، وأنا من حسين**» يُدرك أهميّة السبط الشهيد في حفظ إسلام جدّه المصطفى من الضياع، تلك الأهميّة التي عُبّر عنها بأنَّ (الإسلام محمّدي الوجود، حسينيّ البقاء)!

شاءت مشيئة البارئ عزّ وجلَّ أن يكون نسل النبيّ صلى الله عليه وآله من صُلب أمير المؤمنين عليه السلام، وأن يكون وُلده الأطهار هم وُلد ابنته الطاهرة التي عبّر عنها القرآن الكريم بـ(الكوثر) الذي أعطاه الله لرسوله ردّاً على الشانىء الذي عيّره بأنّه (أبتر)!! وشاءت مشيئة الله تعالى أن يكون الأئمّة الأطهار من نسل الإمام الحسين عليه

(١) مناقب آل أبي طالب – ابن شهر آشوب ٣: ١٠٧.

(٢) سورة الكهف: الآية ٨٢.

(٣) تفسير فرات: ص٢٤٦ / ح٣٣٢.

السلام - وليس من وُلد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام - لحكمة لا يعلمها إلَّا الله، والله تعالى لا يُسأل عمّا يفعل وهُم يُسألون!

روى ابن بابويه القمي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**لما علقت فاطمة عليها السلام، قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد وهب لك غلاماً اسمه الحسين، تقتله أمَّتي. قالت: فلا حاجة لي فيه. قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد وعدني فيه أن يجعل الأئمة عليهم السلام من ولده. قالت: قد رضيتُ يا رسول الله**»[1].

زيارة الحسين المظلوم تُدخل الفرح على الزهراء عليها السلام

أضحت زيارة الإمام الحسين عليه السلام مَعلَماً للدين وللإسلام المحمّديّ الأصيل الممتنع على التحريف؛ وصارت زيارته والوقوف على قبره الشريف بمثابة مبايعته عليه السلام على الوفاء للأهداف المقدّسة التي دفع عليه السلام حياته الشريفة من أجلها! ووقف أهل البيت عليهم السلام يحرّضون الناس ويحثّونهم على زيارة سيّد شباب أهل الجنّة ولو كلّفهم ذلك تجشّم الصعاب والتعرّض للأخطار وبذل الغالي والنفيس، بل لو كلّفهم ذلك حياتهم!! ومن الأحاديث التي رواها أهلُ البيت عليهم السلام في الحثّ على زيارة الحسين المظلوم عليه السلام الحديث القادم الذي يتضمّن أنَّ زيارته تُدخل الفرح على رسول الله وعلى أمير المؤمنين وعلى فاطمة عليهم جميعاً سلام الله، كما يتضمّن - في المقابل - أنَّ من يترك زيارته لغير ما علّة أكثر من ثلاث سنين فقد عقّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

روى ابن قولويه عن صفوان الجمّال، قال:

(١) الإمامة والتبصرة - ابن بابويه القمي: ص ٤٩ - ٥٠.

سـألت أبـا عبـد الله عليـه السـلام- ونحـن في طريـق المدينـة، ويريـد مكّـة- فقلت لـه: يـا بن رسـول الله! مـالي أراك كئيبـاً حزيناً منكسـراً؟ فقال لي: «**لو تسـمع ما أسـمع لشـغلك عن مسـألتي**».

قلت: وما الّذي تسمع؟ قال: «**ابتهال الملائكة إلى الله تعالى على قتلة أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى قتلة الحسين عليه السلام، ونوح الجنّ عليهما، وبكاء الملائكة الّذين حوله وشدّة حزنهم، فمن يتهنّأ مع هذا بطعام أو شراب أو نوم**»؟

قلت له: فمن يأتيه زائراً ثمّ ينصرف متى يعود إليه؟ وفي كم يسع الناس تركه؟ قال: «**أمّا القريب؛ فلا أقلّ من شهر. وأمّا بعيد الدار؛ ففي كلّ ثلاث سنين، فما جاز الثلاث سنين فقد عقّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقطع رحمه إلاّ من علّة**».

ولو يعلم زائر الحسين ما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله، وما يصل إليه من الفرح وإلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى فاطمة عليها السلام وإلى الأئمّة عليهم السلام والشهداء منّا أهل البيت، وما ينقلب به من دعائهم له، وما له في ذلك من الثواب في العاجل والآجل والمذخور له عند الله، لأحبّ أن يكون ما ثمّ داره ما بقي، وإنّ زائره ليخرج من رحله فما يقع فيه على شيء إلاّ دعا له.

فإذا وقعت الشمس عليه، فينصرف وما عليه من ذنب، وقد رُفع له من الدرجات ما لا يناله المتشحّط بدمه في سبيل الله، ويوكّل به ملك يقوم مقامه، ويستغفر له حتّى يرجع إلى الزيارة، أو يمضي ثلاث سنين، أو يموت، وذكر الحديث بطوله[1].

روى ابن قولويه بإسناده عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام- أو أبا

---

(١) بحار الأنوار ١٠١: ١٤ و ١٥ / ح ١٤ و١٥.

جعفر عليه السلام- يقول:

«من أحبّ أن يكون مسكنه في الجنّة، ومأواه الجنّة، فلا يدع زيارة المظلوم. قلت: من هو؟ قال: الحسين بن عليّ عليه السلام صاحب كربلا، من أتاه شوقاً إليه وحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وحبّ فاطمة وحبّ أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أقعده الله على موائد الجنّة يأكل معهم والنّاس في الحساب»(١).

فاطمة تستغفر لزوار قبر الحسين عليهما السلام

من شيمة أهل البيت عليهم السلام الوفاء لشيعتهم، وإنّ محبّ أهل البيت إذا علم أنَّ الزهراء عليها السلام تحضر وتستغفر لزوّار قبر الحسين عليه السلام، وإذا علم أنَّ زيارته ستجعله يوم القيامة في جوار النبي وجوار أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليها السلام، فإنَّه سيسترخص كل غالٍ ونفيس في سبيل الفوز بهذه الدرجة والمنزلة العظيمة، والمنقبة الكبيرة.وقد أوردنا في الفصل السابق أنَّ الزهراء عليها السلام تشفع لزوار قبر ولدها الحسين عليه السلام، وأنّها تشفع لمحبيها ومحبّي ذريتها.

روى ابن قولويه بإسناده عن داود بن كثير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: **«إنَّ فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله تحضر لزوار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبهم»**(٢).

وروى ابن قولويه بإسناده عن أبي أُسامة، قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول:

---

(١) كامل الزيارت – جعفر بن محمد بن قولويه: ص٢٦١ / ح٣٩٣.

(٢) كامل الزيارات: ص ٢٣١/ ح٣٤٣.

«من أراد أن يكون في جوار نبيّه صلى الله عليه وآله وجوار عليٍّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام، فلا يدع زيارة الحسين بن عليٍّ عليهما السلام والرّحمة»[1].

الاعتداء على الزهراء هو انتهاك لحرمة رسول الله واستذلال له

لم يستخدم أحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام التقيّة حين يتعلّق الأمر بمظلوميّة أُمِّهم الزهراء عليها السلام. ونجد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يجبه المغيرة بن شعبة - وهو أحد المهاجمين الذين هاجموا بيت الزهراء عليها السلام وأضرموا النار في باب دارها - فيبشّره أن مصيره في نار جهنّم خالداً فيها، لأنّه شاقّ اللهَ ورسولَه، وهاجم البيت الذي كان أمينُ وحي الله يقف أمامه خاضعاً خاشعاً يستأذنُ إذا هبط بشيء من الوحي. لقد سمّى الإمام الحسن عليه السلام الأُمور بأسمائها بلا أدنى مواربة:

الهجوم على بيت فاطمة التي قال لها أبوها الصادق المصدّق **«أنت سيّدة نساء أهل الجنّة»** هو استذلال لرسول الله ومخالفة لأمره وانتهاك لحُرمته! ليس جزاء مَن حارب اللهَ ورسولَه إلَّا الخلود في قعر جهنّم!

أخرج الطبرسي في الاحتجاج فيما احتج به الحسن عليه السلام على معاوية وأصحابه أنَّه قال المغيرة بن شعبة: **«أنت ضربتَ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أدميتها وألقتْ ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله [لفاطمة]: أنت سيدة نساء أهل الجنة؛ والله مصيرُكَ إلى النار»**[2].

---

(١) كامل الزيارات: ص ٢٦٠ / ح٣٩٢.

(٢) الاحتجاج ١: ٤١٤؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٩٧.

سبعة من ولد فاطمة يُدفنون أحياء بشاطئ الفرات

جاء بنو العبّاس بشعار (الرضا من آل محمّد)، وتسلّقوا إلى السلطة بهذا الشعار الفضفاض، فلمّا استوثقت لهم الأُمور، قلبوا لأهل البيت وأتباعهم ظهر المجنّ، وأذاقوهم من الويلات أضعاف ما أذاقهم إيّاه أعداؤهم من آل أُميّة. صار الذين وصلوا إلى الحكم باسم آل محمّد يدفنون العلويّين أحياء، وصاروا يبنون عليهم الاسطوانات، وأرسلوا من يخرّب قبر الحسين المظلوم ويرسل الماء عليه ليمحو أثر القبر، حتى قال الشاعر:

تالله إنّ بني أُميّة إن أتت ... قتلَ ابن نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها ... هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبّعوه رميما

أخرج أبو الفرج عن عبد ربه – يعني ابن علقمة – عن يحيى بن عبد الله، عن الذي أفلت من الثمانية قال: لما أُدخلنا الحبس قال علي بن الحسن: اللهمّ إنْ كان هذا من سخطٍ منك علينا، فاشدد حتى ترضى.

فقال عبد الله بن الحسن: ما هذا يرحمك الله؟ ثم حدثنا عبد الله عن فاطمة الصغرى عن أبيها عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يُدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات، لم يسبقهم الأوّلون ولا يُدركهم الآخرون**» فقلت: نحن ثمانية. قال: هكذا سمعت. قال: فلمّا فتحوا الباب وجدوهم موتى وأصابوني وبي رمق، وسقوني ماء وأخرجوني فعشت[١].

(١) مقاتل الطالبيين – أبو الفرج الأصفهاني: ص ١٣١.

صلّى على فاطمة سبعةُ نفر بهم تُرزق الأمّة وتُمطر وتُنصر

الذين تشرفوا بالصلاة على فاطمة عليها السلام دون باقي أفراد الأمَّة هم أفراد أخلصوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وحفظوه في عترته، وهم الذين يجسّدون الصفوة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي مقدّمتهم أمير المؤمنين عليه السلام والمخلصون من أصحابه. وهؤلاء الصفوة تصفهم الرواية بأنَّهم الذين بلغوا درجة من القرب والمنزلة عند الله تعالى بحيث إنَّ الأمَّة تُرزق بهم وتُنصر وتُمطر!

روى فرات الكوفي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «**خلقت الأرض لسبعة بهم يرزقون وبهم ينصرون وبهم يمطرون وبهم ينظرون، وهم عبد الله بن مسعود وأبو ذر وعمار بن ياسر وسلمان المحمدي ومقداد بن الأسود وحذيفة وأنا إمامهم السابع، قال الله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾**(١)**، هؤلاء الذين صلّوا على فاطمة الزهراء عليها السلام ورضي الله عنهم**»(٢).

وروى الشيخ المفيد بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**خُلقت الأرض لسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون؛ منهم سلمان المحمدي، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وحذيفة، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: وأنا إمامهم، وهم الذين صلّوا على فاطمة صلوات الله عليها**»(٣).

---

(١) سورة الضحى: الآية ١١.

(٢) تفسير فرات: ص٥٧٠ / ح٧٣٣ – ٥.

(٣) الاختصاص – الشيخ المفيد ص ٥؛ بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٢٢: ٣٤٥.

أول من يدخل الجنة فاطمة وأبوها وبعلها وابناها

أخرج المتقي الهندي عن المستدرك، مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّه قال لعليٍّ عليه السلام: «**إنّ أوّل مَن يدخل الجنة أنا وأنت وفاطمة والحسن والحسين**»، قال عليٌّ: «**فمحبّونا؟**» قال: «**من ورائكم**»[1].

فاطمة عليها السلام من الركبان يوم القيامة

روى الصدوق عن ابن عباس، قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو يقول: «**يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد رسول الله، ألا إنِّي خُلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعليٌّ، وحمزة وجعفر**».

فقال قائل: يا رسول الله: هؤلاء معك ركبان يوم القيامة؟ فقال: «**ثكلتك أمُّك، إنَّه لن يركب يومئذ إلَّا أربعة: أنا، وعليٌّ، وفاطمة، وصالح نبي الله، فأمَّا أنا فعلى البراق، وأمَّا فاطمة ابنتي فعلى ناقتي العضباء، وأمَّا صالح فعلى ناقة الله التي عُقرت، وأمَّا عليٌّ فعلى ناقة من نوق الجنة، زمامها من ياقوت، عليه حلّتان خضراوان، فيقف بين الجنة والنار، وقد ألجم الناس العرق يومئذ، فتهب ريح من قبل العرش، فتنشف عنهم عرقهم، فيقول الملائكة المقربون والأنبياء والصديقون: ما هذا إلَّا ملَك مقرب أو نبيٌّ مرسل، فينادي مُنادٍ من قِبل العرش: معشر الخلائق، إنَّ هذا ليس بملَك مقرّب ولا نبي مرسل، ولكنَّه عليُّ بن أبي طالب أخو رسول الله في الدنيا والآخرة**».[2]

---

(١) كنز العمال – المتقي الهندي ١٢: ٩٨ / ح٣٤١٦٦.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٢٧٦ / ح ٣٠٦ – ٧.

المعاني العظيمة في زيارة الزهراء عليها السلام

يمتحن الربّ الحكيم أَمَته الزهراء قبل خلقه إيّاها، فيجدها صابرة! فما كُنه هذا الامتحان العجيب الذي واجهته الزهراء عليها السلام ونجحت بصبرها فيه؟ لقد ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمّهن، فقال له ربُّه إنَّه سيجعله للناس إماماً! فما حقيقة الامتحان الذي اجتازته بضعة خاتم الأنبياء حتّى استحقّت أن يُطلق عليها لقب (مُمتحنة)؟! لقد كشفت الزهراء عليها السلام عن شيء من صبرها العجيب في الأبيات التي تمثّلت بها بعد ارتحال أبيها الحبيب، في قولها سلام الله عليها:

صُبّت عليَّ مصائبٌ لو أنّها صُبّت على الأيّام صِرنَ لياليا

عجيبة تلك المصائب التي تُحيل الأيّام بوهجها وإشراقها إلى ليالٍ بهيمة مدلهمّة الظلمات! وعجيبةٌ - لا بدّ - تلك المصائب التي صُبّت على الزهراء المظلومة! وأعجب منها تظافُر أُمَّة خاتم الأنبياء على هضم بضعة نبيّها وحبيبته!

روى الحر العاملي بإسناده عن إبراهيم بن محمد بن عيسى العريضي، قال: حدثنا أبو جعفر عليه السلام ذات يوم قال: «**إذا صرتَ إلى قبر جدتك عليها السلام فقل: يا مُمتحنة امتحنكِ الذي خلقك قبل أن يخلقكِ فوجدكِ لما امتحنك صابرة، وزعمنا أنّا لك أولياء ومصدّقون وصابرون لكلّ ما أتانا به أبوك صلى الله عليه وآله وأتى به وصيه، فإنَّا نسألك إن كنا صدّقناك إلَّا ألحقتنا بتصديقنا لهما لنبشّر أنفسنا بأنّا قد طهُرنا بولايتك**»[1].

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي ١٤: ٣٦٧ - ٣٦٨.

مواكب أهل السماء تستقبل الحوراء الإنسية

ترتحل سيدة نساء العالمين عليها السلام وتطوي آخر صفحات حياتها القصيرة المبتورة على هذه البسيطة، فيستقبلها أشرف الأنبياء وخاتمهم محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله، ومعه أمين وحي الله تعالى جبرئيل عليه السلام، تحفّ بهما مواكب أهل السماوات من الملائكة المقربين. يستقبل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله بضعته وريحانته من الدنيا، فما الذي ستجيبه ترى لو استخبرها الحال وساءلها عمّا أصابها بعده من أمّته؟ أتريه – أم تستحيي منه – ضلعاً هشّمه جفاء الناس؟! أتراها تخبره عن لطمة العين واحمرارها؟! يقول رسول الله لحبيبته: أقدمي يا بُنيّة، فما أمامك خير لك!!

مصباح الأنوار: عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال: «**ماتت فاطمة عليها السلام ما بين المغرب والعشاء**» وعن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جده عليه السلام «**أنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لما احتضرت نظرت نظراً حاداً ثم قالت: السلام على جبرئيل، السلام على رسول الله، اللهم مع رسولك، اللهم في رضوانك وجوارك ودارك دار السلام، ثم قالت: أترون ما أرى؟ فقيل لها: ما ترين؟ قالت: هذه مواكب أهل السماوات، وهذا جبرئيل، وهذا رسول الله، ويقول: يا بنية أقدمي، فما أمامك خير لك**»[1].

الأُسس والضوابط الحاكمة في حياة الزهراء عليها السلام

رسمت الزهراء عليها السلام في مسيرة حياتها القصيرة أروع وأبدع لوحة للإنسانيّة، فلقد جسّدت قيم الخير والجمال، أعني القيم الإسلاميّة الحقّة. ولقد عبّر عنها أبوها

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ٢٠٠، عن مصباح الأنوار.

المرسل صلى الله عليه وآله بقوله «**لو كان الحسنُ شخصاً، لكان فاطمة**»!!

ويمكن استخلاص مجموعة من الأُسس الحاكمة في حياة الزهراء عليها السلام:

١- أساس تفضيل رضا الخالق تعالى على رضا المخلوق (سواء في ذلك رضا نفسها أو رضا سواها).

٢- أساس تفضيل الآخرة الباقية على الدنيا الفانية.

٣- أساس الاعتماد على الأُمور المعنويّة في الحياة العائليّة.

٤- أساس الجهر بالحقّ ومجاهدة الظالم.

٥- أساس البساطة في العيش (كصورة من صور الزهد العائليّ).

٦- أساس الإيثار وتفضيل المجتمع على الفرد، و تفضيل الآخرين على النفس.

٧- أساس العبادة وقيام الليل وتعليم الأطفال على حبّ العبادة.

٨- أساس تفضيل الأب والزوج والأولاد على النفس.

٩- أساس المشاركة في أُمور الحياة.

١٠- أساس حاكمية المعيار المعنوي في اختيار الزوج.

١١- أساس نفي القيم الجاهليّة في ملاك اختيار الزوج.

١٢- أساس مراعاة حقوق الخدم والمستخدمين.

١٣- حاكميّة أساس المشاورة في الحياة العائليّة.

١٤- أساس رعاية الاحترام المتقابل بين أعضاء الأُسرة.

١٥-أساس تقسيم العمل في البيت بين الزوجين.

١٦- أساس طاعة الزوجة للزوج (في ما يُرضي الله).

١٧- أساس احترام العمل والتعاون بين أعضاء العائلة.

١٨- أساس مسؤولية جميع أفراد الأُسرة في الدفاع عن الإسلام.

١٩- أساس الاهتمام بتربية الأطفال.

٢٠- الاستعانة بالأُمور المعنوية في حلّ المشاكل.

أسرار خلود الزهراء عليها السلام

لعلّ من أهم أسرار خلود الزهراء عليها السلام بضعة خاتم الأنبياء وريحانته من الدنيا هو نظرتها إلى الحياة الدنيا نظرة عميقة تتناغم مع الفطرة التي فطر اللهُ الناس عليها. فهي عليها السلام تعتقد أنّ الله تعالى لم يخلق الدنيا عبثاً، ولا خلق فيها عباده من أجل اللهو واللعب، وأنَّه خلق الوجود بأرجائه لهدف وحكمة، وأنَّه قدّر فيه أُموره على أساس ضوابط محدّدة دقيقة. إنَّ الخالق جلّت عظمته وحكمته لم يخلق الإنسان للأكل والنوم، ولا خلقه من أجل اللهو واللعب، بل خلقه لعبادته وطاعته، وندبه للسير في طريق التكامل والترقّي المعنويّ والسموّ إلى أرقى مدارج الكمال.

ولقد كانت بضعة رسول الله عليها السلام تنظر إلى الدنيا باعتبارها مزرعة للآخرة، وباعتبارها داراً للتزوّد ومضماراً للسباق، ووسيلة للتكامل المعنويّ، فهي ليست هدفاً في حدّ ذاتها، كما أنّها ليست باقية خالدة، بل هي سريعة الانقضاء، مائلة للزوال. ومن هذا المنطلق لم تكن الزهراء عليها السلام تُعرض عن مواهب الدنيا ونِعمها، لأنّها تعتقد أنّ خالق الوجود خلق كلّ هذه المواهب والنعم من أجل أن يستفيد الإنسان منها كمقدمة ووسيلة لرشده وتكامله، فالإنسان – كما تراه ريحانة الرسول – هو أروع ثمرات

الوجود، وهو شعاعٌ من نور الخالق سبحانه، نفخ فيه تعالى من روحه، وجعله خليفته في أرضه وقيّماً عليها. كما تعتقد الزهراء عليها السلام أنَّ الموت ليس فناءً أبداً، بل هو مقدمة للقُرب من الخالق سبحانه، ونيل ثوابه والفوز برضوانه.

تخطّت (أمُّ أبيها) حواجز الزمان والمكان، فلم يحدّها زمنها وعصرُها ولا مدينتها، بل كانت أُسوة لكلّ النساء في كلّ العصور والأمكنة. وكانت في حياتها القصيرة المليئة بالعطاء والإيثار والتضحية لا تفكّر إلَّا في رضا الحقّ تعالى ولا تسعى إلَّا إلى أداء الرسالة التي عهد إليها خالقها بها، وكان الصدق والإخلاص هما الطابع الذي ميّز أعمالها ولوّن حركتها.

لقد تخلّقت ريحانةُ رسول الله عليها السلام بأخلاق الله تعالى، فلم تستبدل اللذة المعنويّة في ذِكر الله تعالى وقُربه بأي لذّة أُخرى. ولطالما استعانت بالأُمور المعنوية في حياتها المشحونة بالمنغّصات، واستعاضت بها عن الأُمور الماديّة التي لا يفكّر البعض إلَّا بها ولا يدور إلَّا في مدارها وأُفقها.

وكانت الزهراء عليها السلام السبّاقة في حمل لواء الدفاع عن الولاية، ومناصرة الحقّ والحريّة، والسبّاقة في التصدّي للظلم والطغيان، وقد ضحّت بحياتها الغالية في ساحة المواجهة الفكرية والعقائديّة للانحراف الذي طرأ على المسيرة الإسلاميّة المقدّسة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت في هذا المجال أُسوة وقدوة لكلّ دعاة الحقّ والعدالة.

وجسّدت المحدَّثة المحدِّثة سلام الله عليها مدرسة كبرى في اكتساب المعارف الإلهية، وجامعة عظمى للكمالات والصفات الإنسانية السامية، ولم تترك فرصة في بيان تلك المعارف وتدريسها، وكان من شأنها بثّ القيم والكمالات الإنسانيّة الرفيعة بين النساء اللاتي كانت تلتقي بهن في مختلف مجالات الحياة ومناسباتها.

المحتويات

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل الثاني عشر

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

الفصل السابع عشر

الفصل الثامن عشر

الفصل التاسع عشر

الفصل العشرون

الفصل الحادي والعشرون

الفصل الثاني والعشرون

الفصل الثالث والعشرون

الفصل الرابع والعشرون

الفصل الخامس والعشرون